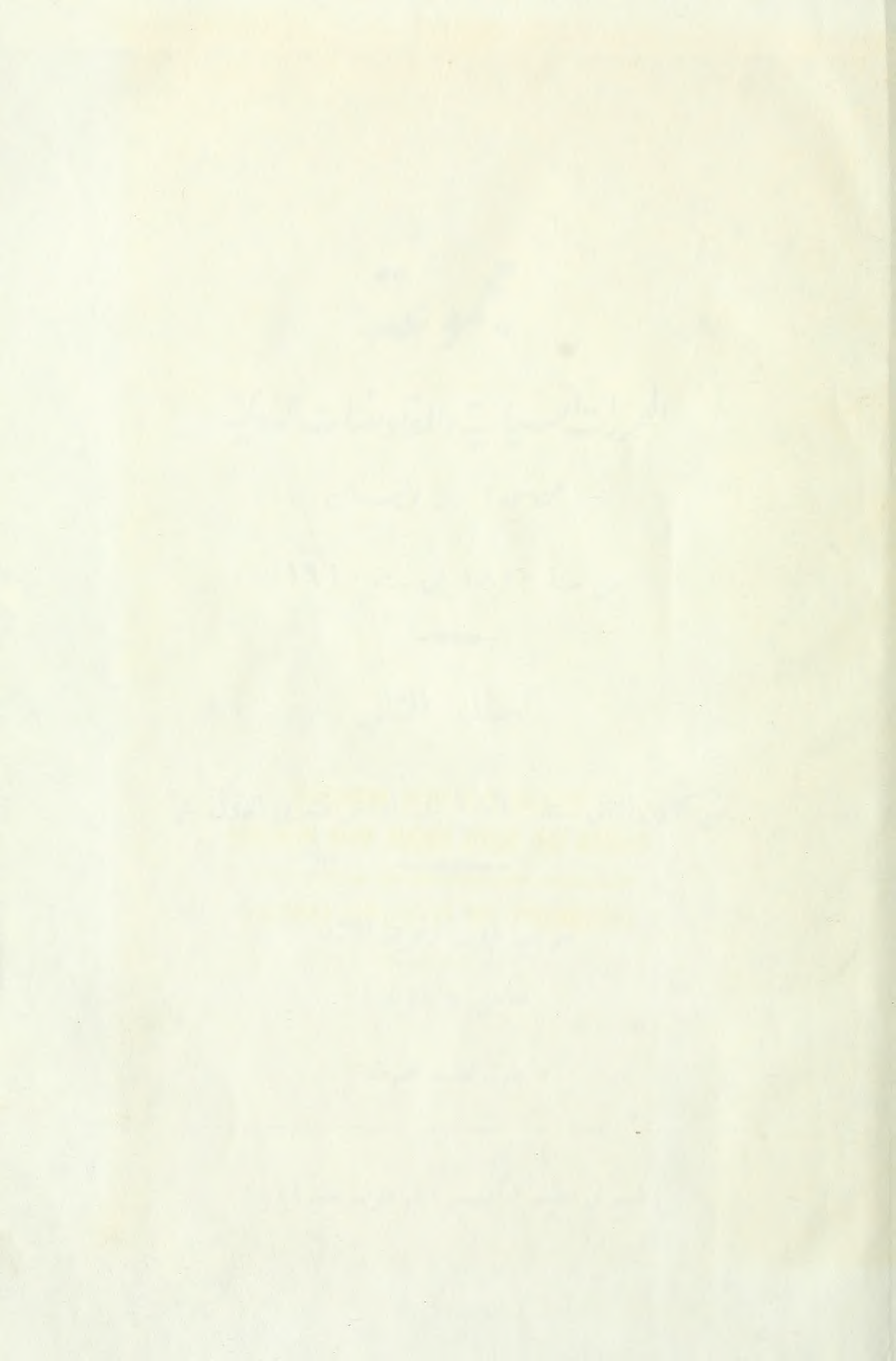






مجموعة

المحررات السياسية والمفاوضات الدولية

عن سوريا ولبنان

من سنة ١٨٤٠ إلى سنة ١٩١٠

المجلد الثاني

من كانون الثاني سنة ١٨٦٠ إلى اواخر تشرين الاول منها

تعريب فيليب وفريد الخازن

صاحبي جريدة الارز

طبع في مطبعة « الصبر » في جونية سنة ١٩١١


LIBRARY
JUN 14 1973
UNIVERSITY

المقدمة

الحمد لله موصل حبال الاخاء بعد البتات ومعيد شمل الإلفة بعد انبتات الاسباب المعقب أسباب التقاطع ثِقَة . الجاعل دواعي التباغض مِقَة . الآمر بالتجاوز عن المسيء وان جار وجاوز السبعين اساءةً في النهار . والله غفور لعباده . وعباده التقون مقتفون سنن مراده .

وبعدُ فهذا الجزء الثاني من المحررات السياسية عن فتنة سنة ١٨٦٠ التي ماج الناس في تيار أمواجها حتى تغطت أرض لبنان وسورية بالدم المراق . وحريٌّ بكل ناطق بالضاد من أبناء هذه البلاد ان يحيط بها علماً وان كان في حديث موبقاتها شجون تنبو عنها الاسماع وتنكرها الطباع لِما هنالك من المهالك . دماء مسفوحة واشلاء منتثرة ورؤوس مقطعة وأضلاع مكسرة وأحشاء ممزقة وأفئدة مصدَّعة وعظام مهشمة مطَّرحة في كل مكان وبيوت مدمرة وارض قفر مما كاد يلين لهُ الجماد وينفر منه الوحش الضاري في أفظع مظهر من مظاهر بربرية الانسان وفي تضاعيف هاتيك المستفظعات اعراض منتهكة على موارد الضلالة الى غير ذلك من ضروب الشدّة والضيق وألوان البؤس والضيم والجوع والعرى والبرد التي عمّت من سلم من الرجال كهولاً وشيوخاً والنساء حوامل ووالدات والاطفال صبياناً وبنات مما تنفطر لهُ المرائر وتتصدَّع لهُ الأفئدة .

بيدَ ان ما نرجّيه من حصول فائدة العبرة لمطالعيها استنكاراً لهذه الخطوب الفوادح التي انثالت على بلادنا فاجتاحت النسل والضرع والحرث بالسيف والنار فارتاع العالم المتمدّن لهولها واستاء ذوو السلطان الاكبر في تركيا وأوربا من فظائعها

وقبحوها وذمّوا مجترحيها ذمًّا لبسنا خزيهُ وشملنا عارهُ كل ذلك يشفع بحسن قصدنا ونيتنا في اذاعتها ـ والاعمال بالنيّات ـ وما نحن إلاّ مثل الواعظ الشفيق على سامعيهِ الرفيق بهم ينهاهم عن الذنوب والآثام بانذارهم هول يوم الحساب وتخويفهم شدّة العقاب ومرّ العذاب بنارٍ خالد سعيرها لا يخمد أبد الابدين أو كالطبيب الاسي الحكيم يحذرهم شرّ الداء المغتال ومغبّة الوبال ارادة صرفهم عن الدنوّ من مهاويهِ والارتطام في مغاويهِ تحوطًا واحترازًا.

فهذه مذابح أطنه الصادعة تُضارع مجازر لبنان وسوريّة بفظائعها وقد اكبرتها وأنكرتها الجرائد الخطيرة من أوربية وعربية وتركية وما تمالك كبار علماء المسلمين ان نددوا بالفاعلين المعتدين ناعين على جرائمهم تسوئةً لها قصد اطفاء ثائرة الشحناء ومحو حزازات الثأر والاحقاد من الصدور تفاديًا من تفرق الكلمة وتصدع بنيان الجامعة وحضًا على لزوم الالفة واقلاعًا عن معاودة أمثال هذه المعاصي والشرور.

هذا ولمّا كان من القواعد المرعية عند الدول ان يباح بعد مرور خمسين سنة نشر المحررات المتعلقة باسرارٍ سياسية لانتفاء كل محذور فتصبح ملك المؤَرخين وكانت انباء كوائن هذه الفتنة الصمّاء التي ثقلت على النفوس وطأتها ليست بذات بال من تلك الاسرار الدولية وقد أُذيعت في اوقاتها باللغات الاجنبية وانّما بقيت مجهوله حسبنا رأينا من ثمّ ان ننشرها كاخبار تاريخية مجرّدة عن كل مغزى سياسي دونه محذور كما قدّمنا آنفًا وهي على قسمين

احدهما يتناول وصف المجازر الهائلة التي صبغت ارض لبنان وسوريًا بالدم البشري وما برحت اهوالها في محفوظ الاذهان لقرب عهدها يرويها الآباء للابناء فتقشعرّ ابدانهم.

والآخر وهو أقلّ انتشارًا على ان معرفته أشدّ لزومًا يشتمل على تراسل الدول وقناصلها وسفرائها في هذه الشوون المجرية ماء الشؤُون ومفاوضات اللجنة الدولية

في بيروت في ماجريات هاتيك الخطوب الجسام الصادعة. فهي أي هذه المراسلات الدليل الهادي إلى معرفة اسباب الفتنة بل الاساس الذي بنت عليه الدول صرح امتيازات لبنان ومفاوضاتها في شؤون سورية.

ولهذا قادتنا الرغبة فيها إلى نشرها وهي ان تسمى « بسجل استشهاد » أحرى منها بمحررات. ولقد اقتصرنا في هذا الجزء على تعريب مجموع الاساطير الانكليزية المعروفة « بالكتاب الازرق » وأضفنا اليه بعض منشورات من الاساطير الفرنسوية نقلناها عن مجموع « دي تستا » وغيره من الكتب المتفرقة وسنتابع تعريب ما بقي منها عن الكتاب الازرق ونلحق بها ما نأخذه من الكتاب الاصفر الفرنسوي مما يخالف الرسائل الانكليزية أو لم يرد فيها.

وسيرى القارىء في هذا السفر بعد وقوفه على مقدمات الفتنة الاخيرة في الجزء السابق كيف استدرجت طوائف هذه البلاد الى التفاني وهم ابناء جيل واحد استدلالاً بجامع المشابه بينهم سحنةً ولغةً وجنساً واجتماعاً

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها   تذكرتِ القربى ففاضت دموعها

ثم يتلو روايات قناصل الانكليز ومرسليهم في وصف ويلات النازلة الصاخة وصفاً يذيب لفائف القلوب إلى ذكر مساعي الاولين لدى الحكومة المحلية اتقاء لواحق المحذور ونوازل المكروه وتثاقلها ارسالاً لحبال الامور على غواربها وافراغاً للشؤون في غير قوالبها. ثم يعجب بنهضة فرنسا أم الانسانية الرؤوم لمفاوضة سائر الدول واقتراحها سوق حملة اوربية إلى سوريًا وأجابتهن ايّاها إلى سؤلها واتفاقهن بداءة ذي بدء ان تكون فرنسوية ثم عدول انكلترة عن رأيها وتذبذبها في الامر نزوعاً الى المزاحمة السياسية وما زالت كذلك حتى اعطتها فرنسا الضمانة تنزيهاً لحسن مقاصدها عمّا يريب ونفياً لمظان الشك في شوائب الاستقلال بالاعمال

وأخذت على نفسها انفاذ البعث على نفقتها الخاصة حقنًا لدماء عباد الله المتدفقة مجاريها ايامئذٍ وسبقت المحسنين قاطبةً إلى اغاثة المنكوبين واعانة المرزوئين بان جادت عليهم بالاموال احسانًا إلى الانسانية وبرًّا بها . ثم يأتي ذكر تأليف لجنة دولية للاشراف على تحقيق اسباب الفتنة وجرائمها ومعاقبة الغامسين ايديهم في جناياتها وتعيين مبلغ التعويضات اغاثةً للملهوفين وكشفًا لكروبهم وتعديلًا لنظام لبنان . إلى ذكر غشيان الجنود الفرنسوية ثغر بيروت ومسارعة فؤاد باشا باعدام الجناة في دمشق الشام وقدوم اللجنة الدولية ومباشرتها عقد الجلسات المتوالية بحثًا في القسم الاوّل من مهمتها . كل ذلك مسرود بجلاء من اوائل كانون الثاني سنة ١٨٦٠ إلى اواخر تشرين الاوّل من السنة ذاتها .

فاذا ما أرسل رائد الطرف في سطور المحررات المبسوطة في الجزء الاوّل ثم أُجيل في رسائل قناصل انكلترة ومرسليها وروايات المرسلين الانكليزيين والاميركيين وشهادة اللورد دوفرين المندوب الانكليزي الخاص المثبتة في هذا الجزء يُرى جليًا انها مجمعة على اتهام فريق من رجال الدولة الخابطين اوانئذٍ طريقًا من السياسة « فرّق تسد » ـ على ما جاءَ في خطاب الموسيو غيزو وزير خارجية فرنسا في مجلس الاعيان (١٥ تموز سنة ١٨٤٥ ص ٢٠١ ج ١ من هذه المحررات) وأيّدته خطب رجال هيئة الحكم الحالي في تركيا وتآليفهم ـ انه عمل على تدابر النفوس بين طوائف هذه البلاد بقصد هدم امتيازات لبنان المتناهية بالحصانة واقامة الحكم التركي مباشرة على انقاضه واثبات قدمه في ولاية سوريّة بحيث لا يهجس في ضمير أبنائها النزوع إلى الاستقلال ولا العودة إلى تحت رواق الحكومة المصريّة . بيدَ ان تعهد الحكومة التركية في سنة ١٨٤٠ بحفظ امتيازات لبنان واستقلالهِ النوعي بدل مساعدة أَبناء هذا الجبل المقدس تركيًا والدول المتحدة على تقليص ظل الحكومة المصريّة عن سوريّة وضمان الدول رعاية هذه العهود حالا دون ادراك ضالتهم

المنشودة ولمّا كان يعوزهم المال والرجال لانفاذ سياستهم في سوريًا قوّةً واقتدارًا عمدوا الى الحيلة فحثّوا الولاة وحضّوهم على قطع عرى الوئام بين الطوائف فانكمشوا في الخطو الواسع مشمرين عن ساق السعي وكان من نكد جدنا ان أعمى الله قلبنا وغطّى على بصرنا فجاريناهم إلى غايتهم كافراس رهان . إذ ان بزور البغضاء التي نُثرت مبثوثة سنة ١٨٤٠ في اودية القلوب اللبنانية قد سقاها الولاة فما لبثت ان نبتت وأورقت وأثمرت شرًّا كثيرًا .

ذلك ان ولاة صيدا اتخذوا حقد الاسرة الجنبلاطية على الامير بشير الكبير لسعيهِ في الشيخ بشير جنبلاط إلى أحمد الجزّار فأرداه شنقًا وحبس أمواله ونفى ولديهِ سعيد بك ونعمان بك إلى مصر وسيلة لاذكاء جمر البغضاء فأثاروا الدروز سنة ١٨٤٢ على الامير بشير قاسم خلف الامير بشير عمر الكبير فعزلهُ وأدال منه عمر باشا (وهو مسيحي نمسوي الاصل تدين بالاسلام) عاملًا على الجبل فانكرت عليه الدول الاول الضامنة سلامة امتيازاتنا وما زالت بالدولة حتى عزلته وبهِ بدئت وانتهت ولاية الاتراك مباشرةً على لبنان . على ان توالي النكبات المنقضّة على امارة لبنان بسبب الاحقاد قد سلبتها منعتها فلم تستعد بهاء وحدتها وانّما قسمت إلى قائم مقاميتين مسيحية ودرزيّة واستمرّ ولاة صيدا يستمرأون ولاية هذا الجبل المحبوب فحضوا نصارى القائم مقامية الدرزيّة على طلب التملص من ربقة سلطة الدروز واستبدالها بولاية الاتراك مباشرة عليهم وأوعزوا إلي الدروز بالاعتداء على المسيحيين واعديهم بمساعدة الجنود وظلوا يعملون غير وكلين على احضاء نار البغضاء حتى استعرت سنة ١٨٤٥ وكان ان نهض قناصل الدول متواثقين وطلبوا إلى نجري باشا اطفاءها فاضطرّ الى اجابة سوْلهم واستقدم أصحاب الاقطاع من الموارنة والدروز لاصلاح ذات بينهم فعقد الصلح في ٢ حزيران سنة ١٨٤٥ لكن الجرح رُمّ على فساد فانتقض وأنفذت الدولة شكيب افندي ناظر الخارجية إلى سوريّة فوضع

ترتيبات خاصة للجبل واستمرّ الولاة على نهجهم .

ولمّا كان الخوف من ان اجتماع كلمة أصحاب الاقطاع كان يحول دون انجاح المكيدة صرفت المساعي لا يعتورها فتور إلى وضع الفرقة بين أبناء الامة المسيحية فأخلف الامير بشير أحمد أبي اللمع وانسباؤه وانقسم أصحاب الاقطاعات المسيحية وسكّان القائم مقامية إلى حزبين وكان الخازنيون في الجهة الثائرة عليه فاستحكمت النفرة من القلوب .

واكب أرباب الامر على كره الاهالي من طريقة الحكم التى منحتها الدول لبنان سنة ١٨٤٥ وأثير ثائر أهالي كسروان معقل النصرانية على مشايخهم الخازنيين فانفجر بركان الفتنة سنة ١٨٥٨ واستولوا على مقتنياتهم وطردوهم من بيوتهم وأساءوا ايضاً إلى مشايخ اسرتي دحداح وحبيش فوقعت الفرقة واختلفت الكلمة وعندها دُفع الدروز على المسيحيين بعد ان انتزعوهم سلاحهم وغمس الجند والضبّاط أيديهم في المجازر والنهب والسلب .

هذا وخلا ما أظهرته هذه المحررات من محجوبات أسرار هذه المجازر ومخبأتها وكيفية وقوعنا في اشراك الخداع وأوهاقه على ما تقدّم ذكره فنحن نعلم من روايات رجال ثقات ان سعيد بك جنبلاط كان قد استشفّ بواطن المكيدة التي دبّرها خورشيد باشا وادرك كنه غوائلها فبدا لهُ ان يستدرك الشر قبل وقوعه فاستقدم اليهِ الشيخ فارس خطّار الخازن وعهد اليهِ بشؤون المسيحيين في اقطاعته . ثم انهُ لمّا قامت قيامة الشكوى من الامير بشير أحمد وكان بعض المشايخ الخازنيين في عداد النافخين في بوقها انفذ اليهم سرّاً يوسف الخوري البكاسيني يحذرهم النشوب في فخاخها وحبائلها وينصحهم بتحاميها مع أنهُ لم يكن يودّ الامير لاستياء قنصل انكلترة منه وقد خوّفهم مغبّة الفتنة وعقباها الضاربة الى مرمى حرمانهم ولاية الاقطاع . بيدَ ان الاهواء قد تغلبت على حسن البصيرة وكان ما كان من تفرّق الكلمة والتزع

إلى الشر والضر والبلاء المحيط بجوافله المنيخ بكلاكله .

أمَّا عمَّال الولايات المجاورة لبنان لذلك العهد فانهم حرَّكوا كوامن حسد المسلمين على المسيحيين لِما أتاهم الله من نعمة الثراء وتهافتهم على طلب المناصب والمساواة بالملبس وركوب الخيل تمتعًا بالامتيازات التي مُنحوها في خط كلخانه عملًا بتعهد الدولة العثمانية في موتمر باريس سنة ١٨٥٦ فاتهموهم بالخيانة وتسليم البلاد للاجانب ونفخوا في جذوة هذه النار فذكت وحدثت مجازر حاصبيا وراشيا وبعلبك والبقاع ودمشق وكان مدير دفة هذه السياسة الخرقاء إذ ذاك أحمد باشا واليها ومشير فيلق البلاد العربية واليك ما قاله الموسيو برانت قنصل انكلترة في دمشق :

« في سوريا آفتان وهما المسيحيون والدروز فكلما ذبح احدهما الآخر استفاد الباب العالي (مجموع المحررات الانكليزية صفحة ١٣٢ رقم ١٣٨)

ومن الغريب ان يفوت من رزق حظاً ولو قليلًا من العقل ان المناوأة بين ابناء البلاد وبين مجاوريهم تصير بها إلى التلاشي والدمار وما انتفاع الحكومات من الارض القفر ؟

وكان ان عابت هيئة الحكم الجديد في تركيا سياسة التفريق التي سلبت الحكومة منعتها وسطوتها فانكمشت مستثيبة ما فقدته من الثقة بها .

هذا ولا بدَّ لنا ان نعيد ابلاء الطوائف اللبنانية والسوريَّة جمعاء معاذيرنا عن تعريب كلمات التسوئة والمطاعن والمثالب والمنابذات الواردة في سياق اساطير هذه المحررات ايذاء بعضنا بعضًا تشفيًا وانتقامًا ادراكًا للثأر المُنيم وانَّما ذلك منَّا اضطرارًا رعايةً للشرط على الناقل ونزولاً على حكم المُعرِّب الكلام طبق الاصل. ولنا شافع بصحة العزيمة وخلوص القصد عدم تحامينا نقل الملمّ بجانب طائفتنا المارونية وذوي قربانا الخازنيين والاسرة الجنبلاطية التي يربطنا بها صلة ودّ قديم وعهد مقيم . وكفى بما قدَّمناهُ شاهدًا صادقًا ودليلًا ناطقًا بخالص القصد يتلقَّاهُ قلب سليم .

وفي الختام نرجو ان يكون لنا مماً تضمن هذا الكتاب من الاساطير والتقارير تبصرة وذكرى لأولي الالباب متعظين بما كان من تورطات آبائنا السالفين



١ — من القنصل العام الى السر هنري بولفر عن بيروت في ١٤ ك ٢ سنة ١٨٦٠

اتشرّف فانبئكم بان قد استدعي عارف افندي دفتر دار هذه الايالة واحمد عطا بك المعتمد الخاص وصبري افندي مدير الشؤون السياسية فالاخيران . هما على أهبة السفر احدهما عطا بك الى رودس حيث عُين واليًا على جزائر الارخبيل والآخر صبري افندي الى الاستانة وقد زاراني مودعين فرددت لهما الزيارة

وقد أُلغيت وظيفتا الدفتر دارية ومديرية الشؤون السياسية ويقال ان الغرض من الغائهما الاقتصاد . وقد جاءَني من عارف افندي بانه ينوي زيارتي مودعًا

(مجموعة المحررات الانكليزية سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٦٠ عدد ١١٤ ص ٩٣ و ٩٤)

٢ — ومنه اليه في ١٨ منه

أتشرّف فاخبركم بانه عندما اتصل بي ان المشير كتب أمرًا « بيورلديًّا » موذنًا باعادة الامير بشير احمد الى تولي منصب القائم مقامية المسيحية في لبنان أوعزت الى ترجماني ان يغتنم الفرصة المناسبة لسوأَل دولة خورشيد باشا عن صحة هذا الخبر فاثبته له

(عدد ١١٤ ص ٩٤)

٣ — ومنه اليه في ٣٠ ادار سنة ١٨٦٠ [١٧ رمضان سنة ١٢٧٦]

اتشرّف فانبئكم بانه منذ ارجاع الامير بشير احمد قائم مقام النصارى الى منصبه تفاقمت حالة الفوضى في الجبل فان الشعب يحتقره ويطرد رجاله كلما حاولوا تنفيذ اوامره

لم يحدث أقل تغيير في حالة المشايخ الخازنيين المطرودين من بلادهم ولا أمل بان يبر خورشيد باشا بوعده فيعيدهم الى بيوتهم إذ صرح دولته بان السرعسكر أبى ان يسمح لقوة عسكرية بغشيان كسروان لهذه الغاية (عدد ١١٥ ص ٩٤)

٤– ومنه اليه في ٢ نيسان سنة ١٨٦٠ [١٩ رمضان سنة ١٢٧٦]

يسوءني ان أراني مضطراً الاخبركم بان قد كثرت حوادث القتل والاعتداء وقطع السابلة في انحاء صيدا وضواحي المدينة بصورة تقلق البال

فقد اخبرني الموسيو أبلا نائب قنصل انكلترة في المدينة المذكورة بوقوع تسع حوادث قتل منذ بدء سنة ١٨٥٩ حتى اخر ادار المنصرم . ولنكد الطالع لم تتخذ الحكومة التركية أقلّ وسيلة فعّالة لقمع هذه المشاغب والقاء القبض على الجناة ومعاقبتهم بما يستحقون . ويقول الموسيو أبلا ان ارباب السلطة في صيدا قد اعتادوا وقوع هذه الفظائع فامسوا لا يعلقون عليها أهمية

قد الفتُ غير مرة بطريقة وديّة نظر خورشيد باشا الى هذه الحالة فلم يكن لكلامي صدىً فيه وقد شكا اليَّ هو ذاته من صمم حكومة الاستانة وعدم اهتمامها بمراسلاته بهذا الخصوص . وقد قال دولته انه كلما أخبر الاستانة بحدوث جناية طالبَ اليها ايلاءه السلطة الكافية لمعاقبة الجاني تنقضي سنة أو سنتان قبل ورود الجواب عليه بحيث تتناسى الجناية وتضيع عبرة الارهاب من العقاب فيجرأ الجناة على ارتكاب جنايات جديدة في هذه الفترة (عدد ١١٦ ص ٩٥)

٥– ومنه اليه بالتاريخ ذاته

ورد قبلا في شهر كانون الثاني خبر بأن الباب العالي عزم على الغاء وظيفتي الدفترداريّة ومديريّة الشؤون السياسية في بيروت . فسافر المأموران اللذان كانا يشغلان هذا المنصب فور استدعائهما مع عطا بك المعتمد الخاص لشؤون لبنان .

والمظنون بان الحكومة أرادت باستدعائهم الاقتصاد . بيدَ ان صبري افندي مدير الشؤون السياسية ق . نجح في الاستانة فاستحصل أمرًا برجوعهِ إلى منصبهِ الاول براتب ثمانية الاف قرش بدلاً من عشرة الاف وينتظر قدومه قريبًا

ان الامير بشير أحمد القائم مقام المسيحي أُعيد إلى منصبهِ في لبنان فساءَ ذلك كثيرًا شعب هذا القضاء . ولقد تحقق ما توقعتهُ فاستفحل الاضطراب والفوضى الضاربان اطنابهما في الجبل منذ مدة طويلة

ان حالة المشايخ الخازنيين المطرودين من بلادهم لم تتبدّل فهم متشتتون وفي عسر عظيم ولا يُرى امكان تسوية مسائلهم قريبًا

ان اهالي علما القريبة من صيدا وقد اعتنقوا المذهب البروتستاني أُسيئت معاملتهم مجددًا ويسوءني ان اقول ان خورشيد باشا لم يصغَ إلى شكواهم

لقد ورد على دولة المشير الموما اليه أَمر باعادة اسقف صور الكاثوليكي إلى كرسيهِ بالقوَّة وقد كان طرده ابناء طائفته في تلك المدينة لاتباعه الحساب الغريغوري. أَمَّا دولته فلم ينفذ حتى الآن الامر وان كان اتخذ الوسائل لهذه الغاية

لقد كثر القتل والنهب في جوار صيدا إذ قتل اشقياء الدروز والمتاولة بمدى الـ ١٥ شهرًا الاخيرة تسعة اشخاص من المسيحيين واليهود . وهذا ناتج عن ضعف الحكومة المحلية في مطاردة الجانين ومعاقبتهم مع ان محلَّات مخباهم معروفة . فأمسى المسافرون غير أَمينين على حياتهم بدون ان يكونوا مصحوبين بقوَّة مسلحة

ان الحركة التجارية في خلال الاشهر الثلاثة المنقضية كانت بطيئـة جدًا انما محصول الاراضي يبشر بالخصب والنماء (عدد ١١٧ص ٩٥-٩٦)

٦ - القنصل برانت الى السر هـ . بولفر . عن دمشق في ٨ نيسان سنة ١٨٦٠

ان الامـير سلمان الحرفوش باقٍ في السجن وقد سُئلت الحكومة اطلاق

سراحه واعادته الى وظيفته في بعلبك لقاء ضمانة مالية قدرها يتراوح على ما يقال بين خمسة الاف وستة الاف كيس وهو مبلغ يساوي عشرين الى اربعة وعشرين الف ليرة انكليزية ويتعهد بهذا المبلغ اشخاص ذوو اقتدار تعرفهم الحكومة. ان الامير يعجز عن تقديم مثل هذه الضمانة. ومن المتفق عليه ان هذا المبلغ هو لقاء الحصول على مرغوبه. اما انا فاني اعتبر ان هذه التسوية تشف عن قصر نظر فان الامير يستطيع دفع هذا المبلغ لو كان لديه مال مخبوء لكن املاكه كلها محجوزة وليس في وسعه دفع هذه الضمانة الا بابتزازها من فلاحي بعلبك المسلّمين لحكمه مماً يلحق ضرراً بالحكومة

وخلا ما تقدم فيخشى انه اذا أُطلق سبيل الامير ضمّ اليه اعضاء عائلته الكثيرين وابناء طائفته المتاولة وعاد الى اثارة الفتن التي اعتادتها هذه الاسرة فتسقط هيبة الحكومة وتخرب المحال الممتدة عليها سلطتهم (عدد ١١٨ ص ٩٦)

٧— سكين القنصل العام الى المذكور. عن حلب في ٢٨ نيسان [٧ شوال سنة ١٢٧٦]

اتشرّف بانباء سعادتكم ان جميع سكان حلب تولاهم القلق في ليل ٢٤ الجاري من جرّاء الاعلانات الملصقة على ابواب الجوامع تحريضاً للمسلمين على ذبح المسيحيين وقد طافت الجنود شوارع المدينة الليل بطوله شاكة سلاحها. أما المسيحيون فقد خبأوا اموالهم في اقبية دورهم وبعضهم نقلها الى بيوت المسلمين الواثقين بهم فامست الشوارع قفرة والمخازن مقفلة

ومن جملة ما جاء في النشرات الملصقة ان في المرة الماضية كان دَور المسلمين وكان النصارى يرومون ذبحهم. ويقدّر ان كاتبي النشرة قد اشاروا الى ما شاع عن ثورة مسيحيي تركية اوربا

ولم يعرف كاتبو النشرات المذكورة ولكني ارجح انها ناشئة عن استياء جميع

طبقات الشعب من الوالي لسبب غير واضح. ومن الممكن ان الذين يرغبون بفصله عن منصبه عاجلاً قد استعملوا هذه الوسيلة على امل ان الحكومة تبدله بعمر باشا قائد الموقع العسكري المشهور بحزمه وكفائته على ضمان راحة المدينة مما اكسبه حب الاهالي على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم (عدد ١١٩ ص ٩٦-٩٧)

٨- ومنه اليه في ١ ايار سنة ١٨٦٠

اتشرَّف فانبئكم بان بعض المسلمين في انطاكية قد قاموا بمظاهرة دينية منكرة بدخولهم غير مرةٍ كنائس المسيحيين في خلال اقامة الذبيحة الالهية وترتيلهم باعلى اصواتهم صلواتهم مديرين ظهورهم الى المذبح. وفي كل مرة كانت الطوائف المسيحية تتحمل هذه الاهانات متابعةً صلواتها وقد انفذ الوالي حالاً اوامر شديدة لتدارك تجديد مثل هذه الحوادث

واني لاعجز عن ايضاح سبب عدم احداث هذه الاعتداءات المتعددة نزاعاً بين طبقات الشعب المختلفة. ان مسألة اليهود الذين هدموا قسماً من الجامع وقد سبق لي ذكرها توضح سبب كره المسلمين لعقيدتهم وللقناصل الاجانب الذين يدينون بها. بيدَ ان النشرات الثوروية المذكورة آنفاً والحوادث التي حصلت في الكنائس هي على ما يظهر مستقلة عن هذه المسئلة كل الاستقلال

وقد قُبض على عدة أشخاص وأجري تحقيق ربَّما آل إلى كشف جانب من الستار المسدول على هذه المسئلة حتى اذا ظهر شيء ساتشرف باخبار سعادتكم بهِ (عدد ١٢١ ص ٩٨)

٩- مور القنصل العام الى السر هـ. بولفر بتاريخ ٩ ايار سنة ١٨٦٠

لقد اخبرت سعادتكم في الرسائل السابقة التي تشرفت بانفاذها اليكم بان فريقاً من اهالي كسروان الثائرين طرد المشايخ الخازنيين من بلادهم وقد سلمني

هؤلاء المشايخ وسائر القناصل العامين عريضة جديدة طلبوا فيها الينا توسطنا لدى الحكومة التركية لتتخذ الوسائل الضامنة استدراك اغتصاب الاهالي محاصيل اراضيهم هذه السنة وقد اوشكت ان تجنى وهي مورد عيشهم الوحيد . فارتضيت بان اشفع بهم وخاطبت خورشيد باشا بطريقة وديّة بشأنهم وما كنت لازعج سعادتكم بهذه الرسالة لو لم يطلب إليَّ الباشا ذاته ان اوقفكم على فحوى ارائهِ المبسوطـة في الرسالة المتقدمة في طيهِ .

بيدَ اني أَرى من الواجب ان اكشف لسعادتكم عن مكنون رأْيي وهو انه لو كان خورشيد باشا يرغب حقيقة في اعادة الراحة إلى القضاء المضطرب فان لديه من الوسائل ما يبلغه هذا الغرض دون معاونة قوة عسكريّة إذ يتعذر الافتراض بان شرزمة من الفلّاحين ولا عضد لها تخاطر بمحاكمة سلطة الباب العالي

(عدد ٢٠ ص ٩٧)

١٠ — حبيب مشاقه الى مور القنصل العام ٠ عن بيروت في ٧ منه

انني عملًا بإشارتكم زرت خورشيد باشا لابلغه وصيتكم الودية بحق المشايخ الخازنيين حصولا على حماية مواسمهم وحاصلاتهم فاجابني دولته مبديا اسفه على سوء حالة المشايخ الخازنيين وقال انه كثيرًا ما سعى الى اقناع حكومته والسرعسكر في دمشق بان يضعا قوة عسكرية قيد اوامره لقمع فتنة اهالي كسروان اذا اقتضت الحالة وانه لا يستطيع ان يفرز قوة لهذه الغاية لان حكومته سحبت كل جنودها من ايالة الشام الى الاستانة وان السرعسكر سأَله ان يرسل الى دمشق تابورًا من جنود حامية بيروت القليلة العدد فرفض دولته اجابة سؤْله . واردف انه بالنظر لهذه الظروف يتعذر عليه ان يوطد الراحة في هذه الايالة اذ لم يسبق له ان تولّى ادارة الشؤُون دون ان يكون لديه قوة عسكرية كافية ولذا اضحى موقفه مذلا

لحكومته وله . وصرح بانه مستاء من حالته الحاضرة وانه رفع كتاباً الى الباب العالي شرح فيه باسهاب حالة هذه الايالة وسأَلهُ اقالته من منصبه اذ انه يهون عليه ان يترك هذه البلاد على حالتها الحاضرة من ان يغادرها في حالة اسوأ منها . وختم دولته كلامه بابداء رغبته اليَّ بان ابلغكم رسمياً ما تقدم مع الرجا بان تتكرموا برفعه الى سفير جلالة الملكة لدى الباب العالي (ملحق عدد ١٢٠ ! ص ٩٨)

١١– صور القنصل العام الى السير هـ . بولفر بتاريخ ١٨ منه [٢٧ شوال سنة ١٢٧٦]

يؤلمني ان اخبركم بازدياد الاضطراب وتعكر كأْس الامن في القضاء الدرزي من اعمال جبل لبنان بمدى الخمسة عشر يوماً التي خلت فلا يخلو يوم من حوادث القتل والثأر بين المسيحيين والدروز وآخرها حادثة وقعت منذ يومين فقد هاجم الدروز بعض المسيحيين بينا هم سائرون من دير القمر الى جزّين وقد تحقق انهم قتلوا اربعة منهم بما فيهم كاهن ماروني وفي بعض الروايات ان عدد القتلى تسعة ومن المرجح على ما يلوح من الدلائل الكثيرة ان هذا الاعتداء سيثير انتقام المسيحيين اذا لم يجر الى اشتباك الطائفتين في قتال عام . ان الدروز يتفنون باهازيجهم الحربية وقد قال المطران طوبيا لوفدٍ من دير القمر ان الذنبين من المسيحيين لا يسلمون الى الحكومة لان المعتدين من الدروز لم يحاكموا حتى اذا ما حدث هجوم عام على المسيحيين فهو يتولى بذاتهِ قيادتهم

ان الامير بشير أَحمد القائمقام المسيحي يقيم في بيروت مع ان قضاءه في حالة اضطراب وقلق يعجز عن قمعها

اني مواصل السعي دون فتور لتوطيد دعائم السلم ومن اعظم دواعي الامل بامكان منع نشوب الحرب الاهلية هو اتفاق مصلحة الفريقين في تأْجيلها الى ما بعد موسم الحرير والحصاد وهما على الابواب . وبهذه الفترة يتسنى للباب العالي ان يتخذ

التحوطات الكافلة تقرير الامن

ان خورشيد باشا ارسل اليوم فصيلة صغيرة من الجنود الغير النظامية الى قضاء الدروز لحفظ الراحة

ملحق في ١٩ ايار – اتصل بي الان ان خورشيد باشا سيرسل اليوم سرية من الجند النظامي قوامها اربعماية جنديٍ لتعزيز حامية ديرالقمر التركية نظراً لاضطراب حبل الامن في قضاء الدروز

(مجموعة الرسائل الانكليزية عن اضطرابات سورية في حزيران سنة ١٨٦٠)

(الكتاب الثاني عدد١ ملحق ٢ ص ١ - ٢ دي تستاج ٦ عدد ٢٢ ص ٦٨ – ٦٩)

١٢ – ومنه اليه بتاريخ ٢٣ ايار سنة ١٨٦٠

اني عطفاً على رسالتي المنفذة في ١٨ الجاري اتشرّف فاخبركم ان خورشيد باشا ارسل أمس « كاخيته » وصفي افندي ليبلغني شكره لاشتراكي بطريقة ولائية في تسكين الهياج السائد في الجبل وتوطيد دعائم الراحة . فقال لي « الكاخية » ان دولته ينسب الاضطرابات الحالية الى دسائس لجنة مسيحية مقيمة في بيروت قوامها بعض رعايا الحكومة والقسم الاخر بعض حمايا الدول الاجنبية

ثم المع « الكاخية » الى العريضة التي تلقاها الباشا أمس من مسيحيي النواحي المختلطة واني مرسل لكم في طيه نسخة منهـا مع ترجمتها وقد وزع منها على قناصل الدول الخمس فمن مطالعتها ترون سعادتكم انها تتضمن الشكوى من ان الحكومة التركية هي السبب في القلاقل الحاضرة . وينسب « الكاخية » هذه العريضة الى المطران طوبيا اسقف بيروت الماروني لا الى اهالي القرى المختلطة

ان حوادث الاعتداء الافرادية لم تنقطع انما هي أقل من ذي قبل . وسيعقد هنا اجتماع يضم زعماء المسيحيين والدروز بمعرفة الباشا واجازته بغية اصلاح ذات

البين بينهم فلعلّه يأتي بثمار حسنة (عدد ١ ملحق ٣ ص ٢)

١٣– عريضة المسيحيين القاطنين الانحاء المختلطة الطوائف في جبل لبنان الى خورشيد باشا بتاريخ ٢ ايار سنة ١٨٦٠ [٢٩ شوال سنة ١٢٧٦]

ان عبيد دولتكم المسيحيين القاطنين بين الدروز يستلفتون نظركم الى الاهانات والاعتداءات التي كانوا عرضة لها في المدات الاخيرة وفي الوقت الحاضر من قبل الدروز اصحاب اقطاعاتهم وهي أشهر من ان توضح بحيث سُلبنا راحتنا وأمن عيالنا وخربت املاكنا . ومن المشهور لدى الجميع ما أتوه من ضروب الاعتداء بقتلهم ابناء مذهبنا سرًّا وعلانيةً . ومن الجلي ان غايتهم ابادتنا عن آخرنا . ولا بدّ ان يكون بلغ مسامع دولتكم ما اقترفوه في خان محمد علي بك شكيب من قتل اربعة اشخاص من قرية قيتوله مع كاهن بتدين اللقش عن تعمد وسبق اصرار وراهب واربعة نفر قرب الكحلونية في الشوف وكاهن قرية معاصر الفخار في بيته وذبح رئيس دير عميق (وكان ان عرضت ظروف هذا القتل الفظيع بوقته لدولتكم)

وقد اجتمع الان الدروز من كل جهة في المختاره مقر سعيد بك جنبلاط وقطعوا الطرق المؤدية اليها فامتنع علينا الذهاب الى بيروت لرفع شكاوينا من هذه الاعمال البربرية واضطر كثيرون من ابناء مذهبنا المتوطنين القرى المختلطة ان يهربوا من الاضطهاد ويلتجئوا إلى القرى المأهولة بالمسيحيين

أمَّا المسيحيون الذين تضرروا اكثر من سواهم من اعتداء الدروز فهم سكّان بلاد العرقوب وغربي البقاع فلقد فرّوا بعيالهم اتقاء الاشتباك في القتال تاركين بيوتهم ومحاصيل املاكهم ولاذوا بمدينة زحلة فاتبع الدروز أثرهم واوقعوا بهم وجرحوهم وانتزعوا سلاحهم ونهبوا أموالهم .

ان أصحاب الاقطاعات الدرزيّة لم يُعاقبوا قط فيما مضى على مساوئهم ولم

تعنفهم الحكومة على ما ارتكبوه من الجنايات والمظالم بحقنا نحن عبيد الحكومة ولاسيما على الفظائع التي تجرّأ عليها عاماً أَوَّل الشيخ يوسف عبدالملك فاقد حرق البيوت ونهبها وخربها وقتل المسيحيين الابرياء ولم تستدعه دولتكم لمقاضاتهِ . وعدا ما تقدم فان هؤلاء المأمورين قد اعتدوا على حقوق الباب العالي باحجامهم عن دفع الاموال الاميريَّة التي استوفوها منَّا وبابتزازهم الاموال الغير المشروعة ممَّا هو ثابت لديِ دولتكم .

ان معاملاتهم بالرأفة والحلم واغفال معاقبتهم ومطالبتهم بالاموال الاميريّة التي جبوها باسم الحكومة قد جرّأتهم على التناهي في ظلمنا بحيث أُلجئنا الآن إلى الدفاع عن ذواتنا والى بذل كل ما في طاقتنا للتخلص من المظالم والمعانت المحيقة بنا قصد ابادتنا ونحن نعتقد اننا إذا ما عمدنا إلى هذه الوسائل فجميع الشرائع الطبيعية والبشريّة تبرّر عملنا . ومع ذلك فانّا نرفع هذه العريضة الى دولتكم ملتمسين ان تنظروا بعين الاهتمام إلى حالتنا وتتذرعوا بالوسائل الكافلة انقاذنا من جور اعدائنا القاسي القلوب العازمين على محقنا وقد دعانا الى ذلك نفاد جعبة صبرنا عن اطاقة المظالم والاهانات ومواصلة الخضوع لحكمهم الجائر وقد احتملنا نيره في الماضي مكرهين . وفي الوقت ذاته نضرع إلى الله القدير المتعال ان يحفظ ذاتكم الشريفة ويوطد اركان السلطنة العثمانية   (عدد ١ ملحق ٤ ص ٢ـ٣ ودي تستا ج ٦ عدد ٢٣ ص ٦٩ـ٧٠ـ٧١)

١٤ — عريضة التجار الاوربيين في بيروت الى القناصل بتاريخ ٢٠ منه

ان الكوائن الجارية الان في لبنان وهي نتيجة الفوضى السائدة فيهِ منذ مدَّة طويلة تبعث إلى الخوف من ان تأول الحوادث الافراديّة المتواصلة منذ بضعة أيام إلى حرب اهلية في القريب العاجل .

فاذا ما تحقق هذا الخوف وكل الدلائل لنكد الطالع تنذر بهِ تمسي التجارة الاوربية مهددة ليس فقط في مصالحها الذاتية نظرًا لما لها من البيوتات التجاريّة المهمة في الجبل بل ايضًا وبنوع أَخصّ في المعاملات التجاريّة التي يعرقلها الاضطراب العام وان بطريقة أَقلّ جلاء

ولهذا فان التجار الاوربيين الموقّعين أدناه المقيمين في بيروت وقد استولى عليهم القلق يلتجئون الى قناصلهم ولهم ملء الثقة بعنايتهم سائليهم ان يسعوا لدى الحكومة نظرًا لخطورة الحالة لاتخاذ الوسائل العاجلة لاعادة الامن إلى ربوع لبنان ووقاية المصالح الاوربية بأقوى الوسائل إذا ما اقتضت الحال

(وهي مذيّلة بأَربعة وثلاثين توقيعًا من أَصحاب أهمّ البيوتات التجاريّة)

(عدد ٣ ص ٤ : ودي تستاج ٦ عدد ٢٤ ص ٧١)

١٥- مور القنصل العام الى اللورد ج . روسل بتاريخ ٢٤ منه

اتشرف بان ارسل اليكم في طيهِ نسخًا من رسائلي المنفذة في الـ ١٢ والـ ١٨ والـ ٢٣ من الجاري إلى سعادة السير هنري بولڤر عن الاضطراب السائد اليوم في لبنان

ثم عطفًا على رسالتي في ١٢ الجاري اخبركم انه منذ ذلك التاريخ ورد على قائد جيش عربستان العام بطابه اوامر تجيز لهُ ابقاء الجنود التي لم تركب البحر بعد .وازيد على منطوق رسالتيّ المؤرختين في ١٨ و٢٣ ان الانباء التي وردت اليوم من لبنان تضعف الآمال المعقودة حتى الان على صون حياض السلم صافية إذ انها تنبيء بان جماعات كبيرة من المسيحيين والدروز المسلّحين هم مجتمعون في عدّة انحاء استعدادًا للقتال ومن المقول انهُ أبدى نواجذه قرب عين داره .ان كثيرين من جبليي الطائفتين المستخدمين في بيروت او المقيمين فيها وفي الساحل قد غادروا اماكنهم ذهابًا إلى مكان الحوادث . (عدد ١ ص ١)

١٦–ومنه الى السير ه. بولفر بتاريخ ٢٦ منه

اتشرف بان ارسل اليكم في طيهِ نسخة من رسالتي بشؤون لبنان المنفذة في ٢٤ الجاري إلى وزير خارجية جلالة الملكة :

لقد حدث امس في جوار بيروت قتال بين فريق من الدروز والمسيحيين فقتل درزي وُجرح اثنان توفي احدهما وُجرح مسيحيان فأسرعت الحكومة في التوسط بين الفريقين وحقنت الدماء . وقد اتصل بي هذا الصباح خبر استئناف القتال حوالى زحله اخذاً بالثأر .

ان القلق والهياج بالغان اشدهما في كل مكان . ونار البغضاء متأججة بين المسلمين والمسيحيين في هذه المدينة .

قد وصلت امس البارجة « فيريفلي » الانكليزيّة بأمرة القومندان مانسل وكان وصولها غاية في المناسبة . (عدد ٣ ملحق ٣ ص ٥)

١٧ — ومنه اليه في ٣٠ منه

اغتنم فرصة سفر الباخرة الروسية فانبي، سعادتكم بان الحرب الاهلية اتقدت نارها الآن في جبل لبنـان بين المسيحيين والدروز وقد شاهدنا أوارها في القرى المسيحية والدرزية التي ترى من بيروت . ولم يتصل بنا انباء مفصلة من مواقع القتال انما الهياج والجزع شديدان في هذه المدينة فاقفل المسيحيون حوانيتهم واعتصموا في بيوتهم وقد انبأت الفيس اميرال فنسهوى بحالة هذه البلاد

ان البارجة الفرنسوية « لاسنتينل » المقيدة بخفارة هذه النواحي أمّت على ما يقال في ٢٥ الجاري ثغر بـيره لتأتي باسطول فرنسوي الى هنا احتساباً للمشاغب المكشرة عن نابها في الجبل

ان الباشا ذهب الى لبنان مصحوباً بفصيلة من الجنود النظامية والغير النظامية
(عدد ٤ ملحق ١ ص ٦)

١٨– ومنه اليه في ٣١ منه

انهُ عطفًا على رسالتي بتاريخ أمس يشق عليَّ ان انبئكم بان الحرب الاهلية في لبنان تزداد اضطراماً وعلى ما اتصل بعلمي أقول ان القتال بدأ بعد ظهر ٢٩ الجاري بهجوم فريق من مسيحيي المتن على قرى صليما وقرنايل وبتخنيه المختلطة السكان وطردوا منها سكانها الدروز . أمَّا الدروز فأغاروا على قرية بيت مري وحرقوا دار الامير وفي اليوم التالي اضرموا النار في عدة قرى من المتن وفي سهل بيروت .

وانتهى اليَّ ان الجنود التركية أطلقت النار أمس على المسيحيين في الحدث وبعبدا وحرقتها مع وادي شحرور وعاريا وبعض مزارع في الساحل على اني لم اتمكن من استثبات صحة الخبر . وقد أمر خورشيد باشا باطلاق المدافع بيد انهُ غير معلوم على من اطلقت وفي أَيَّة ظروف . وبعد هذا الهجوم فرَّ المسيحيون وقد تولاهم الرعب فنهبت بيوتهم وحرقت ومن الشائع ان الجنود الغير النظامية اشتركت في النهب والسلب والاعتداء على المسيحيين . وقد حرقت ايضاً دور الامراء الشهابيين

ويقال ان نفراً من الباشبوزق انقضَّ على الامير بشير قاسم أمير جبل لبنان سابقًا بينا كان خدمـه يقودونه الى خارج داره في بعبدا وهو بعمر خمسة وثمانين سنة اعمى البصر فهرب الخدم تاركين الامير . وقد وجدت جثته مثخنة بضرب السيوف وعنقه مقطوعة

ان فريقًا من المسيحيين الذين لجأوا من عدة مزارع الى قرية الدامور المسيحية فور نشوب المشاغب غادروها مجيئًا الى بيروت خوفًا من ان يهاجموا فيها . وكان في اثناء سيرهم في الليلة المنقضية ان التقاهم جماعة من الدروز والشيعية والباشبوزق

فسلبوهم امتعتهم وجرحوا وقتلوا كثيرين منهم دون احترام العمر ولا النساء . ان عدد المقتولين لم يعرف بالتدقيق ويقدر بانه يتجاوز الخمسين. ان « الكاخية » المعهود اليه بادارة الشؤون في بيروت بطريق الوكالة اخبرني هذا الصباح ان كل المتن وهو أوفر انحاء لبنان ثراءً واكثره سكانًا قد اكلته نار المسيحيين والدروز (عدد ٤ ملحق ٢ ص ٦)

١٩ — ومنه اليه بالتاريخ ذاته

أتشرف بان ارسل اليكم في طيه فقرة من تحرير أنفذه اليّ الفاضل المستر بيرد المرسل الاميركي المقيم في دير القمر حاضرة لبنان المسيحية بشأن الضيقة الشديدة المستولية على هذه المدينة من جرّاء اعوازهم المؤونة . وكنت قبل وصول هذا الكتاب قابلت خورشيد باشا وأخبرته بحالة دير القمر الحرجة فوعدني دولته بان يبذل كل ما في طاقته لفتح المواصلات معها وقد قطعها الدروز . ثم اني فور استلامي الكتاب المذكور ارسلت مندوبًا بخطاب ودّي الى « الكاخية » وكيل خورشيد باشا فأكد لي بانهُ سيأمر بارسال المؤَن الى دير القمر . على اني اشفق من ان لا يتمكن من تنفيذ نياته لان القتال قد نشب بين سكان تلك المدينة والدروز وهؤلاء هم البادئون بهِ (عدد ٤ ملحق ٣ ص ٧)

٢٠ — المستر بيرد الى مور عن دير القمر بتاريخ ٢٢ ايار سنة ١٨٦٠

اني اكتب اليكم هذه الاسطر الوجيزة اجابةً لالتماس اهالي هذه البلدة وانقيادًا لدواعي الانسانية

لقد طلب اليّ رؤَساء دير القمر ان يحادثوني هذا الصباح فاخبروني بما هو جارٍ وتراهم يتوقعون فظائع الحرب وويلات المخمصة اذ ان الغلة الموجودة اصبحت ملك العموم لان مسيحيي القرى المجاورة هجروها لائذين بهذه البلدة وطرق التموين

مقطوعة عنهم . وان شعب هذه البلدة قد فعل كلما بوسعه لاتقاء الحرب غير راغب فيها ولذلك يلتمسون منكم ان تفعلوا ما بطاقتكم لتمكنوهم من الحصول على حاجيات المعيشة الضروريّة . أليس في وسع الحكومة ان تخفر قافلة تحمل اليهم الدقيق والحبوب من بيروت ؟ هل يتركون عرضةً لكسب قوتهم بجدّ سيوفهم وافواه بنادقهم ؟ فاذا ما كان يمكنهم الحصول على المؤن ففي نيتهم ان يستمرّوا مخلدين الى السكينة غير خائفين من الدروز ولا هيابين أمّا اذا كانوا لا يرجون الحصول عليها فانهم يضطرّون الى الخروج لمقاتلة الدروز ومن يعلم ما تكون عقباها. ومن الجلي ان الدروز هم المعتدون على الاقل في هذه الناحية . وقد كتب الباشا إلى شعب هذه البلدة ممتدحاً من صبرهم واعداً بفتح الطرق إذا ما بقوا مخلدين إلى السكينة على انها وعود فارغة

مَن يجسر من الوطنيين المسيحيين على الذهاب إلى مدينتكم بعد ان قُتل خادم العامل بحضور البكباشي التركي وجنوده ؟

اني أضمّ صوتي الى صوت الوطنيين مستغيثاً بكم لتبذلوا غاية الجهد لانقاذ حياة نفوس ثمينة .اسعفوهم في ضيقتهم إذا امكن . لا يوجد مؤونة هنا الآ لبضعة ايام فقط وقد تحققت ذلك من مصدر ثقة وكثيرون لا يمكنهم الحصول على الخبز ليقتاتوا (عدد ٤ ملحق ٤ ص ٧)

٢١ — مور الى السر هنري بولفر بتاريخ ٣١ منه

اتشرف فانبئكم بان قد نشب قتال عام امس بين المسيحيين والدروز في المتن فدُحر الاولون وتشتتوا في كل ناحية واذ ذاك ارسل الدروز من اضرم النار في القرى المسيحية التي لم تُحرق بعد . امّا الخسائر فغير معروفة . ان نار القتال سكنت

اليوم والدلائل تحمل على الامل بهمودها إذا لم يعمد المسيحيون إلى الاخذ بالثأر
(عدد ٤ ملحق ٥ ص ٧–٨)

٢٢ – ومنه اليه في ١ حزيران سنة ١٨٦٠

اتشرف فانبئكم بان ممثلي قنصلي فرنسا والنمسا العامين ومعتمدي الروسية وبروسية زاروني في الليلة المنقضية وقالوا لي انهُ نظرًا لحالة الشؤون في جبل لبنان والفظائع التي ارتُكبت فيهِ قد أقرُّوا جميعًا على ان يذهبوا باكرًا إلى معسكر خورشيد باشا ليعرضوا عليهِ مساعدتهم والعمل معًا لايقاف رحى القتل وتخريب الاملاك في لبنان ودعوني إلى مرافقتهم فرضيت ان انضمَّ اليهم مدفوعًا مثلهم بعواطف الانسانية وبغيرها من العوامل التي تدركونها سعادتكم بسهولة لكنني افهمتهم صريحًا باني اقتصر على ابداء ملاحظاتي وارائي للباشا بصورة حبية . وعليهِ ذهبنا عند فجر اليوم الى معسكرهِ وهو يبعد عن المدينة زهاء ساعة . فاقتبلنا خورشيد باشا بكل لطف فحدثناه في غرض زيارتنا فأَجاب بانهُ بذل جهده لايقاف رحى الحرب وسيواصل مساعيه في هذا السبيل لكنهُ يلقي كل التبعة على المطران طوبيا ولجنة بيروت ويتهمهما بأنهما مثيرا الفتنة وأَوَّل النافخين في بوقها . ثم اجاب على نصائحنا لهُ بما يتعلق بأَحسن الوسائل الواجب اتخاذها لمنع تجدد القتال فقال انه يسأَلنا جميعًا ان نقنع المطران واللجنة بالامتناع عن التدخل وانهُ هو كفيل الدروز .وعليهِ جرى الاتفاق على ان القناصل عند عودتهم يكلمون المطران ومن يلقونه من اعضاء اللجنة وفقًا لاراء خورشيد باشا ويحذرونهم من شرّ مغبة أَعمالهم . ولقد كان في نية الباشا ان يقبض على اعضاء اللجنة فعارضه رصفائي في رأْيهِ بحجة الخطر الذي ينشأ عن استياء الاهالي المسيحيين من اتخاذ مثل هذه الوسيلة ولاسيما انهم تامو العدة ومستعدون للعصيان إذا ما مُسوا بل نظرًا ايضًا الى ما ينتج من العراقيل عن امكان

اكتشاف فروع تزيد المسألة تعقيداً .

وعند انصرافنا أعرب الباشا لنا عن امتنانهِ من مساعينا في سبيل مساعدتهِ .

لقد جرى لي حديث مع المطران طوبيا وأحد اعضاء اللجنة لم يسفر سوى عن ادعائهما البراءة وقد وعدني المطران المشار اليهِ باستعمال كلمته النافذة على المسيحيين لحملهم على التزام جانب السكينة وزاد بانهم لما كانوا قد تضرروا كثيراً لا يصعب عليهِ القيام بمهمتهِ لكنه شكا بمرارة من ارباب السلطة التركية وخاصةً من افتراءات خورشيد باشا عليه (كما سماها)

وقد أغفلت ان أقول ان المستر وبر لم يتمكن من ان يرافقنا الى الباشا بسبب مرضه لكنه كتب نطاقة صرّح فيها بانهُ يوافق كل الموافقة على عملنا (عدد ٤ ملحق ٦ ص ٨)

٢٣ــ طانيوس شاهين (١) الى وكلاء جبيل واهاليها في ٣ نيسان سنة ١٨٦٠

بعد الترجمة وصل كتابكم وفهمت كل ما تضمنه بخصوص وصول الامير يوسف والبكباشي يحملان بيورلدياً لتولّي ادارة جبيل. فلا تقبلوا بهِ لان لديّ بيورلدياً من الدول السبع لتحرير المسيحيين فيجب ألاّ يبقوا عبيداً لاحد . فاذا شئتم ان تُعتقوا من عبوديتكم فلا يستطيع أحد ان يمنعكم لا المشير ولا القائم مقام . واني مرسل أمراً الى الامير يوسف ليعود الى مقره السابق فسلموه اياه حالاً ولا بأس عليكم. فاذا ما كنتم في حاجة الى قوّة اخبروني فارسلها اليكم واذا ما حاول الامير يوسف المقاومة فافيدوني فآتيكم برجالي . لا تخافوا شيئاً لان هذا الامر أمسى يعنيني دونكم وجميع القرى التي ترغب في الانضمام اليكم عيّنوا لها وكلاء فيحصون في عداد امثالهم خوفاً من اضمحلال الجمعية فالذين يرغبون ان ينخرطوا معكم اسمحوا لهم

(١) ان اللورد دوفرين أرسل هذا التحرير الى السير بولفر في ١٠ ادار سنة ١٨٦١

ان يأتوا من قِبل القرية أو ان يسجلوا اسماءهم في السجل فيكون كافياً . وقد عهدت إلى حامل كتابي هذا ان يبلغكم بعض الامور شفاها اخوكم

طانيوس شاهين

ملحق : اني مرسل لكم في طيهِ كتاباً إلى الامير يوسف فسلموه اياه حالاً يداً بيد فمن المهم ان يصل اليه وافيدوني جوابه إذ اني منذره بانهُ إذا ما تردد اجيئه برجالي وألاحقه حيث يكون وتجدون أيضاً تحريراً إلى يزبك لحود اوصلوه اليه وانذروه شفاهاً بان يقلع عن عزمهِ . لا تخافوا شيئاً ولفطنتكم غناية (الكتاب الازرق الانكليزي عدد ٣٧٣ ملحق ٧ ـ صفحة ٤٨٤)

٢٤ـ المطران طوبيا الى اختيارية دير القمر بتاريخ ٢٠ ايار سنة ١٨٦٠

بعد استمطار البركة الالهية عليكم والسؤال عن صحتكم اخبركم بوصول تحريركم المؤرخ في ١٨ الجاري أول من أمس فسررت بهِ لاحتوائهِ على اخبار الطمأنينة عنكم . وقد قبلت الاعذار التي ابديتموها عن نفوركم حتى اليوم من ايقافي على الحوادث التي جرت في جواركم وفقهت انهُ لا يمكن لومكم على سكوتكم فانا مسرور من همتكم ونشاطكم واهتمامكم بكل ما يختص بالخير العام وحب الوطن والسكينة والامن والسعادة الداخلية. وقد دوّنا كل ما جاء منكم عن حوادث جهتكم حتى اليوم في جدول خاص فيستشف منها ان نيّات زعماء الطائفة الدرزيّة موجهة الى حفظ السكينة وتحاشي كل سبب يجرّ الى انفجار بركان الاحقاد وايقاد نار الحرب . فكلما دققت النظر في هذه النيّات وعارضتها بنيّات الامة المسيحية المفطورة على تحامي زرع الاحقاد واذكاء نارها الساعية في تجنب كل حركة وكل مؤامرة ان جهاراً وان سرّاً كما هو معلوم منكم) اراني بين امرين او ان اثق بصحة الافادات المتجمعة لديّ عن نيّات زعماء الطائفة الدرزيّة التي قيل لكم انها راغبة

في استئصال جرثومة الشر وابطال كل حركة ودسيسة او ان اقابل بين هذه الافادات
وبين ما فعلوه ويفعلونه في اقليم جزّين قتلاً ونهباً واتهامهم الاهالين بدعاوٍ كاذبة وقطعاً عليهم
الطرق المؤدية الى بيوتهم بحيث أمسى هؤلاء السكان محاطين من كل الجهات يتعذر
عليهم القيام باشغالهم وهم يرون جماعة الدروز تسومهم الهوان . ولهذا السبب اضطر
إلى تبديل رأيي لكنني اخشى ان أخدع لانه اذا استمرّ المسيحيون راقدين على
وسادة الطمأنينة لا شك بان يصيبهم ما حلّ بهم في سنتي ١٨٤١ و١٨٤٥ . هذا ولا
يمكننا ان نستسلم الى الامال ولا ان نثق بانكم اصبحتم في مأمن من كل غدرٍ
بكم الاَّ متى رأَينا طريق جزين مفتوحة أَقله أَمامكم بحيث يتسنى لكم الوصول
إلى البلدة المذكورة بكل امن . فمتى حصلتم على ذلك نرضى إذ ذاك بمشاطرتكم
رأيكم . ولذلك نرفض كلما هو مخالف لاعتقادنا هـذا لانه ثبت ان اهالي اقليم
جزين فقدوا كل أمل بانقاذ حياتهم لانقطاع كل مواصلاتهم مع الخارج . فتيقظوا
واخبرونا بدقة عن هذه الحركة واذا نجحتم اكون شـاكراً لهمتكم ويتيسر لي
موافقتكم على طرد الدروز الذين هم سبب الفتن والدسائس واذا لم تتمكنوا من
انجاح مشروعكم قريباً نضطر الى الاستسلام لسوء الظن فينتج عن ذلك عاقبـة
وخيمة اذا لم تنتبهوا وتتيقظوا غير مستسلمين للقدر . وهـذا كافٍ لنيرتكم وننتظر
منكم جواباً عاجلاً تطميناً لنا . ونسأل الله ان يفتح اعين الغافلين ليتدبروا سوء هذه
الحوادث ويتلافوا الاخطار المؤدية الى الدمار والفناء والبركة الالهية تشمل جميعكم
والله يحفظكم (عن الكتاب الازرق الانكليزي عن حوادث
سنة ١٨٦٠-١٨٦١ صفحة ٤٨١-٤٨٢ ملحق ٤ عدد ٣٧٣)

٢٥- حبيب عكاوي (١) الى سعيد بك جنبلاط

لدى وصولي الى بيروت وجدت الموارنة قائمين بحركة كبيرة لاخبار اهالي الجبل عموماً من جبة بشرّاي حتى زحله بان الحرب نشبت بين دروز الشوف ومسيحيي اقليم جزين وان يستعدوا لنجدة اخوانهم عند وصول كتاب آخر اليهم وقد علمت انهم ارسلوا خمسين رجلاً من دير القمر واقليم جزين الى الحدث مع طانيوس شاهين واغا والامير ناصيف من جزين فمتى تكامل عددهم هناك يقصدون جزين عن طريق صيدا فيقتلون كل الدروز والمتاولة الذين يجدونهم في طريقهم . وفور اطلاعي على هذا الخبر ذهبت الى الخواجا بورتاليس فاخبر الحكومة فارسلت تنذر الموارنة بوجوب الاسراع في تفريق رجالهم والأ ترسل عليهم جنوداً يقبضون عليهم ويصير ابعادهم مدى الحياة فاطاع الموارنة جميعهم على انذار الحكومة

وهاك الجواب الذي ورد في اليوم الثاني الى بيروت :

« قد اتممنا عدتنا وفي نيتنا ارسال ٥٠٠ رجل لمساعدة اهالي جزين وسائر الاقاليم وقد اوعزنا الى الاهالي بان يكونوا على أتم اهبة . »

وهذا الكتاب تلقاه المطران طوبيا . فاجابوا (يريد زعماء الموارنة في بيروت) انهم ينفذون رسلاً الى جبة بشرّاي وجبيل والبترون ويوسف كرم وطانيوس شاهين يطلبون اليهم ان يتهيأوا للذهاب الى المتن وارسال ذخائر الى جونية . فاستلم اهالي بيروت الكتاب المذكور وارسلوا نسخاً منه الى جميع الجهات محرضين الشعب على النهوض الى المتن .

ولما اتصل هذا الخبر باسعد جاويش قصد المطران طوبيا وسأله عن غاية

---

(١) من اهالي دير القمر من طائفة الروم الكاثوليك

هذه الخطة موضحاً له ما ينتج عنها من الخراب . فاجابه سيادته : « اذا كنتم انتم شعب دير القمر لا تطيعون فترفضون ان ترحفوا على العدو فاني اقنـع الدروز والمسيحيين بان يهاجموكم . » فخرج اسعد حالاً من عند سيادته بعد هذا الجواب . ثم ان المطران ارسل بشاره فرعون الى طانيوس شاهين يستعجله في القدوم . وانفذ ايضاً الشنتيري الى المتن والقاطع ليجمع اهالي اقطاعة المتن . ارجّح ان الاثنين قاما بما عُهد اليهما بهِ . أمَّا زعماء هذه الحركة في الموارنة فهم خليل افندي نقاش ونعوم قيقانو واسعد ثابت . وقد صرحت الطائفة المارونية بانها مستعدة لانفاق الف كيس (زهاء ٤١٧٠ ليرة انكليزية) كما ان المطران طوبيا شديد الرغبة بان يتولى بذاته قيادة المقاتلين .

فلما نظرت ذلك انا عبدكم واسعد جاويش تكهناً بخراب البلاد وذهبنا معاً الى مطارنة طائفتنا واخبرناهم بما هو جارٍ . ويظهر انهم كانوا يجهلون كل الجهل هذه الامور فقالوا لنا ان نذهب الى قنصلية انكلترة العامة ففعلنا واطلعنا القنصل على ما تقدم فاجابنا بانه يخبر الحكومة وزاد بانه اذا اصرَّ المسيحيون على مقاصدهم فالحكومة ترسل عليهم الجنود وفضلاً عنه فقد وعد باتخاذ التحوطات اللازمة . ان طائفـة الروم الكاثوليك كتبت الى ابناء مذهبها في زحله تنصحهم بان يخلدوا الى السكينة ويعالنوا الجمهور ان القائمين بهذه الحركة هم الموارنة وحدهم ومن الثابت ان الروم الكاثوليك لا يشتركون في الحركة بعد وصول هذه التحارير اليهم

ولما غادرت بيروت انفذت رسولاً الى خليـل افندي جاويش ليوافيني الى كفرشيما فجاء واطلعته على كل ما جارٍ ورجوته ان يبلغ ذلك الى القائممقام والمشير فذهب فور مقابلتنا الى الشويفات لاخبار سعادته . أمَّا الغاية فهي جعل الامير مجيد على قيادتهم وقد وعد بقبولها فور بدء القتال ووعدوه بتحريض الشعب على الثورة . وفي طريقي التقيت برسول آتٍ من بيروت الى عيه

هذا ما علمته اخبرتكم به فارجوكم ان تبلغوه الى الحكومة لكي تتفق روايات القناصل والقائم مقام مع روايتكم .

ان الروم والروم الكاثوليك في بيروت أبوا ان يشاركوا الموارنة في عملهم ومع ذلك فالموارنة يزعمون بان الروم والروم الكاثوليك يرغبون في الحرب بينما هم يسعون في تجنبها

تنبيه : ان هذين التحريرين ارسلها اللورد دوفرين الى السير هنري بوافر في ٧ ادار سنة ١٨٦١ بغية ان يبرهن بان المطران طوبيا والموارنة هم البادئون بايقاد نار الفتنة وقد علّق المستر روجرس فيس قنصل انكلترة في بيروت على كتاب حبيب عكاوي ما يلي :

« ان محرر هذا الكتاب هو مسيحي من دير القمر دمّر الدروز بيته وكل املاكه اثناء الحصار . فشهادته اثناء محاكمة سعيد بك وما فاه بهِ في احاديث سرّية عليه مسحة الاعتدال ومطبوع بطابع الصدق . ان الامير مجيد المشار اليهِ لمن الاسرة الشهابية وهو الذي طلق منذ مدة امرأته التركية واعتنق الديانة المسيحية بناءً على وعد المطران طوبيا لهُ بترشيحه لقائم مقامية جبل لبنان وقد رشحه المسيحيون حديثاً لهذا المنصب . ان هذا الكتاب خالٍ من تاريخ انما يظهر انه كتب قبل الفتنة ببضعة ايام وربما قبل تحرير المطران طوبيّاً بيوم أو يومين ومن المرجح ايضاً ان رسالة المطران طوبيّاً تشير الى مضمونهِ لكنه آثر شرح مسئلة خطيرة كهذه في ملحق سرّي عملاً بالعادة الجارية في هذه البلاد . (عن بيروت في أوّل ادار سنة ١٨٦١)

(الكتاب الازرق الانكليزي ص ٤٨٢ ـ ٣ ـ ٤ ملحق ٥ عدد ٣٧٣)

٢٦ــ صفرونيوس اسقف صور وصيدا الى اهالي حاصبيا (١)

الى اولادنا الكرام الاماجد مشايخ واعيان وقدماء طائفتنا الروم الارثوذكس

---

(١) ان هذا التحرير اذاعته جريدة « التيمس » في أحد اعدادها دون تاريخ ونقله عنها

في حاصبيا المقيمين في الوادي ادام الله معاليهم واسبغ عليهم بركاته السماويّة :

نعلمكم ايها الابناء الاعزاء ان ما فعله الدروز المفسدون في الارض والمرتكبو المظالم المطابقة مذهبهم قد ايقظ ابناء رعيتنا المحبوبين في الرب من غفلتهم فنسأل الله ان يهبهم بشفاعة مريم العذراء القوّة للتغلب عليهم وقد طغاهم الشيطان في ارتكاب الموبقات

ثم نخبركم بان اهالي زحلة ودير القمر وكسروان وجزين والاماكن المجاورة عقدوا اجتماعًا في الجبل ليكونوا كلهم يدًا واحدة ضد الطائفة الدرزيّة القليلة العدد فيبيدونها ويهدرون دمها ويستولون على اموالها واملاكها ويطردونها من البلاد التي كانت تخص امتنا الارثوذكسية

وقد تلقينا كتابًا من قدس سيدنا البطريرك السامي المقام يطلب الينا ان نساعد هؤلاء القوم في رغبتهم ولهذا وجهنا اليكم هذه الاسطر لتتسلحوا وتشجعوا بعضكم بعضًا وتنبهوا أولادنا المسيحيين في جواركم للتغلب على اعدائكم الدروز . وقد استقرّ الرأي هنا في حاصبيًا على ان يبدأ بالدفاع نهار الاثنين اذا شاء الله بقيادة الامراء الاجلّاء اذ لا يخفاكم ان لهم العناية بشعبنا وعليهِ كونوا مستعدين لانقاذ البلاد من اعدائكم المشهورة عداوتهم لديانتكم بعناية والدة الله والبركة تشملكم جميعًا

٢٧ — مور الى السر بولفر في ٢ حزيران سنة ١٨٦٠

اتشرّف بان ارسل اليكم في طيهِ نسخة الرسالة التي تلقيتها من فيس قنصل انكلترة في صيدا بخصوص القتال بين الدروز والمسيحيين في جوار تلك المدينة

الكاتب ريشار ادوارس الانكليزي واثبته في الصفحة ١٣٧ من مؤلفه المعنون « سوريّة » من سنة ١٨٤٠ - ١٨٦٢ وهو يتضمن الدفاع عن مأموري الدولة العثمانية والدروز فنقلناه على علاّتهِ وليس لدينا ما يثبت صحته او يظهر تحريفه

وقد خابرت « الكاخية » في احوال صيدا بشأن حماية المصالح الانكليزية فيها فأكد لي ان الانباء الاخيرة التي وردت عليه لاتدعو الى الخوف من حدوث اضطرابات جديدة

وقد افادت الانباء الواردة اليوم من لبنان ان الدروز ضيقوا حلقات الحصار على دير القمر فأمسى اهلوها في أشدّ حالات ضيق العيش انما ارسل اليوم من دار الحكومة كمية وافرة من الدقيق والحبوب واتخذت الوسائل الكافلة ايصالها بامنٍ

ان الربّان مانسل قائد البارجة « فيريفلي » اجابني الى رجائي ورضي بان يؤجل سفره من بيروت لمتابعة وظيفته في مراقبة الشواطئ.

علمت ان في النية ارسال الباخرة النمسوية من شركة اللويد الراسية الآن في المرفإ الى مصبّ نهر الدامور الواقع في وسط الطريق بين بيروت وصيدا لنقل المسيحيين الباقين هناك . وقد سبق لي ان انبأتكم في رسالتي المنفذة في ٣١ المنقضي ان الدروز هجموا على فريق منهم بينا كانوا آتين الى بيروت للاحتماء بها.

ان الاخبار الواردة اليوم من مواقع القتال لاتبشر بانقطاع الحرب .

ملحق : اتصل بي ان خورشيد باشا هو على وشك ان ينقل معسكره الى مكان أعلى في الجبل . (عدد ٤ ملحق ٧ ص ٩)

٢٩– يعقوب ايلاّ فيس قنصل صيدا الى مور في اول حزيران سنة ١٨٦٠

اتشرّف فانبئكم بان قاسم يوسف ورجاله نهبوا هذا الصباح ديري المخلص للرهبان والراهبات واخذوا مواشي مزارع عين الدلب وميه وميه وقريه ومجدليون وقتلوا كثيرًا من مسيحييها . ثم ان يوسف المِيض طاردهم ومعه بعض المسيحيين بيدَ انه بعد ان تبادل الفريقان اطلاق الرصاص تراكض المسيحيون هربًا الى جهة صيدا فارتأت الجنود الأ يسمح لهذا الجمهور المسلح بدخول المدينة وذهبت حالاً

لمنعه وفي خلال ذلك اطلق عليها الرصاص فجرح جنديان فنشأ عن ذلك ثورة في المدينة واخذ المسيحيون والمسلمون يحاذرون بعضهم بعضاً ولم يقتل احد من الطرفين انمَّا يتوقع طروق حوادث خطيرة في كل آن . أَمَّا شيوخ الطائفتين فيبذلون كل ما في وسعهم لمنع وقوع أقل محذور .

فمن قائل ان الذين اطلقوا الرصاص على الجنود هم الجبليون الموجودون في بيوت المسيحيين الكائنة عند اسوار المدينة ومن موأكد الخلاف .

وعند وقوع الحادثة كنت مع انسبائي في معمل الحرير خاصتنا فلما شاهدنا قاسم يوسف يقترب من المعمل رفعت العلم الانكليزي وتهيأْنا للدفاع عن أَنفسنا وفي الوقت ذاته كتبت للمدير ليرسل الينا من يحرسنا فلم يتمكن من ارسال سوى شرطيين . ان كثيرين من مسلمي المدينة وهم من اكبر اصدقائنا جاءُوا وعرضوا ان يرافقوني الى مقرّي اذا شئت الرجوع اليه الساعة الخامسة مساءً .

ان الشرطيين المرسلين من المدير هما لحماية المعمل لكنَّ انسبائي يخشون وقوع اعتداء على المعمل يجرّ الى خرابهم.

بيدَ اني اسأَلكم ان تستحصلوا كرمًا أَمرًا الى البكباشي قائد حامية هذه المدينة ليرسل بعض الجنود لحماية هذا المعمل الخاص برعايا جلالتها (الكتاب الازرق المذاع في حزيران سنة ١٨٦٠ عدد ٤ ملحق ٨ ص ٩-١٠)

٣٠ — نويل ناصيل مور فيس قنصل بيروت الى السير هنري بولفر بتاريخ ٣ منه

اني بغياب المستر مور وبحسب أَمره اتشرَّف فانبئ سعادتكم ان قد ورد اليوم باكرًا خبر بان الدروز هاجموا بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في أَوَّل الجاري دير القمر بقوَّة فاستمرَّ القتال نهار أَمس بطوله وان قد حُرقت ضواحي هذه المدينة وأَصبحت ذاتها في خطر داهم وان الاهالي عرضوا ان يستسلموا على شرط ان توقى حياتهم

فرفض الدروز أجابتهم الى سؤلهم . بيدَ ان الاولين اوشكوا ان يموتوا جوعاً من نفاذ المؤَن امَّا رجال الحامية التركية « والمحصل » في ديرالقمر فقد امتنعوا في القصر ورفضوا ان يتدخلوا . وبناءً على هذه الحوادث الخطيرة عزم القناصل العامون على ان يذهبوا إلى معسكر خورشيد باشا للالحاح على دولتهِ بان يتخذ بعض الوسائل غوثًا لاهالي ديرالقمر وعليهِ ذهبوا معًا اليوم الساعة التاسعة صباحًا .

ان المؤَن التي ذكر المستر مور في رسالتهِ المؤَرخة في ٣٠ المنقضي انها أُرسلت من دار الحكومة لم تبرح في مكانها بحجة عدم وجود مكارين يرضون بنقلها .

ان الانباء التي وردت هذا الصباح على القنصلية من فيس قنصل انكلترة في صيدا تشف عن حراجة الحالة فيها وكان ان حدَّثت الضابط مانسل قائد البارجة فيريفلي بها فسافر في الحال الى صيدا لحماية المستر أبيلَّا والرعايا الانكليزيين المقيمين فيها . ويظهر ان الاضطراب نشأَ عن وصول جماهير من المسيحيين اللاجئين اليها فأثار على ما يبان ظنون المسلمين وتعصبهم . ان الدروز خربوا كل الناحية التي حوالى صيدا ويقول المستر ابلَّا ان النفوس التي قُتلت والاملاك التي خُربت كثيرة

وصل هذا الصباح بارجة روسية لم اتمكن من معرفة اسمها (عدد ٤ ملحق ٩ ص ١٠)

٣١- مور القنصل العام الى المذكور في ٣ منه

لما كنت قد عدت من زيارة خورشيد باشا في معسكره وقد سبق للفيس قنصل ان أشار اليها في رسالته اليكم في هذا الصباح اتشرف فانبئكم بنتيجة حديثنا مع دولته

ولما كنت عميد القناصل افتتحت الحديث فسأَلت دولته عن الانباء التي تلقاها من دير القمر . فاجاب ان قد ورد عليه في الليلة البارحة ان الدروز هجموا على هذه

المدينة وان القتل كثير ولاسيما في جهة الدروز. فاستوضحته عمّاً فعل فقال انه ارسل « مهر داره » الى دير القمر واوعز اليه ان يتدخل بين الفريقين المتقاتلين وهو ينتظر ورود نبإٍ منه في هذا المساء حتى اذا لم يكن مطمئناً فيوعز الى القائد طاهر باشا ان يذهب الى دير القمر أَو يومها بذاته.

فرجوت دولته اذ ذاك ان يراقب ما يمكن حدوثه في هذه الفترة لاعتقادي ان الحالة تستدعي اغاثة دير القمر عاجلاً وزدت ان هذا هو رأي رصفاني اجمع. فاجاب الباشا على ملاحظتي الاخيرة ان طاهر باشا هو على قيادة الجنود فاقترحنا استدعاء القائد الى حضور المفاوضة فرضي خورشيد باشا في الحال وجاء طاهر باشا. فاعدت على مسامعه الكلام السابق بايجاز واوضحت ضرورة سرعة العمل فاعتذر بانه يخشى على مدينة بيروت اذا ما تغيب عنها وعند ذلك بسطت ما كنت اعتزمت عليه عند ما تلقيت الاخبار عن دير القمر ان اذهب بذاتي اليها وحدي اذا اقتضى الامر لابذل كل ما لي من نفوذ الكلمة على زعماء الدروز لانقاذ الاهالي من الخطر المحدق بهم فلم يقع اقتراحي موقعه الحسن من رصفائي

وكان ان قرأ الكونت بنتيڤوليو في وجهي الوالي والقائد اللذين ظهرت عليهما مخائل التردد سيماء التأثر فقال: لربما دولتهما يرغبان في ان يتفاوضا منفردين وارتأى ان نخرج الى خيمة أخرى. فاجابا انهما يخرجان وفعلاً ثم عادا بعد بضعة دقائق فابلغنا طاهر باشا أنه مستعد ان يذهب بذاته في الحال وخرج متهيئاً للسفر بعد ان أكد لنا انه يبذل كل ما بطاقته لحقن الدماء.

واذ ذاك اوقفنا خورشيد باشا على الانباء المقلقة التي وردت علينا هذا الصباح من صيدا واخبرته انني سألت الضابط مانسل قائد البارجة « فيريفلي » ان يوم المدينة المذكورة فاستحسن دولته هذا التدبير وقال انه تلقى ذات الاخبار وكتب الاوامر اللازمة.

ثم ألفت دولته انظارنا الى لجنة بيروت واشار الى وجوب تشتيت شمل اعضائها بابعادهم عن هذه البلاد فوافقناه جميعًا الى رأيه. وبعد ذلك شرح لنا سبب عدم توغله في البلاد فقال ان المسيحيين ينتظرون قدوم يوسف بك كرم لنجدتهم وان لديه مدافع سيقابله عاجلًا بمثلها . (ان يوسف بك هذا هو ماروني وصاحب اقطاعة واسعة حوالى طرابلس ويعتبر انه حاصل على حماية فرنسا .)

قد وعدنا الباشا بان يرسل الينا باحدث الاخبار التي ترد عليهِ من دير القمر فانصرفنا

ان بطريرك الموارنة قد أمر اليوم بايقاف اقامة الشعائر الدينية وحض جميع المسيحيين باسم الدين ان يسرعوا لنجدة اخوانهم في الانحاء المختلطة بحيث اصبح الفريقان الآن يحسبان حربهما حربًا دينية (عدد ٤ ملحق ١٠ ص١٠–١١)

٣٢ – ومنه اليه في ٦ منه

اتشرف فانبئكم بان دير القمر استسلمت دون شرط في ٢ الجاري الى الدروز الذين يقودهم بشير بك نكد . ومن المقول ان خسائر المحاصرين بلغت ماية قتيل والمحصورين ٢٥ وبعد استسلام المدينة نهب الدروز زهاء ١٣٢ بيتًا وحرقوها ثم غادروها . ان سكان دير القمر يستعدون الان لهجر هذه المدينة التي اصابتها حطمة لا تنهض من تحتها فوالحالة هذه ان خورشيد باشا لم يبرّ بوعده بصد الدروز كما ذكرت برسالتي اليكم في اول الجاري . ان جنود الحامية التركية لزموا حد الحيادة اما الكتب الواردة الى هنا فتنسب اليهم معاونة الدروز على المسيحيين.

ان الانباء الآتية هي خلاصة ما جاءَ حديثًا من لبنان :

ان المسيحيين جمعوا قواهم في كسروان بقصد التهيوء لصد هجوم الدروز أو الاتفاق على مهاجمة هوءُلاء الاخيرين استعادةً لشرفهم . ان يوسف بك كرم وصل الى جونية ومعه الف مقاتل مجرب مدرب ويقال انهم مسلحون ببنادق مينيه وبمدفعين

سهليين . وقد ذهب البك المشار اليه الى بكركي لمفاوضة البطريرك . واتصل بي هذا الصباح ان الشيخ خليل حبيش من غزير قصد زحله بجمهماية مقاتل وان البطريرك منح من ماله الخاص مايتي قرش لكل مسيحي ينضم الى الجيش وخمسة قروش يوميًا الى عائلته . وقد هدد باستنزال الغضب على كل من يقوى على حمل السلاح ويحجم عنه .

ومن الشائع ان الدروز من جهتهم اجتازوا الانحاء المسيحية لمهاجمة زحله وسائر الاماكن فانفذ القناصل كتابًا الى خورشيد باشا ليحول دون بغيتهم فلم يحصلوا من دولته على غير وعود فارغة بانه سيبذل جهده . ومن ثم وجه القناصل المشار اليهم عنايتهم لاقناع المسيحيين بان يتفرقوا فاعتذروا اليهم بانهم ملتزمون جانب الدفاع ويخشون اذا ما تشتتوا من هجوم الدروز على حين غرة كما حدث في جزين فانهم بعد ان تعهدوا لهم العهود المعززة بالايمان بانهم لا يمسونهم باذى فاجأوهم ونهبوهم.

ان خورشيد باشا انتقل بقسم من جنوده الى مكان اعلى .

ورد اليوم انباء من صيدا تسكن البال نوعًا وتفيد ان الراحة مستتبة في المدينة اما بخصوص ما جرى فيها فاني مرسل اليكم في طيه مقتطفات كتب انفذها المرسلون الاميركيون المقيمون في صيدا ومنطوقها يؤيد لوائح الفيس قنصل.

ان الضابط مانسل عاد من صيدا وقد أتت زيارته لها بفوائد عديدة وسارسل الى سعادتكم يوم السبت نسخة من البيان الذي رفعه اليّ .

(عدد ٤ ملحق ١١ ص ١١ — ١٢)

٣٣ ـ مقتطفات كتب حضرة الفاضلين المستر فورد والمستر ادي المرسلين الاميركيين في صيدا الى قنصلية اميركا في بيروت بتاريخ ٣ منه

بينا كان جمهور قوامه ثلاثماية شخص بما فيهِ النساء والاولاد مطرودًا من جزين

ونواحيها يوم هذه المدينة للاحتماء بها قُتلوا عن بكرة ابيهم على مرأى من سكّان صيدا وذلك بعد تسليم سلاحهم واستسلامهم وفي جملة القتلى نحو عشرين كاهناً وراهبة أو راهبين ومن شر البلية ان المسلمين خرجوا من المدينة وانضموا الى الدروز في ذبح هذا الشعب المستأمن الاعزل وقد شهد بهذه الفظائع البستانيون المسلمون والنساء ايضاً وقد رأيتهم بأمّ عيني خارجين بسلاحهم من المدينة وعائدين اليها وهم في اقصى درجات الظماء اشرب الدماء . وقد جُرح كثير من النساء واغتُصب غيرهنّ فتوفي بعضهنّ على الاثر واللواتي وصلنَ الى هنا عُرّينَ من ثيابهنّ . ان عدداً كبيراً من اللاجئين هم الان حوالى « معاريه » وقد شاهدنا الدروز اليوم زاحفين عليهم فحاولوا الهرب لجهة صور لكنّ المتاولة صدّوهم عنها .

وقد اختبأ كثير من اللاجئين في الكهوف وبين اشجار البساتين . وكل من عثر عليه جرعه الدروز كأس المنون وبعضهم شربها من يد المسلمين .

ان الدروز هم اليوم هنا يشترون جهاراً باروداً ورصاصاً .

قد طلبنا جنوداً لحراسة محلنا فلم نجب اليه

ان المخمصة ستشتد هنا في القريب العاجل .

ان القناصل هنا سألوا البكباشي ان يسمح بدخول اللائذين لكنه لا يفعل .

(عدد ٤ ملحق ١٢ ص ١٢)

٣٤- ومنها ايضاً بتاريخ ٤ منه

نحن مديونون كثيراً للبارجة « فيريفلي » الانكليزية فان قدومها كان في غاية المؤاتية وكان من حسن نتيجته ان اعاد السكون الى المدينة الى حينٍ على الاقل .

ان المجزرة والنهب يتزايدان حوالى الاسوار خارج المدينة وفي هذا الصباح قُتل خمسة من الاكليريكيين في دير مجاور وقد تمكن احد الجرحى وجرحه خطر

من الفرار فأخبر بما تقدم

ان مجيء البارجة « فيريفلي » في الوقت الحاضر كان ظهيرًا قويًّا للمدينة بيدَ انه يخشى من تفتح عين الثورة بعد ذهابها .

ان قدوم البارجة الروسية الى هنا لاسماع دوي مدافعها الكبيرة ربما يكون وسيلةً لفقي عين الثورة المطبقة جفنها تناومًا ويحول دون المذابح الفظيعة وقتل المسلمين لا الدروز المسيحيين أشنع الميتات وهم عزل يطلبون الالتجاء إلى هذه المدينة . وكنت اعتقد ان جمهور الاشقياء هم من الدروز لكني تحققت الآن ان اكثره من المسلمين .

٣٥– الضابط مانسل الى القبس اميرال فانسهوى . عن بيروت بتاريخ ٤ منه

اتشرف فانبئكم باني القيت مراسيَّ في مياه صيدا أمس الساعة الرابعة بعد الظهر فخفَّ إلى ظهر البارجة الموسيو أبيلا القبس قنصل يصحبه المستر فورد والمستر ادّي المرسلان الاميريكيان وأخبروني ان قتل المسيحيين وذبحهم خارج الاسوار وفي ضواحي المدينة لمستمرّ وان المسلمين هم مرتكبو هذه الفظائع

وقد شاهدنا من محل مرسانا الشعب محتشدًا على الشاطئ والجنود تفرق شمله. وبعد حين نزلت الى البرّ وفاوضت المدير والمفتي وبكباشي الجنود النظامية الذين جاؤوا لمقابلتي فأوضحت للمدير وجوب اتخاذ الذرائع العاجلة لتسكين فائر الشعب وان يبذل كل جهده لتقرير الامن في المدينة وان يرسل في الوقت ذاته قوّة كافية إلى الضواحي لايقاف رحى القتل والمذابح التي يديرها المسلمون على المسيحيين .

فأجاب بانهُ سيوجه عنايته الى هذه الامور من الآن وصاعدًا ويضمن سلامة حياة المسيحيين ويكون مسئولاً بها فوافقه المفتي والبكباشي على تعهدهِ وأجمعوا على ان حضوري أنقذ المدينة لان الشعب كان هائجًا ومستشاطًا غضبًا . وبما ان المدير

قال لي ان سلطته لا تتجاوز مدى عشرة دقايق عن الاسوار وكنت قد سمعت ان قاسم بك يوسف حماده زعيم الدروز معسكر برجالهِ على ضفاف نهرٍ بجوار المدينة سألت عمَّا إذا استطيع استدعاوءه فأجبت إلى طلبي بعد ان وعدتهم بعدم القبض عليهِ فكتبوا اليهِ مستقدميه في الحال .

ثم انطلقت إلى بيت الفيس قنصل فمررت في قسم من المدينة وقد رأيت الشعب على ممرّي ساكنًا كثير الاحترام لي وكان يقف لي اجلالاً .

وقبل ان اعود الى ظهر الباخرة زرت الخان الفرنسوي حيث عدد غفير من المسيحيين اللاجئين اليه . وكانت ساحته الداخلية غاصة بالحيوانات وبثلاثين جريحًا وجدوا في ضواحي المدينة والراهبات قائمات على تمريضهم.

ان الشوارع الان وهي الساعة التاسعة لمهجورة وكل شيء هادىء وقد انقضى الليل دون حدوث أقل اضطراب في المدينة وشاهدنا الشعب رجالاً ونساءً واولادًا مباكرين البساتين في ضواحي المدينة .

وعند الساعة التاسعة عدت الى البرّ وقابلت الزعيم الدرزي في بيت المدير بحضرته وحضور المفتي والبكباشي . فاوقفته على سبب قدومي واني رغبت في هذا الاجتماع على أمل ان يسفر بمساعدته عن ايقاف المذابح المستفظعة في الضواحي . فاجابني بانه مستعد لاجابة طلبي ووعد بحقن الدماء في الحال وانه سيبذل جهده لتسكين ثائر الشعب بحيث يمكنه الان ان يعود الى بساتينه وانه يوقّع تعهدًا يضمن به سلامة المسيحيين وعند ذلك انصرفت وبعد قليل زارني المدير والزعيم والدرزي والمفتي والبكباشي في دار الموسيو أبيلّا الفيس قنصل حيث قرأ بصوت جهوري تعهد الزعيم المومإ اليه ووقعه بختمه . فاجمع الحضور كلهم على ابداء الولاء واعربوا عن رضاهم التام .

ثم ان الشيخ زارني على ظهر الباخرة وعند استئذانه بالانصراف أوضح لي

ان وصول البارجة انقذ المدينة واعاد الثقة والراحة اليها . وعليه رأيت انه لم يبقَ من لزوم لاطالة اقامتي هناك فغادرت المرسى الساعة الواحدة بعد الظهر. (عدد ٤ ملحق ١٣ ص ١٣ — ١٤)

٣٦— القنصل برانت الى اللورد ج. روسل بتاريخ ٤ منه

ان مسيحيي دمشق هم في قلق شديد من جرّاء مظاهر العداء والاهانات التي يسومهم اياها المسلمون . أَما الباشا فقد زاد الحرس في احياء المسيحيين تسكيناً لروعهم وحظر بيع الاسلحة والذخائر وارسالها إِلى سائر الجهات .

الخواطر في حاصبيّاً وراشيّاً حيث تقيم الجنود هائجة بعض الهيـاج خوفاً من هجوم دروز اللجا الذين يريدون نجدة اخوانهم في جبل لبنان بيدَ اني نُبئت بان دروز اللجا لم يحركوا ساكنهم .

ان مصطفى باشا المرابط في اللجا مع بعض الجنود قد هجم حديثًا على فيصل الشعلان شيخ قبيلة الرولا بمساعدة محمد الدوخي زعيم قبيلة ولد علي فهزمه ثم ادركه وقتله مع ولده فعظمت صولة محمـد الدوخي بحيث ان اسماعيل الاطرش الزعيم الدرزي لا يجسر ان يذهب بذاتهِ الى لبنان أَو ان ينفذ احداً من رجالهِ اليهِ اشفاقا من هجوم الدوخي عليه لسبق معاداته دروز حوران . ولا مراء ان ذلك يقنط دروز لبنان من املهم في هذا العضد القوي وترجح كفة الميزان في جانب المسيحيين فتساعد على ايقاف رحى القتال

ان الشيخ كنج زعيم الدروز في البقاع حرق عدَّة قرى مسيحية فلحق سكانها بمواطنيهم بعد ان اودعوا عيالهم وأَموالهم في زحلة .

ان الامير اسعد شقيق الامير سلمان الحرفوش الباقي في السجن غادر المدينة وهو يجوب الناحية المجاورة ويبلصها . فأَرسل الباشا قوَّةً قوامهـا خمسون فارساً

لوقاية بعلبك من النهب.   (عدد ٦ ص ١٥)

٣٧ – السر هـ. بولفر الى ج. روسل. عن الاستانة في ٨ حزيران سنة ١٨٦٠

وردت عليّ رسالة برقية من قنصل جلالتها في ازمير تنبيء باجمال عن حدوث قتال شديد بين الدروز والمسيحيين في سوريًا فانفذت في الحال رسالة إلى قنصل جلالتها العام في بيروت في طيهِ نسخة منها اوعزت فيها اليه بان يشترك مع رصفائهِ قناصل فرنسا والنمسا والروسية وبروسيا توحيدًا للسعي بوضع حد ان أمكن للقتال الناشب هناك. وقد اطلعت سفير فرنسا ومعتمدي الروسية وبروسيا والنمسا على رسالتي فكتبوا بمعناها إلى قناصلهم في بيروت.

وقد طيّرت أيضًا رسالة على لسان البرق إلى أمير البحر في جزيرة مالطه سألته عمّا إذا كان يستطيع ان يرسل بارجة كبيرة لائقة إلى مياه بيروت نظرًا للحوادث الخطيرة الجارية فيها. ومن الشائع ان الجنود التركية انضمت إلى مسلمي صيدا مناصرةً لهم على المسيحيين وارتكبت عدّة فظائع   (عدد ٨ ص ١٥ ـ ١٦)

٣٨ – ومنه الى مور القنصل العام في ٦ منه

ورد الى هنا نباء بحدوث قتال خطير بين الدروز والموارنة في لبنان ومن المرجح انه عندما تبلغكم هذه الرسالة تكون نار الحرب مضطرمة الاوار. فمن المهم في مثل هذه الحالة ان لا يسود الاعتقاد في تلك البلاد باختلاف الدول الاوربية العظمى رأيًا بشأنها ومع انه يتعذر عليّ ان اعطيكم تعليمات وافية قبل ان اقف على تفاصيل ما جرى عندكم فاوعز اليكم بان تسعوا مع رصفائكم قناصل فرنسا والنمسا وروسيا وبروسيا متفقين وتبذلوا كل جهدكم لاقناعهم بان يوحدوا مسعاهم بحثًا عن أحسن طريقة توجبها الحالة لوضع حدٍ للقتال الناشب الان وازالة الخلاف الذي نشأت عنه هذه الحرب.   (عدد ٨ ص ١٦)

٣٩ — ومنه الى اللورد جون روسل في ١٠ منه

لقد تعجلت بايقاف الباب العالى على الاخبار الخطيرة التي تلقيتها من بيروت وشدَّ ما كان دهشي لما علمت ان الحكومة التركية لم يرد عليها انباء من سوريا غير التي تضمنتها رسالة والي بيروت (صيدا) المؤرخة منذ نحو ثلاثة اسابيع وهي مقصورة على خبر نشوب القتال بين الدروز والموارنة وعليه فالحكومة تجهل حقيقة الاضطرابات التي حدثت هناك وهي خايفة القلق وقد انبأتني بانها معتزمة ان ترسل في الحال بارجة وتابورين الى شواطيء سوريا وتتخذ وسائل قوية لاعادة الامن الى نصابه .

وستوفد معتمدًا كبيرًا وقائدًا عامًا الى ذلك الصوب .

ولا أتأخر عن انباء سيادتكم بما يرد عليَّ من التفاصيل من المستر مور او من مصدر اخر موثوق بهِ.

ملحق في ١١ منه – بعد كتابة ما تقدم خبرني المستر مور بحدوث قتال بين الجنود التركية وبعض المسيحيين الفارين من الجبل التجاءً الى صيدا . (عدد ٩ ص ١٦)

٤٠ — مور الى المستر هـ. بولفر بتاريخ ٩ منه

اتشرف بان ارسل لكم في طيهِ نسخة الرسالة التي انفذتها في ٧ الجاري مع ملاحقها الى اللورد جون روسل .

في ليلة اول من أمس اجتمع في خارج هذه المدينة جمهور من مسلميها يتراوح عددهم على ما قيل بين ٣٠٠ و٤٠٠ رجل ثم تفرقوا فرقًا عديدة وظلوا يطوفون في ضواحيها الى آخر الليل وبعد ذلك عادوا الى بيوتهم دون ان يعكروا كاس الراحة فقلق المسيحيون بالأ وارسلوا وفدًا الى دار الحكومة وقناصل الدول متشكين من

هذه الاعمال . وعلى أثر ذلـك قيل ان سبب هذه المظاهرة متأتٍ عن الاشاعة المتفشية على الالسن في المدينة بعد ظهر الاربعا في ٧ الجاري بحدوث قتال جديد بين المسيحيين والدروز في المتن كانت الدائرة فيه على الاخرين وان خورشيد باشا بعد ان انتقل الى المديرج عاد في ذات الليلة الى معسكره السابق في سفح الجبل وفي الوقت ذاته شوهد بعض المسيحيين الفارين شاكي السلاح آتين الى الجهة الغربية من ضواحي المدينة وعند ذلك استولى القلق على المسلمين واوجسوا من ان يكون تآمر مسيحيو المدينة مع ابناء مذهبهم في الجبل للايقاع بهم . على انه بناءً على شكاوى المسيحيين وملاحظات القناصل وعد « الكاخية » بان يستدعي اليوم رؤساء الاحياء من المسيحيين والمسلمين الى عقد اجتماع يرمي الى اتقاء تجدد مثل هذه المظاهرات من الطرفين ومعاقبة مثيري مظاهرة الليلة المنقضية .

ويسرني ان انبىء سعادتكم ان كثيرين من سكان بيروت المسلـمين من الاعيان والعامة عاملوا المسيحيين المنكودي الحظ اللاجئين الان الى المدينة بمنتهى العواطف الانسانية فقد فتحوا اكتتاباً ليمدوهم بالطعام ويسدوا حاجياتهم المعاشية واووهم في بساتينهم وفي منازلهم مجاناً

يستفاد من الاخبار الواردة من لبنان ان الدروز اعتدوا على راشيا وحاصبيا وقد هجموا على الاولى خدعة واضرموا فيها النار بعد ان نهبوها وارتكبوا فيها الفظائع كحرقهم البيوت بسكانها وان الجنـود التركية المرابطة هناك لم تكتفِ باهمالها حمايتهم بل انها قفلت ابواب الشكنة ودار الحكومة بوجه المسيحيين الطالبين الالتجاء اليها . ان عدد القتلى لم يعرف بعد وقد لجأ ماية وخمسون مسيحي الى دمشق .

اما في حاصبيا فان عاملها الامير سعد الدين وهو من فرع الاسرة الشهابية المسلم قد تمكن بمساعدة الجنود الغير النظامية المرابطة فيها من صد الدروز عنها وهو معادٍ لهم .

وقد هوجمت ايضاً قرية رشميا قرب دير القمر ونهبت وهي واقعة في حكم بيت عبد الملك فان هؤلاء المشايخ وعدوا اهل هذه القرية بحمايتهم ولما اطمأنوا بالاً كاهل راشيا فاجأهم الدروز فقتلوا منهم ثلاثة في بدء الهجوم .

لقد زارني أَمس مطران جزين الماروني وقد كتبت لهُ النجاة في لوح الحياة فوصف لي ما حل من الشؤم بتلك البلدة المارونية وبناحية جزين باسرها وهي واقعة في اقطاعة المشايخ الجنبلاطيين واخبرني ان الدروز بعد ان اعطوا الضمانات الشفاهية والخطية تأميناً للسكان هجموا على قضاء جزين في اول الجاري وحرقوا قراه وشتتوا شمل اهليه فلاذوا بالاحراج والكهوف مختبئين وهم قيد خطر الوقوع في ايدي العصابات الدرزية وجيرانهم الشيعيين فبناءً على طلب المطران المشار اليه واجابةً لداعي الانسانية كتبت الى سعيد بك جنبلاط حاثاً اياه على ان يجمع هذا الشعب التعس ويمكنه من الالتجاء الى مكان أَمين .

لما كان قد وردت اخبار سيئة عن حالة صيدا وصور رأيت ورصفائي والضابط مانسل مناسباً ان تعود البارجة « فيريفلي » الى صيدا ثانية ثم الى صور نظراً لما يرجى من وجودها من التأثير الادبي . وعليه سافر الضابط السابق الايماء اليه في الليلة المنقضية وعاد اليوم حاملاً اخبار الطمأنينة عن المدينتين المذكورتين وقد لقي كثيراً من المسيحيين الهاربين فأَغاثهم واخبرني احدهم انه يوجد زهاء ستماية الى سبعماية لاجيءٍ من جزين مختبئين في الكهوف والغابات على مقربة من صيدا قد نفذ زادهم فامسوا عرضةً للموت جوعاً فكتبت الى ارباب السلطة التركية ملحاً باتخاذ الوسائل الكافلة انقاذ هذا الجمع السيء الطالع .

ملحق : ان الدلائل اليوم تدعو الى الامل بعودة مياه الراحة الى مجاريها فقد وقف القتال منذ يومين وخورشيد باشا يسعى بنفسه لتقرير الامن (عدد ١٠ ص ١٧ – ١٨)

٤١- ومنه اليه بتاريخ ١١ منه

اتشرف فانبئكم بان قنصل الروسية العام أَرسل إليَّ يخبرني بانهُ بينا كان قنصل دولته في دمشق عائداً إلى مقرّهِ عن طريق زحلة انفذ منها رسولاً ينبئه بحالة تلك المدينة والرسول يحمل عرائض مطارنة زحلة واهاليها الى القناصل العامين التماساً لتوسطهم في انقاذ المدينة المهددة بهجوم الدروز وانك تجد في طيهِ صورة عن عريضة الاساقفة تماثلها تقريباً وقد رفعوا الى خورشيد باشا مثلها .

اني اجابةً لرغائب رصفائي في عقد اجتماع قنصلي للتفاوض في الاخبار التي تلقوها من زحلة دعوتهم للانتداء في دار القنصلية . فاقترح الكونت بنتيفوليو انفاذ كتاب اجماعي الى خورشيد باشا تُلقى فيهِ عليه تبعة اغفال انقاذ زحلة فرُدَّ اقتراحه . وبعد جدال وجيز أَجمع الرأي على انفاذ تحرير الى الباشا مقصور على ابلاغهِ تحارير الاساقفة واستلفاته الى حالة زحلة واهليها . وفي طيهِ صورة كتابنا وترجمة جواب خورشيد باشا . واني اتشرف أيضاً بان ارسل إلى سعادتكم ترجمة كتاب ارسلهُ إليَّ بطريرك الموارنة واساقفته مع نسخة من الكتاب الذي بعثوا بهِ الى الباشا بشأن حالة المسيحيين الحاضرة في لبنان . (عدد ١٢ ملحق ١ ص ١٩)

٤٢- كتاب بطريرك الموارنة واساقفته الى خورشيد باشا بتاريخ ١٠ منه

ان عبيدكم الموقّعين أدناه بغنىً عن الامتداح من همة دولتكم الناهضة باسراعكم الى معسكر الحازمية لقمع القتال الهائل الذي نشب بين المسيحيين والدروز فذهب بالنفوس والاموال وجرَّ الى حرق البيوت وقد رفعنا قياماً بالواجب صلواتنا الحارة الى القدير المتعال مبدع الكائنات ليقي شخص دولتكم ويكلل مساعيكم بالنجاح لنستمرّ مستظلين بوارف ظلّ حمايتكم وقد شئتم دولتكم منذ عشرة ايام بالاتفاق مع قناصل الدول المتحدة ان تذيعوا اوامركم في الطائفتين لتلتزما جانب السكينة

وحدود نواحيهما بحيث يسهل انعام النظر في فصل الخلاف ومعاقبة الجناة وتعيين التعويضات وفقاً للعدالة . فكررنا تنبيهاتنا ونصائحنا لجميع المسيحيين بان يخلدوا الى السكينة متحاشين كل ما من شأنه ايقاد نار القتال واعادة الاضطرابات فانقاد جميعهم إلى نصائحنا وأبدوا الخضوع اللازم لاوامركم الشريفة ومن ذلك الحين حتى الان لم يأتوا أقلّ عملٍ يجرُّ إلى الخلاف او الى احداث أدنى اضطراب وانما ظلوا حلس بيوتهم وفي اماكن بعيدة عن ساحات القتال منتظرين انجاز وعودكم بمعاقبة الجناة وبالتعويض عليهم . بيدَ ان الدروز فعلوا عكس ذلك فانهم بعد اذاعة اوامركم بالاتفاق مع القناصل هجموا على مسيحيي قضاء جزّين الصغير بينما كان هؤلاء مطمئنين في بيوتهم وغدروا بهم وقتلوا جميع من اتصلت اليهِ ايديهم رجالاً ونساءً وأولاداً وكهنة ورهباناً وراهبات ونهبوا الاموال وحرقوا الاملاك والكنائس والاديار وشتتوا شمل الاهالي .

وفي الوقت عينه أتوا ذات الفظائع في دير القمر بينا كان سكّانها ساكني البال في بيوتهم وأخذوا ينهبون سائر المسيحيين القاطنين بين الدروز في الاقاليم الثلاثة و يدمرون بيوتهم ويطاردونهم وأتوا مثل ما تقدم في الشوف وغربي البقاع والعرقوب والمناصف والشحار والجرد والغرب وسهل بيروت والمتن. وهم مواصلون اعتداءاتهم التي أمست لا تطاق . وعدا ما تقدم فقد ثبت اليوم انهُ خلا جماهير الدروز المتألبة في قضاء المتن للزحف إلى الامام فان دروز انطيلبنان ذاتهم وولاية دمشق يزحفون على زحلة قصد حصرها واضرام نار القتال فيها .

لا شك ان كل هذا مناقض لارادة دولتكم ورغائبها . اذ ان غوائل هذه الحالة تجرّ الى خراب عام والخسائر تلتحق خاصةً بسلطان البلاد ظلّ الله على الارض « أيّد الله اركان دولته وأبّدها »

ولقد اقدمنا على رفع هذه العريضة رجاء ان تنظروا بعين الاهتمام الى هذه

الحوادث الخطيرة وبأن توقفوا تيأر هذه الشرور وتتخذوا الوسائل اللازمة لمعاقبة المعتدين لان السلطة المخولة لدولتكم تمكنكم دون غيركم من حقن الدماء التي يخشى اراقتها ومن منع تخريب الاملاك وهذه من وظائف دولتكم المعهود بها اليكم لان على كل راعٍ ان يصون رعيته (عدد ١٢ ملحق ٢ ص ١٩ ـ ٢٠ ودي تستا ج ٦ عدد ٢٨ ص ٧٣ ـ ٧٤)

٤٣ — رسالة اساقفة زحلة الى القناصل العامين بتاريخ ٩ منه

بعد الترجمة : المعروض لا بدّ من ان يكون بلغ مسامعكم ان الدروز أقدموا على ابادة مسيحيي الجبل وسائر المدن وتخريب أملاكهم بحيث أمسى هؤلاء محرومين من كل حاجيات المعيشة وقد تحقق لنا الآن ان جمهوراً كبيراً من دروز حوران وحاصبيّا وراشيّا وغيرها من المدن سيأتي لنجدة اخوانهم اللبنانيين بقصد مهاجمة مدينة زحلة وتخريبها وانهُ بعد يومين أو ثلاثة ايام يجتمع شملهم في جوارنا .

ان بعض دروز لبنان مرابطون الآن في مدينة تبعد ساعتين ونصف من هنا . فنناشدكم بغيرتكم المسيحية ان تهتموا بنا وتبذلوا جهدكم لدى الحكومة لمنع هذا الاعتداء عن خدامكم سكان زحلة لانهُ اذا لا سمح الله خربت هذه البلدة لا يبقى اسم المسيحيين في هذه البلاد فالعدو يوجه عنايته لتدميرها تحقيقاً لهذه الامنية لان جميع سكّانها هم مسيحيون ويمهد للدروز سبيل الاستيلاء على كل املاك المسيحيين في هذه البلاد . ونحن نكرر رجاءنا لتوجهوا اهتمامكم عاجلاً لمنع الاعتداء والاغتصاب المنويين واننا مسلّمون لفطنتكم بعمل ما ترونهُ مناسباً

التواقيع

باسيلوس مطران زحلة على الروم الكاثوليك . ومتوديوس مطران صيدنايا على الروم
(عدد ١٢ ملحق ٦ ص ٢٢ . ودي تستا ج ٦ عدد ٢٥ ص ٧١ ـ ٧٢)

٤٤ – رسالة بطريرك الموارنة وخمسة من اساقفته الى مور القنصل العام في ١٠ منه

بعد الترجمة : من مطالعة صورة العريضة المرسلة في طيهِ وقد رفعناها لدولة المشير تقفون على تفاصيل الكوائن الحالية ويتضح لكم ان المسيحيين اقاموا دليلاً قاطماً على خضوعهم لاوامر دولته وانقيادهم الى نصائحكم بتحاميهم كل اشتباك في قتـال اوعداء في حين ان الدروز فعلوا العكس وليس في نيتهم ان يعدلوا عن حركاتهم العدائية التي أمست لا تطاق . فاستغربنا تجرؤهم على اتيان هذه الاعمال المخالفة لاوامر الحكومة وسكوتها عن اعمالهم الجهارية وتجاوزهم الحد فيها ! ولمّا كان قد اغمض علينا كشف هذا المعمى جئنا نبسطه امامكم . وفيما نحن واثقون ان غيرتكم ومروءتكم تدفعانكم لتدارك هذه الشرور وهذا الخراب وقد استفحل أمرهما نسألكم ان ترمقونا بعين الاهتمام وتتخذوا أقوى الوسائل لمنع البلايا المتزايدة التي تهددنا بخراب عام يتعذر أصلاحه واننا لموقنون بان هذه الاستغاثة لا تذهب سدًى ونكرر لكم تأكيد احترامنا . الخ . (عدد ١٢ ملحق ٥ ص ٢١
ودي تستا ج ٦ عدد ٢٧ ص ٧٢ ـ ٧٣)

٤٥ ـ كتاب القناصل العامين الاوربيين في بيروت الى خورشيد باشا بتاريخ ١١ منه

نتشرف بان نرسل اليكم في طيه نسخة من الكتاب الذي تلقيناه من اساقفة زحله ونسألكم بالحاح سرعة الاهتمام بحالة المدينة المذكورة واهاليها .

التواقيع

ن . مور قنصل انكلترا . بيجر قنصل الروسية . الكونت بونتيفوليو قنصل فرنسا . وكبكر قنصل النمسا . وبر قنصل بروسيا. (عدد ١٢ ملحق ٣ ص ٢٠
ودي تستا عدد ٢٩ ص ٧٤)

٤٦ــ محمد خورشيد باشا والي ايالة صيدا الى القناصل العامين
بتاريخ ٢٣ ذي القعدة سنة ١٢٧٦ و١٢ حزيران سنة ١٨٦٠

بعد الترجمة : طالعت كتابكم الاجماعي وقد وصل اليَّ وانا في المعسكر وقرأت ايضاً عريضة اساقفة زحله الملحقة به .

فلا يغبى نيرتكم وحبكم العدالة اني لم اغفل اتخاذ ما استطيعه من اسباب التحوط درءًا للفتنة المشتعلة في الجبل . أجل لقد اتصل بي منذ يومين ان دروز حوران زاحفون على البقاع قصد مهاجمة زحله وتدميرها . وقد انضم اليهم زرافات من دروز سائر الاماكن في ايالة دمشق .فاذا صح هذا الخبر فانه ليس فقط يغلي مراجل الاضطرابات والعداء ويعقم المساعي التي بُذلت حتى الآن في سبيل تسكين فائرها بعد ان بدت تباشير حسن نتائجها بل يثير نار القلاقل من ربضتها بأشد ممَّا كانت وفي ذلك مخالفة للارادة السنيــة . فهذا لا يُسمح بحدوثه بيدَ أنهُ لما كانت بلادا حوران والبقاع خارجتين عن دائرة ساطتي في نطاق ايالة دمشق فان مداواة أَمرهما عائدة الى دولة مشير جيش عربستان ووالي هذه الايالة . وقد كتبت الى دولته مع خصيص حضاً لهُ على استعمال اقوى الوسائل لمنع هذه الجماهير من اتيان هذه الاعمال المستفظعة وانذارهم بالعودة الى بيوتهم فان ما عُرفوا به من حسن الانقياد لاوامر الحكومة يبعث الامل حيّاً على ان هذه التحوطات تكون كافية لايقاف زحفهم وتراجعهم . ومن ثم فقد عُوّل على ذات التدبيرات التي تذرع بها هنا لاعادة الجماهير الى محلّاتها وزيادةً عمَّا تقدم فقد أُذيعت النشرات الشديدة اللهجة والنصائح المنخولة لمنع دروز هذه الجهــات من الخروج خارج بلادهم ولتحاشي كل عمل عدائي من الان وصاعدًا لازمين بيوتهم . فعسى ان تكون هذه التحوطات موافقة لِما اتُفق عليه ونرجو من مراحمهِ تعالى ونضرع اليهِ بان يكلل هذه الوسائل بالنجاح

ويظهر منافعها.   (عدد ١٢ ملحق ٤ ص ٢٠ – ٢١)

٤٧ – مور الى السير بولفر في ١٣ منه

اتشرف فانبئكم بان قد وصلت أمس الى هنا البارجة الانكليزية « غانت » قادمةً من ثغر بيره بقيادة الربان لامبير وذلك على أثر الانباء البرقية التي انتهت اليكم من ازمير عن اشتعال نار الفتنة في هذه البلاد وقد قدم ايضاً هذا الصباح من الثغر المذكور البارجة الفرنساوية « زينوبيا » معقودة اللواء على القومودور لارونسيير لي نوري قائد الاسطول الفرنساوي في الشرق ومعها السفينة «لاسانتينيل» التي ارسلت من بيروت قُبيل اشتعال جمرة الحرب الاهلية كما اخبرتكم في حينه وقد ذهبت هذه السفينة الاخيرة صباح اليوم الى صيدا وصور نظراً لحراجة الحالة في البلدتين المذكورتين.   (عدد ١٢ ملحق ٧ ص ٢٢)

٤٨ – ومنه اليه في ١٦ منه

ان وصول عصابات من دروز حوران وعربها وذعر مسيحيي دمشق الشديد من قيام المسلمين عليهم وخوفهم من انضمام قبائل عرب البادية اليهم وهي منحشرة حوالى المدينة طمعاً بالاسلاب وقصد ابادتهم قد البست الاضطرابات المجتاحة هذا القسم من البلاد السورية ثوباً جديداً قاتماً .وعندما انتهى الينا رسول خاص بانباء دمشق المقلقة قصدت ورصفائي في الليلة المنقضية خورشيد باشا الى معسكره فاخبرنا بانه سمح للمسيحيين المحتشدين في بكفيا وعددهم خمسة الاف ان يبقوا فيها بسلاحهم وانهُ سيصدر امره باعادة السلاح الى من يريد من المسيحيين اللاجئين الى هنا العودة الى الجبل انضماماً لاخوانهم وانه سيرسل خمساية جندي نظامي لنجدة زحله وانه انفذ الاوامر الجازمة الى زعماء دروز لبنان بالاَّ يبدوا أقلَّ حركة . وقد ارسلت الجنود اليوم الى زحله حيث دروز حوران يضيقون عليها حلقات الحصار ويأتون

فظائع تقشعر لها الابدان بعد ان خربوا كل شيء على طريقهم ودمروا حاصبيا وراشيا وقتلوا المسيحيين والمسلمين والعمال المسلمين (الامراء الشهابيون) وانسباءهم بما فيهم الشبان

وفي ١٣ الجاري حدثت واقعة خارج زحله استمرت ساعات على انها انتهت دون نتيجة فاصلة لان الفريقين انسحبا الى مواقعهما : ومن ذلك الحين لم يتصل بنا خبر حصول معركة جديدة .

يقال ان في زحله سبعة الاف مقاتل ومؤونة كافية من الحبوب والذخائر الحربية فاعتقد انها ستقاوم طويلًا محاصريها إلاَّ اذا انضم اليهم دروز لبنان أو خانت الجنود التركية التي ارسلت الى هناك . فاذا ما استولى الدروز على هذه المدينة وهي حصن المسيحيين الاخير يجتاح الاولون كل لبنان ويخربونه أجل انه يتعذر التكهن عن النتيجة على ان الرأي العام مجمع على انه اذا سقطت زحله في يد محاصريها يتمهد لهم الاستيلاء على دمشق بمساعدة العصابات التي انضمت اليهم .

وصلت ليلة أمس من مالطة البارجة الانكليزية « موهاك » بقيادة القومودور وست وقد افادني الاميرال مارتين انه سيتبعها بارجة كبيرة . (عدد ١٢ ملحق ٨ ص ٢٢ – ٢٣ ودي تستا عدد ٣٠ ص ٧٥)

٤٩– القنصل برانت الى اللورد جون روسل عن دمشق بتاريخ ١٨ منه

اتشرف بان ارسل لكم في طيهِ رسالتين رفعتهما إلى سفير جلالة الملكة لدى الباب العالي . وقد اتصلت بي بعض تفاصيل من مصدر موثوق بـهِ عن حوادث حاصبيًا وراشيًا وهي :

ان دروز حوران بقيادة اسماعيل الاطرش دمّروا مدينة راشيًا وأهلكوا القسم الاعظم من سكأنها المسيحيين الذكور مع بعض اعضاء من اسرة الامراء حاكميها وذبحوا بعض النساء وهنّ يحاولنَ انقاذ أولادهنَّ . بيدَ انهُ يظهر انه لم يكن في النية

قتل النساء . ان الاولاد الذكور الذين يتراوح عمرهم بين السادسة والثامنة وما فوق قد طوردوا وقُتلوا وعفي عن الاطفال . أما الجنود فلم تحاول حماية المسيحيين الذين لجأوا الى هنا تاركين وراءهم أموالهم وذخائرهم وقد حملها اليهم فيما بعد الاشخاص الذين أَرسلهم المشير .

ان اسرابًا من النساء وأَولادهنّ جاءوا دمشق ففتح اكتتاب لمساعدتهم إذ ليس عليهم سوى الثياب التي هربوا بها وأَغلبهنّ ارامل أَو بنات ليس لهنّ ازواجٌ أَو اولادٌ أَو اشقاءُ لمساعدتهنّ . ان الاموال التي يمكن جمعها ستخصص لاعانة هذه الجماهير وتكاد لا تكفيها واعتقد اني لا أُلام اذا كنت انتظر من جود حكومة جلالتها مدّ يد السخاء إلى اغاثة هؤلاء المنكوبين

أَمّا في حاصبيّا فان الاشخاص الذين ارتكبوا الاعمال المستفظعة الموبقة هم علي بك حماده «كاخية» سعيد بك جنبلاط الزعيم الدرزي في المختارة والشيخ كنج عماد مأمور الحكومة في البقاع وكان قد ارسله المشير لحماية اسرة الامراء (الشهابيين) والمسيحيين فقبض على سبعين شخصًا وذبحهم على مقربة من حاصبيًا .

ويقال ان في اليوم الاول من معاودة الدروز الهجوم أَحسن عثمان بك قائد الجنود التركية السلوك وأَطلق النار عليهم على انه كان في الليلة السابقة ابلغ الامراء والمسيحيين ان يسلموا أَسلحتهم لان الدروز لا يمسونهم فجمع السلاح وأَرسلهُ على بغال إلى دمشق دون حرس فاستولى عليهِ الدروز عند خروجه من حاصبيًا .

ان الانباء الاولى عن مقتل جميع أسر الامراء والمسيحيين بأَجمعهم لم تثبت والحقيقة ان قد قتل خمسة أَو ستة من الامراء وبعض مئات من المسيحيين المنكودي الحظ والباقون لجأوا إلى دار السيدة نايفة شقيقة سعيد بك جنبلاط وهي ارملة مقيمة في حاصبيًا قد لاذ كثير من المسيحيين بدارها وطالما هم فيها فيبقون آمنين لكنها لا تتمكن من اعالتهم حتى اذا خرجوا ذُبحوا في الحال ومن الشائع ان عدد الملتجئين

بين أسر الامراء والمسيحيين يناهز المائتين.لقد بلغ دمشق سبعة أو ثمانية من المسيحيين وأَميران بمساعدة بعض دروز حاصبيًّا لقاء مكافأةٍ مالية كبيرة .

قد سأَلت الباشا تكرارًا ان يرسل حرسًا ليأتي بشعب حاصبيًّا وراشيًّا فعللني بالوعود الفارغة ولم ينجز وعده وهو ينتظر انتهاء هذه الفاجعة فيحتج إِذ ذاك بفوات الفرصة . وقد قال دولته انهُ أَمر مصطفى باشا ان ازحف من حوران لنجدة حاصبيًّا فالتمس مشايخ الدروز بقاءَه وجنوده والأَ اضطرُّوا لمرافقتهِ خوفًا من ان تنهبهم العرب اذا بقوا وحدهم هناك . ولهذه التعللات تُركت حاصبيًّا وشأْنها . وقد طُلب الى الباشا ايضًا ان يعزز حامية بعلبك الضعيفة فوعد بارسال بعض الفرسان ولكنه اخلف فنهبت اسرة حرفوش ومعها ماية فارس من اتباعها المدينة المذكورة .فدولته يعدُ حينًا الاهالي سكان المدينة بضمان حياتهم وان لا خوف عليهم ثم لا يعتم ان يبدل لهجته وهذا من شأنه تحقيق المخاوف من معاودة المسلمين الكرَّة على المسيحيين أَو تجرؤ الدروز على مهاجمة المدينة والظاهر ان سلوكه غير مبني على خطة مقررة فهذا التردد يثبط عزائم المسلمين والجنود والمسيحيين أَيضًا بالسواء ويؤَيد اعتقاد البعض بان دولته يرغب في ابادة المسيحيين غير مهتم بانقاذ المدينة لانه موطد العزيمة على الاعتصام في القلعة حتى اذا ما استولى الدروز على المدينة دمَّرها بكلل المدافع . على اني لا استطيع ان اقطع فيما إِذا كان لهذا الاعتقاد اساس في غير مخاوف الشعب . بيدَ ان الريبة بدولتهِ سائدة على افكار الجميع .

ان القناصل انتدوا واستقرُّوا رأْيًا على تقديم كتاب اجماعي إِلى الباشا ليسمح بان يعقد المجلس الكبير جلسة عامة يحضرها ارباب السلطة العسكريَّة للنظر في الذرائع الآيلة الى وقاية المدينة فاستصوب المسلمون أَصحاب النفوذ في المدينة واعضاء المجلس هذا الرأي . وفي اعتقادي ان لا خوف من ان يسيء المسلمون معاملة المسيحيين واذا ما تصرَّف الباشا بحزم ولباقة لا يبقى من اثر للخوف . واذا

ما حدث أدنى شرّ فلا بدَّ من نسبتهِ إلى سوء تصرف دولته . (عدد ١٣ ص ٢٣ ـ ٢٤)

٥٠ – خلاصة رسائل (١) يعقوب ايلا فيس قنصل انكلترة في صيدا الى مور القنصل العام في ٢ منه

يوجد الآن زهاء مائتي شخص لاجىء الى بيتي وبيت اخوتي على انه ليس فيهما محل كافٍ ليرقدوا وقد أُخبرت بانه عثر في أحد بساتيني على خمس عشرة جثة فيها جثتا كاهنين وقد قُتل أيضًا شريكي في معمل الحرير في البستان المذكور ونهب الجناة ماشيتي وحريري وفيالجي ويتعذر عليَّ معرفة مقدار خسائري والخسائر التي التحقت برعايا جلالتها .

في ٣ منه – اتصل بي في هذا الصباح ان أبا سمرا غانم ومعه خمسماية شخص موجود على مسافة ساعة من جنوبي بساتين المدينة يقصد الالتجاء الى هنا ومن الشائع انه لم يسمح لهُ وقد اخبروا بان مهردار قضاء جباع طرد من جزين كل اللاجئين . ان قاسم يوسف ومسلمي القرى والمدينة يطاردون الآن كل مسيحي يصادفونه في سهل صيدا ويقتلونه . فالسيف مسلول على كل من يدين بالمسيحية . ان الحرب لاتنتهي بترك السلاح بل ان العزائم معقودة على ابادة جميع الجبليين الذين يعتقدون بالمسيح . من الشائع انه على أثر معركة اول أمس التي لم يُقتل فيها احد من المسيحيين وجد في سهل صيدا اكثر من ثلاثماية جثة مذبوحة ذبح الانعام . ماذا يستطيعه هؤلاء المسيحيون المنكودو الحظ ؟ فلا يمكنهم الالتجاء الى صيدا ولا يسمح لهم في البقاء في نواحي المتاولة والدروز يذبحونهم ذبح النعاج حتى على

---

(١) ترجمها عن أصلها الايطالي الى الانكليزيّة جمس فين قنصل انكلترة في القدس

ابواب صيدا في حين ان مأموري الحكومة التركية وضباطها ليس فقط لا يهتمون بأمر هؤلاء الرعايا الكثيري العدد بل على ما يظهر يمهدون السبيل للدروز والمسلمين لقتلهم . وقصارى القول ان السيف مسلول خارج المدينة والرعب والذعر سائدان في داخلها. ان المسيحيين مختبئون في بيوتهم وقد سافر رصيفي قنصل الروسية باسرته وانسبائه الى بيروت كما اخبرتكم وانا لا أزال انتظر أقوى وسائل الحماية لي ولرعايا جلالتها لانقاذ هؤلاء الاشخاص المنكودي الطالع المعرضين للهلاك قتلًا او جوعًا .

لا يجسر أحد على الخروج لدفن الموتى وقانا الله من شر انتشار الوباء.

وفي هذه الحالة لا استطيع شيئًا غير الاستعانة بصداقتي الشخصية مع مأموري الاتراك والمسلمين في هذه المدينة لمساعدة هؤلاء المنكوبين وانا انفق عليهم من مالي الخاص على انه لا يسد عوزهم

في ٥ منه — اتشرف فانبئكم بان الضابط مانسل ربّان الباخرة «فيريفلي» وقد وصل الى هنا الساعة الثالثة بعد ظهر الاحد سلمني رسالتكم المؤرخة في ٣ الجاري وقد اجتمع الضابط بالمدير واعضاء المجلس والقائد العسكري . فكتبت ومدير صيدا الى قاسم يوسف فجاء صباح الاثنين وبعد ان القينا عليهِ النصائح اللازمة وقّع تعهدًا على ذاته تجدون نسخة منه في طيّه وقد سلم هذا التعهد الى الضابط مانسل وهذا سافر أمس بعد الظهر بنصف ساعة . وقد كتبت ايضًا الى سعيد بك جنبلاط وارسلت له نسخة تعهد معتمده المذكور راجيًا اليه ان يستعمل كل الوسائل لانفاذ مضمونه .

وقد سمعنا منذ أمس بتلاطم امواج الاضطراب على انه لم يتصل بنا سوى حصول خمس جنايات في قرية عاريه .

وقد قدّر كثيرون ان عدد القتلى يتجاوز الثلاثمائة بين رجل وامرأة وولدٍ وراهب وراهبة ويؤكدون ان مرتكبي معظم هذه الجنايات هم مسلمو صيدا وقد فعلوا

ذلك تسليمًا وانقيادًا لتعصبهم . لا شك ان دم هذا الشعب المسيحي يصرخ الى الله طالبًا الانتقام وحتى الان لم اتمكن من تقدير الخسائر التي ألمّت برعايا جلالتها

وفي التاريخ ذاته — في طيهِ كتابان أرسلهما اليَّ سعيد بك جنبلاط مع ملحقيهما . لم ترد عليَّ تفاصيل عمّا جرى في جزّين بل شاهدت جماهير كبيرة آتية الى صيدا ولما لم يؤذن لها بالدخول عاد فريق منها لجهة بلاد المتاولة ولبث الفريق الاخر في سهول صيـدا حيث يقاسون أمرَّ العذاب

في ٦ منه — ورد عليَّ تفاصيل جديدة عمّا سبق لي بسطه . ذلك انهُ لمّا روئي ان الحرب على قاب قوسين أو أدنى أخذ اعيان صيدا والمدير واعضاء المجلس يتأهبون للدفاع كأنهم اوشكوا ان يُهاجموا . ثم كان ان أُذيع بين المسلمين سرًّا ان المسيحيين سيأتون يوم الجمعة في أوّل الجاري الى الجامع اثناء الصلوة ويقتلون جميع من فيه . وبناءً على هذه الاشاعة أحجم كثير من المسلمين عن المجيء اليهِ وتسلح المفتي والقاضي وغيرهما من اعيان الشعب لردّ هجوم الاعداء المزعومين . ويقدّر ان الدروز اذاعوا هذا الخبر كي لا يسمح للمسيحيين بدخول المدينة فيتسنى لهم ابادتهم وقد تبودلت الرسائل العديدة بين قاسم يوسف والمسلمين في هذا الصدد . ثم حدث ان نهار الجمعة اشتبك المسيحيون والدروز في معركة وبما ان المسلمين أمسوا يعدّون المسيحيين من ألدّ اعدائهم كما سبق لي القول فلما كسر المسيحيون تراكض المفتي والمدير وسائر الزعماء الى ابواب المدينة صارخين « طاردوا الكفار واحموا المدينة ! » فتسلح عامة الشعب المسلم وخرجت الجنود بحجة حماية المدينة من العدو الوهمي المفاجيء وقد أكد لي كثيرون من المسيحيين ان الجنود المذكورة قتلت كالمسلمين عددًا غفيرًا من المسيحيين عند ابواب المدينة على مرأى من زعماء المسلمين الذين كانوا يحرضونهم على الذبح . وبعد هذا اشترك جمهور المسلمين مع من خرج منهم الى خارج المدينة في قتل الفارين منعًا لهم من دخولها ولو عُزلاً من السلاح

فكانوا يقعون في ايدي الاشقياء المنتشرين في السهل يسلبونهم ويقتلونهم ويغتصبون نساءهم مقترفين كل أَمر مستفظع .

لقد ثبت ما اخبرتكم بهِ من ان قد مُثِّل في قتل الرجال والنساء والاطفال وان عدد القتلى يتجاوز الثلاثمائة فيهم فلاحون ورعاة في سهل صيدا كانوا عائدين الى المدينة عزّلاً وآخرون فعلة يجهلون ما هو جار فقتلوا على حين غرة . اما في داخل المدينة فلم يقتل احد بيدَ ان المسيحيين شديدو القلق اذ لا بدَّ للمسلمين الذين يأتون الى خارج الاسوار لقتل المسيحيين من ان يسقوهم ذات الكاس في داخل المدينة

وفي التاريخ ذاته — لقد ارسل رئيس دير المخلص يخبرني بان الدروز لم يكتفوا بنهب ديره وحرقه بل خربوا اليوم الكنيسة . ان كثيرين من مسيحيي قرية عازور اللاجئين الى ناحية جباع قد اغتروا أمس بوعود بعض الدروز ان يجيروهم في قرية المجدل وفي هذا الصباح قتل الدروز المذكورون اربعة منهم ولا يعلم ما حلَّ بالباقين . ومجمل القول ان ظلَّ الامن مقلصٌ من البلاد

وفيه ايضًا — عند الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم استولى الجزع على هذه المدينة فان المسلمين بين متقلدٍ سيفًا وحاملٍ عصًا أَخذوا يركضون في الطرقات صارخين « ان المسيحيين آتون ! » فاقفل المسيحيون حوانيتهم واعتصموا في بيوتهم واستمرَّ الاضطراب سائدًا اكثر من نصف ساعة ثم عُلم منشأه فان بعض الفرسان الغير النظاميين اثناء ذهابهم من صور الى بـيروت اطلقوا بنادقهم فتوهم انهم المسيحيون الجبليون وبلغ الجزع والذعر أَقصاهما فكتبت الى المدير كتابًا في طيه نسخة منه

وأَرى انه اذا ما تكرر حدوث هذا الذعر في صيدا فتسوء الحالة فيها كثيرًا . ان المدير والمفتي والقاضي واعضاء المجلس كلهم سواء في اغفال اتخاذ التحوطات الواقية من هذه الشرور .

وفي ٧ منه — اتصل بي الآن ان قاسم يوسف ذهب مع ولده الى المختاره فلم يخرج احد الى خارج المدينة وعلمت ايضاً ان درزياً اختطف امرأة مسيحية على بعد خمسة دقائق من باب المدينة بيدَ انهُ بناء على توسط الكثيرين اطلق سبيلها ولا يزال الدروز يرتكبون الجنايات في الانحاء المجاورة وُخبرت ايضاً بان المسيحيين الفارين من جزين وقد مُنعوا من دخول صيدا فقصدوا بلاد المتاولة أُنزلت بهم ضروب الافتيات والنهب بحيث اضطروا الى التراجع لجهة بلادهم واختبأوا في الغابات والكهوف . أما اللائذون بصيدا فيعوزهم الطعام والمال والمأوى فاذا ما استمرت الحالة على ما هي فلا ريب ان الجمع العظيم يهلك عن آخره . ان المدير لم يجبني على كتابي الذي أنفذته اليهِ أَمس وانما سمعت انهُ قبض على اثنين أو ثلاثة من رعاع الناس واوباشهم . ان هذا غير كافٍ بل عليه ان يقبض على جميع الذين حملوا السلاح في خلال الاضطراب .

وفي ظهر اليوم المذكور — قلت ان رئيس دير المخلص لم يشأ ان يخبرني عن مكان وجود الكاهن اسطفان وعن الشعب المختبىء معه في الغابات على بُعد ثلاث ساعات من صيدا الاَّ على شرط ان اضمن لهُ سلامتهم من كل شرٍّ خوفاً من ان يُقتلوا كما أَصاب الرهبان وغيرهم الذين ذهبوا تحت حماية رجال الشرطة «والقواسة» فنُهبوا جميعاً أَو جُرحوا أَو قُتلوا على قاب قوسين من باب مدينة صيدا . فرغبةً في تخليص المذكورين سألت البكباشي ان يرسل إليَّ ببعض الجند النظامي فاعتذر بعدم امكان ارسال أحدٍ إلى خارج المدينة فخاطبت إذ ذاك اسمعيل بك قائد موقع صيدا قبلًا ورجوته ان يذهب بذاته مع بعض الاصدقاء بيدَ ان اميرالاي اللواء الخامس نسيب اسمعيل بك لم يشأ ان يعهد اليهِ بهذه المهمة بحجة ان الدروز اذا كانوا يكرهون الكاهن المذكور فانهم يقتلونهُ ولو كان في حضن طاهر باشا وانه من جهتهِ لا يثق بوعود درزيٍ .

في ٨ منه — في طيهِ جواب المدير .

جاءَ بعد ظهر اليوم « خزندار » المشير يحمل الاوامر إلى كل طائفة بالاخلاد الى السكون والى الفلاَّحين بمعاودة اشغالهم بيدَ انه لم يجسر أَحد على ترك المدينة .

في ٩ منه — اذاع « الخزندار » هذا الصباح النشرة الواصلة في طيهِ .

ان الحكومة هنا تتظاهر بعدم التشيع لفريق دون آخر على انها ليست على شيء من النزاهة . ففي ٤ الجاري كانت وعدت الضابط مانسل بالافراج عن بعض اهالي الجبل المحبوسين هنا بدعاوٍ كاذبة وبعد ذلك أَبت ان تبرَّ بوعدها مع ان ثلاثة شهود في المجلس شهدوا ببراءَة هؤُلاء الاشخاص بحضور مدير الجمرك والضابط المشار اليه .

وفيهِ أَيضًا — في طيهِ صورة عريضة الكاهن حنا عازر من جزّين الملتجي إلى جباع وفيها يخبرني بما ذاق من الآلام المرَّة ويسألني عن الوسائل التي تضمن ايصاله وجمهور المسيحيين المنتشرين في الجبال سالمين إلى أَحد الشواطئ البحريَّة

ان الدروز يواصلون في الضواحي اعتداءَاتهم وارتكاب الجنايات والسرقات فيقيدون الرجال ويكرهونهم على افتداء حياتهم بالمال أَو بتسليم جواهر نسائهم ويستكتبونهم وثائق بمبالغ يتعذر عليهم دفعها حال حياتهم وكثيرًا ما يقتلونهم بعد هذه الاعمال .

ان كثيرًا من الدروز جاؤُوا صيدا وقبضوا على شركائهم المسيحيين اللاجئين الى هنا وبعد ان أَخذوا منهم مبالغ عظيمة قتلوهم. ان حمل السلاح في صيدا محظور على الجميع أَمَّا الدروز فيطوفون الاسواق شاكي السلاح

ان البارجة « فيريفلي » جاءَت اليوم باكرًا وذهبت إلى صور وعادت الساعة الواحدة ميممة بيروت وقد نخل الضابط مانسل نصائحه بخصوص حوادث نهار الاربعاء المنقضي .

وفيهِ أيضًا — أَرسل رئيس دير المخلص يخبرني ان قد جاءه نهار الخميس الماضي حسين بركات الدرزي وأَخبره ان سعيد بك جنبلاط أوفده وخمسة من انسبائهِ لحماية الدير وفي الوقت ذاته يقول ان الدير نُهب ولم يُحرق منه سوى بعض غرفه وقد جمع الدروز في الكنيسة كل النوافذ الخشبية وسائر الادوات الخشبية الصالحة للاشتعال لكنه تمكن من اطفاء النار.وان حسام حسين بعد ان رقد في جون جاء هذا الصباح الى الدير فوجد على بابه امرأة قتيلًا وجميع آنية الكنيسة منهوبة وخصوصًا كاساتها الذهبية والفضية وعصا ثمينة مرصعة بالحجارة الكريمة والحلل الكهنوتية والكتب الكنسية والسجلات . ومجمل القول ان كل النفائس التي جُمعت في هذه الكنيسة منذ ١٧٥ سنة قد تناولتها أيدٍ درزيّة من عائلة أَبي هرموش .

وفيهِ أَيضًا — ارسلت نفرًا من الضابطة مع قواستي فجاءوا بالراهب اسطفان شقيق سليم افندي ومعه ٥٩ مسيحيًا واليوم ذهب سليم افندي وشقيقه الى ظهر البارجة « فير يفلي » .

وفي ١٠ منه — قتل دروز من بيت أَبي شهلا ثلاثة من مسيحيي المجدل غير الذين قُتلوا نهار الاربعاء المنقضي في البلدة المذكورة . وفي الليلة المنقضية قتل الدروز مسيحيًا في قرية السامريّة

ان الدروز لا يزالون يجوبون البلاد طالبين إلى المسيحيين فدية مالية ثم يقتلونهم. وفي هذا النهار دفعت قرية مغدوشه إلى عائلة شمس سبعة الاف قرش فديةً عن حياة اهليها.ان الدروز والمتاولة والاسلام يواصلون النهب والاعتداءات في البساتين الكائنة في ضواحي صيدا.ان ملحم بك قال« للخزندار» انهُ إذا اعطاه المجلس مضبطة وأَمره سعيد بك فهو يحمي البساتين . لا مراء انه إذا لم يسد فيها الامن خربت عاجلًا . وصل من نابلس تابور من الجند النظامي وذهب إلى دير القمر .

وفي ١١ منه ـ أَجابني « الخزندار » انهُ أَرسل خمسة فرسان مع حسن آغا

لانقاذ اهالي المجدل بيدَ انهم لم يجسروا على الذهاب الى القرية المذكورة فعادوا إلى هنا وكان ان قتل جميع المسيحيين فيها . وقال لي أيضًا ان الدروز حرقوا هذا الصباح قرية عاريه وانه يتعذر عليهِ ارسال الجنود النظامية إلى تلك الاماكن على انه قد كتب أمس وسيكتب اليوم مجددًا إلى العامل بانه اذا لم يرسل جنودًا نظامية اوفر عددًا أو اذا كان لا يأمر سعيد بك بالمجيء بذاته لا امل بسيادة الامن بل يشمل الحريق ناحية جباع كلها .

وفي الساعة العاشرة صباحًا – سمعت اليوم ان الدروز اضرموا النار في غابات جباع لاكتشاف المسيحيين المختبئين فيها وقتلهم .

وفيهِ الساعة الواحدة مساء– انمدير هذهالمدينة أبدلبغيرهِ والجديد ليس بأقلّ تعصبٍ من سلفهِ وقد ارسل هذا المساء إلى بيروت سجنى المسيحيين الذين سبق لي ان اخبرتكم عنهم وقد شهد ببراءتهم في المجلس بحضوري وحضور الضابط مانسل وغيره من الضباط والمأمورين ومدير الجمرك

ومن المقول ان المجلس والمفتي مستاءان من هذا الاخير لانه اكتشف السلاح والبارود المرسلين من مسلمي المدينة إلى الدروز وضبطهما

لاي سبب لا يُعاقب جميع مسلمي صيدا الذين ارتكبوا الامور المستفظعة في اوائل هذا الشهر خارج المدينة ومعظمهم معروف من الحكومة ؟.

وفيهِ الساعة الرابعة مساء ـ نُبئتُ ان بعض المسيحيين الذين لجأوا الى الشيعيين فرّوا بعد ان نُهبوا ومن الشائع انهم قتلوا منهم اكثر من مائة . ان الدروز وسائر الطوائف الغير المسيحية لمواصلة عدوانها على المسيحيين .

في ١٢ منه الساعة العاشرة صباحًا – ان دروز غريفي وجدوا احد عشر مسيحيًا تائهين فسلبوهم امتعتهم واخذوها الى قراهم ثم قتلوا ثمانية منهم ولجأ الباقون الى هنا ويستفاد من اخبار الشيعيين ان اربعماية درزي جاءوا من الشوف الى جزين

وقتلوا ثمانية رجال واربع نساء .

وقتل الدروز ايضاً الياس سويدي وهو مسيحي من عاريه بينا كان ذاهباً بأمر سعيد بك لقطف فيالجه . ان المقدم محمد الشيعي جاء من كفرحونه الى قضاء جزين وقتل مسيحيين وسلب ١٣ رأس بقر و ٧٠٠ ضانة .

ان الدروز قتلوا مساء أمس خمسة مسيحيين في قرية سربا وحرقوا قرية جرجوع وكلتا القريتين واقعتان في ناحية جباع .

وفيهِ الساعة الثانية مساءً — جاء أمس رافع عبد الصمد وبعض الدروز الى سهل صيدا ونهب جميع قطعان الماشية وقبض على رعاتها المسلمين فانفذت رجال الشرطة في الحال واكرهوه على اعادة ما يخص المسلمين منها أما التي تخص المسيحيين فلم تعد . ألم يكن في وسع هؤلاء الشرطة الذين تولوا انقاذ قطعان الماشية ان يذهبوا في اول الجاري وثانيه لانقاذ النفوس ؟ ؟ . ان الاضطرابات لمستمرة في سهل صيدا

وفيه الساعة السادسة مساءً — في طيه كتاب من اهالي جزين الى المستر مور القنصل العام يتضمن الامتداح من حسن سلوك حسين بك متولي شؤونهم

وفي ١٣ منه الساعة السادسة صباحاً — في طيه تحرير من سعيد بك جنبلاط الى المستر مور وآخر من مسيحيي دير القمر القاطنين الآن المختاره الى ابرهيم افندي مشاقه ليسعى في وقاية مدينة زحلة من غارات دروز حوران المحصورة منهم .

وفيه الساعة العاشرة صباحاً — في طيه تحرير من اهالي جزين المختبئين في غابات جباع يصفون فيه ما قاسوه من ضروب القتل والجوع ويتلمسون عوناً .

وفيه الساعة الثانية مساءً — وصل الى هنا رجل من حاصبيا وأخبرنا ان الدروز هاجموا هذه البلدة ايام الجمعة والسبت والاحد المنقضية دون ان يستولوا عليها . وان ضباط الجنود التركية المرابطة هناك وقد اعلنوا بانهم يحمون ذمار

المسيحيين اطلقوا المدافع على الدروز وحشواتها فقط من البارود ويوم الاحد طلبوا الى المسيحيين ان يسلموهم جميع اسلحتهم لانهم يريدون اظلالهم بحمايتهم فاخذوا منهم ثمانماية بندقية وارسلوها مع مكارين دروز الى دمشق وصباح الاثنين بينا كان المسيحيون ممتنعين في قصر الامير تساق الدروز جدرانه وقتلوا ثمانماية شخص على ما روي والضباط ينظرون اليهم غير محركين ساكنًا. بيدَ انه من الشائع ان محمد بك الاسعد وعد بحماية مسيحيي مرجعيون انما يقول الآن ان ليس لديهِ أوامر بحمايتهم وهم مسلحون (عدد ١٤ ملحق ٢ ص ٢٦ – ٣٢

٥١– المستر جون هرفه قائد اليخت الملكي «كليمور» الى القنصل فين عن القدس بتاريخ ١٥ منه

اني اجابةً لطلبكم ارسل اليكم بتفاصيل ما فعلهُ اليخت «كليمور» في صور في ٩ و١٠ الجاري :

لمّا كان لابدَّ من ان يغالى بما جرى هنالك وكان غير مرغوب في ان تتجاوز السفن حدود امتيازاتها بتدخلها في المسائل السياسية اراني سعيدًا بانتهازي هذه الفرصة المناسبة لاعلان حقيقة ما فعلته والاسباب الداعية اليه :

بينا كنّا ملقين مرساتنا بين صور وصيدا شاهدنا عند صبح التاسع من الجاري البارجة «فيريفلي» ماخرة لجهة صور وعند الساعة العاشرة التقينا بها عائدة منها فاوقفنا سيرنا لمكالمتها وعلمنا منها ان الامن مستتب في ذلك الصوب .

ولمّا اقتربنا من صور نحو الساعة الثالثة بعد الظهر رأينا العلامات التي لوحت لنا بها قنصلية اميريكا فنزلت الى البرّ ولقيت المستر عطا الله قنصل انكلترة واهالي المدينة المسيحيين في قلق عظيم من جرّاء ورود كتاب عليهم فور سفر البارجة «فيريفلي» مضمونه ان جمهورًا من الدروز ينوون الاغارة على هذه المدينة ليلًا .

فقال لي القنصل ان وصولنا ازال مخاوفهم ورغب اليَّ بالحاح ان نلبث يومًا أو يومين ثمه لان وجود السفن الانكليزيَّة تحول على الارجح دون مهاجمة المدينة . ولمَّا كنت اعلم ان سوق مثل هذه التهويلات أبان الحرب رائجة في الشرق مع ضعف اساسها رفضت اجابة السؤل محتجًا بضيق وقتي وبوجود اسرتي معي .

بيدَ انهُ عند الساعة العاشرة عاد القنصل الى ظهر الباخرة يصحبه جمهور من اعيان المسيحيين وأَخبرني بأَن قد ورد على مطران الروم تحرير آخر من زعيم الشيعيين يؤَكد لهُ بهِ ان الهجوم سيتمّ هذه الليلة وينصحه بنقل النساء والاولاد الى السفن وارسالهم بحرًا . فاستحلفوني بالله الأَ اتركهم على هاوية هذا الخطر قائلين « اذًا كنت مسيحيًا فافعل حبًا بالمسيح » وانقذ من استطعت من النساء والاولاد وسأَلوني ان ادنو باليخت من الشاطيء ـ وقدكان منه على مسافة ميل ـ والقي مراسيه في مكان استطيع منه حماية ابواب المدينـة . فلم يتسع لي التردد لان الكتاب صريح جلي ولهُ صفة رسمية نظرًا لموقف كاتبهِ والمرسل اليهِ . فقلت للقنصل ان يدون هذا الطلب خطًا ففعل وستصل اليكم نسخة منهُ من يافا .

فجاءَ القنصل برئيس المينا ليهدي سفينتنا الطريق وببعض فلك لقطرها لان البحر كان هادئًا . فالقيت مراسيَّ على مرمى بندقية من المدينة الى جانب بعض السفن الوطنية وجعلت مقدمها وموخرها في موقف يمكنني من تسديد مدافعي الى جوانب كل فريق يزحف على المدينـة بحيث تصيب الشواطيء وما وراها من الاراضي المنبسطة وحشوت كل مسدساتنا ووزعت البنادق وقذائفها على البحارة وخطبت فيهم فاجابوا أَنهم مستعدون لاطاعة أَوامري . وخلاصة القول انني اظهرت كل معدات القتال . وفي الوقت ذاته أَفهمت القنصل ما يمكني فعله وما لا يمكني واني وضعت اليخت في موقف يمكنه من منع كل فريق مهاجمة المدينة فامطره نار مدافعي وبنادقي . على أَني لم اكتمه اني غير محق باطلاق النار لان الحكومة التركية

لم تسألني مساعدتها لا شفاهًا ولا خطًا ولاني أعجب كثيرًا بالدروز الذين اكرموا ضيافتي . وجل ما استطيعه قائم بتنبيه المسيحيين عند بدء الهجوم ليرسلوا كل النساء والاولاد الى ظهر السفن الوطنية التي سارسي بقربها واطلق النار على كل سفينة تقترب من هذه السفن بنية عدائية واني اقابل بالمثل كل طلق ناري مسدد نحوهم من الشاطئ على شرط ان لا يكونوا هم البادئون بهِ واني لا ألو جهدًا لابلاغ زعيم الدروز كل ما تقدم والسعي الى مقابلته ومفاوضته . فاخبرني القنصل الانكليزي ان جمهورًا من النساء والاولاد لجأوا الى بيته فاعتصموا فيه يحميهم خمسون رجلًا تامي العدة وترأس هو ذاته جماعة وطاف بها انحاء المدينة الليل بكامله وان القائم مقام التركي ترأس جماعة اخرى لحماية المضيق

فانقضى الليل بكل سكينة وعند الصباح نزلت الى الشاطئ وأشرت على القنصل بوجوب ارسال طلائع الى الجبل لاستكشاف الحالة فيه وبحجز جميع الفلك ووضع حامية قوية فيها . ثم ذهبت معه لارى اذا كان يمكن العمل سرًا لمواصلة تمديد الحائط شرقي المدينة في عرض مضيقها ثم عدلت عن هذا الرأي لصعوبة تحقيقه لان الارض كثيرة الخنادق والعلوات ولاني اعتبرت ان معظم الخطر من الشيعيين سكان المدينة ذاتهم . ثم كان ان التقيت بالطلائع التي ارسلها القائم مقام وبقوة أُخرى منفذة لحجز السفن بيدَ أنهُ لما كان حجزها يحدث تأثيرًا عظيمًا ويسوء الشيعيين أَشرت بتأجيل العمل الى ان يظهر العدو للعيان . ثم انقضى النهار بكل هدوء واستمرت غيوم المخاوف مخيمة على القلوب الى الليل المقبل فاتخذت التحرطات التي سلفت ولما تكرر الرجاء بان ابقى الى يوم الاثنين أَجبت السؤل . وكان ان ساد الاعتقاد اذ ذاك بانه اذا لم تُهاجم المدينة ليلًا فذلك لان الدروز غيروا خطتهم وزال كل خطر . ولربما ان وصول اليخت « كليمور » فور سفر البارجة « فيريفلي » اوهم بانه بارجة حربية بامرة الاولى اذ قد اتصل بي ان رجلين معروفين

بكونهما من جواسيس الدروز غادرا المدينة فور اقتراب اليخت من الشاطيء واسرعا الى الجبال يخبران اصحابهما بوصول قوة عظيمة الى صور خائفين من سفينتي الصغيرة ذات الاربعة مدافع الحقيرة .

بيدَ اني اعتقد ان الدروز لا يهاجمون مكانًا تحميه قوة انكليزية وان صغيرةً لانهم يحترموننا كثيراً ويحجمون عن اتيان كل ما يتوهمونه عداء لبريطانيا العظمى

ولما كنت اخشى ان اشتراكي في هذه المسألة ينفِّر الدروز من انكلترة ويعرقل تجولنا في ارض لبنان في مستقبل الايام سأكتب الى صديقي سعيد بك جنبلاط أمير الدروز في المختاره لاخبره بانه لو كانت هوجمت المدينة لكنت اقتصرت على حماية النساء والاولاد وانا موقن بانه كان ساعدني على ذلك واني كنت شملت ايضًا الدروز في ذات الحماية فيما لو هوجموا . وقبيل سفري تلقيت كتاب شكر من اهالي المدينة الروم ومن كثير غيرهم من المسيحيين .. وكان ان جاء القائم مقام الى ظهر اليخت واعرب لي عن شكره .واني اغتبط بان اقول ان القنصل الانكليزي على ما ظهر لي سالك في هذه المسألة بحزم وعزم ونشاط (عدد ١٥ ملحق ٢ ص ٣٢-٣٣-٣٤)

٥٢—القنصل سكين الى السر هنري بولفر . عن حلب في ١٦ منه

اتشرف فانبيء سعادتكم ان الطبقة العاملة في حلب رفعت يوم الثلثا المنقضي الواقع في ١٢ الجاري عريضة الى الوالي تظلمًا ممـا المَّ بمصالحها من جرَّاء الازمة المتأتية عن المخمصة وعن تعيين اسعار العملة التي لم يعمل بها الأَ في اسواق الحبوب والمأكولات في حين انها كانت تدفع باسعارها السابقة مماخسر اصحابها ٢٥ في المائة والتمسوا منه ان يأمر بتسوية هذه المسألة فاحال الوالي العريضة على مألوف عادته الى المجلس البلدي وهذا الاخير اكتفى بان يعدهم بالنظر في طلبهم . ومن الغد

حدث في سوق المأكولات حيث يتألب الناس بكثرة كل يوم ان مسلماً يبيع خياراً ادعى زوراً بان قد نهب حانوته فجاء جاويش اسمه حسن ومعه عدة نفرٍ من الشرطة وانقضَّ على المسيحيين واهانهم واستلَّ سيفه وأَمر الضابطة بضربهم . وفي ذلك الحين وقع أَحد رجاله الى جانبه مجروحاً جرحاً خفيفاً برأسهِ برمية حجر ومع انهُ لم يعلم قاذفه استمر رجال الشرطة يسيئون معاملة المسيحيين دون ان يمسوا مسلماً . وفي خلال ذلك اراد الجاويش ان يلبس هذه الحادثة صفة فتنة فابلغها الحكومة مجسمة وطلب قوةً فجاء « الكاخية » ومعه رجال الضابطة ولما لم يجد أَحداً سار بهم الى الاحياء المسيحية ملقياً القبض على كل من كان يجده في طريقه دون تمييز بين الذين كانوا جالسين امام بيوتهم أَو خارجين من الكنائس أَو ذاهبين لشراء حاجياتهم المعاشية واقتادهم لدار الحكومة عاملاً في اقفيتهم العصا بمنتهى القسوة . واني اقتصر على ذكر الحوادث الآتية .

ان فتىً اسمه يوسف صنعته الحلاقة كان واقفاً على باب حانوته فشاهد شرطياً يسوق شاباً مسيحياً يتراوح عمره بين ١٣ و١٤ سنة وهو ينتحب من ضرب الشرطي فشاء الحلاق ان يسكن روع الشاب المسوق فقال لهُ: لا تخف سيطلق سراحك قريباً . فلما بصر بهِ « الكاخية » يخاطب ابن مذهبه أَمر جلاوزته فطرحوه في الارض واخذ هو يضربه بقساوة الزمته فراشه .

وكان مسيحي آخر يدعى فتح الله بطق من اسرة كريمة مستخدم في قنصلية انكلترة هنا واقفاً على باب بيتهِ وعلى ذراعهِ أَحد اولاده واذ برجال الشرطة داهموه وأَخذوا يضربونه ولم يتمكن من تسليم ولده الى امهِ التي ركضت على صوت الجلبة الأَبشقّ النفس فاقتادوه الى دار الحكومة مواصلين ضربه

وقد وقعت عدة حوادث مماثلة لهذه ليست بأَقلّ قساوة وفظاعة لكنه لم يساء الى مسلم مع انه كان يوجد كثيرون منهم بين مقدمي عرائض الشكوى والجمهور

المتألب في سوق المأكولات فاضطرَّ الاكليروس الى طلب معاونة قناصل الدول فسارعوا بأجمعهم الى مرافقة رجال الدين الى نادي دولة والي الولاية . فاعتذر عن مقابلتهم بمرضهِ فألحوا فجاء اليهم واستوضحوه عمَّا جرى فأنكر ان يكون أصدر امرًا بهذا الشأن وانما قال بانه اوقظ من نومه بناءً على الحاح الشيخ بابا افندي وقد وفد عليه شاكيًا من سرقة حانوت شريكه بائع الخيار فأرسل « الكاخية » وعمر باشا لمحل الحادثة .

بيدَ ان عمر باشا لم يتجاوز في ذلك اليوم محلة « قرانليق قبو » حيث شاهده فيس قنصل انكلترة بينما كان الكاخية وحسن جاويش يعاملون سكَّان الحي المسيحي بقساوة مستفظعة . ثم انه الوالي اجابةً لطلب القناصل أمر باحضار بقية المسيحيين المسجونين ورأى بعينه اثار الضرب والجرح والكسر في اعضائهم فاضطرَّ ان يعد بالاقتصاص من الفاعلين بتأليف لجنة يشترك فيها نوَّاب القناصل والمطارنة . ولم يكتفِ القناصل بذلك بل ألحوا بوجوب احضار « الكاخية » وحسن جاويش لسؤالهما عمَّا جرى في ذلك اليوم المشؤم فاستقدمهما دولته والجلاوزة فاعترف « الكاخية » بحادثة الفتى الحلَّاق فقط محتفظًا بحق تبرير نفسه . فطلب القناصل اطلاق سبيل المسيحيين المسجونين لظهور براءتهم للعيان وثبوت الذنب على رجال الشرطة فأظهر الباشا ميله الى اجابة الطلب لكنه شاء ان يستطلع المجلس رأيه فردَّ هذا الطلب محتجًا بنص القوانين وبالخوف من اضطراب المدينة وكان ان وافق عمر باشا قائد الموقع العسكري على هذا الرأي . فلما رأى القناصل محاولة الحكومة وتلاعبها آثروا الانسحاب وارسلوا نطاقة اجماعية الى الوالي يؤيدون بها طلب الاساقفة وقوامه القاء القبض على الكاخية وحسن جاويش فردَّ المجلس هذا الطلب وكان الباشا اطوع اليه من بنانه فتحقق القناصل عقم توسطهم للمسيحيين ازاء عداء بعض اعضاء المجلس فأبوا الاشتراك في لجنة التحقيق وأعلنوا الوالي اعتزامهم على ايقاف

سفاراتهم على ما تقدم أملًا بحمل السلطة العليا على منع مظالم المجاس ودائرة الجزاء
اللذين طوّحا بمصالح الاهلين المسيحيين والمسلمين لاغراض خاصة وسعيا لاخذ البريء
بجريرة المذنب واقلاق راحة المدينة وتدنيس شرف الحكومة التي وكلت اليهما
امر هذه الولاية التعسة (الكتاب الثالث عدد ٤ ملحق ٢ ص ٤_٥)

٥٣ـ مور القنصل العام الى الشيخ اسماعيل الاطرش بتاريخ ١٦ منه

لقد اتصل بي خبر وصولكم بجمهور كبير من رجال حوران وسائر الاماكن
قصد مهاجمة زحله بعد ان افظعتم في اذى مسيحيي حاصبيًا وراشيًا وغير اماكن
ولم يكن ليخطر في بالي ان زعيمًا درزيًا يقترف هذه الاعمال الذميمة في حين ان
الامة الانكليزيّة قد رسخ في اعتقادها بان الدروز مشهورون بالبسالة في ساحات
القتال دفاعًا عن انفسهم يصدرون عن نبالة وعزّة نفس لا تضام اجابةً لنداء الانسانية
وبعدُ فأني اسألكم ان تعدلوا عن مهاجمة زحلة فتبعتها ثقيلة عليكم وان تعودوا
الى بلادكم دون ايذاء احد من الذين تصادفونهم بطريقكم. وانكم لعالمون بعطف
حكومتي الى الطائفة الدرزيّة وروسائها وبالمساعدات التي طالما اصابتها منها وقت
الحاجة والضيق فاذا لم تجبوني الى رغبتي تضرّون بمصالح طائفتكم. ولي الرجاء بانه
لدى وصول كتابي اليكم تسلكون بموجبه وتنبئوني عن اجابتكم رغبتي لاعلم
حكومتي (الكتاب الثالث عدد ١٣ ملحق ٧ ص ٢٢_٢٣)

٥٤ـ ومنه الى الامير محمد ارسلان بتاريخ ٢٠ منه

انه لمّا كنت قد سمعت بان جمهورًا من الدروز احاط مجددًا بدير القمر مهددًا
اهاليها تعجلت بانفاذ هذا الكتاب اليكم لتبذلوا جهدكم وتستعملوا نفوذكم وهيبة
وظيفتكم لايقاف هذه القوّات حالاً عن زحفها ومنعها من مهاجمة هذه المدينة
واعادتها إلى بيوتها دون ان تمد يدها بالاذى الى اهاليها والى سائر المسيحيين المنبثين

في انحاء قائم مقاميتكم. ان اجابتكم الى رغائبي لهو البرهان الوحيد على صدق وعدكم ووعد سائر زعماء الدروز قبلًا بانكم تكونون جميعًا قيد اشارتي وتعملون بنصائحي واني لا ارجو بان تلاقي نصائحي اذانًا صاغية فتمتثل حالاً ويتحاشى ركوب هذه الطريق المملوءة خطرًا وسوء مغبة

واني مرسل لسعادتكم في طيهِ تحريرين احدهما إلى سعيد بك جنبلاط والاخر الى بشير بك نكد فاسألكم سرعة ايصالهما لصاحبيهما مشفوعين برشد سديد من قبلكما لتحقيق مقاصدي الخطيرة وانبئوني عن النتيجة (عدد ١٣ ملحق ٤ ص ٢١ ـ ٢٢)

٥٥ـ جواب الشيخ اسماعيل الاطرش في اخر ذي القعدة سنة ١٢٧٦ الموافق ١٩ حزيران سنة ١٨٦٠

بعد الترجمة : تشرفت بوصول امركم المؤرخ في ١٦ حزيران (وهنا أعاد منطوق كتاب المستر مور) وكلما تضمنه قارن الافهام فأرجوكم ان تثقوا باني قد طالما كنت واظلّ تحت امر حكومتي الجليلة وأوامر سعادتكم. ان سبب قدومي الآن هو انه لما حدثت الاضطرابات في هذه البلاد وثبت ان رؤوساء الطائفة المارونية نشروا اوامرهم في جميع المسيحيين واجتمعت قواهم من جوار طرابلس حتى هذه الجهات ونشبت عدة مواقع انتشرت غيوم القلق على نواحينا اعتزم الشعب على المجيء إلى هنا لاستطلاع حالة انسبائه واخوانه فرأيت من المناسب ان اصحبهم لتسكين فائر اكثرهم هياجًا. لكن المسيحيين هم الذين تحرشوا باخواننا وبادونا القتال فعاقبهم القدير المتعال. والان فور وصول امركم فاوضت المشايخ وفي اليوم ذاته عاد كلٌّ منهم اطاعةً لاوامركم. واني واثق بانكم تشملوني بالتفاتكم كما عودتموني وهذا رجائي (عدد ١٣ ملحق ٨ ص ٢٣)

٥٦- مور القنصل العام الى بشير بك نكد بتاريخ ٢٠ منه

انه بعد ورود تحاريركم السابقة المنبئة بما بذلتم من الجهد لمنع الدروز من الزحف على دير القمر لدن مهاجمتها قبلًا قد اتصل بي الان ان زرافات درزيّة وافرة العدد تحصر هذه المدينة فاكتب اليكم هذا التحرير لكي لدى بلوغه اليكم تعجلوا من غير ابطاء في استعمال نفوذكم وأقوى الوسائل لاقناع الدروز بالعدول عن قصدهم وبالعودة الى محلَّاتهم بحيث تقون دير القمر من نبال الشر وبلائه. فهذه الخدمة ستكون لديَّ بمثابة شهادة عدل على صدق وعودكم واستعدادكم لعمل كل ما تستطيعونه اتقاء وقوع هذه الحوادث الشديدة التبعة بل اسألكم ألاَّ تقتصروا على ذلك فقط بل عليكم ان تحموا المسيحيين الموجودين في اقطاعتكم بنشر رايات الامن ودفع كل اذىً عنهم وفتح الطرقات المؤديـة إلى دير القمر وحراسة الذين يرغبون بمغادرتها وضمان وصولهم سالمين الى الاماكن المأمونة التي يختارونها فاذا ما سلكتم هذا المسلك اتخذت عملكم دليلًا على برّكم بالوعود السابقة واني انتظر منكم جوابًا يفيدني عن اتباعكم نصحي وأؤمل منكم ان تنصحوا الباقين بالاقتداء بكم (عدد ١٣ ملحق ٥ ص ٢٢)

٥٧ــ ومنه الى سعيد بك جنبلاط بالتاريخ ذاته

انهُ على أثر الكتب العديدة التي تلقيتها منكم اعرابًا عن اسفكم من حالة الشؤون الحاضرة الموجبة الكدر واظهارا لحسن استعدادكم للائتمار باشارتي اخبركم ان قد اتصل بي الان ان جماعة من الدروز استأنفوا الكرة على دير القمر فحصروها فاطلب اليكم برهانًا على صدق وعودكم السابقة بان تعجلوا باستعمال ما لكم من النفوذ منعًا لتحقيق هذه المقاصد وتشتتوا شمل جماهير الدروز المرابطة حول دير القمر وترجعوها الى اماكنها وتعيدوا مياه الراحة الى مجاريها والامن الى نصابه في هذه

البلدة وتحولوا دون كل اعتداء عليهم وتضمنوا وقاية جميع المسيحيين المشتتين في انحاء اقطاعتكم فتجمعونهم وترسلونهم بامن الى الاماكن التي يختارون الالتجاء اليها ولا تسمحوا بان يلتحق بهم ادنى اذى . فهذه هي النصيحة الوحيدة التي اوجهها اليكم ملحاً بوجوب التقيد بها فانها ستكون لدي بمثابة البرهان الوحيد على صدق وعودكم السابقة . واعتقد بان نصائحي السابقة والحالية لكافية وانا انتظر ان تعملوا بها وتحملوا سائر الدروز على اتباعها (عدد ١٣ ملحق ٦ ص ٢٢)

٥٨ــ ومنه الى السر هنري بولفر بالتاريخ ذاته

ان الانباء التي بلغتنا حتى اليوم عن مدينة زحلة المحصورة لمتناقضة . فالدروز يشيعون ان قد اخذت هذه البلدة وحرقت من اساسها في حين ان الانباء الاخيرة الواردة من مصدر مسيحي تنبيء ببقاء المدينة في يد اهليها.ومن المحقق ان الفريقين المحاصر والمحصور تفانيا في الدفاع والهجوم وقد جرى ذلك نهار الاثنين في ١٨ الجاري وقد أُخبر ان الدروز دخلوا المدينة في خلال المعركة وحرقوا بعض بيوتها وقتلوا راهباً وبعض نساء في كنيسة الاباء اليسوعيين وذبحوا تلامذة مدرستهم وانه عند ذلك ترك المحاصرون والمحصورون سلاحهم الناري واعملوا السيوف والخناجر وان الدروز صُدوا من كل الجهات وطُوردوا الى مسافة ساعتين من المدينة ولم يقف المطاردون الاَّ عندما شاهدوا معسكر الجنود التركية فخافوا من ان ينضموا الى الدروز ضدهم. ومن المقول ان عدد القتلي والجرحى قد بلغ الف وخمساية من الدروز وسبعماية من المسيحيين . بيدَ ان هذه الاخبار ليست بثابتة الى ان ترد اخبار مصدرها صحيح فتؤيدها.ومن الشائع ان المسيحيين الذين بأَمرة كرم وصلوا الى زحلة .

ان الجنود التركية التي ارسلها خورشيد باشا للدفاع عن زحلة وقد ذكرتها لكم في رسالتي السابقة ليس فقط لم تحرك ساكناً بل عسكرت في مكان يبعد ساعتين

عن المدينة . أما بخصوص سلوك المشير وارباب السلطة التركية واعمالهم فاني اتأسف على ان أقول انه مع شدة ميلي الى أن احسن الظن بهم وانسب اعمالهم الى افضل النيات فالانباء والظواهر تلقي شديد الريبة في صدق مقاصدهم تقرير الامن في هذه البلاد وانقاذ حياة المسيحيين في حين انهم قادرون على ذلك . ان الدلائل التي تجيز لي هذه الشكوك لكثيرة لا يسعني الان تعدادها هنا بيدَ أنه من واجبي ان أبسط ظروفها لسعادتكم ملفتاً انظاركم الى الشواهد الآتية : غرابة سلوك عثمان بك قائد حامية حاصبيا وقد ذكرها القنصل برانت ونهج خورشيد باشا ذاته في حادثة دير القمر وتصرف الحامية التركية فيها وحادثة زحلة السابقة الذكر وعمل القائد العام في دمشق وقد أنبأ بهِ القنصل برانت . ومن الشائع ان الدروز أرادوا بمهاجمة زحلة نهار الاثنين من جهة الجبل المعسكرة فيها الجنـود التركية اثبات الاعتقاد العام بانهم يعتبرون الجنود التركية محالفيهم . (عدد ١٧ ملحق ١ ص ٣٥ ـ ٣٦)

٥٩ ـ بيان اجماعي رفعه قناصل الدول العاموية في بيروت بتاريخ ١٩ منه

نحن قناصل انكلترة والنمسا وفرنسا وبروسيا وروسيا لما كنا قد تلقينا في ٧ـ١٩ حزيران تعليمات متماثلة من سفاراتنا للاتفاق دون تأخير على الطريقة الاكثر مناسبة توسطاً بين اهالي لبنان بغية حقن الدماء ذهبنا في اليوم ذاته الى دار عميدنا المستر مور تفاوضاً فيما يجب عمله . وفي خلال ذلك بلغنا خبر استيلاء الدروز على زحلة فجئنا حالاً معسكر خورشيد باشا في الحازمية فقال لنا انه لم يتلقَ انباء عن استسلام المدينة واظهر الريبة في الخبر فاجبناه ان المهمَّ في الاونة الحاضرة حقن الدماء وان الدول الخمس الموثقة عرى اتفاق لا يشوبهُ أدنى شك لتأسف شديد الاسف على الاقتتالات بين الدروز والمسيحيين وتقبحها فمن الواجب التعجل في اعادة الامن الى نصابه في البلاد . ثم عرضنا عليه ان نذهب معه الى محل الحوادث

لنتدخل بين الفريقين بالصلح فاجابنا الباشا بانه حيث ليس لديه جنود كافية فلا سبيل لجعل تدخله نافعاً وان سلطته الادبية لاتمتد الى دروز حوران واقناع زعمائهم وسائر القبائل الخارجة عن ايالته بالانقياد الى أوامره وعرض علينا ان ينشر أمراً بالصلح وهو الوسيلة الوحيدة التي يستطيعها الان على شرط ان يصرح الفريقان بتناسيهم الماضي وبعدولهما عن طلب تعويض الخسائر التي اصابتهما (وهذا الشرط أوجبه الدروز لايقاف القتال والاَّ فلا)

وقد استعمل الباشا بهذه المناسبة عبارة عربية وهي « مضى ما مضى » وزاد بان هذا الاتفاق لا يقيّد يد الباب العالي بل يظل حراً بعدم الموافقة عليه . فصرحنا لهُ بان هذا التصرف يمس شرف الباب العالي ويحط من كرامته فأجدر بنا ان نتحامى الدخول في هذا الشرط . فاجاب ان حراجة الحالة تضطره الى الالتجاء الى هذه الوسيلة المحظورة واقرَّ اخيراً على نشر أمر الصلح .

التواقيع : مور . وكبكر . كونت بنتيفوليو . وبر . بيجر .

(عدد ١٧ ملحق ٣ ص ٣٦ — ٣٧ ودي تستا عدد ٣١ ص ٧٦ — ٧٧)

٦٠ — القناصل الاوربيون الى خورشيد باشا بتاريخ ٢٠ منه

نحن الموقّعون أدناه قناصل انكلترة والنمسا وفرنسا وبروسيا وروسيا وقد تلقينا في ٧ـ١٩ حزيران تعليمات متماثلة من سفاراتنا فنتشرف بان نلفت انظار دولتكم الى وجوب التعجل بحقن الدماء . ولمَّا كان لا يوجد أدنى سبب في اتفاق الدول الخمس الموثق العرى الآسفات المقبحات الاقتتالات الدائرة رحاها بين الدروز والمسيحيين فمن اللازم اللازب المبادرة الى اعادة الامن الى نصابهِ .

ان الغرض من كتابنا هذا الاجماعي الى دولتكم الأ هو الرجاء لتتذرعوا بأقوى الوسائل . ثم السؤال عن التحوطات التي سبق لكم اتخاذها وعن النتائج التي

حصلتم عليها بغية اعادة مياه الراحة إلى مجاريها وتسويد الامن الشديد اللزوم عاجلًا. راجين ان تتكرموا بانبائنا بما اذا كنتم ترون فائدة من عضدنا لكم في الحالة الحاضرة فنحن نسرّ ونبتهج بان نعلنكم اننا على قيد الاستعداد لمعاونتكم في ايقاف رحى القتال حالاً

(عدد ١٧ ملحق ٤ ص ٣٨ ودي تستا عدد ٣٢ ص ٧٧)

٦١—مور الى السير هنري بولفر بتاريخ ٢١ منه

اتشرف فانبئكم عطفًا على رسالتي الماضية بان مدينة زحلة سقطت في يد الدروز فاتمد أسفر هجومهم عليها يوم الاثنين المنقضي وقد اخبرتكم بهِ قبلًا عن استيلائهم عليها . فغادرها اهلوها مصطحبين النساء والاولاد. واذ ذاك حرقها الدروز ولم يتصل بي عدد الذين قتلوا من الفريقين ويقال ان الجنود التركية اشتركت مع الدروز في مهاجمة المسيحيين وقد اكد هذا الخبر اناس يقولون انهم شهود عيان وان قد وصل المدينة خفيةً زهاء ثلاثين جنديًا جريحًا .

لا يعلم ما سيفعله الدروز بعد هذا . بيدَ انهُ بعد سقوط زحلة أَمست كل انحاء لبنان المسيحية مفتوحة امامهم . وقد نشأَ عن ذلك اضطراب عظيم في بيروت وكثير من اهليها المسيحيين ينوون مغادرتها بحرًا لانهم فقدوا كل ثقة في الحكومة التركية. ورد أَمس خبر بان دروز الغرب تألبوا مجددًا حوالى دير القمر وحاصروها . فتعجلت بان أَرسلت بواسطة الحكومة التركية كتبًا شديدة اللهجة الى قائممقام الدروز والى سعيد بك جنبلاط وبشير بك نكد حثًا على نبذ هذه الفكرة وتفريق شمل جماهير الدروز حالاً وفتح الطرقات المؤَدية الى دير القمر واظلال المسيحيين بحمايتهم . وقد غفلت عن ان اخبر سعادتكم باني انفذت قبلًا مثل هذا الكتاب الى اسماعيل الاطرش زعيم دروز حوران عندما بلغني خبر وصوله الى هذه الجهات ومحاصرته زحلة ولم يصل

إليَّ جوابه بعد . ان ضيق الوقت لم يفسح لي بنقل صور هذه التحارير الان على اني سأنقلها بأقرب آنٍ .

وفي الوقت ذاته اشتركت مع رصفائي في استنهاض خرشيد باشا لانقاذ ديرالقمر وقد فعلنا ذلك مراعاة للظواهر على غير أمل في نجاح مسعانا . بيدَ اني غير قانط من تأثير كلامي على زعماء الدروز وانا واثق بان سعادتكم توافقون على مسعاي هذا .

ان ما يقاسيه المسيحيون الفارون من أنواع الشقاء والتعاسة لما تنفطر لهُ الاكباد فالطاعنون في السن والعجزة والنساء والاطفال هائمون على وجههم في سلسلة هذه الجبال القاحلة الباردة لا ملجأ لهم يأوون اليه ولا طعام يقتاتون بهِ ولا يملكون من حطام الدنيا سوى الاطمار التي عليهم واعداؤهم يطاردونهم كحيوانات ضارية. وقد قيل لي ان عددهم يتجاوز العشرين الفًا .

ملحق : وصلت اليوم الى هنا البارجة « اكسموث » بأمرة قائدها بانتر وهي قادمة من مالطة ائتمارًا بأمر أمير البحر مارتين (عدد ١٧ ملحق٥ ص ٣٨-٣٩)

٦٢ - ومنه اليه بتاريخ ٢٣ منه

يؤلمني جدًّا ان اخبر سعادتكم بان الدروز ذبحوا في ٢٠ الجاري جميع سكَّان دير القمر الذكور . والظاهر انهم عفوا عن النساء والاطفال ففرُّوا الى السهل . وعندما اتصل بي أمس ان اللاجئين مجتمعون عند مصب نهر الدامور بين هذه المدينة وصيدا سألت القائد بانتر ان يوجّه حالاً السفينة « غانيت » إلى المكان المذكور لينقل هؤلاء التعساء إلى هنا . فذهبت وجاءت بسبعمائة نفس نساءً واولادًا في حالة يرثى لها من العرى والجوع . وقد بقي ٤٠٠ نسمة على البارجة « موهوك » التي ذهبت لتقلّهم ولم تعد للآن .

ان الانباء المفصلة التي وردت عليَّ عن مذبحة دير القمر تفيد ان الحامية التركية خدعت الاهالي واقنعتهم بتسليم أسلحتهم وان السراي غصت بجثث القتلى المتراكمة اكداساً فوق بعضها وان اثار ضرب السيوف ظاهرة في ايدي معظم المقتولين الذين حاولوا اتقاء الضربات بأيديهم وهم عزّل . ومن المقول ان عدد القتلى يتجاوز الالفين واعتقد ان هذا العدد مبالغ فيهِ انما يزيد على الالف على الاقل . ان النساء التي جاءَت بهنَّ البارجة « غانيت » قلنَ لقائدها لامبر ان الجنود التركية اسأَت معاملتهنَّ اكثر من الدروز . ان البارجة « موهوك » جاءَت أمس باربعمائة لاجيء من صور وصيدا حيث يسود ذعرٌ شديد . أمَّا السفينة الحربية الفرنسوية « سانتينل » فهي راسية في جونية لتقلّ البطريرك الماروني فيما لو هاجم الدروز كسروان .

ان الانباء الواردة من دمشق اليوم لاكثر اطمئناناً من ذي قبل .

قد استولى على هذه المدينة هذا الصباح قلق شديد بسبب قتل مسلم وقد قيل ان قاتله مسيحي من دير القمر في حين ان الآخرين يؤكدون ان قاتله مسلم فتسلح المسلمون ودخلوا السراي صاخبين طالبين الانتقام فهرب جميع المسيحيين لاجئين الى بيوت القناصل الاوربيين ثم كان ان ساد بعض السكون انما الهياج لا يزال شديداً .وقد بُذلت المساعي لاكتشاف القاتل ومنع كل فتنة .

وصل في الليلة الماضية من الاستانة بارجة عثمانية عليها الفا جندي بأمرة اسمعيل باشا « واصله مجاري اسمه الجنرال كميتي » .

ان ضيق الوقت يحول دون انبائكم مفصلًا بالمساعي التي اتخذتها ورصفائي بالاجماع قصد توطيد دعائم الراحة والامن . بيدَ اني اؤكد لسعادتكم اننا نعمل بتمام الاتفاق والوئام ولا نهمل ما بوسعنا لبلوغ هذا الغرض .

ملحق : ان البارجة « موهوك » رجعت الان من مصب نهر الدامور ناقلة

ستمائة نسمة نساء وأولاداً وفي بعضهم جراح خطرة . وفي هذا المساء عقدنا اجتماعاً دعونا اليه اسمعيل باشا . ان الامن في المدينة منوط باخلاص الجنود فيما لو هوجمت

ملحق آخر : قد عثر على القاتل والقي القبض عليه وسمعت بان قد ثبتت عليهِ الجناية وحكم عليهِ بالاعدام وسينفذ الحكم حالاً . ان خورشيد باشا ذهب الى دير القمر ولكن بعد ان سبق السيف العزل وذُبح كل اهاليها (عدد ١٩ ملحق ١ ص ٤٠ ـ ٤١)

٦٣ـ عريضة المسيحيين الفارين من حاصبيا الى قنصل روسيا العام في ١٦ منه

ان سعادتكم قد علمتم بالنكبة العظمى والكارثة الجلى التي حلت علينا بقتل الدروز رجالنا ونهبهم مدينتنا . لانستطيع في حالتنا التعسة ان نصف لكم كل ما نزل بنا انما نقول باختصار ان الدروز بدأوا منذ شهر باساءة معاملتنا كما كانوا يعاملوننا قبلاً فاخذت الجنود العثمانية المرابطة في حاصبيا بتسكين بالنا .

وفي بدء هذا الشهر جاء دروز حاصبياً واخذوا يهاجموننا وفي الليلة التالية اجتمعوا في مرج شوايا وضموا قواتهم الى التي جاءت من سائر الاحياء وطلبوا عثمان بك القائم مقام التركي واختلوا بهِ مدة ثلاث ساعات ولما عاد هذا الموظف الى المدينة أعلن المسيحيين ان الدروز ينوون قتلهم جميعاً فيجب على مسيحيي جميع قرى هذه الناحية ان يأتوا كلهم الى حاصبياً حاملين نفائس اموالهم وامتعتهم فانقادوا الي رأيه . وفي يوم السبت هاجم الدروز قرية الكفير قرب حاصبياً وحرقوها وقتلوا جميع من بقي فيها وفي صباح الاحد حملوا على حاصبياً فقال عثمان بك للمسيحيين « اخرجوا وقاتلوا زمناً وجيزاً ثم تراجعوا واذ ذاك ترون المساعدة التي امدكم بها ». فامتثل المسيحيون أَمره وبعد الظهر أَمرهم بالرجوع الى دار الحكومة واطلق مدفعين في الجو فدخل الدروز حينئذٍ بيوت المسيحين مستسلمين للنهب والقتل والحريق الليل

بطوله . وصباح الاثنين أحاط الدروز بدار الحكومة وطلبوا تسليم اسلحتنا فجاءنا عثمان بك وقال لنا « أعطوني اسلحتكم وسأقوم بما يجب عليّ من أمر حمايتكم » فدفعناها اليه ثقة بوعوده . ولبثنا ثمانية ايام في السراي تحت مراقبة الجنود والدروز نقتات حبوبًا . وفي اليوم الثامن جاء مشايخ الدروز الى دار الحكومة وهم علي بك حماده وكنج العماد وحسن آغا طويل وتفاوضوا مع عثمان بك وعند انتهاء المفاوضة أمر الجنود بجمع المضارب المضروبة في الساحة وبعد ذلك بدأوا بجمع المسيحيين المنتشرين في دار الحكومة وساقوهم كالنعاج الى الباحة التي في مدخلها . ولمّا تم احتشادهم هناك فتح الجنود ابواب السراي فانقض عليهم الدروز واطلقوا عليهم بنادقهم دفعةً واحدة ثم استلوا سيوفهم وأخذوا يذبحونهم حتى أتوا على آخرهم وقد قتلت ايضًا النساء التي طوقت بناتها وصبيانها حمايةً لهم . ان عدد القتلى يتجاوز الثمانماية وقد نجونا باختبائنا تحت اكداس جثث القتلى وبفضل قرب انسدال الظلام ولما خيم الليل هربنا الى هنا ولا نعلم ماذا جرى بعد ذلك انما نعرف بان النساء والاطفال لجأوا الى حماية السيدة نايفه شقيقة سعيد بك جنبلاط ومعهم زهاء مايتي رجل دخلوا دارها عنوةً .

ان بيوتنا أمست رمادًا وجثث القتلى ركامًا واذا ما نجا النساء والاطفال من سيف الدروز فانهم يظلون عرضةً للموت جوعًا وبردًا وذعرًا .

فنسألكم باسم الله العلي ان ترفقوا بهؤلاء المساكين وتمهدوا لهم سبيل المجيء الى هنا عن طريق صور بخفارة محمد بك أو علي بك الاسعد فانقذوهم واغنموا شكر النساء والاطفال وصلواتهم فانهم يترامون على اقدامكم .

التواقيع : جراسيموس اسقف صور وصيدا . المسيحيون الناجون من حاصبيًا .

ذيل : ان الباخرة « موهوك » نقلت جميع هؤلاء المسيحيين الى بيروت .

(عدد ٢١ ملحق ٥ ص ٤٤ — ٤٥)

٦٤- شهادة شاكر وفتح الله جرجس الحلبيين وكيلي المستر برد المرسل الاميركي في دير القمر

انه في صباح الاربعاء الواقع في ١٩ الجاري دخل مائتا درزي مسلح دير القمر زاعمين ان بشير بك نكد ارسلهم بامرة ابن اخيه شاهين بك وجمهور اخر لمرافقة المسيو رافائيل مشاقه وقد وقفوا عند عين المزاريب مفتاح المدينة . وبعد وصول هؤلاء جاءت زرافات زرافات من دروز القرى المجاورة فدخل بعضهم أهمّ احياء البلدة واحاط الآخرون بعدّة امكان خارجها ولم يحاول أحد منعهم بحجة انهم مرسلون من قِبل زعمائهم لحراسة بيوت أهمّ أسر البلدة . وعند الظهر بدأ الدروز بجمع اسلحة المسيحيين فلم يبدوا ممانعة ثم دمقوا على الحوانيت والمخازن وكسروا أبوابها ونهبوا سلعها فأرسلت حينئذٍ بعض النساء إلى بشير بك يسألنه ايقاف الهجوم. وفي خلال ذلك جاء موره آغا يوزباشي الجند النظامي ومعه خمسة عشر جنديًّا يتقدمهم الشيخ خطار نكد وكانوا كلما صادفوا جمهورًا من الدروز يوعزون اليهم بلطف ان يغادروا المدينة ثم ينتقلون الى سائر البيوت والاحياء فلم يعارض المسيحيون كل هذه الحركات بشيء .

فلما شاهدت ذلك استوضحت بعض الجنود القائمة على خفارة بيت المستر برد عن سبب عدم منعهم تجمع الدروز في المدينة فاجابوني انهم مأمورين بعدم التعرض لاحد الدروز مهما فعل واذا أقدموا على اتخاذ تدبير فيكون ذلك تمويهًا . ثم أخذ الدروز بنهب كل بيت في المدينة بمشاركة الجنود التركية . وعند الساعة الرابعة بعد الظهر سمعت دويّ الرصاص على أني لم اعرف مصدره وعند رجوع الجاويش وبعض الجنود التي كانت على خفارة بيت المستر برد في الميدان حيث كان اطلاق النار متواصلًا اخبروني بان الجنود التركية تشارك الدروز

باطلاق النار وانهم أول من اطلقها .

وقبل الغروب قُتل كاهن ورجل اسمه حبيب ديبان فساد رعب عظيم على المسيحيين وتراكضوا الى دار الحكومة والى بعض البيوت الحصينة للامتناع فيها وهرب نحو مائتي شخص لاجئين بالثكنات العسكرية في بيت الدين تحت حماية أَميرالالاي. أمَّا الدروز فاستمروا الليل بطوله يفدون على ديرالقمر من سائر انحاء البلاد الدرزيّةوبيدهم المصابيح ثم يرجعون غانمين الاموال المنهوبة.ولما كنا قد اوجسنا خيفة ان ينهب بيت المستر برد ذهبت نحو الساعة الثامنة ونصف مساءً الى دار الحكومة طلباً لزيادة عدد الخفراء فلقيت بيت القائد مملوءًا باللائذين وبامتعتهم الثمينة. بيدَ انمنازل الجنود ما خلا بعضها كان خاليًا فاستأذنت بالدخول اليها فلم يسمح لي فكررت رجائي الى أَميرالالاي فأَذن لي وقد كان مختليًا بالشيخ نايف منصور نكد فسأَلته زيادة الخفر فاجابني لا تخف ان يدخل البيت أَحد . وعندما غادرت منازل الجنود سمعت جنديًّا يقول بانه نهب خرجًا فيهِ ليرات انكليزية فكان من نصيب ضابطه وصرَّح انه يوٴثر ان يكون قتل في ذلك اليوم على ان يحرم غنيمته التي حازها مخاطرًا بحياتهِ . ثم ذهبت الى حي الخندق وهناك شاهدت الجنود مشتركة في النهب والدروز فاحييت الليل ساهرًا على سطح البيت حتى الفجر. وقبل بزوغ شمس نهار الخميس بساعتين أُضرمت النار في البيوت وبُديءَ بذبح الرجال وبتمزيق الاولاد الذكور واغتصاب النساء على دويّ البنادق واصوات الصخب والتجديف . فحجب الدخان السماء ولقد كان المشهد هائلًا جدًا بحيث يصعب على أفصح خطيب ان يصفه القاءً وكتابةً ثم أَشرقت الشمس والمذبحة مستمرة وحينئذٍ نفخ بالبوق استدعاءً للجنود التركية فاحتشدوا في معسكراتهم لكنَّ الدروز وثبوا على دار الحكومة بكثرة فاستقبلهم أَرباب السلطة العسكرية ومتسلم البلدة بمزيد التودد والحفاوة واخذوا يسلمونهم المسيحيين اللاجئين فيذبحونهم ذبح الشاة ولم ينجُ

منهم سوى رجل اسمه بولس صوصا لاذ ببيت المستر برد . واكرر بان جميع الرجال والاولاد الذين لاذوا بدار الحكومة قتلوا عن بكرة ابيهم بحيث ان الدم في باحتها كان يغمر الساق. ثم ان الدروز ذهبوا الى ثكنة بيت الدين وقتلوا كل اللائذين بها واضرموا النار في البيوت الخاصة المجاورة دون ان يلاقوا أدنى مقاومة من الجنود التركية . وظلت المجزرة متواصلة في عدة اماكن والقتل جارٍ بانواع السلاح بصور تقشعرّ لها الابدان طول ذلك النهار وليله انما عند الساعة الثامنة مساءً وصل خورشيد باشا الى دير القمر واستمرّ سائرًا الى بيت الدين . أمّا اطلاق النار والذبح فظلّا يزدادان الليل بطوله حتى طلوع شمس نهار الجمعة واذ ذاك وزعت الحكومة نشرة موعزة بايقاف النار والذبح وبوجوب مغادرة الدروز المدينة مهددة بالقبض على من يأبى الخضوع وارساله الى « ليبان » عكا وملاقية تبعة المخالفة على الزعماء فلم يحفل أحد من دروز ومسلمي قريتي البيره وبعاصير الذين اشتركوا في المذبحة بهذه الاوامر بل ازدادوا قساوة في فظائعهم حتى الساعة العاشرة قبل الظهر . واذ ذاك هجم جمهور من الدروز على بيت الخواجا خليل جاويش كاتب سر القائم مقام الدرزي وقد ظل محفوظًا حتى ذلك التاريخ بخفارة الشيخ بشير مرعي نكد وبعض الجنود فنهبوا كل ما اتصلت اليهِ ايديهم وقتلوا كل الرجال واضرموا النار في البيت انما عفوا عن الخواجا خليل وشقيقه . ثم حرقوا ما بقي من البيوت ولم يسلم سوى بيت المستر برد الاميريكي وعندئذٍ أحاط بهِ ثلاثة الاف درزي بامرة الشيخ قاسم العماد وطلبوا تسليمهم الرجال الموجودين فيه وهم زهاء العشرين فرد طلبهم وفي أثناء الجدال جاء أحد زعماء الحماديين وتلى عليهم أمرًا من الباشا مآله انه متى أُطلق ثلاثة مدافع من دار الحكومة يجب على الدروز مغادرة المدينة والاَّ هاجمتهم الجنود ثم وصل المستر برد يخفره قواس وبعض رجال الزعيم النكدي الذي اعطاه بحضرة الباشا ورقة تأمين له وللرجال المختبئين في بيته وحينئذٍ أُطلقت الثلاثة مدافع فظهر سعيد بك جنبلاط والاميرالاي

يصحبهم الحمادية وبعض الجنود فوعد سعيد بك المستر برد بعدم حرق بيته فتركنا دير القمر الى عبيه ومن هناك ذهبنا الى بيروت مخفورين فبلغناها سالمين . ان ما رويناه هو حقيقة ما شاهدناه باعيننا . (عدد ٢١ ملحق ٦ ص ٤٥ — ٤٦ - ٤٧)

٦٥ — مور الى السر هنري بولفر بتاريخ ٢٦ منه

اني عطفًا على رسالتي المرفوعة الى سعادتكم بتاريخ ٢١ الجاري اتشرف فانبئكم بان هياج المسلمين ازداد تأججًا وقد استخفوا بالحكومة المحلية وأنذروها بانهم لا يدفنون قتيلهم الاّ بعد ان يُنفذ حكم الاعدام بقاتلهِ المسيحي فاذا لم يتم ذلك قبل غروب الشمس فهم يثأرون بقتيلهم فأظهرت الحكومة جبنًا وتذللًا رغمًا عن وجود القوّات العسكريّة العثمانية البرّية والبحريّة الصالحة لتعزيز السلطة وجعل القانون محترمًا . وفي الحقيقة ان الفوضى مخيمة فوق المدينة وزمامها بيد الغوغاء . وفي ذلك الاثناء شُرع بمحاكمة المتهم وانتهت بالحكم عليهِ موتًا بحجة ثبوت الذنب عليه . ولم يستغرق القبض عليهِ ومحاكمته والقضاء عليهِ بالاعدام سوى ساعتين ولقد تمّ ذلك تحت تأثير هياج الشعب والخوف منه . وهنا بدت الصعوبة لان الحكم بالاعدام يستوجب موافقة المشير عليه قبل تنفيذه وكان خورشيد باشا باقٍ في دير القمر فيقتضي ثلاثة ايام للحصول على موافقتهِ فاحتار وكيل الوالي واسماعيل باشا في الامر وجاءا إلى دار القنصلية حيث كان جميع رصفائي منتدين فبسط وكيل الوالي المسألة وقال ان انقاذ المدينة متوقف على تنفيذ الحكم عاجلًا وطلب موافقتنا على ذلك فامتنعنا عن اجابتهِ وقلنا لهُ اننا نعتبر بانه مفوض بالسلطة التامة من المشير فيمكنه ان يفعل ما يفعله المشير فيما لو كان حاضرًا.وصرّح اسمعيل باشا بانه مستعد لاخراج الجنود وضرب المدينة بالمدافع لكنه يخشى بان هذا العمل يعجل طروق الازمة ويبيد المسلمين والمسيحيين معًا . واذ ذاك انصرف المأموران المذكوران وتمّ اعدام

القاتل المزعوم نحو الساعة الواحدة بعد الغروب وظلّ يعلن براءته حتى فاضت روحه . وحدث في ابان هياج فائر المسلمين ان ضُرب غير واحد من المسيحيين بالعصي وديس آخرون وقد جرح أحدهم برأسهِ جرحًا خطرًا بضربة آلة راضة . وبينا كان الكونت بنتيفوليو ذاهبًا إلى دار الحكومة ليشاهد جثة القتيل أُصيب بوجهه بضربة سيف من احد اقارب القتيل الادنين وقد ضرب مسلم انكليزيًا ببندقيتهِ وصوّبت بندقية أخرى على ضابط من ضبّاط البارجة « اكسموث » بينا هو في الشارع وأهين انكليزي آخر . وفي صباح اليوم التالي وهو الاحد أرسل فيس قنصلي انكلترة وفرنسا في صيدا إلى رصيفي الفرنسوي وإليّ انباء مقلقة مآلها ان الدروز والمسلمين موطدو النية على الاعتداء على المسيحيين العزّل اللاجئين الى صيدا في الخان الفرنسوي وان البارجة « سنتينل » الفرنسويّة انزلت خمسة وثلاثين بحارًا ومدفعًا سهليًا في جزيرة صغيرة من ثغر صيدا ليحموا موقتًا الفرنسويين المقيمين في المدينة ريثما تصل النجدة المطلوبة من بيروت . وفور وصول هذا الخبر إليّ سافرت البارجتان « غانت » و « موهوك » الانكليزيتان والسفينة الحربية الفرنسويّة « زينوبيا » إلى صيدا . وفي آخر النهار تمكنّا من حمل الحكومة التركية على ارسال بارجتها الى صيدا مقلةً اربعمائة جندي بأمرة عزيز باشا . وفي اليوم التالي جاءها خورشيد باشا من دير القمر فاستقرّت السكينة بواسطة هذه الوسائل المناسبة .

عادت أمس البارجة « موهوك » وعليهـا اكثر من ستمائة مسيحي لاجيء نصفهم نساء واطفال من دير القمر والنصف الآخر من صور وصيدا علاوةً على الالف والستمائة شخص الذين نقلتهم قبلًا ولا يزال بضع مئات ينتظرونها عند مصب نهر الدامور وعليهِ ستعود غدًا لنقلهم .

يتعذر عليّ ان أصف لسعادتكم الذعر الشديد المستولي على مسيحي بيروت وهم يعتقدون بان الحكومة التركية وجنودها ومسلمي المدينة والدروز سيفعلون

بهم ما فعلوا بسكان دير القمر. ان وصول الجنود بأمرة اسمعيل باشا والاخبار الواردة من صيدا وهياج المسلمين المذكور آنفًا وعصابات الدروز المسلحة التي تسمح لها الحكومة بالتجوّل في الشوارع رغمًا عن احتجاجاتنا كل ذلك قد ألقى شديد الرعب في قلوب المسيحيين بحيث ان كثيرين منهم وفيهم كبار التجار وصغارهم أخذوا يسافرون الى مالطة والاسكندريّة وقد سافر اليوم منهم زهاء المائتين ويستعدّ عدَّة مئات للاقتداء بهم . ولمَّا كان دولاب التجارة قد وقف فقد أخذ ارباب الثراء والصناعة في هذه المدينة التي كانت زاهرة فيما سلف بمغادرتها وقد كتب التجار برفض البضائع التي كانوا طلبوها بقيمة عدة الاف من الليرات. ان الباخرتين اللتين وصلتا اليوم من ليفربول لم تتمكنا من انزال بضائعهما فاضطرتا ان تنقلها إلى مالطة وايداعها هناك . قد نُقلت أموال المصرف العثماني الى ظهر البارجة « اكسموث » تأمينًا ووصلت اليوم السفينة « هيرون » الفرنسويّة قادمة من ثغر بيروت . (الكتاب الثالث من مجموع المحررات الانكليزيّة المذاعة في ٢٣ تموز سنة ١٨٦٠ عدد ١ ملحق ١ ص ١ـ٢)

٦٦– ومنه اليه بتاريخ ٢٧ منه

ان المخاوف من مهاجمة الدروز النواحي المسيحية في شمالي لبنان ابتداءً من كسروان لعظيمة جدًّا .

ان الشيعيين الذين يقطنون بعض قرى في وادي نهر « ادونيس » (ابرهيم) في ناحية جبيل قاموا على جيرانهم المسيحيين بتحريض سرّي وأضرموا النار في بعض بيوت قرية فتري . فثأر المسيحيون لانفسهم وحرقوا بيوت الشيعيين فيها ولمَّا كانوا اكثر عددًا طردوهم منها .

ان السفينة الحربية الفرنسويّة «زينوبيا» برحت ثغر جونية في كسروان وعادت أمس

ان الحرب في الجبل لا تزال ناشبةً يتخللها بعض فترات . أمَّا المسيحيون فباقون

تحت السلاح في جونية بأمرة يوسف بك كرم والدروز يتأهبون مراقبين مجرى الحوادث .

ان بكوات الدروز لم يجيبوا حتى الان على تحاريري لهم المذكورة تحت رقم ٣٩ وارجح بان سكوتهم ناتج عن عدم امتثالهم مضمونها . أمَّا اسمعيل الاطرش زعيم دروز حوران فقد ارسل اليَّ جوابًا مملوءًا بوعود الاخلاص والطاعة لكنه كتبه بعد مهاجمته زحلة واستيلائه عليها .

وقد انفذنا رسالة اجاعية الى القائد العام في دمشق ونطاقة شديدة اللهجة الى خورشيد باشا عن حالة البلاد وهذا الاخير باقٍ في صيدا بيدَ اني علمت من كتاب المسيو أبيلا بتاريخ أمس بان دولته لم يتخذ أدنى وسيلة لمنع الدروز من متابعة اعتداءاتهم على جوار هذه المدينة .

ان الحكومة هنا أقرَّت على منع مهاجرة المسيحيين ورفضت اعطاءهم جوازات السفر وأقامت رجالاً من الشرطة على الشاطىء منعًا لركوبهم البحر . وقد اتصل بي ان ثمانمائة مسيحي كانوا على أهبة السفر اليوم الى الاسكندريَّة ومالطة على باخرة انكليزيَّة .

ان القلق والجزع سائدان في مدن الداخلية والشواطيُ (عدد١ ملحق٢ص٢)

٦٧ — تابع بيانات افيس قنصل ابيلا الى مور من ١٤ حزيران الى ٢٣ منه

في ١٤ منه — أمس عند الغروب القت البارجة « سانتينل » مراسيها في مياهنا وهي قادمة من بيروت تريد صور فاجتمع قائدها « بالخزندار » حينًا لكنه لم ينجح في استحصال مساعدته التعساء الذين يتحملون العذاب والشقاء شاربين كأس الموت في الغابات

وفيهِ الساعة الخامسة بعدالظهر — علمت الان ان الدروز هاجموا أمس

مرج عيون ونهبوها وحرقوها ويقال ان محمد بك الاسعد لم يبدِ أقلّ مقاومة حمايةً لمسيحي قضائه مع انه أخذ وشعبه منهم هديّة قدرها مائة الف قرش وكمية عظيمة من المؤَن ومن الشائع أيضاً ان الشيعيين انضموا الى المسيحيين . اننا نخشى الآن من سقوط زحله

في ١٥ منه — في طيهِ عريضة من اهالي زحلة العائشين في غابات جوار السوس. بينا لا يسمح للمسيحيين الواقفين على ابواب صيدا بالدخول اليها بأسلحتهم نرى الدروز والمسلمين والشيعيين يتجولون فيها شاكي السلاح . ان الدروز لمشتغلون بقطع اشجار المسيحيين وحرقها ممَّا ينذر بخرابهم .

في ١٦ منه الساعة ٩ صباحاً — بينا الحكومة تجيب ان ليس لديها القوَّة الكافية لانقاذ المسيحيين المختبئين في الغابات نرى ان القوَّة لا تنقصها وانما الارادة والدليل على ذلك ان الخوري بطرس معوشي من جزّين تمكن من الوصول الى ابواب صيدا ومعه خمسون لاجيء فمنع من دخولها وذهبت كل مساعيَّ لدى الحكومة في سبيل ادخاله ادراج الرياح . وكان بعد انقضاء اربع ساعات ان سمح لهم بالدخول واعتذر اليَّ « الخزندار » عن ممانعتهِ اولاً بانه خشي من ان بعض الدروز الموجودين في المدينة يقتلون الخوري وعليهِ فقد أرسله حالاً الي بيروت مع القس حنا عازار.

وقد اتصل بي سراً ان البكباشي لام سراً شيخاً شيعياً على ايصاله هؤلاء المسيحيين الى صيدا .

وصل مسيحيون آخرون من دير المخلص فلم يسمح لهم بالدخول كما يظهر من تحرير رئيس الدير المتقدم لكم في طيهِ نسخة منه وقد أوقفت « الخزندار » عليه .

وفي الساعة ١١ صباحاً — في طيهِ صورة كتاب أهالي جزين المتشتتين في الجبال يلتمسون فيهِ عوناً .

في ١٨ منه — وصل اليوم الى هنا الساعة الرابعة صباحاً بطريرك الروم الكاثوليك وكان قبلاً في دير القمر ولجأ الى بيت سعيد بك جنبلاط في المختاره مع خمسة وثلاثين شخصاً من الرهبان وغيرهم وقد صحبهم سعيد بك جنبلاط حتى جون ومن هناك رافقهم قاسم يوسف الى صيدا . ان المسيحيين لا يجسرون على ترك المدينة والذعر مستولٍ على كل القلوب والمخمصة شديدة بحيث لا تقدر صيدا ان تعول هذا الجمهور اللائذ بها الى مدة طويلة .

وفي ٢٠ الساعة ٩ صباحاً — ان « الخزندار » وقاسم يوسف بذلا أقصى جهدهما لحمل مسيحيي جزين وجباع على الرجوع الى بيوتهم واعديهم بحماية الحكومة التركية وسعيد بك جنبلاط فاجابوا انه متى أُنقذ اخوانهم المختبئون في الغابات أو عدل الدروز عن مطاردتهم يتجرأون على مغادرة أبواب صيدا . وقد اوعز بمثل ذلك الى البستانيين المسيحيين فاعتذروا عن الاجابة بما يجري يومياً من الاعتداء والسلب في الجوار .

جاء أمس دروز من بيت أبي شقرا وصادفوا خليل أبي الروس المسيحي خارج المدينة ولا يعلم ما حلَّ بهِ . ولا يزال الدروز ينهبون مستودعات حبوب المسيحيين ويكرهونهم على دفع مبالغ من المال حتى على مقربة من صيدا . ان الرعب سائد في المدينة وخارجها لان ارباب السلطة يعلنون بان ليس لديهم أوامر لمعاقبة المعتدين بالقوة .

وفيهِ الساعة ٢ بعد الظهر — ان عامل جباع اخبر « الخزندار » بحضور شقيقي بان خليل أبا الروس أخذه الدروز الى قرية كفر شلال وقتلوه وانهم ما برحوا مستسلمين للنهب والسلب في كل قضاء . ان الاعتداءات لمستمرة في البساتين الكائنة في ضواحي صيدا حتى اذا ما دخل اليها مسيحي جرع كأس الموت . جاء أَمس واليوم كثيرون الى بساتين أَسرة أيبلا ونهبوا ما بقي فيها من الحبوب والتبن

و كثيرون منهم يرسلون كتباً الى اصحاب البساتين طالبين مبالغ من المال مهدديهم بانهم اذا لم يدفعوا يحرقون بيوت شركاءهم فيها . جاء الدروز خبر سقوط زحله في ايديهم وان اخوانهم ابادوا كل سكان هذه المدينة فاعتزم كثير من الاسر المسيحية على مهاجرة سوريا .

في ٢٣ منه – انقضّ الدروز أمس على جباع وحرقوا بيوت المسيحيين ونهبوا القرية وجرحوا الشيخ عبدالله نعمه الشهير وهو الرئيس الديني على جميع الشيعيين في سوريا فتراكض جميع شيعيي ناحية جباع وبلاد الشقيف وشومر وبلاد بشاره لجهة جباع لمهاجمة الدروز .

ان مائتين وخمسين نسمة من جزين كانوا في الغابات فطاردهم الدروز من محل الى آخر وقتلوا بعضهم ولم يصل منهم الى قرب صيدا غير ١٥ فقط وقد التقى هؤلاء التعساء ببعض اناس في جوار اقليم الخروب فسلبوهم متاعهم وقتلوا واحداً منهم وفي رواية اخرى انهم قتلوا اربعة .

ان ابن قاسم يوسف قبض اليوم في صيدا على مسيحيٍ من الجبل عند « سراي » الحكومة واكرهه على مغادرة المدينة بحجة انه مودعه اسلحةً وبعد تضرعات وتوسلات حميمة قاده الى الحكومة وألجاه على ان يردّ لهُ الاسلحة او الثمن الذي يوجبه .

وقد سلب آخر من ناحية اقليم الخروب مسيحياً جبلياً كيسهُ في ساحة صيدا . لقد هجرت عيال كثيرة في هذه الايام الاخيرة مدينة صيدا وهذا يجرئني على تكرار طلب بارجة حربية لحمايتنا . (عدد ٩ ملحق ١ ص ١٥ – ١٦ – ١٧)

٦٨ – القنصل برانت الى السر هنري بولفر بتاريخ ٣٠ منه

اني كلما تذكرت حوادث الثلاثة الاشهر المنقضية اتردد في ايقاف سعادتكم على

تفاصيلها فهي في ذاتها محزنة جداً ويتعذر استثبات حقيقتها نظراً لمبالغة المسيحيين فيها لشدة ما قاسوا من ويلاتها ولِما اعتذر بهِ تبريرًا لسلوك الجنود . ومع ذلك فاني ابذل جهدي لاروي اليكم فقط كل ما هو محقق ثابت أخذاً عن اوثق المصادر وان تعذر عليَّ في الاونة الحاضرة استثباتها بنفسي .

ان العداوة بين الدروز ومسيحيي لبنان ليست بجديثة العهد بل يرجع تاريخها الى سنة او سنتين بيدَ انه ما كان لينتظر حدوث اقتتال بينهما والظاهر انــه فاجأَ الجميع . ان حامية حاصبيًا وراشيًا كانت على قلتها كفوءًا لحماية هذا الموقع الحصين من اعتداء دروز الجوار اذ لم يكن يتوقع انضمام دروز حوران الى اخوانهم . ان القوَّات العسكريَّة في هذه الايالة تكاد لاتكفي لحفظ الامن ومع هذا فان الباب العالي استدعى معظمها منذ بضعة اشهر . وقد قال المشير بان استدعاءَها جرى بدون ارادته وانه طلب اقالته اعتقاد انه لا يستطيع ان يكون مسؤُولاً عن الامن العام مع قلة الوسائل لديه فلما نشب القتال لم يكن بوسعه ان ينجد المنكوبين لان العرب كانوا كعادتهم نازعين الى العصيان فاضطرَّ الى ابقاء معظم الجنود في جوار حوران لحماية الحصيد وهو قوام قوت الدمشقيين . وعند بدء هجوم الدروز صدر الامر الى الفرقة المرابطة في حوران بالذهاب الى حاصبيًا فلم يمتثل مصطفى باشا قائدها الامر وتبرئةً لنفسهِ أرسل عريضة من الفلَّاحين المزارعين مآلها انه اذا ما ذهبت الجنود يتركون حصادهم فقبل العذر واستُدعي فقط تابور من الجنود الى دمشق لان حاميتها غير كافية لحفظ الامن فيها وتُركتْ حاصبيًا وراشيًا وشأنهما تحت حماية مرابطتها القليلة العدد. فبسط للمشير الخطر الذي يتهددهما فلم يفعل شيئًا بحجة عدم اقتداره على فرز قسم من الجنود وارسالها .

لقد طُلب الى المشير فور اعتداء الدروز وقتل بعض المسيحيين وشقاء الباقين من جرَّاء مضايقة اعدائهم لهم ونفاذ قوتهم ان يرسل قوَّةً كافيةً لمرافقة جميع الذكور

المسيحيين الذين نجوا من المذبحة مع النساء والاولاد فوعد وأخلف . ولمّا ذاع خبر الكارثة اعلن ان الوقت قد فات بيدَ انه لمّا كان بعض الذكور الذين نجوا وجميع النساء والاولاد اوشكوا ان يموتوا جوعاً واملاقاً ألحّ مجدداً على الباشا باتخاذ الوسائل لنقلهم من حاصبياً فأجاب بانه قد فعل وانه سبق فارسل بغالاً الى المدينة المذكورة لهذا الغرض. أمّا عدد هذه البغال فكان كافياً لركوب الجنود فقط فرفض عثمان بك قائدها ان يسمح للمسيحيين بمرافقة الجند على ان بعضهم تنكّر وتمكن من الخروج بخفارة بعض الدروز لقاء مبلغ من المال . أمّا معظم الذين نجوا فبفضل حماية السيدة نايفه التي ذهبت الى دار شقيقها سعيد بك جنبلاط زعيم الدروز في المختارة . وجاء جميع النساء والاولاد الى راشيّا وعادت الجنود أيضاً .

لقد قصّ عليّ حضرة الفاضل المرسل سميلي روبصن تفاصيل المجزرة في حاصبيّا رواها لهُ من رجل بروتستاني في المدينة المذكورة شهد كل حوادثها وكُتبت لهُ النجاة منها باعجوبة . ومآل الرواية انهُ بعد ان هاجم الدروز عدّة قرى في الجوار ولجأ اهلوها الى المدينة حاصر الدروز حاصبيّاً يوم الاحد الواقع في ٣ الجاري فاستغاث المسيحيون بعثمان بك قائد الجنود لحمايتهم مذكريه بوعده ان يساعدهم ضد أي من يحاول تعكير كأس السلم فأجاب ان قد سبق لهُ بذل الجهد لاقناع الدروز بعدم مسّ المسيحيين فذهبت مساعيهِ ادراج الرياح لكنه سيجدد سعيه وأرسل ضابطاً الى الدروز بهذا الصدد فأجابوا بانهم موطدو العزيمة على مهاجمة المدينة .

فلما قنط المسيحيون من مساعدة عثمان بك امتنعوا بقرب حيهم فهاجمهم الدروز وبعد قتال قصير المدة أيقن المسيحيون بضعفهم لقلة عددهم فهربوا الى السراي حيث كان عثمان بك مع الجنود .

وفي ٤ منه قصد عثمان بك السيدة نايفه وعاد معها الى السراي طالباً الى

المسيحيين ان يسلموه أسلحتهم واعطاهم برضا السيدة المذكورة تعهدًا خطيًّا تكفل بهِ بان الحكومة تحميهم حقيقةً. ولمَّا كانوا عارفين بانه لا يمكنهم مقاومة الدروز قبلوا باقتراحه وجُمعت أَسلحتهم في باحة السراي فاختار الدروز أَجودها وارسل الباقي وقدره خمسمائة بندقية مع مكارين دروز يخفرهم جنديَّان وقال عثمان بك للمسيحيين انهُ ارسلها الى دمشق. وبقي المسيحيون في السراي آمنين حتى ١١ منه لكنهم كانوا يتلهبون ظماءً ويتضورون جوعًا لقلة الماء والمأكولات وقد بلغ ثمنها مبلغًا فاحشًا بحيث لا يقوى على ابتياعها الأ القليلون فان رطل الدقيق بلغ ٥٠ قرشًا ضعف ثمنه الاصلي عشرين مرَّة فاضطرَّ الشعب الفقير ان يقتات من النخالة وحبوب الشعير وورق التوت والعنب.

وفي ١١ منه ذهب عثمان بك الى مقرّ السيدة نايفه حيث كان علي بك حماده «كاخية» سعيد بك جنبلاط ومعه ثلاثمائة رجل. وعند الظهر وصل الشيخ كنج العماد المقيد بخدمة الحكومة التركية ومعه «ياور» يحمل كتابًا من المشير الى عثمان بك مضمونه ان الشيخ كنج تعهد بان يقود الامراء والمسيحيين الى دمشق سالمين ويأمر عثمان بك بمرافقتهم مع جنوده. ولمَّا تُلي هذا الامر في السراي جأر جميع المسيحيين بالدعاء للسلطان واستعدّوا للسفر ثم عُقد اجتماع في «السراي» حضره كل من السيدة نايفه وعلي بك حماده والشيخ كنج وعثمان بك وياور المشير فاستدعى عثمان بك جرجس الريس أَحد اعيان المسيحيين وكان كاتب سرّ الامير سعد الدين وهو مبغوض من الدروز فدفعه اليهم وقتلوه حالاً ثم فُتحت أَبواب السراي ودخلها الدروز الذين جاءوا مع علي بك حماده وكنج العماد وانضمَّ اليهم اخوانهم الموجودون في المدينة فذبحوا هذا الشعب المسكين بينا كانت الجنود تمنعه من الفرار والاختباء وتدفعه الى حيث المجزرة. ولمَّا فرغوا من قتل الذين كانوا في الطابق السفلي صعدوا الى الطابق الثاني وقتلوا جميع من فيه. ثم توقلوا الطابق الثالث حيث الامراء

واسرهم فانتزعوهم سلاحهم وقطعوا رأس الامير سعدالدين ورموا بجثته الى الحديقة وقتلوا كثيرين من الامراء. ولمّا انتهت المجزرة أخذت السيدة نايفه الاولاد والنساء والامراء الذين نجوا والجنود الى دارها فنزع الدروز جميع ما وجدوه على جثث القتلى وسلبوا امتعة المسيحيين التي كانت في السراي وأضرموا النار فيها وكانت الجنود قد سبقتهم فسلبت الامراء ونسائهم عدّة امتعة ثمينة.

ان عدد الذين قتلوا من حاصبيًّا يقدر بتسعماية وسبعين لاجيء من القرى المجاورة.

ان بعض المسيحيين كانوا اعتصموا بدار السيدة نايفه قبل المجزرة. أَما الامراء الذين نجوا فقد سلبوا كل ما يمكن اخفاءه قبل تركهم «السراي».

ان الشخص الذي قصّ رواية هذه المجزرة لذكي الفؤاد وهو احد افراد البروتستانت القلائل الذين كتبت لهم النجاة وقد روى هذا الخبر مرارًا لاناس عديدين في اوقات مختلفة بذات التفاصيل دون ان يبدل شيئًا فيها. وبناء على ما اتصل بي من ينابيع أُخرى اعتقد انه يجب اعتبار هذه الرواية حقيقية لا ريب فيها. أما نجاة هذا الراوي فكانت بتجرده من ثيابهِ وتظاهره بالموت ملقىً بين الجثث الى ان انتهت هذه المأساة المحزنة وحينئذٍ فرّ من السراي الى بيت السيدة نايفه ثم جاء دمشق بحالة يرثى لها من العري والسغب واللغب

لقد حدث في دمشق قلق عظيم ولاسيا بين المسيحيين واليهود حتى اتصل بالمسلمين فان القوات العسكرية كانت قليلة جدًا وخُيل ان المشير فقد كل ثقة في جنوده وفي الاهالي وفي ذاته وقد كان يباحث يوميًا المجلس انما لم يقرّ على رأيٍ وكثيرًا ما زاره القناصل واقترحوا عليهِ اتخاذ الوسائل لتقرير الامن فكان يقبل بعضها واعدًا بتنفيذها ويخلف. لقد خشيَ من هجوم الدروز وحدوث فتنة من جرّاء اقدام الشرّد في المدينة على النهب والسلب. على ان دولته كان يخاف من

افراز بعض الجنود وارسالها الى القرى المجاورة لحمايتها وقضى اكثر من خمسة عشر يوماً قبل ان يعمل بما اقترح عليه من استدعاء جنود غير نظامية بقيادة زعماء مشهورين والعهد اليها بالتجول في النواحي للمحافظة على الامن في القرى والطرقات .

جاء عدد قليل من الجنود التي في راشيًا وحاصبيًا وحمص وحماة ومن الفرقة المرابطة في حوران بحيث عادت الآن الثقة الى دولته . وقد قتل بعض الدروز وهم يحاولون سلب قطعان الماشية ونهب القرى المسيحية والمسلمة في انحاء هذه البلدة. ان هذا النشاط قد شجع الجبناء وعليه صار يؤمل ان تكون انقضت أشد حالات الازمة واعتقد انه متى انقضت اعياد الفطر – وهو زمن يزداد فيه المسلمون اعتداءً وتعجرفًا – تعود مياه الثقة الى مجاريها .

وفي خلال هذه المدة أخليت زحلة وحرقت وهاجم الشيعيون بقيادة بعض الامراء الحرافشة بعلبك فكان ان أنفذت قوة عسكرية لتعزيز الحامية فيها بحيث اصبحت بنجوة . ان الحرافشة واتباعهم ورجالهم يبلصون القرى . ومن الشائع ان بعض دروز حوران قد استُدعوا لمعاونة دروز لبنان في الهجوم على كسروان انما هذا الخبر لم يتحقق . ان وصول الجنود الى بيروت بأمرة اسمعيل باشا (الجنرال كميتي) قد طمن الخواطر قليلًا واعتقد بانه متى بلغ بها دمشق تتوطد دعائم الامن ويتقلص الهياج منها .

اني اشارك الفلّاحين في مخاوفهم من تعطيل مواسم الحبوب وخسارتها واتوقع مخمصة وغلاءً . ان نتيجة هذه الفتنة سيشعر بها طويلًا لان النهب والتخريب قد قللا الملك الصالح للاستغلال بحيث أمسى يتعذر على الاهالي دفع الضرائب وهذا التأثير في هذه الجهة من لبنان يكون أقلّ منه في قراه الداخلية .

ستحمل الحكومة التركية على مساعدة النساء والاطفال المستسلمين للاستعطاء لعدم وجود اقارب ذكور لهم يعولونهم . وقد أصبح من الثابت ان تركيًا يجب ان

تكون ذات جيش قوي قادر على كبح جماح الطوائف الهمجية المتألفة منها سكّان المملكة كالدروز والمتاولة والنصيرية والعرب الميّالين الى اغتنام فرصة ضعف الحكومة للاقدام على النهب وهو من طبيعتهم ومطابق لعوائدهم . وسيصير اقناع الحكومة التركية بان كثرة تبديل الولاة الغرباء عن البلاد الجاهلين عوائدها وحاجات اهليها لا يقود الى أصلاح الخلل واكساب الحكومة الثقة بها والاحترام الواجب لها وانه اذا كانت تنتظر ورود أدنى دخل الى خزينتها او توطيد اركان المملكة العثمانية فلتعلم ان البلاد تطلب حكومة رؤوفة ابوية بالعمل لا بالقول . وانه يمكن جعل الدروز رعايا مفيدين ذلك بغلّ ايديهم عن الاعتداء وباخضاع العرب وبعدم السماح لهم بدخول البلدان المأهولة للنهب والسلب ويجب اكراه اسرة حرفوش واتباعها المتاولة على تقديم ضمانة على اخلادهم الى السكينة وان أبوا ينفون . وقصارى القول انه يجب حفظ الراحة باسناد مقاليد الامور الى والٍ عزوم نشيط نزيه معزز بقوة عسكرية كافية حسنة التنظيم تدفع لها رواتبها في اوقاتها . فاذا ما عوّلت الحكومة التركية على تنفيذ هذه الاراء بتدقيق واخلاص تتوطد سلطة السلطان ويكون اسمه محترمًا وتزداد ثروة الولايات ويتوفر دخل الحكومة وتنصرف الاميال المخلصة الى تعزيز العرش .

(عدد ٦ ملحق ١ ص ٩ — ١٠ - ١١)

٦٩ — مور الى السر هنري بولفر في ٢٨ منه

اتشرف فانبئكم بان الكونت بنتيفوليو كتب اليّ صباح أمس يستدعيني الى بيته حيث اجتمع برصفائي قناصل النمسا والروسية وبروسيا العامين الراغبين في مفاوضتي . فذهبت اليه وفي خلال الحديث خطرت على بالي تعليمات سعادتكم الرامية الى بذل جهدنا لوضع حدٍ للنزاع المضطرمة ناره في الجبل بما لدينا من الوسائل

الحسنة فاقترحت مفاوضة زعماء الدروز مباشرةً وهي أَفضل خطة نستطيع انتهاجها . فارتأى الكونت دي بنتيڤوليو ان ينفذ قناصل الدول الخمس بأَجمعهم تحريرًا الى الزعماء المذكورين . فذكرتُ المستر - سيريل كراهام - وهو فتى انكليزي مهذّب مشهور برحلاتهِ في الشرق وثيق عرى الالفة مع كثيرين من الزعماء المار ذكرهم يجيد التكلم باللغة العربية وعارف بعوائد الشرقيين وافكارهم قد عرض عليَّ منذ بضعة ايام خدماته في ما يختص بالشؤُون الحاضرة وأَشرت بان يُعهد اليهِ بحمل كتابنا الاجماعي فقبل رصفائي بذلك وكُتب التحرير باللغتين الفرنسويّة والعربية وفي طيه نسخة منه وعليهِ سافر المستر كراهام في المساء ذاته مصحوبًا بجلواز (قواس) من كل قنصلية ونحن الان بانتظار افادته . وقد أَنفذت تحارير مثله مبنىً ومعنىً الى قائم مقامي الجبل والى بطريرك الموارنة بان يوجبوا على المسيحيين انتهاج خطة المسالمة .

وقد اصحبت المستر كراهام بتحارير توصاة خاصة الى زعيمي الدروز الكبيرين سعيد بك جنبلاط وبشير بك ابي نكد وزوَّدته تعليمات شفاهية ونصائح ليسير بموجبها وحذَّرته كثيرًا من ان يتعهد بما لا نستطيع القيام به .

تلقيت الان رسالة من نائبنا القنصلي في صيدا يقول فيها ان الدروز ظلوا اثناء وجود خورشيد باشا في تلك المدينة يقترفون يوميًّا الفظائع المتنوعة في جوارها وانه لم يتخذ أَدنى وسيلة للقبض على مرتكبي هذه الجنايات بل ان الدروز يتجولون بحرّية في المدينة ذهابًا وايابًا متسلحين .

اتصل بي الان ان خورشيد باشا استخدم الزعيم الشهير قاسم يوسف حماده الذي ذبح مئات من المسيحيين اللاجئين الى قرب صيدا منذ بدء الفتنة وهو الذي اعطى تعهدًا خطيًّا الى الضابط « مانسل » قائد البارجة « فيريفلي » الانكليزيّة .

(صفحة ٢٠ ملحق ١ عدد ١٣)

٧٠–القناصل العامون في بيروت الى زعماء الدروز في لبنان بتاريخ ٢٧ منه

نحن قناصل انكلترة والنمسا وفرنسا وبروسيا وروسيا العامون نرى بمزيد الاستياء ان السلب والنهب والمذابح والتخريب المتصلة لعلى ازدياد أثار امتعاضنا كل الاثارة وعليهِ فنحن نطالب اليكم بجزم ابطال كل هذه الفواجع . ثم اننا بصفة كوننا ممثلي الدول العظمى ننبهكم باسم سفاراتنا التي اعطتنا التعليمات الجلية الحازمة في هذا الشأن بانهُ اذا ما بدا منكم او من رجالكم اعتداءات على المسيحيين وقراهم وأملاكهم فمسئولية ذلك ملقاة على عاتقكم. فمن اللازم اللازب ان تعجلوا في عقد الصلح بأقرب وقت وتستقدموا عصاباتكم الموجودة في جهات الشام وصيدا وزحله ودير القمر وكسروان وغيرها من الاماكن مشددين عليكم بذلك . ففكروا في العواقب الوخيمة والاضرار الجسيمة التي تصيبكم جميعاً إذا اغفلتم العمل بنصيحتنا واعلموا ان حكوماتنا لا يسعها السكوت عن استمرار هذه الحالة .

الموقعون : مور . ويكبكر . كونت بنتيفوليو . وبر . بجر

(عدد ١٣ ملحق ٢ ص ٢٠–٢١ ودي تستاج ٦ عدد ٣٤ ص ٧٩)

٧١– المستر كراهام الى القنصل العام مور . عن المختارة في ٢٩ حزيران سنة ١٨٦٠

وصلت أمس صباحاً إلى هنا فاذ سعيد بك على اهبة ركوب فرسه بعدد كبير من رجالِهِ الدروز لمرافقة البكباشي إلى بتدين فاخذته على حدة وأخبرته بغاية زيارتي ورغبت اليهِ ان يستدعي الزعماء دون تأخير. وكان اسمعيل الاطرش عاد برجالِهِ الى حوران منذ يومين . فأجابني سعيد بك انه لا يستطيع استدعاءهم وانهم لا يلبون طلبه . فقلت لهُ اذا لم يجتمع الزعماء لا استطيع ان افض كتاب القناصل العامين الذي احمله لهم . فأصرَّ على رفضهِ لكنه قال « سأعود من بتدين بعد ٣ ساعات واذ

ذاك نتفاوض في الامر » . وفي هذه الاثناء وصل بشير بك نكد فجرى لي معه حديث طويل على انفراد فعرفت من أوَّل حديثه ومن سلوك سعيد بك وكلامه اخفاق مهمتي . ولمَّا عاد سعيد بك كان الليل قد أرخى سدوله فالححت عليهِ بوجوب استدعاء سائر الزعماء فأَخذ ينتحل اعذارًا وفي آخر الامر رفض بصراحة ان يكتب اليهم زاعمًا ان لا سلطة لهُ عليهم بل هو على خلاف معهم . فقلت : « اذن انا اذهب اليهم » وسأَلته ان يصحبني ببعض الفرسان فأجاب ان ذلك يتعذر عليهِ لوقوع عيدهم الكبير في غد اليوم ولا أَحد يرضى ان يذهب في تلك الليلة . فقلتُ « حسن بل اذهب اليهم بذاتي راكبًا حصاني » . وعند ذلك جيء بفارس ليذهب الى خطار بك العماد وبتُّ انتظر جوابه في كل دقيقة

ففكرتُ باديء بدء ـ انه اذا كان الجواب غير مرضٍ ـ ان افتح الكتاب امام سعيد بك وبشير بك بيدَ انهُ لمَّا كنتم قد أَمرتموني وسائر قناصل الدول العامين ان اجمع الزعماء في المختاره فاعتقدت انه لا يجوز لي مغادرتها قبل ان اتلقى أَجوبةً تصرّح برفضهم موافاتي اليها .

ان قوَّاسكم سعدالدين حامل تحريري هذا اليكم يحمل ايضًا تحاريري الى سائر الزعماء ويصحبه فارس درزي ليأتي إليَّ بأجوبتهم بيدَ انهُ لا يستطيع ان يعود الى هنا قبل السبت فاذا كانت أَجوبتهم لي غير مرضية كما ارّجح فاني اسافر حالاً حاملًا جوابي سعيد بك وبشير بك وامرُّ على الباقين لاخذ اجوبتهم أَيضًا للقناصل وعليهِ أُؤمل ان اصل الى بيروت نهار الاحد . ان سعيد بك وبشير بك يرفضان اعطاءي كتابًا يعدان فيهِ بالصلح وقد قالا بانهما بذلا ما بوسعهما طول السنة لحماية المسيحيين وانهما لم يتدخلا بوجه من الوجوه بالحرب الناشبة بل وجّها كل مساعيهما لتسكين ثائر الدروز . وقصارى الكلام انهما يريدان ايهامنا بان لا سلطة لهما على رجالهما ولهذا السبب أَبيا ان يتكفلا بحفظ السلم في المستقبل . فقلتُ لهما ان قد غُلت

أَيدي المسيحيين وأُنفذ الى اساقفة الموارنة كتب مثل التي حملتها الى زعماء الدروز بحيث أَصبحا بمأمن من كل اعتداء من جهة المسيحيين في كل الاحوال ومع ذلك بقيا مصرَّين على رفض تعهدهما بحفظ السلم بوجه من الوجوه .

ومهما قلتُ في سوء سلوك الحكومة التركية فلا احيط بوصفه . ففي يوم مذبحة دير القمر كان سعيد بك « السيء الطالع عادةً ! » قد ذهب الى صيدا ولمّا سمع بالخبر عاد على جناح السرعة فلقي الامر قد تمّ .

انا على ثقة من انه يُضمر شراً أَعظم من هذا فيجدر بكم ان تطلبوا بوارج لحماية صيدا وبيروت .

قد مررتُ بدير القمر فوجدتُ بعض البيوت تحترق وجثث القتلى دون دفن ورأَيت دروزًا في وسط هذا المشهد المفجع متاشمين لئلّا يشموا نتن الجثث ينهبون البيوت ويحملون كل ما وجدوا فيها . ولم نتمكن من التقدم في المدينة الاَّ بمزيد الصعوبة لان جثث القتلى كانت مكدسة في بعض الاماكن بحيث تعذر على خيولنا اجتياز الطريق . وفي وسط هذه المناظر التي تقشعرّ منها الابدان كان الدروز يضحكون ويمزحون .

وقد كالمت سعيد بك بلهجة حازمة شديدة بقدر ما استطعت من الهدو فصرّحت لهُ بانه خان انكلترة وخسر مساعدة اكبر اصدقائه واصدقاء شعبه فأَجابني كعادته : « نحن عبيد جلالة ملكتكم فلتفعل بنا ما تشاء »

لا اذهب من هنا قبل الغد ومن المرجح اني امرّ في طريقي بيوسف عبدالملك وحسين تلحوق فاذا شئت ان ترسل قوَّاسك الى أَحد هؤُلاء الزعماء يحمل اليَّ كتابًا تعرفني بهِ عمَّا اذا كان يجب ان افعل اكثر ممَّا فعلت فاكون ممتنًا لك واذا رأَيت فائدة من ذهابي الى الزعماء قرب كسروان فاسأَلك ان ترسل لي تحارير اليهم وباسماء الذين ترغب في ان ازورهم

حاشية : — وصل إمام من دمشق أَمس واليوم احتفل جميع الدروز الذين هم مسلمون بالعيد بطريقة حافلة جداً وبمظاهرة عظيمة مشاركين الجنود التركية .

(عدد ١٤ ملحق ٢ ص ٢٧ـ٢٨)

٧٢ـ رواية ميخائيل غبريل عن مذبحة راشيا وجوارها بتاريخ ٢٩ منه (١)

عرفتم بمذبحة ابناء مذهبنا وبنهب اشيائنا وحرق بيوتنا فظروف هذه الحوادث لهائلة جداً بحيث لا اجد عبارة تحيط بوصفها ومع ذلك ارجوكم ان تصغوا الى روايتي المختصرة وها كها :

ان عشرة مكارين من احدى القرى التابعة دير القمر كانوا ينقلون الى دمشق ترابة افرنجية فاعترضتهم جماعة من الدروز بجوار كفرقوق وأطلقوا عليهم النار فقتلوا اثنين منهم وهرب الباقون . فلمَّا اتصل الخبر باقاربهم في دير القمر جاءوا وحملوا جثتي القتيلين وجمعوا الثمانية الهاربين وذهبوا الى اميرالاي الجنود التركية المنظمة المرابط في حاصبياً والى الامير علي شهاب عامل الناحية المذكورة وقصوا عليهما الحادثة فامرا بتشريح الجثتين المار ذكرهما ثم أرسلت قوَّة بقيادة الامير الشهابي الى قرية كفرقوق فقبضت على اثنين من الجناة وجاءت بهما الى راشياً فزُجَّا في السجن ثم بعد يومين طلب دروز راشياً والجوار بلهجة شديدة اطلاق سبيل السجينين فأَجابهما العامل واميرالالاي إلى طلبهما وأَطلقا سراح السجينين وبعد ذلك هدَّد الدروز مسيحيي دير القمر بالانتقام منهم فيقتلونهم ويحرقون بلدتهم ويلجأُون الى راشياً . ومن الغد السبت قبل الظهر قصد دروز راشياً وجوارها دير القمر واضرموا فيها النار

---

(١) ان هذه العريضة رفعت الى المستر مور قنصل انكلترة العام في بيروت فارسلها الى السير بولفر سفير دولته في الاستانة في ٤ تموز سنة ١٨٦٠

وحرقوا جميع بيوتها بعد ان نهبوها .وفي يوم الاحد هاجموا قرية حوش وقتلوا كثيرين من الرجال ونهبوا كل بيوت المسيحيين وفي اليوم عينه ذهبوا الى قرية أخرى تدعى بيت لهيا وانتزعوا المسيحيين سلاحهم وقتلوا كثيرين منهم ويوم الاثنين التالي هاجموا قرية كفرمشقي وأخذوا سلاح المسيحيين ونهبوا بيوتهم ثم اضرموا فيها النار وقتلوا كاهنًا وبعض المسيحيين فيها . وبعد ظهر اليوم عقدوا اجتماعًا وأقرّوا رأيًا على مهاجمة راشيًا فجاء شخص واخبر المسيحيين بالمؤامرة فذهب في الحال كهنة راشيًا وشيوخها الى رؤساء عائلة عريان وهي اهم عائلة بين دروز راشيا ومن اقارب عريان باشا واخبروهم بما يضمر الدروز فاستدعى هؤلاء الزعماء ابناء مذهبهم في المدينة والقرى المجاورة وجمعوهم بمسيحيي المدينة وفي هذا الاجتماع تعهد الدروز للمسيحيين بعدم الاعتداء عليهم ثم رافقهم الزعماء المذكورون الى المدير الامير علي شهاب واميرالاي الجنود التركية واعادوا امام هذين المأمورين تعهدهم السابق الذكر. ثم اذاع اميرالالاي نشرة في المدينة سكن بها بال الجميع وحثهم على المعيشة بامن وسلام فاطمأن المسيحيون بالاً لكن الدروز هاجموا المدينة في ليل ذلك اليوم من جهاتها الاربع واضرموا النار في بيوت المسيحيين واسرفوا في القتل والنهب واستمرت المذبحة حتى ظهر اليوم التالي الاربعا فقتل كل من لم يتمكن من الفرار بيد ان جمهورًا كبيرًا من الرجال التجأوا مع عيالهم الى دار الحكومة طالبين حماية الجنود التركية وظلوا فيها حتى نهار الاحد وفي ذلك اليوم دعا زعماء الدروز اميرالالاي الى منتداهم في قرية تلقاطه في جوار راشيًا وعند عودته اوعز الى المسيحيين اللاجئين ألاَّ يبارحوا السراي . ويوم الاثنين وصل امام راشيًا دروز حوران بقيادة اسمعيل الاطرش وواكد الحمدان وهزيمه هنيده وابوعلي حناوي وبيت النوافلة وبيت القلعاني وخليل اغا فذهب قسم من هذه الجموع الى عيحه وحرقوا كنيستها وقتلوا بعض المسيحيـين الذين كانوا فيها واذ ذاك دخل جمهور الدروز دار الحكومة

وقتلوا المسيحيين اللاجئين بمن فيهم رجال الدين ولم يعفوا الاَّ عن النساء فقط وقد بلغ عدد القتلى الـ ٨٠٠ وُحرقت جميع الكنائس وُسلب ما فيها ودُنست مذابح التقديس .

وقصارى القول ان بيوتنا صارت رماداً وجثث القتلى ركاماً كاكداس الحبوب والارامل والاطفال وبعض الرجال الذين نجوا من هذه المذبحة هم الان مشتتون في البراري معرضون للجوع والرعب والعرى . وعليهِ نتجاسر على ان نستغيث بكم ملتمسين منكم باسم الانسانية ان تمدوا يد المساعدة لمن بقي منهم في قيد الحياة بتأمينهم ورفدهم فانهم لا يملكون شروى نقير من حطام هذه الدنيا فاعطفوا عليهم وانقذوهم من ضيقتهم ومن المخاطر التي تكتنفهم

التوقيع : مسيحيو راشيا والقرى المجاورة (عدد ١٣ ملحق ١٢ ص ٢٦)

٧٣- شهادة السيد محمود دربانه فواص قنصلية روسيا في بيروت بتاريخ ٢٥ منه [٦ ذي الحجة سنة ١٢٧٦]

اني ائتماراً بأمر القنصل ذهبت الى دير القمر لاتي بخليل الباشا ترجمان القنصلية في دمشق وهاك ما شاهدته بأم عيني :

١ً : ذهبتُ من بيروت يوم الاربعاء في ٢٠ حزيران فوصلت الشويفات في اليوم ذاته وعرفت هناك ان خليل الباشا ذهب الى المختاره فقصدتها مصحوباً بفارسين اعطانيهما قائم مقام الدروز وقبيل مغادرتي الشويفات أَلحَّ عليَّ القائم مقام المشار اليهِ بان اعدل عن المرور في دير القمر فاذا ما ذهبت اليها لا يضمن لي حياتي

٢ً : بلغت المختاره في ذات اليوم وكان خليل الباشا قد برحها الى صيدا فوجدت في الساحة التى امام بيت سعيد بك جنبلاط جثتي مسيحيين مذبوحين وأُخبرت بان ٤ مسيحيين فرّوا من دير القمر حين المذبحة فتعقبهم ٤ دروز حاملين ما

غنموه من تلك المدينة فادركوهم وحملوهم الغنايم حتى المختاره فلما وصلوا امام بيت سعيد بك ترك اثنان من المسيحيين احمالهما واختبئا في بيت البك المشار اليه اما الاخران فبعد ان انقيا حمليهما قصد الراحة هجم عليهما رفيقاهما الدرزيان واوثقاهما وقاداهما الى الساحة التي امام دار سعيد بك وقتلاهما

وقد شاهدت ايضاً في هذه القرية زهاء ماية جندي نظامي تركي عند سعيد بك وعلمت ان قد مرّ على وجودهم هناك ٤ الى ٥ ايام ولما عزمت على مغادرة المختاره حدثت سعيد بك برغبتي في زيارة دير القمر فالحّ عليّ كثيرًا بألاّ افعل بحجة ان دير القمر خارجة عن اقطاعته فاذا ما مررت فيها يتعذر عليه ضمان حياتي . ومع ذلك قصدتها .

٣ً : عند وصولي لدير القمر نصحني الفارسان اللذان رافقاني من قبل قائم مقام الدروز بالعدول عن دخولها وان خالفت يتنصلان من كل مسئولية فلم انقد لكلامهما لكنني مزقت كمّ قميصي واعتممت بهِ على طريقة الدروز ودخلت المدينة فرأَيت الدروز مشتغلين مع نسائهم وأَولادهم بنهب بيوت المسيحيين واضرام النار فيها ووجدت جميع الاسواق والطرقات مسدودة بركام الجثث وأَقدّرها بنحو أَلفين ومعظمها فيهِ اثار جراح في اليد اليمنى وفي العنق ناشئة عن خناجر أَو اسلحة قاطعة واكثر هذه الجثث ملقى في ساحة ثكنة الجنود العثمانية الداخلية وفي السراي حيث يقيم المتسلم التركي وقائد الجنود المذكورة وعند مشاهدة هذه الاعمال المستفظعة عدلت عن تسليم المتسلم المذكور كتاب التوصاة الذي زوّدتني اياه حكومة بيروت

٤ً : عند ذهابي الى بيت الدين لقيت ابنة خليل جاويش من مسيحي دير القمر وابنه وخادمته بين يدي درزي فطلبت اليه ان يسلمني اياهم فهددني باطلاق غدارته عليّ ثم عرضت عليه ان ابتاعهم منه بالمال فأَبى أَوّلاً ثم رضي بان يهبني اياهم فسلمهم اليّ فأَوصلتهم الى اقاربهم في كفرحيم

٥ً : شاهدت في بتدين ١٥٠ جثة مسيحي في دار الحكومة (السراي) حيث الجنود التركية معسكرة . وقد تمَّ رجوعي الى بيروت يوم الجمعة مساءً . وللبيان حرّر .

(عدد ١٣ ملحق ٩ ص ٢٣ ـ ٢٤ ودي تستاج ٦ عدد ٣٣ ص ٧٧ ـ ٧٩)

٧٤ـ فقرة من جواب المطران طوبيا عون الى القناصل العامين في اوائل حزيران سنة ١٨٦٠

قد أكدتم لي اثناء حديثي معكم ان خورشيد باشا تعهد لكم بمنع الدروز من معاودة الاعتداء على المسيحيين وذبحهم ونهبهم وتخريب املاكهم وحرقها وطلبتم اليَّ بلهجة غاية في الشدة ان اوجه كل عنايتي لاقناع المسيحيين بالانقيـاد لاوامر دولته ونيّاته المنصرفة الى حقن الدماء ونشر ألوية السلم في البلاد . وبما انه لا يعاكس تحقيق هذه الامنية غير الشيطان او المجنون وعدتكم صريحًا ببذل جهدي لايقاف زحف المسيحيين . وانا موقن باني اتممت واجبي وضميري مرتاح من هذا القبيل اذ لدن تلقي المسيحيون كتبي اوقفوا زحفهم وامتنعوا عن الدفاع عن نفوسهم رغمًا عن اعتداءات الدروز عليهم وغدرهم بهم وهذا يوضح سواغية تأهبات المسيحيين للذود عن انفسهم . فنكون والحالة هذه اعطينا دليلًا قاطعًا على احترامنا اوامر دولة الوالي وقناصل الدول العظمى وانقيادنا لها . في حين ان الدروز قد سلكوا عكس سلوكنا فاستأنفوا الهجوم على دير القمر ودمروا كل ناحية جزين فتشتت شمل العدد القليل الباقي من اهليها في قيد الحياة ولم يحترم الدروز الاديار والكنائس . ولا يزالون يضرمون النار في بيوت المسيحيين المهجورة في نواحي الشوف والعرقوب والغرب والمناصف والجرد والشحّار والمتن . وبينما اكتب اليكم هذه السطور فان النار تأكل قرية العبادية على مرأى من دولة المشير

فمن يستطيع ان يصبر على مثل هذه الفظائع ؟ فاقسم لكم اني لم أمل قط الى الحرب وسأستمر على ارشاد القوم منادياً بالسلم والوئام . بيدَ انهُ اذا كان الدروز يواصلون التدمير والتخريب لا بدَّ للمسيحيين من الثأر لذواتهم فيضطرون ان يقابلوا القوّة بالقوّة . وفي النهاية اجرأ على الامل بان خورشيد باشا يتوفق على اثر الحاحكم عليه الى ايقاف حملات المعتدين قبل ان ينجزوا كل مقاصدهم الشريرة .

(عن كتاب ذكرى سوريّة والحملة الفرنسويّة سنة ١٨٦٠ ص ٥٢ ـ ٥٤ المطبوع سنة ١٩٠٣)

٧٥ — الكونت بنتيفوليو دي اراغونه قنصل فرنسا العام في بيروت الى سفير دولته في الاستانة بتاريخ ٣٠ منه

لقد نعم اهالي اقطاعة كسروان براحة تامة في مدى ١٢ سنة اي من سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٥٧ بيد أنه كان بعض الاهلين يشكون احياناً استبداد اصحاب الاقطاع المسيحيين الذين يمثلون في هذه القائم مقامية المسيحية طبقة الاشراف كاصحاب الاقطاعات في النواحي المختلطة الطوائف لكن هذه الشكاوى لم تتكاثر الأ منذ سنتين تقريباً ولقد توالت في خلالها مساعٍ سرّية اكليريكية فجسمتها وبدت تباشير روح الاستقلال اذ ان الاكليروس كان قد بدأ منذ سنة ١٨٤٢ بالتدخل في الشؤون السياسية ولم يطل الامر حتى ظهر روح حزبية . ولما رأت طبقة الاشراف المسيحية مزاحمة البطريرك والاساقفة لهم ازدادوا تمسكاً بحقوقهم محافظةً على الاولية كما ان رجال الدين لما رأوا ما لهم من النفوذ في الاهالي طمعوا باحراز حكم الجبل ومن ثمه امتنعوا عن مراعاة أمر الامراء والمشايخ فنشأ عن ذلك نزاع خفي ومزاحمة مستمرة من قِبل الفريقين وصولاً الى تحقيق امانيهما .

ان قيام اسرة بللمع على نسيبهم الامير بشير احمد القائم مقام المسيحي والتحقيق

الذي عقبه وآل الى تبرئتهِ وثورة فلاحي كسروان على مشايخهم من الاسرة الخازنية وطردهم من اقطاعتهم هي اهم الحوادث التي تتابعت في هذا القسم من الجبل . فسعادتكم تعرفونها ومن العبث تكرارها بيد أني اقتصر على بيان كون الاكليروس لعب في هذه الحركات دوراً غير مطابق لمهمته السلمية طمعاً بالسلطة واخذ مقام الاشراف واستلام دفة الشؤون لكن طبيعة الاشياء ذاتها ومقاومة فئة الاشراف وسلوك الحكومة التركية الرامي الى اضعاف فريق بواسطة الاخر كل ذلك احبط مساعي الاكليروس بحيث فقد الاشراف والاكليروس معاً سلطتهم على الشعب وعجزوا عن كبح جماحه وتولّي ادارته . وعلى هذا المنوال كانت جراثيم الشقاق والفوضى وروح التمرد تختمر منذ بضع سنوات في قائم مقاميتي جبل لبنان على انها وان اختلفت اسبابها فلقد كانت موجهة الى ايقاظ التباغض بين الطائفتين واصلاء سعير الهياج بينهما دائماً . فالمسيحيون كانوا يتحينون الفرص المؤاتية لرفع نير الدروز عنهم وهؤلاء كانوا يواصلون تأهباتهم لحفظ سلطتهم بالقوّة وردّ هجوم محكوميهم .

(عن كتاب « سوريّة » من سنة ١٨٤٠ ـ ١٨٦٢ لواضعه ريشار ادوارس . ص ١٢٥ ـ ١٢٦)

٧٦– مور القنصل العام الى السر بولفر في ٣٠ منه

اتشرف بان ارسل الى سعادتكم الجدول الآتي المتضمن تقدير الخسائر التي ألمّت بلبنان من جرّاء الحرب الاهلية حتى الآن :

١٥٠ قرى مسيحية محترقة

٥٠٠ مسيحيون قُتلوا في الحرب

٥٥٠٠ مسيحيون ذُبحوا

٧٥٠٠٠ مسيحيون منكوبون

أمّا المنكوبون فيقسمون الى ٣ اقسام . الاول : جميع الذين نُهبت أملاكهم . الثاني : الذين حُرقت بيوتهم علاوةً على نهب املاكهم وهم الاغلبية . الثالث : النساء اللواتي فقدنَ ازواجهنّ والاولاد الذين يُتموا وعددهم يناهز الـ ١٥ الفًا والفئتان الاخيرتان هما الآن بلا مأوى ولا معين هائمتان على وجوههما تستنديان اكف المحسنين

ان خسائر الدروز لا تذكر بالنسبة لخسائر المسيحيين فقد قُتل منهم في الحرب عدد يساوي العدد الذي قُتل من المسيحيين أمّا عـدد بيوتهم المحروقة في المتن فقليلة جدًا

حاشية : ان عدد المسيحيين المعتاشين من الحسنات في هذه المدينة وفي جونية يبلغ ٢٣ الفًا (عدد ١٣ ملحق ١٠ ص ٢٥)

٧٧– *مقتطفات من بيان المستر كراهام عن مهمته الى زعماء الدروز في لبنان في ٣ تموز*

غادرت بيروت بعد ظهر الاربعا ٢٧ حزيران سنة ١٨٦٠ مصحوبًا « بقواس » من قبل كل قنصل من قناصل الدول الخمس . فسريت طول ذلك الليل راكبًا وبلغت دير القمر الساعة السابعة من صباح الخميس بعد ان عرجت في طريقي على كفرحيم مقرّ بشير بك احد زعماء الدروز فوجدته غائبًا فسلمت أحد اعضاء اسرته كتابًا سألته بهِ ان يتبعني الى المختاره .

وكان قد مضى على حريق دير القمر ٨ ايام وجثث المسيحيين المذبوحين باقية فيها دون دفن فمررت بكثير من شوارع المدينة وهي حاضرة لبنان القديمة وقد كانت منذ بضعة ايام في مقدمة مدنه الزاهرة يقطنها كثيرون من اصحاب الثراء حسنة البناء وبيوتها منظمة . اما الان فقلما يوجد بيوت قائمة كما ان النار لا تزال متأججة في بعضها وجثث القتلى مطروحة في الطرقات اكداسًا فوق بعضها بحيث

ان خيولنا لم تتمكن من المرور فاضطررنا الى التراجع .

ثم بلغت المختاره بمدى ساعتين فوجدت سعيد بك زعيم الدروز الاكبر في ساحة قصره محاطاً باتباعه لابساً بزة اميرالاي تركي وكان في المختاره ماية جندي نظامي بامرته مما لم يسبق له مثيل وهو يراسل دون انقطاع قائم مقام الجنود في بتدين وخورشيد باشا الموجود الآن في صيدا

وعند وصولي اوقفت سعيد بك على غاية مهمتي وقلت لهُ اني احمل تحريرًا من قناصل الدول الخمس الى زعماء الدروز اسلمهم اياه عندما يجتمعون وسألته ان ينفذ في الحال رسلًا الى سائر الزعماء يستدعيهم الى الحضور لعقد المجلس فاجاب ان لا سلطة له عليهم ليستدعيهم للاجتماع فالححت عليه ان يكتب لهم فأبى

ومن هذا تحققت عدم نجاح مهمتي لانه لو كان ميَّالاً للمفاوضة لاستدعى سائر البكاوات للاجتماع في الحال ومع ذلك كتبت لهم باسمي موطداً النية على بذل كل ما في طاقتي عمله وبينما كنت انتظر أجوبتهم لبثت أُدلي بكل البراهين التي ظننت انها تقوى على حمل سعيد بك على ان يعد بايقاف رحى القتال حالاً . ومما قلته لهُ انهُ يجب ألاَّ يفتكر بانه نظرًا لكوني انكليزياً قد جئت بمهمة سرّية غايتها عضد الدروز على المسيحيين لانهم من رعايا سائر الدول (كما وهم في أوَّل الامر) بل جئت وحدي من قِبل جميع قناصل الدول لاعلمه باجماع رأيهم واتحاد كلمتهم على تقبيح هذه الحرب الفظيعة وايقاف تيَّارها . ثم ذكَّرته بفضل الانكليز على الدروز وبمقدار ما هم مديونون لهم حتى بحياتهم وأَردفتُ بأَنهم فقدوا بسلوكهم الحديث محبتنا وكل اعتبارنا وان لا اصدقاء لهم غير الانكليز فاذا كانوا يأملون بتجديد الصداقة عليهم ان يعقدوا الصلح في الحال . فكان يجيبني دائماً بهذه العبارة الشرقية « اني وشعبي تحت أَمر جلالة ملكة انكلترة وجلّ رغبتنا الطاعة لانكلترة في كل شيء . وهلمَّ جرًّا» فقلت له : « اظهروا طاعتكم واعملوا وفقاً لنصحنا فعدوا صريحاً بانكم تكبحون

جماح رجالكم الدروز بحيث لا يحدث ادنى اعتداء من الآن وصاعداً على المسيحيين». فاجاب: ليس لي سلطة على شعبي فانا احب السلم وقد اشتغلت ليل نهار مدة هذه الحرب لاوقف شعبي على الحيادة.

ومجمل القول ان سعيد بك وهو اكبر زعيم لجميع الدروز وله سيطرة عظيمة عليهم فيأتمرون بأمره وينتهون بنواهيه فكلمة منه تجمع شملهم بلمحة طرف وكلمة أخرى تفرقهم بالسرعة ذاتها اراد ان يوهمني بانه كأحد الفلاحين لا سلطة له. فلم اتمالك من الضحك وقلت له: اذا كان يظن باننا نثق بدعواه الضعف الى هذا الحد فكأنه يعتقد باننا مجانين فاقدو كل ادراك وزدت انه اذا كان زعماء الدروز ضعفاء الى حدٍ يعجزون معه عن منع اتباعهم من ان ينزلوا الجوائح في البلاد مع رغبتهم الشديدة في تأييد السلم اصبح من اللازم اللازب ان يبدل الباب العالي طريقة الحكم في لبنان ويحرم المشايخ سلطتهم الاسمية. على انه اذا كان لكم سلطة عليهم ولا تريدون غل يد اتباعكم عن الاعتداء تكونون انتم وسائر زعمائهم مسؤولين وعلى كلا الحالين اعلنكم ان جميع حكومات دول اوربا العظمى ستلح على الباب العالي طالبًا لنزع السلطة من ايدي الزعماء الدروز.

ثم دبّر حيلة لاقناعي بان لا سلطة له على شعبه وهاك الرواية التي مثلت امامي: أُدخل درزي الى الديوان عليهِ اطمار بالية ومسيحي فأَخذ المسيحي يشكو من ان الدرزي سرق لهُ فرسه فاوعز اليه سعيد بك ان يرده له فأَبى فالحّ سعيد بك بوجوب اعادة الملك الى مالكه الشرعي ثم التفت اليّ وقال: «انا احب العدالة كثيراً فالمسيحيون والدروز متساوون في عيني». على ان الدرزي ظل مصرًّا على رفضه فرفع سعيد بك اذ ذاك صوته مهددا الدرزي لكن هذا اهانه ولعنه وهجم الى الخارج وهو في اشد حالات الغضب صارخًا بانه لا يوجد قوة على الارض تقوى على اكراهه على اعادة ما هو في حوزته الآن. واذ ذاك التفت اليّ سعيد بك وقال:

« أنظرت بعينك مبلغ سلطتي فهذا الرجل وهو احقر اتباعي وافقرهم في الجبل ليس فقط قد رفض اطاعتي بل اهانني في وجهي كما سمعت باذنك ولم اجسر ان اصفعه صفعة واحدة كما كنت اريد فكيف تنتظر مني ان اراقب ٧ الى ٨ الاف رجل مسلح وامنع اعتداءاتهم ؟ » . فتبسمت وأبنت له اني ادركت سرّ الامر وكشفت حيلته و كررت عليه ما قلته قبلًا فذهبت كل براهيني ادراج الرياح .

وفي يوم السبت ٣٠ منه وصلت الاجوبة من سائر الزعماء وكل منهم ابدى عذرًا على عدم مجيئه فادعى احدهم انه مريض وزعم الآخرون بان الامن في اقطاعتهم متوقف على عدم مغادرتها ساعة واحدة.وقد جاء بشير بك وحده لكنه كان منقادًا لسعيد بك وطوع بنانه بحيث خيل لي انهما في بردة اخماس . ففتحت بحضرتهما تحرير القناصل العامين فوعداني بالجواب عليه هذا المساء بعد ان صرحت لهما بعزمي على ان اذهب الى كل من الزعماء بمفرده واخذ اجوبتهم فأخراني حتى منتصف الليل باعذار متنوعة وفي آخر الليل قالا لي : لا يمكننا ان نعطيك جوابًا لان التحرير موجه الى الزعماء الخمسة فيجب ان يكون الجواب من جميعنا بعد اجتماعنا. فسألتهما لماذا لم يصرحا بذلك منذ البدء فاجابا انهما لم يعلما بانه مكتوب باسم الزعماء الخمسة مع ان سعيدبك اطلع عليه منذ اول يوم وارسل نسخة منه الى خورشيد باشا وقد اعطى اوامره باللغة التركية ظانًا اني لا افهمها فتأففت نفسي من هذا السلوك المعوج وألححت بطلب كتابة الجواب لان قناصل الدول الخمس العامين أولوه شرفًا بمكاتبتهِ فاذا لم يجاوب اعتبر سكوته اهانة كبرى لهم واحتقارًا لهم.فاضطره كلامي في آخر الامر ان يفعل شيئًا وعيّن مندوبًا من قبله لمرافقتي الى سائر الزعماء وفعل فعله بشير بك نكد وكل من الزعماء المذكورين سيقتدي بهما الى ان انتهي منهم فيعقد المجلس المؤلف من الزعماء المار ذكرهم والمندوبين الاربعة ويكون مخوّلاً حق اعطاء الجواب الذي سيرسل الى كل منهم لتوقيعه . وكان ان زرت الزعماء

الكبار الثلاثة الباقين وهم خطار بك (العماد) ويوسف عبدالملك وحسين تلحوق وبسطت لهم ذات الحجج التي بسطتها لسعيد بك فكانت النتيجة واحدة فكل واحد كان يتبرأ من تدخله في الحرب على انهُ اذا كان بعض اتباعهم اشتبكوا في الحرب فذلك ضد ارادتهم وانهُ اصبح لا يُخشى حصول اعتداء جديد من قِبل الدروز انما اذا هاجمهم المسيحيون فلا يستطيعون اذ ذاك اتقاء استعار نار الحرب. ولم يكن أحد من الزعماء الثلاثة السابق ذكرهم في بلدته بل اضطررت ان اسعى وراءهم إلى اماكن أخرى مع انهم في تحاريرهم لي كانوا صرّحوا بعدم استطاعتهم مغادرة بيوتهم.

ان الخطر الاكبر كائن اليوم في جهة كسروان حيث جماهير غفيرة من المسيحيين محتشدة هناك بما فيهم اللاجئون من زحلة واذا حدث قتال جديد يتعذر معرفة ما يُهرق من الدماء. قد عدت الى بيروت بعد ظهر الاثنين ٢ الجاري بعد غيبة ٥ أيام تسنى لي في خلالها مشاهدة عدد عظيم من الدروز ومخاطبة كثيرين من المسيحيين التعساء وسماع قصصهم من فمهم. ان جميع الروايات عن حادثة دير القمر متطابقة بحيث نستطيع ان نتصور بجلاء ما حدث فيها ونتأكد ان الاخبار عن فظائع المذبحة لم يُبالغ فيها وفي استطاعتي ان اشهد بذلك. قد ألححت على سعيد بك ان يدفن الجثث هناك فتبسم وقال انه يمكنه ان يتركها حيث هي انما في آخر الامر وعد بانه يعمل وفقاً لطلبي. ان عدة عيال مسيحية (ومعظمها من النساء) موجودة في المختارة حيث تحسن معاملتها وللدروز في ذلك غاية سياسية لان النساء التي أُرسلت الى صيدا بخفارة رجال سعيد بك قد سُلبت في الطريق كل اشياءهنَّ. أمَّا شقيقة سعيد بك فقد امتازت بسلوكها في هذه الحرب فانها انقذت اكثر من ٣٠٠ مسيحي بين رجل وامرأة في حاصبيَّا وأَوتهم في دارها وهدَّدت كل من يجسر من الدروز على دخول بيتها ومخالفة أمرها بالهلاك.

ان الجميع أكدوا بانه لمّا وصل الاميرالاي الذي ارسلهُ الباشا الى دير القمر بأربعمائة جندي قال لجميع المسيحيين انهم اذا سلموه سلاحهم يضمن لهم حياتهم ففعلوا طبق مرغوبه وذهب معظمهم الى السراي حيث كانت الجنود معسكرة طالبًا لزيادة التأمين فأحاط الدروز في الحال بالمكان وخلا أحد زعمائهم بالاميرالاي المذكور فسمعه المسيحيون يقول هذه الكلمة « هبسي » أي جميعهم. واذ ذاك فُتحت الابواب ودخل الدروز مسلحين بالخناجر والفؤوس والبلطات وبأنواع الاسلحة التي لديهم وانقضوا على المسيحيين وذبحوا كل هذا الشعب الآمن الاعزل حتى انهم لم يعفوا عن بعض الاطفال الذين لم يتجاوز عمرهم الـ ٤ سنوات وقد تمكن رجل من الهرب فأخبر بما جرى. وكانت النساء ترى بأعينهنّ ازواجهنّ واباءهنّ وأولادهنّ يُذبحون وكانت الجنود التركية تنظر الى هذا المشهد الفظيع وتساعد احيانًا الدروز وتمنع كل ذكر من الفرار. وقد جرى مثل ذلك في حاصبيًا واستعمل عثمان بك قائد الجنود فيها ذات الطرق فأدخل المسيحيين الى السراي ثم دفعهم ليد الدروز غدرًا وخيانةً وقد تحققت من شهود عديدين ذوي ثقة منزهين عن كل غرض ان الجنود التركية اشتركت بالمذبحة واساءت معاملة النساء هناك وفي صيدا. ويظهر ان الدروز لم يسوا النساء انما قُتل بعضهنّ وجُرحت اخريات بينا كنّ يرمينَ بانفسهنّ فوق اولادهنّ لحمايتهم فقتات الأم وولدها معًا بيد الدروز الخالين من كل شفقة.

(عدد ٢٨ ملحق ٣ ص ٦٠-٦١)

٧٨ــ جواب زعماء الدروز الى القناصل العامين بتاريخ ١٤ ذي الحجة سنة ١٢٧٦ [٣ تموز سنة ١٨٦٠]

بعد الترجمة : فقهنا كل ما أمرتم بهِ وابلغتموناه بواسطة حضرة المستر كراهام ومآله : (اعادوا كتاب القناصل السابق) فنرجوكم ان تثقوا بان المسيحيين

هم البادئون بالاعتداء على الدروز وبمقاتلتهم حتى في بلدانهم وهذا ثمرة دسائس الوكلاء في بيروت والرئيس الروحي المعلوم مع ان واجبه يقضي عليهِ بمنع الاختلافات في الارض وازالة النفور في أوّل امره . اجل ان هذا الشخص قد سلك خطة مخالفة لوظيفته ومثله الوكلاء الذين سببوا ما قد حدث وهذا مقدَّر منذ بدء العالم والله يعلم اننا بذلنا قصارى جهدنا منعًا لكل اعتداء وتحرش ذلك سلوكنا وتلك مساعينا ايامئذٍ فكيف نكون قد ارتكبنا ما عزوتموه الينا في تحريركم وبواسطة مندوبكم من مقاومتنا عدالة حكومتنا السنية ورغائب حكوماتكم المعظمة . ان مندوبكم قد رأى بأم عينه الراحة والنظام السائدين هنا وشعبنا يتجنب أقلّ مظاهرة من شأنها احداث أدنى اضطراب . كما ان الدروز في المتن مخلدون إلى السكينة لكنهم قلقون من اجتماعات المسيحيين فان جمهورًا منهم متألب في قرية المجدل البعيدة ساعة او نصف ساعة عن القرى الدرزيّة وآخر في المروج على مسافة ساعة فقط منها والقسم الثالث في جورة البلوط قرب برمَّانا على مسافة ساعة ونصف ساعة من رأس المتن حيث احتشد الدروز الذين حُرقت بيوتهم .

أمَّا نحن فلا نهمل والاتكال على الله شيئًا ممَّا في طاقتنا لمنع الدروز من ان يبدأوا بالشرّ اطاعة للارادة السنية .

أمَّا ما ابلغتموناه بخصوص المساعي المبذولة لعقد الصلح بين الفريقين فهو جلُّ رغبتنا وبناءً عليهِ ونظرًا الى حبنا للخير العام والسلم نستسمحكم في ان نعرض لكم ما اتصل بنا وما نعتقده مستدلّين بالماضي على الآتي . ان العداوة بين الدروز والمسيحيين ما برحت واشجة في القلوب وبما ان املاكهم متجاورة ومختلطة فلا ريب ان البعض سيقدمون على اغتصاب املاك جيرانهم ويتشاتمون فاذا لم تبادروا والحكومة بمزيد النشاط الى عقد صلح نهائية ترضي الفريقين لابدَّ من طروء نزاع ولو بين شخصين يتطاير شرره الى الجمهور فيتفاقم الشرّ بحيث تسوء الحالة اكثر من

الاول ولاسيما انه يتعذر مراقبة كل فرد من الدروز والمسيحيين لاتقاء الشرّ. فالمرجو ان تنظروا الى ذلك بعين الاهتمام حتى اذا حدث شيء (لاسمح الله) ولم يتسع لنا ان نردع الشعب (ما خلا بعض الخدم الموجودين في بيوتنا) فلا تقع علينا سهام لومكم فاذا ما كانت قوّات الحكومة تعجز عن كبح جماح الخواطر المتهيجة في وقت بلغ الهياج معظمه فكيف ينتظر ذلك من اشخاص مثلنا ؟ فنستحلفكم بميلكم ومحبتكم اللذين تشيرون اليهما بتحريركم ان تسعوا بغيرتكم المشهورة الى عقد اتفاق بين الفريقين مبني على اساس يضمن وضع حدٍ للاقتتالات وتوطيد السلم. اطال الله بقاكم

الموقعون : سعيد جنبلاط . خطار عماد . بشير نكد . حسين تلحوق

(عدد ٢٨ ملحق ٢ ص ٥٩ـ٦٠ ودي تستا ج ٦ عدد ٣٥ ص ٧٩ـ٨٠ـ٨١)

٧٩ــ بنتر قائد البارجة الكسموث الى الفيس اميرال مارتين . عن بيروت في ٥ منه

اني عطفًا على كتابي المؤرخ في ٢٨ المنقضي اتشرف بأخباركم بان المدن الواقعة على سيف البحر قد أَخذت أمواج الراحة تمتد اليها تدريجًا لكن الثقة لم تعد الى النفوس حتى الان ولم يعاود الناس الاعمال والاتجار ودولاب الدفع واقف وجميع السندات التجاريّة أُقيمت الشكوى بشأنها (بروتستو) وستستمرّ هذه الحالة الى ان تتخذ الدول الاوربية وسائل حازمة لوضع حد للحرب .

اني مرسل لكم في طيهِ صورة عريضة ثانية من مسيحيي راشيًا وقصتهم محزنة تشابه ما قبلها فظاعةً فان جميع الذكور ذُبحوا وحُرقت البيوت ونُهبت الكنائس ودُنست مذابح التقديس وقد هرب كثير من العيال الذين نجوا من المذبحة الى دمشق أَمَّا الباقون فقد نقلتهم مراكبنا من نهر الدامور .

لقد ورد على قنصل بروسيا العام في دمشق رسالة سرّية ذكرتها لكم في رسالتي المؤَرخة في ٢٥ المنقضي وهي بمكان من الخطورة واقلاق البال على مدن دمشق

وحلب وحمص بحيث أهابت بكثيرين من القناصل العامين ان يطلبوا الى المستر سيريل كراهام وهو من الجوّالة المشهورين في الشرق ان يحمل كتابًا اجماعيًا منهم إلى كثيرين من زعماء الدروز ذوي النفوذ حضًا لهم على الخروج من المؤامرة المعقودة بينهم وبين الحكومة التركية .

قد وُزع اليوم تقرير المستر كراهام على القناصل انما لم اتمكن من أخذ صورة عنه لارسلها لكم في هذا البريد بيدَ اني ارسل اليكم بصورة كتاب منه الى المستر مور بخصوص مقابلته سعيد بك جنبلاط ومنه يظهر انهُ أخفق في مهمته لكنه موقن بان الحكومة التركية هي التي دبرت المذابح التي جرت في هذه البلاد وشجعت عليها والاوربيون أجمع في سوريًا يشاطرونه اعتقاده هذا . وارجح بان قنصل فرنسا العام وقائد الاسطول الفرنسوي ألحًا على حكومتهما بالتدخل لانهُ قُتل في زحلة راهبان فرنسويّان وراهب ايطالي تحت حماية فرنسا ودُمرت كنيستهم ومدرستهم

وفي خلال هذه الحوادث وقعت منازعات بين المسلمين والمسيحيين في شوارع حلب وسُجن كثيرون من اعيان المسيحيين بعد ان اشبعتهم الجنود ضربًا وجلدًا .

وقد ورد من المستر برانت قنصل دمشق ان تعصب المسلمين ازداد تسعرًا بحيث لا يسمحون للمسيحيين بركوب الخيل ولبس الثيـاب الملونة وينزلون بهم ضروب الاحتقار والذل مع ان هذه المعاملات قد أُلغيت منذ عدة سنوات بواسطة الدول الاوربية .

لقد حُظر على مسيحيي هذه المدينة ان يحملوا السلاح في الشوارع مع انه مسموح بهِ للمسلمين وللدروز . لقد ألحّ تكرارًا على ارباب الحكومة المحلية الاتراك ان يعاملوا جميع الاهلين بالاسوة فلم يفعلوا شيئًا لانهم لا يريدون أو لا يجسرون .

لقد قتل الفرسان الذين بخدمة الحكومة مسيحيين منذ ٣ ايام على مقربة من

ابواب المدينة وحتى الآن لم تتخذ أدنى وسيلة للقبض على القتلة .

اني مرسل لكم في طيهِ المحررات الآتية :

١ً : رواية المستر كراهام عن مذبحة راشيا .

٢ً : تقدير خسائر المسيحيين في الحرب حتى اليوم .

٣ً : صورة كتاب المستر كراهام الى الموسيو مور عن المختاره .

(عدد ١٤ ملحق ٣ ص ٢٨ – ٢٩)

٨٠– مور الى السير بولفر في ١٤ منه

اتشرف بان ارسل لكم في طيهِ نسختين من جواب زعماء الدروز على كتاب القناصل الاجماعي ومن رواية المستر كراهام عن مهمته الى الزعماء المذكورين واضيف اليهما ايضاً صورة صك الصلح الذي عقد بين المسيحيين والدروز . ولا حاجة الى القول بان شروط هذه الصلح شديدة على المسيحيين بحيث يتعذر عليهم ان يوقّعوا عن طواعية مثل هذه الوثيقة القاضية بخرابهم . وفي الحقيقة ان التواقيع من جهة المسيحيين اقتصرت على القائم مقام وعدد قليل من موظفيه

(عدد ٢٨ ملحق ١ ص ٥٩)

٨١– عهد صلح بين الدروز والموارنة وقع في بيروت بتاريخ ٦ منه [١٧ ذي الحجة سنة ١٢٧٦]

نحن الموقعون ادناه قائم مقام ووكلاء واصحاب الاقطاعات وديوان شورى النصارى واعيان المسيحيين ذهبنا اجابةً لامر دولة مشير صيدا عند سعادة كاخية دولته والقائم مقام وصفي افندي فاجتمعنا بقائم مقام الدروز والوكلاء واصحاب الاقطاعات ورجال ديوانه واعيان الدروز فسعينا جميعاً الى استئصال اسباب الشقاق

الواقع بيننا وضمان الراحة العمومية في المستقبل وفقاً لاوامر دولته وحباً بمصاحة البلاد واعترفنا بأن الحكومة وزعماء البلاد وعقلاءها المحبين خيرها وامنها لم يفتروا عن مواصلة السعي اتقاء وقوع الاضطرابات . بيدَ ان دسائس محبي البلبلة ولاسيما الاشخاص الخالية قلوبهم من الرحمة الذين لا يشفقون على الاطفال والاولاد والبنات وعناد الجهَّال حال دون منعهم نشوب الحرب فاجمعوا على انه لا يوجد في هذا المأزق الحرج وسيلة تضمن حقن الدماء واعادة الامن إلى نصابه إلاَّ عقد الصلح بين الفريقين المتحاربين طبقاً لشروط الوثيقة المبرمة في سنة ١٢٦١ هجرية (١٨٤٥) وقوامها : «تناسي الماضي»

وبناءً على ما تقدم تمَّ الاتفاق بعون الله على كتابة صك الصلح العام هذا على الشرط المذكور آنفاً وهو انه لا يحق لاحد الفريقين ان يطلب تعويضات عمَّا حدث منذ بدء الحرب حتى الان وكل من يحاول بعد توقيعه الصك نقض الشرط يُعاقب . وعلى جميع الزعماء ان يتحدوا لمنع وقوع هذا الامر .

ان اوامر الحكومة ستصدر وفقاً لنظامات جبل لبنان وعلى القائم مقام واصحاب الاقطاعات ان يطبقوا اعمالهم على النظامات المذكورة كل الانطباق فيبادرون إلى تنفيذ كل أوامر الحكومة متعهدين بايقافها على مجرى الشؤون كلما اقتضت الحاجة وعليهم ان يبذلوا جهدهم لتوحيد كلمة الطائفتين وبث روح الولاء والوئام بينهما لتوطيد راحة الاهلين وامنهم وضمان رفاهيتهم ولا سيما لاعادة كل شخص الى بيته ليعيش براحة ويستلم امواله واملاكه دون ان يلاقي ممانعة من أَحد أَو يلتحق بِهِ أَدنى ضرر . وعند اللزوم يجب عليهم ان يساعدوا الاهالي على قدر طاقتهم وفقاً لنظامات الحكومة مستعينين بدولة مشير صيدا .

وستتخذ عاجلاً الوسائل الحازمة لازالة كل سبب خلاف واستبدالها بتوثيق عرى الالفة وتوطيد دعائم الامن وفقاً لارادة جلالة السلطان أيده الله والنيات

دولة المشير .

بيدَ أنهُ لما كان من المقرر ان اسباب الاضطراب الرئيسية منشاها التراخي في تنفيذ الاوامر والنظام اللبناني فالموقعون أدناه يلتمسون من دولته ان يتخذ أقوى الوسائل لنصب ميزان العدل لتجري الامور مجراها الطبيعي وانصاف كل شخص بمنتهى النزاهة.وعلى جميع اصحاب الاقطاعات والموظفين ان يتموا واجبات وظيفتهم بنشاط ومزيد انتباه وفقاً لنظامات الجبل وألاّ يسمحوا بحدوث أدنى ظلم وانّا لنرجو انهم يسارعون الى قضاء هذا الواجب بالنزاهة المفروضة على ضميرهم .

وبناءً على ما تقدم عُقد الصلح بيننا على الشروط المشروحة اعلاه ورُؤي مناسباً ان يكتب اربع نسخ من هذا الصك توقعها كل من الطائفتين فاثنتان منها يتبادلها الفريقان والاثنتان الاخريان تسلمان الى دولة المشير ليحفظها في خزائن أوراق الحكومة ليكونا قاعدة للعمل في الحال والاستقبال .

التواقيع : القائم مقامان المسيحي والدرزي واصحاب الاقطاعات واعضاء الديوان وكلاء واعيان البلاد .

(عدد ٢٨ ملحق ٤ ص ٦٢ – ٦٣ ودي تستا عدد ٣٨ ص ٨٤ – ٨٦)

٨٢—المستر بيتر ميشولام (١) الى فين قنصل انكلترة في القدس عن المختارة في ٥ منه

ذهبتُ هذا الصباح الى بتدين بحثاً عن المسيحيين الباقين هناك لايصالهم الى

---

(١) هو شاب انكليزي خدم سابقاً في دائرة التجهيزات العسكرية في حرب القريم انفذه المستر جمس فين قنصل انكلترة في القدس إلى الموسيو ابيلاً فيس قنصل صيدا ليسعى في انقاذ اهالي جزّين المشتتين وايصالهم إلى مكان أمين وأصحبه بكتب إلى سعيد بك جنبلاط وقاسم يوسف حماده وعلي بك من تبنين والى رئيس دير المخلص (عن تحرير فين الى ابيلا)

صيدا سالمين فوجدتُ امرأة عمرها ١٦ سنة يدها مكسورة منحلة القوى مرضوضة الجسم لانها رمت بنفسها من نافذة ثم رجلًا مبرحًا بالجراح ولاسيما في جنبه فعالجهما طبيب الجنود الموجود في القرية ثم ٦ نساء طاعنات في السن لا يقوين على المشي . فانفذتُ قوّاسًا الى المستر ابيلّا الفيس قنصل اسأله ان يرسل إليّ أسرّة لنقل الجرحى ومن هناك انتقلتُ الى عين المعاصر فوجدتها مدمّرة من اساسها خاوية خالية من السكّان . ثم قصدت كفرقطره وثلثا سكّانها مسيحيون يعيشون على أتمّ وفاق مع الدروز وهؤلاء يحترمونهم كثيرًا وهذه القرية تبعد نصف ساعة عن دير القمر وقد انقذ سكّانها نحو الف نسمة من دير القمر فأوصلوهم إلى صيدا وبيروت وقوام القافلة الاخيرة التي خفروها ٥٠ شخصًا أوصلوهم أمس إلى صيدا .وكانت الجنود في بتدين قد قادت ٣٥ شخصًا الى صيدا في اليوم ذاته ولا يزال في كفرقطره ٣ نساء فسألتهنّ عمّا اذا كنّ يرغبنَ في الذهاب الى صيدا فرفضنَ . وبعد ذلك أتيت دير القمر فوجدتها خرابًا وطرقاتها غاصّة بجثث القتلى المنتنة فلم اتمكن من الوقوف هناك لِما كان ينبعث منها من الروائح الكريهة فتابعت سيري الى بعقلين وفي طريقي التقيت بقوّاس المستر مور القنصل العام يخفر نساء لايصالهنّ الى بيروت . وفي بعقلين علمت ان الاهالي قادوا أمس الى صيدا زهاء ٢٥ شخصًا فتبين لي ان الدروز لمّا علموا بمهمتي أسرعوا الى قضائها بايصال المسيحيين اللاجئين اليهم قبل وصولي الى قراهم .

وفي طريقي الى المختاره التقيت بعلي بك حماده عائدًا من الاجتماع الذي دعاه اليهِ سعيد بك جنبلاط وفيهِ كرّر على مسامع البكاوات الحاضرين ذات الكلام الذي قلته لهُ في اليوم السابق وهو : « انتم الدروز تقولون ان الانكليز لهم اهتمام عظيم بشؤونكم وانهم اصدقاؤكم أتفتكرون بانهُ يحسن بكم ان ترعجوهم لاجل ذلك ؟ أتحبون ان يشتبكوا في حرب مع احدى الدول الاوربية اتمامًا لغايتكم

ويفقدون من ٥٠ الى ٦٠ الف من أحسن رجالهم وتكونون انتم السبب ؟ لربما تسكت الحكومة التركية عن لومكم على هذه الحرب استناداً على الاوراق التي في يدكم الناطقة بان المسيحيين هم البادئون في القتال فلا يعارضونكم و يوقفونكم قبل ان تدمروا احسن قراهم وتجعلوها قاعاً صفصفاً وتقتلوا افضل رجالهم . بيد ان سائر الدول ستعنفكم انتم والحكومة العثمانية . تتوهمون ان الانكليز سيساعدونكم لقد ساء فألكم بل أوكد لكم اولاً : انه اذا لم تكبحوا جماح الذين انطلقوا يقتلون المسيحيين اللاجئين وينهبون نساءهم . ثانياً : اذا لم تمدوا يد المساعدة الى المسيحيين المذكورين . ثالثاً : اذا لم تبرروا نفوسكم من التهم العديدة الموجهة اليكم بانكم انتم الذين بدأتم بهذه الحرب وكنتم سببها فالانكليز يكونون في مقدمة الذين يعاقبونكم او يسمحون لسائر الحكومات بالتمثيل بكم . ان الحكومة الانكليزيّة هي دائماً مستعدة لمساعدة الذين يكون الحق في جانبهم او على الاقل فهي تمنع خصومهم من الاعتداء عليهم . والان استحلفكم بان تبذلوا مجهودكم لاتقاء حدوث مذابح جديدة وتوقفوا النهب تحقيقاً لغاية الانكليز الذين تدعون محبتهم وحباً بصالحكم الخاص الأ اذا كنتم تؤثرون ان ينزل بكم شديد العقاب . »

فيظهر ان هذه الكلمات قد كان لها وقع عظيم في البكاوات واعتقد انهم سيبذلون اقصى جهدهم لنشر الامن في البلاد. (عدد ٢٦ ملحق ٦ ص ٥٤ــ٥٥)

٨٣ــ ومنه اليه في ٦ منه

اخبرني سعيد بك هذا الصباح ان بعض الدروز اعتدوا على قرية « المزرعة » ملكه وقتلوا مسيحيين واثخنوا ثلاثة جراحاً . فقلتُ له انه كان غنم شكري لو نبهني الى امكان حدوث مثل هذه الفظائع وانا ضيفه في المختاره فما كنت مكثت في هذه البلاد بحيث يتسنى لي على الاقل ان اجهر بان الدروز يحترموننا نحن الانكليز الى

حد انهم لم يمسوا مسيحياً اثناء وجودي في بلادهم . فأجابني : « ان الامر يسوءني اكثر منك فأنا مالك القرية والمسيحيون القتلى والجرحى هم شركائي وأؤكد لك انهُ لولا وجود الجنود العثمانية في داري لما كنت استطيع حماية المسيحيين اللاجئين اليَّ ولا الذين يلجأون . ان الدروز عثروا على مراسلات بين المسيحيين ومنها علموا انهم يريدون اهلاكهم . وقد قبضوا في زحلة قبل نشوب الحرب على امرأتين درزيتين وذبحوهما . ولمّا كان الدروز يعلمون ما يضمره المسيحيون لهم فمبلغ غضبهم لاحدَّ لهُ وليس عندي احد يساعدني على ايقاف الدروز فسل المستر مور القنصل العام ان يطلعك على الكتب التي حرَّرتها لهُ طالبًا اليهِ ان يسأل المشير ارسال ألفي جندي نظامي إليَّ لاتمكن من تقييد الدروز واخضاعهم . فاذا لم احصل على عون الحكومة لا استطيع شيئًا لان انتصار الدروز في معاركهم قد زادهم عجرفة فأصبحوا لا يطيعون أحدًا . لقد ارسلت كاتب اسراري مع خمسة فرسان للبحث عن اسباب هذه الجناية الاخيرة وسأوجّه مزيد عنايتي إلى معاقبة مقترفيها.»

كتبتُ الى الفيس قنصل المستر ابيلًا ان يعرّفني عن الاماكن التي اختبأ بها المسيحيون لارسل من يخفرهم إلى صيدا وان يرسل لي امرأة تهديني إلى ملجأهم.

(ملحق ٧ ص ٥٥)

٨٤ — ومنه اليه في ٧ منه

قدم هذا الصباح إلى هنا سلمان بك حماده وأخبرني ان البلاد آخذة بالسكون وانهُ عندما طرق سماع الدروز خبر وجود مندوب من قِبل الحكومة الانكليزيّة في المختاره يريد اعادة السلام إلى البلاد صاروا اكثر مسالمة للمسيحيين ثم قال لي ان مجيئي اراح البلاد فوق مأمولي وان جمهورًا من الدروز أوصلوا عددًا كبيرًا من المسيحيين اللاجئين الى صيدا إلى قراهم واني سأسمع بعد بضعة ايام بان الفريقين عادا

إلى بيوتهما ويشتغلان معاً باستغلال الارض . فأجبتهُ انه ليسرّني ان يقدم الدروز على هذه الصنائع قبل ان يُكرهوا عليها بالقوّة وتتخذ بحقهم الوسائل القاسية فاتأكد إذ ذاك انهم فعلوها اكراماً لانكلترة لا خوفاً من العقاب .

عاد القواس بعد ظهر اليوم حاملاً جواب المستر أبيلاّ وفيه يصرّح بعدم امكانهِ ارسال أَسرَّة لنقل الجرحى الموجودين في بتدين وانه يقال بانه يوجد زهاء ٤٠ رجلاً من جزين مختبئين في جبل فوق القرية يرغبون في ان يُنقلوا إلى صيدا . ولما كان جوابهُ هذا غير كافٍ لمساعدتي على الاهتداء اليهم ولم يُرسل إليَّ أحداً يرشدني إلى مخبأهم وكانوا اذا شاهدوني يتنكرون عليَّ اذ يروني مصحوباً بالدروز في حين انهم يجهلون اني ذاهب لاجلهم عزمت على أَن أعود الى صيدا لاجد شخصاً يدلني على مكانهم بعد اني اتفقت مع سعيد بك جنبلاط بان يرسل لي رجالاً لخفارتهم عندما أنفذ اليهِ كتاباً بهذا الشأن .

أَخبرني القواس هذا المساء بانه لما كنَّا في بتدين رأى الجنود تبيع الحلى التي نهبوها من دير القمر . (ملحق ٨ ص ٥٥ – ٥٦)

٨٥– عريضة الناجين من اهالي حاصبيا الى قناصل الدول الخمس في بيروت في ١ تموز

جاءَ يوم الجمعة ٢٠ ايار (اول حزيران سنة ١٨٦٠) درزي الى حاصبيا مخبراً بان قد نشب القتال بين الدروز والمسيحيين في ميمس (وهي قرية تبعد نصف ساعة عن حاصبيا) فتراكض الدروز في الحال وتسلحوا وانقضوا على حي الحوارنة يقتلون المسيحيين الذين صادفوهم ومع هذه المباغتة ظلَّ هؤلاء يدافعون عن انفسهم مدة نصف ساعة. فأَرسل عثمان بك قائمقام جنود التابور الاول العثمانية المرابط في حاصبيا قوَّة لفصل المتقاتلين فذهب اليوزباشي يوسف اغا الى محل المعركة في حين كان الدروز الآتون من الجوار أَخذوا بدخول المدينة فانتزع منهم علماً يخص قرية عنجره

التي تبعد نصف ساعة عن حاصبيًا واخذ سلاح حامله واقتاده أسيرًا الى الثكنة العسكريَّة . وقد جُرح من الدروز في هذه الواقعة ٤ أو ٥ رجال ومثل هذا العدد من المسيحيين ومن الغد قدم درزيَّان من قرية شبعه وهي تبعد ٣ ساعات عن حاصبيًّا فأخبرا ان دروز مجدل شمس واقليم البلَّان وصلوا الى قرية شبعه المذكورة ورغبوا الى المسلمين ان ينضموا اليهم لمهاجمة مسيحيي حاصبيًّا فأجابوهم انهم لا ينتصرون الى أحد الفريقين الاَّ إذا أذنت لهم الحكومة التركية بذلك. انما الدروز تمكنوا من اقناع ٣٠ مسلمًا ان يلحقوا بهم. ولمَّا اتصل الخبر بعثمان بك قصد شبعه في الحال وفاوض الدروز ثم رافقهم الى شويًا على مسافة نصف ساعة من حاصبيًّا وبقي معهم حتى الساعة الرابعة ليلًا . وعند عودته الى حاصبيًّا ذهب اليه كبار شيوخ المسيحيين لاستطلاعه نيَّات الدروز فأجابهم انهم مستعدون لمهاجمتهم وانهم أبوا ان يصغوا لنصائحهِ السلمية وزاد ان في عزمه مخاطبتهم مجددًا في هذا الشأن . وفي تلك الليلة فور عودة عثمان بك الى حاصبيًّا اضرم الدروز النار في قرية الكفير الكائنة على بُعد ساعتين من هذه المدينة وقتلوا كثيرين من سكَّانها ولجأ الباقون الى حاصبيًّا

وفي يوم الاحد دنا الدروز من حاصبيًّا وأحاطوا بها من كل الجهات فطلب المسيحيون الى عثمان بك ان يحميهم وذكّروه بوعده ان يعاقب الحزب الذي يبدأ بالاعتداء فأجابهم انه يكالم الدروز مجددًا للحصول على الصلح وانفذ اليهم عيسى بك. فهذا ما شهدناه بيدَ انهُ لم يكن سوى اخدوعة . ثم عاد عيسى اغا بعد حين وانبأ بان الدروز رفضوا قبول اقتراحات السلم وانهم يتأهبون لمهاجمة المدينة . وكان ان عثمان بك صرَّح للمسيحيين انه لا يريد ان يحميهم فتسلحوا اذ ذاك واستعدوا للدفاع وبعد برهة اقترب الدروز من المدينة وبدأُوا بمهاجمتها ثم تراجعوا لحمل المسيحيين على اللحاق بهم على ان هؤلاء الاخرين كانوا واقفين موقف الدفاع فلم يشاءوا اقتفاء اثرهم . ولمَّا جاء الليل عاود الدروز الكرَّة من جميع الجهات وكان عددهم

عظيماً بحيث ان المسيحيين اضطروا الى ترك بيوتهم والاستجارة بعثمان بك ليحميهم فأوعز اليهم ان يدخلوا الثكنة واقفل عليهم الابواب واقام الجنود على حراستها ثم اطلق ٣ قذائف محشوَّة بارودًا وبعـد ذلك اعان ان المدفع تعطل واوقف اطلاقه . أمَّا الدروز فاستمرُّوا يضرمون النار في المدينة واقتربوا كثيرًا من ثكنة الجنود بحيث ان المسيحيين لم يأمنوا على نفوسهم فيها فخرج بعضهم وبينا هم ذاهبون اطلقت عليهم الجنود النار فسقط ٤ منهم واذ ذاك رأى الاخرون نيران بنادق الجنود مصوَّبة اليهم فعـادوا الى الثكنة فأَمر عثمان بك الجنود والمسيحيين بايقاف النار فصدعوا بالامر حالاً . أمَّا الدروز فظلوا ينهبون المدينة و يوقدون فيها النار الى ان لم يبقَ فيها بيت سالمًا وحرقوا جميع الكنائس والصوَر ومزَّقوا الكتب المقدسة

وصباح اليوم الرابع الواقع يوم الاثنين ذهب عثمان بك الى دار السيدة نايفه (شقيقة سعيد بك جنبلاط وقرينة سليم بك شمس) وحدثها مدة ساعتين ثم جاءَ معها لاقناع المسيحيين بتسليم سلاحهم الى الحكومة المحلية ووعداهم بصيانة حياتهم اذا فعلوا ولما رأى المسيحيون ذاتهم في موقف اليأس لا يستطيعون الذود عن حياتهم أو الفرار اقتبلوا هذا الاقتراح وتمسكوا بهِ كخشبة النجاة في يد الغريق لكنهم طلبوا الى عثمان بك تعهدًا خطياً يأخذ بهِ على نفسه تبعة كل ما يصيبهم من المصائب بعد تسليم أَسلحتهم فكتب لهم هذا العهد ووقَّعت عليه السيدة نايفه وسلّم الى جرجس الرئيس .

فتوهَّم المسيحيون اذ ذاك انهم اصبحوا بمأْمن وسلموا جميع أَسلحتهم لعثمان بك وبعد الفراغ من ذلك نادى المنـادي في أَسواق المدينة باسم عثمان بك والسيدة نايفه بوجوب استسلام الاهالي الى الطمأنينة والامن . وكان ان وضعت أَسلحة المسيحيين في ثكنة الجنود وسمح لمن شاءَ من الدروز اختيار أَجودها فلم يتركوا سوى ٥٠٠ بارودة أَرسلوها فيما بعد الى عين عطا بخفارة جنديين نظاميين

لايصالها الى راشيا الى أميرالالاي التركي ليرسلها من هناك الى دمشق مع تابور من الجند . ويوم الخميس التالي عاد الجنديان وأخبرا بان الدروز نهبوا هذه الاسلحة على طول الطريق بحيث لم يبقَ منها سوى ٨٠ بندقية معطلة مكسرة غير صالحة لم يقبلها أميرالالاي المشار اليه فوهبها الى حامليها دروز عين عطا . وظلّ المسيحيون على هذه الحالة محبوسين في الشكنة مدة ٩ أيام من الاحد حتى الاثنين يتضورون جوعاً لا يُسمح لهم بالخروج لشراء الخبز وتصاعدت أثمان الحبوب بحيث بيع الرطل بخمسين قرشاً . فمات كثيرون من الرجال والاولاد جوعا وعطشاً. وفي خلال ذلك كانت السيدة نايفه ترسل تأخذ من تريد انقاذه وفي عدادهم الشيخ ميخائيل غبريل واسرته .

أمَّا عثمان بك فلم يفتر عن تطمين بال المسيحيين قائلًا لهم بانهُ يخاطر بحياته ولا يسمح بقتل أحد منهم وانه يحميهم ولو قُتلت جميع الجنود التي بأمرته فسدّ جميع مخارج الشكنة ولم يترك إلاَّ باباً واحداً اوقف الجنود على حراسته منعاً لخروج المسيحيين . وكان الدروز يأتون بكل حرّية يأخذون الخيول والبغال وسائر الدواب خاصة المسيحيين ويستخدمونها لنقل ما سلبوه من دور المسيحيين دون ان تحاول الجنود منعهم. بل استحسنوا هذه الحالة لانهم كانوا يشترون من الدروز تلك الخيول باثمان تافهة مشترطين ارجاع كل دابة يثبت انها تخص مسلماً أو يهودياً واعادة ثمنها . وكان علي بك حماده يضمن تنفيذ هذه الشروط.

ويوم الاثنين الواقع في ٢٩ منه ذهب عثمان بك مع السيدة نايفه بحجة انهُ مضطر الى ان يذهب الى شويا لحضور دفن الشيخ كنج أبي صالح زعيم دروز مجدل شمس وبعد الدفن اجتمع عثمان بك بالسيدة نايفه وببعض الدروز في دار السيدة المار ذكرها وهناك صرَّح عثمان بك على ما اتصل بنا انهُ يؤثر صداقة الشيخ صالح على صداقة جميع المسيحيين وانه يسمح بذبح جميع هؤلاء الخنازير المحبوسين في

الشكنة . وفي ذلك الحين وصل علي بك حماده مع ٣٠٠ درزي من الشوف مرسلاً من قبل سعيد بك جنبلاط وبعد ان ترك رجاله على نهر حاصبيا على مسافة نصف ساعة من المدينة جاء هو دار السيدة نايفه وخلا بعثمان بك . وبعد ذلك عاد هذا الاخير الى الشكنة حيث سهر على ابقاء جميع الابواب التي يمكن المسيحيين الفرار منها موصدة ففقهوا اذ ذاك حراجة موقفهم وكانوا أمسوا في عوز شديد يسدون رمقهم باوراق العنب والتوت والنخالة وغيرها . وفي تلك الاثناء وصل كنج آغا العماد مرسلاً من قبل المشير في دمشق مع ٤٠ فارساً من الضابطة يقود ٧٥ مسيحياً من سكّان البقاع وكاهناً استجاروا بهِ وهو يحمل أمراً من المشير الى عثمان بك مآله ان كنج آغا الموما اليه كتب على نفسه عهداً بان يذهب الى حاصبيا وراشيا لانقاذ جميع مسيحييهما وايصالهم سالمين الى دمشق فتلي هذا الامر على مسمع الامراء ففرحوا وجأروا بالدعاء ليحفظ الله أيام مولاهم جلالة السلطان وممثله في دمشق شكراً على انقاذه حياتهم وفي الحال أخذ المسيحيون يستأجرون مراكيب لمرافقة الجنود وكنج العماد الى دمشق وفقاً لامر المشير . بيدَ ان كنج آغا وعثمان بك قصدا على الفور دار السيدة نايفه لمفاوضتها فعقدوا مجلساً حضره علي بك حماده وفيه استقرَّ الرأي على قتل اثنين من أعيان المسيحيين اوّلهما جرجس الرئيس وكان مختبئاً في الطابق العلوي من دار امير الالاي فاوعز عثمان بك الى الكاتب عبدالله افندي واليوزباشي يوسف اغا ان يأتيا بهِ وبعد ان فتشا عنه قليلاً اهتديا اليه واقتاداه الى عثمان بك فدفعه الى الدروز لقتله والغاية من ذلك استرجاع التعهد الخطي الذي كتبه عثمان بك ضمانةً لحياة المسيحيين وأودع جرجس الرئيس . فلما رأى ذاته بين يدي جلّاديه قال لهم : « لكم قدرة على قتل الجسد ولا سلطة لكم على قتل النفس . » ثم استشفع بالقديس اسطفان اوَّل الشهداء صارخاً : يا إلهي استودعك نفسي ! » فمثّلوا بهِ وقبل الاجهاز عليهِ عذبوه كثيراً وعندما لفظ روحه نصبوا جثته وخاطبوها بهذه الالفاظ : « اكتب الآن الى

الملوك المسيحيين والى القناصل الموجودين في مدن عربستان والى البطاركة والى زحله ودير القمر ليأتوا لانقاذك ! » ثم قطعوا يده اليمنى وحرقوها وفصلوا رأسه عن جثته وقطعوه اربعة اجزاء اقتسموها بينهم .

ثم بُحث عن أبي ملحم مرعي فوجدوه في الشكنة فاستاقوه الى عثمان بك فسلَّمه الى الدروز ولمَّا كان يمشي ببطء وخزته الجنود برؤوس حرابها

وبعد قتل جرجس الرئيس وأبي ملحم المذكور هجم الدروز على الشكنة بين الصخب الشديد ومظاهر الفرح فأمر عثمان بك الجنود بفتح البـاب والسماح لهم بالدخول . وكانت الجنود قد اصطفت في ساحة الشكنة كأنها واقفة للاستعراض فدخل كنيج العماد بالـ ٣٠٠ درزي الذين أرسلهم سعيد بك جنبلاط بقيادة علي بك حماده فذبحوا بدون شفقة جميع المسيحيين العزّل دون أن يعفوا عن أحد . فكانوا يذبحون الاولاد على ركب امهاتهم والرجال على ركب نسائهم واستمرت هذه المجزرة الهائلة مدة ساعتـين كاملتين وكانت الجنود تصد بحرابها جميع الذين يستجيرون بها وعدا ما تقدم فان الجنود النظامية ساعدت الدروز على اكتشاف مخبأ الذين لاذوا بزوايا الشكنة . أمَّا الامراء فكانوا في الطابق العلوي فاهتدى الدروز اليهم ودمقوا على غرفة الامير سعد الدين شهاب عميد الامراء فقتلوه ثم حزُّوا رأسه واحتفظوا بهِ ورموا بالجثة الى الساحة وقتلوا ايضاً ٥ من الامراء فيهم الامير جهجاه عامل بلاد حاصبياً

ولمَّا انتهت المجزرة سأل ضباط الجنود النظامية السيدة نايفه ان تأتي الى الشكنة لتمتع نظرها بهذا المشهد وبعد ان جاءت ونظرت ارجعوها باحتفال عظيم ثم ذهبت الجنود الى دارها وحرق الدروز الشكنة بعد ان اخذوا منها ما تركه المسيحيون حتى انهم جرَّدوا الجثث من ثيابها . وهذه الشكنة كانت تخص اسرة الامراء الذين ذُبحوا وقد بلغ عدد الضحايا في الشكنة زهاء ٩٠٠ عدا الـ ٧٥ مسيحياً والكاهن

الذين جيء بهم من القرعون من أعمال البقاع .

ان زهاء ١٢٠ مسيحاً كانوا لاذوا بدار السيدة نايفه فطاب الدروز اليها تسليمهم وهددوهم بالقتل على أمل ان يفتدوا ذواتهم باموالهم واوجبوا تسليمهم صكوك املاكهم فذفعت اليهم. وعلى اثر هذه الفظائع عرض بعض الدروز على الامراء والمسيحين الباقين في قيد الحياة ايصالهم الى دمشق لقاء بدل مالي فأعطوا ٦ الاف قرش لايصال احد ابناء الامراء فاقتادوه الى خارج القرية وجرحوه بضربة سيف واعادوه الى حاصبياً طالبين زيادة مال فاعطاهم والده تحويلًا بخمسة الاف قرش على الخواجا ميخائيل مشاقه قنصل اميركا في دمشق فأوصل درزيان هذا الشاب الامير الى المدينة المذكورة وقبضا المبلغ . وقد اوصل غيرهم من الدروز ٣ امراء آخرين لقاء مبلغ الفي قرش عن كل واحد . كما ان ٣٠ مسيحياً من الذين كانوا عند السيدة نايفه لم يأمنوا على نفوسهم فاتفقوا مع الدروز على خفرهم حتى دمشق وعند وصولهم الى أبوابها أبقى الدروز البعض منهم رهينة ليأتي الآخرون بالفدية .

ان الدروز طلبوا الى عثمان بك شريكهم في الجناية ان يعطيهم شهادة بان المسيحيين كانوا البادئين بالعداء فسلمهم كتابة بهذا المعنى وفقًا لرغبتهم.

أمَّا السيدة نايفه فاصحبت معها من بقي عندها من المسيحيين والامراء وذهبت بهم الى شقيقها سعيد بك جنبلاط في المختاره فسألها عشرون مسيحاً ان ترسلهم الى محمد بك الاسعد صاحب مرجعيون فعهدت الى بعض الدروز بخفارتهم ولما بلغوا النبي حمام انقض عليهم فرسان دروز من عائلة سيف وذبحوهم ولم ينجُ منهم إلاَّ اثنان.

أَمَّا عثمان بك فغادر حاصبياً بعد ان صارت قاعًا صفصفًا يريد دمشق وقد حمل جميع ما غنمته جنوده من بيوت المسيحيين على دواب اشتراها من الدروز خاصة المسيحيين وهو الآن يبيع فيها علنًا هذه الاسلاب . (عن كتاب سوريَّة في سنة ١٨٦٠-١٨٦١ لجامعه الاب جوبين فصل ٦ ص ٢٢ - ٣٠)

٨٦- المستر بيتر مبشولام الى فين قنصل انكلترة في القدس بتاريخ ٩ منه

أُسرُّ باخباركم باني قبل مغادرتي المختاره نجحت باقناع سعيد بك بان يرسل سليمان بك حماده باربعماية فارس لتوطيد الامن في البلاد فارسل ينذر جميع الدروز بان كل من يعتدي على مسيحي فسليمان بك يقبض عليهِ ويعاقبه بشدة .

اتصل بي اليوم ان قد قُتل ٣ مسيحيين في خلايل الغنم قرب جزين .

لقد ارسلت تحريرًا الى سعيد بك جنبلاط وصورته واصلة في طيهِ وبعد الظهر سمعت ان سعيد بك جاء قيتوله فرأى بعض الدروز يحصدون غلال المسيحيين فطردهم ويظهر انهم فيما هم عائدون الى بيوتهم التقوا بالمسيحيين الثلاثة المذكورين آنفًا فقتلوهم .

بدأ الدروز بان يقودوا كثيرين من المسيحيين الى قراهم ولي الامل بان وعد سعيد بك لي هو على وشك الانجاز .

قد طردت موسى « القواس » لانه رفض ان يحمل تحريري الى سعيد بك جنبلاط بحجة انهُ يخاف ان يذهب وحده وانه بحاجة الى من يخفره الى المختاره فبينت لهُ ان لا محل لخوفه لانه جاء وحده من المختاره في اليوم السابق لكنه اصرَّ على رفضه.

في طيهِ جوابا سعيد بك جنبلاط وقاسم بك يوسف على كتابيكم اللذين سلمتهما لهما . (الكتاب الازرق الانكليزي ملحق ٨ ص ٥٦)

٨٧ – ومنه اليه في ١١ منه

اعرض لك باني سألت المستر ابيلَّا ان يرشدني الى مخبأ المسيحيين الفارّين الواجب ايصالهم الى صيدا فأجابني انه لا يستطيع الاهتداء الى مخبأهم . ومع ذلك سأَبذل كل جهدي لاعادة الامن الى البلاد ووقاية المسيحيين وعليهِ فاني سأواصل

مراسلة سعيد بك جنبلاط فاكتب اليهِ كلما اتصل بي خبر حدوث اعتـداء على المسيحيين مستعملاً البراهين سائلاً متوسلاً وعند الحاجة مهدداً . ولي الامل اني بمثل هذه الوسائل اتمكن من ايقاف الاعتداءات على المسيحيين وعلى الاقلّ تقليلهـا وتخفيف شقائهم .

في طيهِ صورة جواب سعيد بك جنبلاط على تحريري ومنه تعلمون ان كتابي اليه وقد ارسلت نسخة منه اليكم ضمن رسالتي المؤرخة في ٩ الجاري قد جاءَ ببعض النتيجة . سأَلت المسيو ابيلّا ان يعطيني ٣٠ ليرة انكليزيّة فدفع لي منها الف قرش وقال انه سيدفع لي الباقي متى تلقى افادة منكم . (ملحق ٩ ص ٥٦)

٨٨– رواية الاب روسو اليسوعي عن سقوط زحله وحالة صيدا . عن صيدا في ٤ منه

ان مدينة زحلة كانت مأهولة بـ ١٢، الى ١٥ الف مسيحي فصدّوا الدروز على مرتين محمليهم خسائر لكن هؤلاء في المرة الاخيرة لجأُوا الى حيلة ونجحوا بها ذلك انهم لمّا علموا ان مسيحيي زحله ينتظرون نجدة اصطنعوا اعلاماً وصلباناً وضعوها في مقدمة جمهور قوامه الفا رجل متنكرين ولما دانوا زحله أَخذوا يهزجون متغنين باغاني المسيحيين الوطنية فانخدع أهالي زحلهوخرجوا الى لقاء هؤلاء الاخوة الكذبة دون حذر فقابلهم هؤلاء باطلاق البنادق وباغتوهم بالهجوم وأَعملوا فيهم السيف وقتلوا عدداً كبيراً منهم ومع هذه المفاجأَة تمكن معظمهم من التراجع . لكن كان قـد سبق للنساء والاولاد ان التجأُوا الى الجبال منذ بضع ساعات وهكذا كانت المذبحة في زحله اقلّ من غيرها لكنها اصابتنا بسهم مؤلم بافقادنا الاب بيليوته وهو مثلي من اقطاعة فرانش– كونته . وقد قُتل بالقرب منه ٣ اخوة وعدد من الذين كانوا لاذوا بديرنا معتقدين انهم يجدون فيهِ ملجأً أَميناً تحت ظل العلم الفرنسوي . . .

ان الامر الذي أَراع أهالي زحلة واضطرهم الى الفرار هو رؤيتهم الجنود التركية

تطلق المدافع على المدينة التي أمست رماداً .

قد أصاب راشياً والجديده الكائنتين في السهل ما حلّ بزحله من جرّاء خيانة قواد الجنود وغدرهم .

ان جمهوراً غفيراً من المسيحيين لاذوا بعد خراب مدنهم وقراهم بالكهوف والغابات فطاف الدروز الجبال مصحوبين بكلاب لاكتشاف مخبأهم فعثروا على ماية في مكان واحد فقيدوا أيديهم وراء ظهورهم لقتلهم بعد تعذيبهم فكانوا يبترون أذرع البعض وأيدي الآخرين ويقطعون لحاهم ويفقأون أعينهم أو يحرقونهم أحياءً .

ان بيروت غير أمينة ولا مطمئنة مع وجود القناصل العامين واكثر من ٢٠ بارجة حربية راسية في ثغرها وأوشك المسلمون ان ينزعوا الى الفتنة وعند حدوث أقل اضطراب يخشى من ذبح جميع المسيحيين وهم يعلمون ذلك وعليه سافر عدد كبير منهم الى الاسكندرية ومرسيليا . وقد هاجر ايضاً من صيدا من جرّاء ذات المخاوف أهم اسرها فقد كان كل شيء في هذه المدينة معداً للنهب والذبح واوشك عاملها التركي والمفتي ان يأمرا بهما واذا اتصل خبر الخطر بامير البحر الفرنسوي المرابط في بيروت ارسل في الحال احدى سفنه . ولما وصل « الموسيو كرانتز » قائدها قصد العامل المذكور وسأله اذا كان يضمن سلامة المدينة فاجابهُ : « لا اكفلها ساعة واحدة » فخرج حالاً القائد المشار اليه وعاد الى سفينته وانزل في جزيرة صغيرة على مقربة من المدينة ١٠٠ جندي مع مدفع وعاد على جناح السرعة الى بيروت ليقص على أمير البحر ما رأى وسمع .

فلما وقف أمير البحر على الحالة خفّ من بيروت الى صيدا فبلغها بعد بضع ساعات ومعه ٤ بوارج اثنتان فرنسويتان واثنتان انكليزيتان فارتاع الدروز والمسلمون من قدوم هذه القوات ولم يجسروا على مهاجمة المسيحيين .

وقد وصل ايضاً خورشيد باشا لكنه تابع خطة الخيانة والغدر وفور وصوله

سلّم زعيم الدروز وساماً مكافأةً له على قيامه بواجبه بذبحه الفي مسيحي وحرقه اكثر من ٨٠ قرية . ان امير البحر الفرنسوي عاد الى بيروت بعد ان اخذ عهداً من أرباب الحكومة الملكيين والعسكريين بوقاية المدينة وقد أبقى احدى بوارجه الراسية في المرفإ لارهاب المسلمين والدروز .

ومع ذلك فالمخاوف على ازدياد والحالة تنذر بخطر عاجل فاذا لم تعجل فرنسا بمساعدتنا يكون نصيبنا نصيب سائر المدن التي دُمرت . ان جماهير المسيحيين التعسين المحشورين في المدن الساحلية ليس لديهم من القوت سوى ما توزعه فرنسا عليهم كل يوم من الخبز فلولا سخاء فرنسا لمات هذا الشعب المسيحي جوعاً لان باقي الحكومات لم تجد بكسرة خبز لسد رمق هؤلاء التعساء .

ان القلب ليقطر دماً عند مشاهدة بقايا سكان عدة مدن وعدد كبير من اهل القرى محشورين في الخان الفرنسوي في صيدا عراة حفاة ترعاهم الحشرات لا قوت لهم سوى قطعة الخبز التي توزعها عليهم فرنسا على يد قناصلها . فهناك اناس من اسرٍ كريمة ومن كبار التجار كانوا بالامس ينعمون بالثراء فأمسوا اليوم يعتاشون من الحسنات .

يذيع الدروز ان عدد المسيحيين الذين ذبحوهم في لبنان بلغ ٢٢ الفاً في حين ان المسيحيين يعتقدون ان عددهم لا يتجاوز الخمسة عشر الفاً (وقد قدرهم بعض الاحصائيين بـ ٧٧٠٠)

ان الموسيو دوريكالو قنصل فرنسا في صيدا ابدى تجرداً وبذل ذات حريين بالاعجاب فان غيرته على المنكوبين لم تفتر ومعين سخائه لم ينضب . أمّا الموسيو غلياردو من بلدة لونيفيل وهو طبيب الثكنة العسكرية في صيدا عارف بحيل الاتراك وخبثهم قد حال دون كثير من الشرور بفضل وظيفته وقد أفاد كثيراً الجرحى المسيحيين فانهُ يزورهم مرتين في النهار ويضمد جراحهم .

ان الموسيو حبيب ابيلّا قنصل اسبانيا والبرتوغال قد خاطر غير مرّة بحياته

لادخال مئات من المسيحيين الفارّين الى صيدا وحال دون نهبهم وذبحهم على أبوابِ المدينة . ان راهبات ماريوسف فتحنَ ديرهنَّ لمرضى المسيحيين وجرحاهم وقدمن لهم الثياب والمؤونة وهنَّ يعتنينَ بهم بحنان والدي وقائد البارجة الفرنسوية يزورهنَ مرتين في النهار معجباً باعتنائهنَّ بالمرضى .

ذيل : ان الدروز انزلوا العلم الفرنسوي المنصوب على ديرنا في زحله وغمسوه بالزيت واشعلوه ولما احترق وضعوا حذاءً عتيقاً على رأس الصاري مكان العلم وركزوه في وسط الخرائب . (عن كتاب الاب جوبين ص ٣٢_٣٥)

٨٩- عريضة الناجين من مذبحة دير القمر الى قناصل الدول الخمس في اول تموز

ان دير القمر لمحاطة من كل جهاتها بقرى عديدة درزيّة واهلوها يضطرون في كل آن الى الخروج منها شراءً لحاجياتهم المعاشية فموقفهم هذا قضى عليهم بتحاشي كل حركة او سعيٍ يعرضهم للحصار او إلى قطع وصول الزاد اليهم. فصبروا طويلاً على الضيم اتقاء حدوث نزاع بينهم وبين الدروز بغية حفظ السلم . وفي سنة ١٨٤١ امتحنوا سوء نتائج الحرب الاهلية وخبروا مشايخ الدروز واعيانهم فتحققوا انهم اشرار لا يمكن وضع ادنى ثقة فيهم فانهم يخفرون ذمة واجبات حسن الادارة مستسلمين لِما فُطروا عليهِ من الاستبداد والارهاق والنهب . فلهذه الاسباب بذلت بلدة دير القمر ما في طاقتها للتخلص من ربقة حكم القائم مقام الدرزي واستبداله بعامل تركي يعينه الباب العالي مباشرةً . وهذا ما دعا اهالي دير القمر الى التصرف بمزيد الحذر والفطنة .

ومنذ ١٥ آب سنة ١٨٥٩ يوم نشب القتال بين الدروز ومسيحيي بيت مري لم يفتر اهالي دير القمر عن استعمال الوسائل المانعة وقوع الخلاف بينهم وبين الدروز فاستحقوا بسلوكهم هذا الصادق الواضح ارتياح الحكومة المحلية وقناصل الدول

العظمى الخمس

بيدَ ان الدروز الراغبين في ابادة المسيحيين للاستيلاء على اموالهم ما برحوا يبغضون اهالي دير القمر وزحلة وقد وجهوا دسائسهم ومساعيهم الى تدمير هاتين المدينتين بلوغاً لغرضهم فتحققت امانيهم الان .

ذلك انهُ يوم الجمعة الواقع في ١-١٣ حزيران سنة ١٨٦٠ عند الساعة الـ ١١ صباحاً بينا كان اهالي دير القمر في بيوتهم آمنين واذ فاجأهم الدروز بالحصار يقودهم زعماء أسر حماده وأبي نكد وعماد مع جميع اتباعهم فبدأوا حالاً بالهجوم . أمَّا الجنود التركية فبدلاً من ان تعارض الدروز امتنعت في ثكناتها وكان دولة خورشيد باشا مشير ايالة صيدا قد ارسل في اليوم السابق امراً باللغة التركية الى متسلم المدينة يمتدح فيهِ من سكَّان دير القمر وحسن سلوكهم اخلاداً للسكينة ويضمن سلامتهم وراحتهم واعداً بحمايتهم من اعتداء الدروز بقوَّة السلاح اذا ما اقتضى الامر وهذا الوعد هو السبب في خراب دير القمر وذبح اهاليها .

وفي ذلك اليوم استمرَّ القتال حتى الساعة الثانية بعد غروب الشمس وفي خلالهِ ذهب بعض التجار المسيحيين مع وفد من الاعيان الى المتسلم التركي في الثكنة فوجدوا جميع الابواب مقفلة فبدأوا يصرخون متوسلين إلى الجنود بأن تفتح لهم الابواب وتجيرهم فتصامُّوا عن السماع مع انهم كانوا يسمحون بالدخول لمن ينقد الضبَّاط مالاً ويأبونه على من لا مال لهُ يرشيهم وكان صراخ النساء وعويل الاولاد يدوي في كل جهة فلم ينجدوهم

وفي ذلك اليوم لم يدرك الدروز ضالتهم بل خسر المسيحيون سبعة عشر رجلاً .

وفي اليوم التالي السبت الواقع في ٢-١٤ منه عاود الدروز الكرَّة واقتربوا كثيراً من المدينة لالجاء اهاليها إلى القتال فذهب أعيان المسيحيين ثانيةً إلى المتسلم والى قائد الجنود التركية وسألوهما شفاهاً وكتابةً حمايتهم من عصابات الدروز وفقاً لاوامر

المشير ووعوده على انهما اذا رفضا وقايتهم فعليهما على الاقلّ ان يعطيـاهم باروداً للدفاع عن انفسهم . فأجاباهم بانه لما لم يكن لديهما أوامر فيتعذر عليهما حمـاية المسيحيين أو اعطاءهم باروداً لكنهما نصحاهم بالاستسلام إلى سعيد بك جنبلاط وبشير بك نكد وتسليمهما اسلحتهم . فلما رأى الاهالي اباء الحكومة عن مساعدتهم على وقاية حياتهم التجأوا الى سعيد بك جنبلاط وكان موجوداً اذ ذاك في بتدين عند عبدالسلام بك قائم مقام الجنود التركية فارسلوا اليهِ عريضة جهروا بهـا بالاستسلام اليهِ والانقياد لاوامره على شرط ان ينقذهم من الاخطار التي تهددهم وسلّموا هذه العريضة مفتوحة الى متسلم دير القمر فوضعها ضمن كتاب منهوأرسلها الى قائم مقام الجنود مع جنديين . فورد الجواب من سعيد بك راغباً اليهم بمفاوضة بعض أعيانهم فاجتمعوا بهِ وصار الاتفاق على ابتعاد الدروز عن ديرالقمر فغادروها ولكن يوماً واحداً .

ويوم الاحد ٣ـ١٥ حزيران استأنف الدروز الاحاطة بالمدينة وقطعوا مواصلاتها مع الخارج ونهبوا البيوت الواقعة على اطرافها وحرقوها وذبحوا خليل دَبر وعبد الله حلبي وسلبوا بعض النساء وجرحوهنَّ . فشكا الاهالي الامر للحكومة فاذاعت نشرة حظرت بها الخروج من المدينة ومداناة البيوت المنفردة متنصلة من كل مسؤولية اذا ما خولف أمرها. وعند ظهر ذلك اليوم دخل سليم وشاهين بك أبي نكد ديرالقمر بجمهور كبير من الدروز وقصدا ثكنة الجنود فاحسن المتسلم وقائد الجند استقبالهما ثم وصل رجالهما واخذوا يسيئون معاملة المسيحيين رجالاً ونساءً مانعيهم من اللياذ بالثكنة . وبعد بضع ساعات انتشر الدروز في شوارع المدينة زرافات بحجة طرد الذين دخلوها .

وعند غروب الشمس قدم الفريق طاهر باشا من بيروت ومعه مائة جندي تركي يصحبه سعيد بك جنبـلاط وعلي بك حماده برجالهما الدروز شاكي السلاح

وقبل دخوله دير القمر كان قد سبق له مفاوضة الزعيمين المشار اليهما بحضور بشير بك أبي نكد فاستغرق حديثهم ساعة من الزمن .

وفور وصول طاهر باشا قصده جميع أَعيان المدينة فقال لهم انهُ علم بمزيد الاستياء بما حصل لهم ممَّا دعاه الى التعجل بالمجيء لمساعدتهم وانه يتوجب عليه حمايتهم بصفة كونهم من رعايا الباب العالي ولاسيما لانهم لم يشتركوا بالاضطرابات الحاصلة في الجبل وبعد ان ضمن لهم سلامة اشخاصهم واموالهم صرفهم . ثم قصد بيت الدين تاركًا في دير القمر المائة جندي الذين جاء بهم .

ومن الغد تلقى أَعيان دير القمر أَمرًا بموافاته الى بتدّين ولما قابلهم ضمن لهم مجددًا سلامتهم لكنه الحّ عليهم باعطائه عهدًا خطيًّا يتكفلون بهِ بالاخلاد الى السكينة وبتجنب الاشتراك في القلاقل الجارية في الجبل وبامتثال إِرادتهِ وبعدم حملهم السلاح في المدينة . فوقّع جميع أَعيان المدينة هذا العهد وسلموه اليهِ ثم سألوه ان يتعهد لهم كتابة بصيانة حياتهم واموالهم فأَبى بحجة ان كلامه ضمانة كافية وان الحكومة المحلية والجنود المسؤولين يسهرون بدون ريب على حياتهم واموالهم وأَردف قائلًا : « كونوا ناعمي البال اشتغلوا بشؤونكم لا تخشوا بأْسًا على انه اذا خرج أَحد المسيحيين من المدينة وقُتل فالحكومة تتنصل من كل تبعة . »

فاطمأَن الاهلون بالاً وعادوا آمنين إلى بيوتهم . وفي ذلك اليوم نهض أَخص أَصدقاء سعيد بك جنبلاط بعيالهم ونفائس أَموالهم قاصدين داره في المختاره بخفارة رجاله وعند مرورهم امام بتدّين أَوعز طاهر باشا الى اميرالالاي بمنعهم عن متابعة طريقهم وأَمرهم بالعودة الى بيوتهم محظرًا عليهم مغادرة المدينة وكرر عليهم وعوده فالحّ المذكورون استسماحًا بمواصلة سيرهم فاصرَّ على الرفض واكرههم على الرجوع الى بلدتهم . فلو ظلوا متابعين سيرهم لكانوا بلغوا المختاره آمنين ككثيرين غيرهم لجأُوا منها الى بيروت وهم الآن فيها .

وفي يوم الثلاثا ٥ — ١٧ حزيران برح طاهر باشا بتدين الى دير القمر فاستدعى الاعيان وكرر على مسامعهم عهوده السابقة ملقياً على عاتقه مسئولية الاضرار التي يلحقها الدروز بهم فعرض لهُ المسيحيون انهم عرفوا باعتزامه على مغادرتهم الى بيروت وتركهم محاطين باعدائهم وقد اشتدت عليهم حاقات الفاقة فخلوا من المؤنة لاعالة عيالهم لان الدروز ينهبون كل ما يُرسل اليهم ولا سبيل لاستحصال قوتهم الضروري لانه محظور عليهم الخروج من المدينة فاذا ما سافر دولته يفقدون طمأنينتهم فوعدهم بألأ يغادرهم إلأ متى وصل عدد كاف من الجند لتأمينهم لانهم رعايا الباب العالي . وبعد بضعة أيام وصل من صيدا زهاء ٥٠٠ جندي منظم ومعهم مدفعان سهليان وكان في المدينة وبتدين نحو ٤٠٠ جندي فجاء الباشا اذ ذاك دير القمر واستدعى اعيانها وكرر لهم وعوده وقسمه مورداً اياهم موارد الطمأنينة لما ان الجنود السلطانية ستحميهم من اعتداء الدروز وانه أَمر الضباط ان يذودوا عنهم لدى الاقتضاء بالقوة وانه اتسع للاهالي المجال ان يتعاطوا اشغالهم دون خوف. ثم استقدم منادياً وأَمره بان يطوف اسواق البلدة وشوارعها معيداً وعوده على مسامع الاهلين باعلى صوته محرّضهم على التزام جانب السكينة وفي الوقت ذاته أَمر المتسلم وضباط الجند بألأ يسمحوا لدرزي مسلح بدخول المدينة ورتب عسساً للتجول في المدينة ليل نهار وأَوعز الى الضبَّاط المذكورين ان يجلبوا الدقيق وحاجيات الاهلين المعاشية .

ثم غادر البلدة وفور سفره احاط الدروز بها وضيقوا عليها حلقات الحصار وغنموا جميع المؤَن المرسلة اليها . وكان ثلاثة من المسيحيين المعيلين قد تعدوا حدود المدينة قطفاً لبعض ورق الكرمة لاعالة أَولادهم فقتلوهم في الحال فرفعت الشكوى للمتسلم فاقتصر على تجديد الاوامر محظراً الخروج من المدينة وملقياً التبعة على من يخالف .

واستمرَّت هذه الحال حتى يوم الاربعاء ١٩ حزيران وفيهِ أَخذ الدروز

يلجون المدينة من كل جهاتها متفرقين إلى جماعات معلنين انهم موفدون من قِبل أَصحاب اقطاعاتهم لحماية الاهالي ومنع كل اعتداء عليهم. فلما شاهدهم الاهلون يدخلون المدينة دون ممانعة الجنود بسطوا الامر للحكومة المحلية وفي الحال خرج المتسلم مع الضباط وطافوا المدينة مجددين الوعود قاسمين بان لا خوف على الاهلين . وفي الوقت ذاته أَلحوا عليهم بشدة بأَلاَّ يتسلحوا . واذ ذاك سُمع صوت النفير فعادت جميع الجنود الى ثكناتها وبدأَ الدروز ينهبون بيوت المسيحيين وعند الساعة الخامسة ليلًا قتلوا مسيحياً يدعى حبيب الباحوط امام الثكنة على مرأى الحرس وبعد برهة قتلوا راهبين في المكان ذاته وقضوا الليل مستسلمين للنهب يطوفون المدينة مع نسائهم وبايديهم المشاعل .

ومن الغد الخميس ٢٠ منه وصل جمهور درزي غفير من انحاء الجبل فلم تحرّك الجنود ساكنًا . ولمَّا رأَى المسيحيون الخطر الداهم توهموا انهم يحسنون بالتجائهم الى الثكنة حيث كانت الجنود والمتسلم وحملوا اليها كل ما تمكنوا من اخفائهِ وانقاذه من النهب في الليلة الماضية فادخلتهم الجنود ثكنتها ولجأَ قسم آخر إلى ثكنة بتدين لائذين بقائم مقام الجند . وعند ما فرغ الدروز من نهب المدينة شرعوا يذبحون الرجال والاولاد وقتلوا أَيضًا بعض النساء فكانوا يمزقون الاولاد على صدور امهاتهم ويذبحون الرجال على ركب نسائهم ويفتضحونهنَّ علانيةً ويحرقون جثث القتلى في الطرقات فكانت ساعة نحيب وعويل علا فيها صراخ النساء والاطفال إلى الجوّ وجرى الدم كالانهر. ولمَّا انتهوا من ذبح الموجودين في المدينة جاءوا إلى الثكنة وكان فيها على الاقلّ زهاء ٥٠٠ رجل خلا النساء والاولاد فسمح لهم بدخولها وتقدمهم بعض الجنود بحضرة المتسلم وقائم مقام الجند وفتحوا لهم الابواب حيث كان المسيحيون فانقضَّ الدروز عليهم وبايديهم الاسلحة والفؤوس والخناجر وطفقوا يذبحون ممثلين في بعضهم فانهم كانوا يقطعون اصابع البعض قائلين ان هذه الاصابع

هي التي كتبت تطلب نجدة وصبوا على رؤوس البعض الآخر ماء غاليًا صارخين : « انتم في حاجة للحلاقة » واعملوا فؤوسهم في رقابهم فاطاروا الرؤوس .

ان امرأة فارس الحداد كانت حاملة ولدها على ذراعها فجثت تتضرع اليهم قائلة : اشفقوا على هذا الولد ! لكن هؤلاء القساة القلوب ذبحوه امام عينيها . وكانت امرأة أخرى مطوقة ولداً عمره ست سنوات فانتزعوه من بين يديها وهو ينادي : « يا أمّاه خلصيني » فقطعوه شطرين وأعادوه اليها فنضت نحبها في الحال وذبحوا عبدالله أبي نجم على ركبة امرأته مع اولاده الثلاثة . ورأتهم امرأة رابعة يذبحون ولدها فسقطت مغشياً عليها فالقوا فوقها حطبًا وحرقوها . فلو شئنا تعداد الفظائع والمنكرات لزمنا كتاب ضخم . ان صراخ الاستغاثة واليأس وكل هذه المشاهد المفجعة لم تحرّك عواطف الشفقة والحنان في قلب المتسلم وضباطه

وكانت الجنود تدفع برؤوس حرابها المسيحيين الذين يلتجأون اليها الى جهة الجلّادين وتسمح لهم بالتفتيش عنهم في زوايا الشكنة واشتركت معهم بالنهب فعرّت المسيحيين من ثيابهم وسلبتهم متاعهم وسلمتهم للدروز ليذبحوهم وهذا هو العون الذي أمدّت بهِ الجنود العثمانية رعايا السلطان ! .

ان النساء اللواتي تمكنَّ من الفرار صرّحنَ بان المتسلم ذاته كان يدلّ الدروز على مخبأ المسيحيين داخل الشكنة وان بعضهم ترامى على قدميهِ مستغيثين مستجيرين فكان يعدهم بانقاذهم ويأخذ ما عليهم من المال والحلى ثم يسلمهم للدروز فيذبحونهم وقد استمرّت المذبحة إلى ان أتوا على آخرهم وكان رجلان قد توفقا إلى الصعود على السطوح فرآهما الجند والقوا بهما من شاهق فماتا . وامتلأت الشكنة بالجثث وظلت الجنود تبحث في وسط بحيرة الدماء عن الباقين في قيد الحياة لتسليمهم إلى الدروز وكانوا ينتزعون الاطفال الذكور من ايدي امهاتهم ويقتلونهم.

ولمّا تمّ خراب دير القمر ذهب الدروز ولم يرتووا من شرب الدماء إلى بتدين

وذبحوا جميع المسيحيين اللائذين بالشكنة وفي عدادهم ١٠٩ اشخاص من قريتي بتدين والمعاصر ثم حرقوا هذه القرى على مرأى من القائم مقام وجنوده وقد ترامى مسيحيَّان على اقدام بعض الضبَّاط الاتراك مستجيرين فسلموهما للدروز ودفعوا اليهم أيضًا رجلًا مقيدًا بخدمتهم منذ سنتين فقتلوهم

وبعد ذلك عاد الدروز إلى دير القمر لذبح رهبان الدير (امطوش سيدة التلة) مع رئيسهم فولجوا الدير حاملين الفؤوس وقطعوهم أربًا وكان راهب ساجدًا يصلي فمسكوا بهِ وقطعوا اصابعه ثم اذنيه وقدموها لهُ قائلين : « خذ هذا هو جسد الله . » وطفقوا يوخزونه بالحراب في فمه وقلبوا مذابح التقديس وحرقوا بيت الجسد ومزَّقوا الصوَر وداسوا باقدامهم الاواني المقدسة وحرقوا الصوَر المحطمة وكسروا الاجراس وبعد ان نهبوا الدير أضرموا النار في كل المدينة فلم ينجُ منها أحد الاَّ من وجد إلى الفرار سبيلًا فهامت النساء والبنات على وجوههنَّ في الجبال حافيات عاريات طلبًا لمأوى وكانت النساء تفتشنَ عن أولادهنَّ والاولاد عن امهاتهم .

وقد اساء الدروز معاملة النساء وارتكبوا الفظائع والموبقات وأسرفوا في القتل والنهب ممَّا لم يسبق لهُ مثيل في التاريخ فان خراب اورشليم لم يكن أشدَّ منه هولاً

ان عدد المذبوحين في دير القمر قد بلغ زهاء ٢١٠٠ نسمة خلا النساء والبنات ولم ينجُ سوى سدس الاهالي تقريبًا واستمرَّت المجزرة طول نهار الخميس ٢٠ منه

وفي ذلك اليوم وصل مشير الايالة من صيدا الى بتدين ومن الغد الجمعة جاء دير القمر .

وكان قد اختبأ ٣٥٠ شخصًا في دار خليل الجاويش كاتب القائم مقام الدرزي فحاول الدروز دخولها ولما رأوا الخطر الداهم عرضوا على بشير بك أبي نكد الزعيم الدرزي كل أموالهم فديةً عن حياتهم فقبل لكنه خفر وعده بعد بضع ساعات . وتراكض أمير درزي من اسرة رسلان ومعه أمير من بيت الدين فانقذوا خليل

الجاويش واخوته لكن الدروز قتلوا كل الذين لجأُوا إلى هذا البيت ولم يعفوا عن الاولاد وُجردت النساء من ثيابهنَّ وقُتلت بعضهنَّ وبعد نهب البيوت اضرموا فيهِ النار.

ولما فرغوا من هذه المجزرة الجديدة نادى المنادي في الاسواق بامر الباشا بانه لم يبقَ خوف على الباقين في دير القمر !!! وانذر الدروز بالخروج من المدينة وهدد المخالفين بالطرد بقوة السلاح !!! فامتثل هؤُلاء الامر لانهم كانوا قد اتموا مهمتهم في دير القمر ونالوا منها بغيتهم.

أمَّا زعماء الدروز الذين كانوا في دير القمر وقت المذابح فهم سعيد بك جنبلاط ومشايخ بني عماد وأبي نكد وحماده مع كبار زعماء الدروز قاطني البلدة.

وعند الساعة الثالثة بعد الظهر اطلق المشير المدافع دلالة على الاطمئنان. هل دار في خلده ان دوي المدفع يوقظ الجثث المكدسة في الطرقات وفي ثكنتي دير القمر وبتدين ؟.

ومن الغد ٢٢ منه حرق الدروز بيت الامير قاسم شهاب الكائن أمام ثكنة بيت الدين حيث نزل المشير.

ان مدينة دير القمر الزاهرة فيما مضى أمست اليوم ركامًا من الخرائب وتلالاً من الرماد فالجثث باقية فيها دون دفن وطيور السماء تأ كل لحمانها(١) والمسافر ينظر اليها مطرقًا كانه يسمع كلام النبي إرميا: « قفوا ايها المارّون وانظروا اذا كان يوجد حزن يضارع حزني ! ».

هذا هو تصرف طاهر باشا وهذه هي نتيجة ثقة المسيحيين في وعوده ووعود

---

(١) ان هذه الجثث ظلت بدون دفن من ٢٠ حزيران حتى ٢٦ ايلول الى ان وصلت الجنود الفرنسوية الى دير القمر فاهتمت بدفنها

متسلم بلدتهم ! فانظروا انتم الذين توقفون مساعيكم على انجاح الممالك وتمدين الشعوب في أَيّة هاوية من التعاسة رُمينا ! ان الجبال الرواسي لترزح تحت عبء مثل هذه البلايا ! ارمقوا باعينكم جماعات النساء والفتيات البريئات عاريات تائهات على شواطيء البحر محسورات الرؤوس مسترسلات الشعر يمتنَ جوعًا متوسلات الى اعدائهنّ ! ان ارسال قناصل الدول العامين بوارجهم لنقل التعساء المشتتين على شاطيء البحر كتب لهم في قلوبنا شكرًا لا يمحوه كرور الايام .

لقد رأَى أَهالي بيروت باعينهم حالة اولئك النسوة المحزنة حين نزولهنّ الى البر فهنّ الان بلا نصير ولا عميد لانهنّ فقدنَ اباءَهنّ وازواجهنّ واولادهنّ واشقاءهنّ . فهنّ باكيات ناحبات يجتزنَ شوارع المدينة حافيات يستندينَ اكف المحسنين لسد رمقهنّ وقد كنّ في الامس غنيَّات وهنّ الان محشورات على الحضيض بدون مأوى ومطعم ! من ذا الذي يستطيع ان يفتكر بهنّ ولا ينوح على مصابهنّ ولا يزرف الدموع السخينة على مصير الايتام الذين سقطوا في هوّة الشقاء بعد ان كانوا ينعمون بالرفاه وكفاف العيش ! فما هو ذنب هؤلاء التعساء ؟ ما هو السبب الذي ضُحوا لاجله بطريقة لا يسبق لها مثيل منذ بدء العالم ؟

ان الباقين من سكّان دير القمر التعساء والناجين من مذبحة حاصبيًا ينطرحون على اقدامكم معلنين انهم لم يقترفوا اثمًا ولا ذنبًا سوى انهم مسيحيون وهذا هو الذي جلب عليهم هذه النكبات . ويسأَلونكم ان تعطفوا عليهم وتساعدوهم على ترك هذه البلاد حيث لا امن لهم ولا وسيلة فيها لكسب قوتهم اليومي ويرجونكم بالحاح ان تنيلوهم هذه النعمة رأفةً بنفوسهم الحزينة وتنقلوهم من هذه البلاد الى مكان آخر من الارض تعينونه لهم يقضون فيهِ باقي ايامهم التعسة . فتغنمون شكرهم وتتصاعد الادعية الى السماء من قلوب الارامل والايتام وهي مستجابة لديه تعالى

(عن الأب جوبين ص ٣٧-٤٨)

٩٠ — عريضة ارامل المعاصر وبيت الدين الى فؤاد باشا

ان الجنود التركية اكرهت الرجال والنساء والاولاد في بتدين على دخول السراي في ٢٨ ايار المنقضي بحجة حمايتهم فيها بسهولة من الدروز فصدقنا وعودهم ولجأنا الى السراي . ومن الغد وصل الدروز بقيادة الشيخ ملحم وأحمد بك حماده من بعقلين فاتلفوا مزروعات المعاصر وحرقوا بيوتها فحاول أصحابها اللاجئون الى السراي الخروج لرؤية ما هو جار فاطلقت عليهم الجنود التركية الرصاص فقتلتهم

وفي ٢٩ منه أوعز الينا الضبَّاط بالخروج من السراي وحشرونا في الاصطبلات التي بناها الامير بشير ولم يكن لدينا ما نقتات به . وقد أجاز احد الضبَّاط لبعض نسائنا الذهاب الى البيوت التي لم تُحرق للاعتناء بتربية دودة القز وعند عودتهنَّ جلبنَ لنا معهنَّ سنابل قمح واعشاباً لسد رمقنا لان الضبَّاط الاتراك لم يعطونا ما نقتات بهِ ولا ماء نروي بهِ عطشنا . وكان عددنا هناك ٢٠٦ نسمات فبقينا حتى ١٩ حزيران وهو يوم مذبحة دير القمر .

وفي ٢٢ منه قدم الدروز بيت الدين ودخلوا الاصطبلات وقتلوا الرجال والنساء والاولاد بحد السيف وبالرصاص ايضاً ونحن التعسات بقية من نجا من تلك المجزرة جئنا دولتكم معولات ناحبات . وما كانت الجنود التركية الحاضرة تعارض الدروز المستسلمين الذبح بل سلبوا النساء حلاها وافتضحوهنَّ وجرُّوهنَّ بشعورهنَّ . فيالالفظاعة ! لقد شاهدنا الدروز يقطعون ثدي النساء بسيوفهم الامر المحرَّم من الله ومن جميع شرائع البشر انما الدروز كانوا على الاقل لا يمسون عرض النساء والبنات بعكس الجنود التركية فانها تناست ان لها امهات وشقيقات فارتكبت الفظائع . هل شوهد مثل هذه الفاجعة منذ بدء العالم ؟

وكانت جماعة من التعساء لجأُوا إلى السراي على أمل وقاية حياتهم فدخل

عبد السلام بك القائم مقام العسكري ومعه الدروز فاستأنفوا المذبحة وكان لهذا الضابط خادم مسيحي فشاهده الى جانبه فدل عليه درزيًا وقال لهُ : « اقتل هذا الكلب ! » وفي الحال وقع هذا المسكين قتيلًا على اقدام سيده . وقد قُتل ايضًا مسيحي آخر كان ملتزمًا تقديم الارزاق للجنود فأثرى فاقتسم الجنود والدروز ماله . وكانت الجنود تتراكض مع الدروز منتقلة من بيت الى آخر وبعد نهبه تحرقه . وعلينا ان نشهد اجابة لداعي النزاهة بان بعض الضبَّاط الاتراك شفقوا على بعض المسيحيين التعساء وشاءُوا انقاذهم لكن عبد السلام بك درى بهم فعاد يستشيط غضبًا وأمر بعدم العفو عن أحد قائلًا: ان قد قضي على المسيحيين بالذبح .

هل شوهد في العالم حيوانات عوملت كما عوملت في ذلك اليوم المشوءم خلائق الله البشرية ؟ ان الصخور لو كان في وسعها سماع هذه الفظائع لتصدعت !

بيدَ ان الحق يقضي علينا ان نعلن انهُ اذا كان عبد السلام بك قد تصرف كنمر ظميء الى دماء المسيحيين فان قرينته قد أبدت حنانًا وشفقة وعطفت على بعض النساء المسيحيات كغزالة على اولادها فانقذتهنَّ وخبأَتهنَّ في بيتها فنضرع الى الله ان يكافئها على ما فعلت من الخير وينقذها من مخالب الرجل القاسي القلب البربري المرتبطة معه برباط الزيجة .

اننا نكتفي بما تقدم ياحضرة صاحب الدولة وان كنَّا لم نحط بكل ما جرى . ان قلوبنا لتقطر دمًا ولا نقوى على زيادة الشرح ففراشنا الارض وغطاؤنا السماء فنسألك اجراء العدالة ولا نكف الأَ بعد انصافنا .

(عن الاب جوبين ص ٦١ — ٦٣)

٩١ — *القنصل برانت الى القنصل مور . عن دمشق في ١٠ منه*

اني ارسل اليكم اليوم باشأم الانباء عن حرق الحي المسيحي ونهبه . قليل هي

البيوت التي نجت حتى الآن من ألسنة اللهيب على انهـا ما زالت تندلع ملتهمة الابنية . أمَّا سلوك المشير فقد كان معيبًا جـدًّا ودل على انه خالٍ من صفات الحكم فلم يحضر بذاته الى جهة من الجهَّات كما ان الجنود شاركت في النهب بدلاً من منعه واذا ما ظل هذا الرجل متوليًا ادارة الشؤون فلا يمكن معرفة مبلغ هذا الشرور . قد نجوت لان بيتي في حي المسلمين . ان فيس قنصل النمسا وزوجته التجأا الى بيتي وقد احترق عدد كبير من الوطنيين رجالاً ونساءً وفي عدادهم الموسيو ماركوبولي (١)وقرينته . ان قناصل فرنسا وروسيًا واليونان لجأوا الي بيت الامير عبد القادر وقد فرَّ الدكتور مشاقه باسرته ولجأَ الى هذا الحي انَّما بيته احترق اما المستر كراهام والخواجا مسك فقد لاذا بيت مصطفى بك الحواصلي بيدَ اني لم اتحقق عمَّا اذا كانا حُرقا أو نجيا لان هذا البيت كائن في الحي المسيحي . ارسلت الان اسأل عن المستر روبصن وقرينته وكيف قضيا هذا الليل الهائل . ان بيت الخواجا عبدو قدسي أكلته النيران . لم يتصل بي شيء عمَّا حلَّ بالدكتور ميدانا ويقال ان الموسيو فريبج لجأَ الى بيت احد المسلمين . ان انطون ومتري شاهوب وغيرهما من الكتبة موجودون في القلعة . ان المشير مختلٍ في القلعة مشتغل بمفاوضة مجلسه وكان الاجدر بهِ ان يعمل ويقلل من المفاوضة . والراي العام مجمع على انه لو ابدى حزمًا ونشاطًا لامكنه استدراك الحريق والنهب لكن الجنود مثل دولته لم يحركوا ساكنًا في هذا السبيل .

ان عدد القتلى حتى الان ليس بكثير وقد التهى المعتدون بنهب البيوت وحرقها وذهبت معظم الكنائس طعامًا للنار إلاَّ دير الآباء اللعازريين الفرنسويين فلم

---

(١) ان خبر احتراق الموسيو ماركوبولي وقرينته كان طائشاً إذ تمكنا مساءً من الالتجاء إلى بيت المسيو برانت ومنه انتقلا الى بيروت

يُس باذى ومن الشائع ان قد حُرق دير اللاتين لآباء الاراضي المقدسة . بدأ الهجوم على قنصلية روسيا وكان الفيس قنصل اذ ذاك عند رصيفه الفرنسوي . أَما السبب الرئيسي لهذه الحركة فهو ان اولاد المسلمين اخذوا يرسمون صورة الصليب في الطرقات ويدوسونها ويهينون المسيحيين المارين فقبض عليهم « التفنكجي باشي » وقيدهم بالسلاسل واكرههم على تكنيس الطرقات فهجمت الغوغاء وانقذتهم فاشتعلت الفتنة اذ ذاك بعيد الظهر وما برحت مستمرة دون انقطاعٍ حتى الان .

قد تلقيت رسالتين من المشير يعرض عليَّ بهما عضده وملجأً فرفضت الامرين اعتقاد اني اكون في بيتي بأمن أكثر من عنده .

ملحق : الساعة العاشرة مساءً . لا تزال الحالة على ما هي عليه . وارباب السلطة لا يحركون ساكناً وليس فيهم الكفاية للعمل ومن الشائع ان ٣ الى ٤ الاف مسيحي لجأُوا الى القلعة فاصبح عدد القتلى قليل انما يخشى من تفاقم الشر بعد انضمام الدروز الى الناهبين . ان الشوارع مكتظة بجماهير غفيرة من الناس بحيث يعجز قواسيَّ عن فتح طريق لمرورهم ولذلك لا استطيع ان احصل على غير ما يأتونني بهِ من الانباء .

في طيهِ صورة الجواب الذي جاءَني أَمس من المستر روبصن واشكر لك اذا اطلعت عليه المستر بلاك . (عدد ٢٠ ملحق ٣ ص ٣٦)

٩٢ــ المستر سمبلي روبصن الى القنصل برانت . عن دمشق في ٩ منه

ما زلت منذ ساعتين ونصف ساعة أرى في الطريق المارة أَمام بيتي مشهداً هائلاً فان رجالاً مسلحين وأَولاداً ونساءً عزّلاً أَخذوا يركضون في الشارع صاخبين لاعنين المسيحيين الكفّار صارخين : اقتلوهم ! اذبحوهم ! انهبوا ! احرقوا ! لا تبقوا على أحدٍ ولا على بيتٍ ! لا تخافوا الجنود ولا غيرهم ! ان الجنود لا تعارضكم ! »

لقد صدقوا إذ لم يصدّهم أحد ثم اني رأيت بمدّة ساعتين رجالاً ونساءً وأولاداً واغوات وجنوداً يمرّون امام بيتي حاملين أنواع المسلوبات والغنائم كأنهم عصابة خرجت من الجحيم . لا استطيع ان اذهب الى داركم . أيمكنني ان امرّ مع قرينتي وخدمي في وسط الاشقياء المسلّحين الظمأى الى سفك الدماء ؟ ان فتح باب بيتي لعزيز عليّ كحياتي فعليّ ان ابقى حيث انا مسلّماً مصيري لمشيئته تعالى. أين هو مشيركم الان ؟ ان ٥٠ رجلًا يستطيعون قمع الفتنة . ألم يبدِ أقلّ اهتمام لوقاية حياة رعايا السلطان أو رعايا سائر الدول وصيانة أملاكهم ؟ ربّما لا تشاهدون في حيكم الفظائع الهائلة التي تقشعرّ منها الابدان . ألم يكن المسيحيون الوطنيون المنكودو الحظ مصيبين في مخاوفهم ؟ لا اعلم أي متى يتذكر بعض هؤلاء اللصوص والقتلة الذين يمرّون دون انقطاع امام باب بيتي بان قاطنه رجل أجنبي مسيحي فيتوقفون عن النهب ويقتلوننا . لا أمل لي بان هذه الشرور تنتهي اليوم أو في هذه الليلة . ان الغوغاء كلما طالت معاملتهم باللين وأُبطيء في انزال العقاب فيهم ازدادوا جرأة في سفك الدماء وارتكاب المنكرات والفظائع . لقد عرض عليَّ جيراني اجارتي وتخبئة أموالي . بيدَ اني لا أرى اني اكون في مأمن عندهم ولا ثقة لي بهم وربما متى بدأ النهب ان يقلّ في الحي المسيحي اتمكن من الفرار . واعتقد بان الاشقياء يحترمونكم بصفة كونكم قنصل انكلترة . ان اسفي لبالغ أشدّه اذ كان لي بعض اليد بابقاء المستر كراهام في هذه المدينة واجهل ما حلَّ بهِ لانه لا يوجد مسيحي يجسر على المرور في هذه الشوارع ولا يمكنني ان ارسل أحداً للبحث عنه .

قد استنتجت من دعوتكم لي الى الخروج من بيتي ان الحالة في حيكم تختلف كثيراً عمّا هو جارٍ هنا والاّ لما كان خطر لكم ان تستدعوني. ان جيراني الموالين لي نبهوني منذ بدء الفتنة الى وجوب قفل أبوابي . لقد جاءني عثمان افندي محاولاً تطميني وعرض عليّ ان يأخذني إلى بيتهِ لكنني رأيت الرعب مستحوذاً عليه اكثر مني فلم

اتمالك من ان اكشف لهُ اعتقادي في حكومتهِ ولا شك بانه يشاطرني رأيي باطنًا . فرفضت دعوته فتوهم ان لا ثقة لي بهِ مع اني لم اشك بصدقهِ لكنني في الحقيقة لا أرى افضل من ان انتظر مشيئة الله حيث انا . يوجد عندنا في البيت مؤونة من الخبز تكفينا يومًا إلى يومين اذا سُمح لنا بالبقاء فيهِ لكني موقن باننا لا نبقى آمنين دقيقة واحدة على بيتنا وحياتنا . هل تهتم الحكومة بايقاف هذه الشرور وهذه المنكرات ؟ أو تبقى متغافلة تاركة الحبل على غاربه ؟ أليست هي اساس كل ما حدث ؟ إذا ظلت الحكومة لا تحرك ساكنًا فتكون هذه الليلة أشدّ هولاً من النهار . ارجوكم ان تعذروني على كتابتي هذه المستعجلة لاني لا اريد ان اعيق قوّاسكم

(عدد ٢٠ ملحق ٤ ص ٣٧)

٩٣- الضابط بنتز الى الفيس اميرال مارتين . عن ظهر البارجة الكسموث في بيروت بتاريخ ١١ منه

اغتنم فرصة ارسال قائد الاسطيل الفرنسوي السفينة « اكليرور » الى ازمير لابعث اليكم بالانباء الآتية اعتقاد انها تبلغكم بأسرع ممَّا لو أَرسلتها عن طريق مالطه

ان قنصل اليونان هنا جاءَه في الليلة المنقضية رسول خاص من فيس قنصل دولته في دمشق يحمل اليهِ خبر حدوث فتنة فيها بعد ظهر الاثنين ٩ الجاري . ان رسائلي الاخيرة عن مجرى الاحوال لا بدَّ من ان تكون هيأتكم لهذا النبأ وهاك ملخصه :

قد ذُبح ٥٠٠ مسيحي بينهم كثيرون من النساء والاولاد . يقال ان قنصل بروسيا قُتل وفيس قنصل اميركا جُرح . ان دور البطريركيات والكنائس والاديار والمدارس والقنصليات كانت مشتعلة حين ارسال النبأ . ان قنصلية الروسية هي أول قنصلية هوجمت انما لحسن الحظ كان القنصل غائبًا . ان القناصل الاوربيين واسرهم لاذوا ببيت عبدالقادر الذي طلب إلى الجنود بالحاح ان تتقدم لايقاف المجزرة . كان

الذعر الشديد سائدًا في دمشق حين سفر رسول قنصل اليونان

وصل هذا الصباح بارجة وسفينتان حربيتان تركية حاملة ٣ الاف جندي بأمرة أَمير البحر مصطفى باشا وسيرسل منها ١٤٠٠ الى دمشق بامرة خالد باشا . لا يزال الدروز مواصلين ارتكاب المستفظعات في جوار صيدا وقد اعتنق اهالي قرية مسيحية بكاملها المذهب الاسلامي لينقذوا حياتهم وحياة عيالهم . (عدد ١٥ ملحق ٢ ص ٣٠)

٩٤- القنصل برانت الى السر بولفر . عن دمشق في ١١ منه

اتشرف بان ارسل لسعادتكم في طيهِ صورتي الرسالة وملحقها المنفذين الى المستر مور القنصل العام في ١٠ الجاري ولمَّا كانت قد كُتبتْ تحت تأثير الحوادث فلربما مثلتها بطريقة افضل ممَّا لو كتبتْ بعد استتباب الامن . ومع ذلك يؤلمني ان اقول انهُ لا يُعلم أي متى تعود الطمأنينة الى القلوب وعلى كلٍ فاني اواصل رواية الحوادث .

اضطررت الى انفاذ رسولٍ خاص الى بيروت لان المشير كان سيَّر البريد قبل ميعاد سفره ببضع ساعات دون ان يعلمني .وبعد ان ختمتُ كتابي نويت ان اذهب اليهِ زائرًا فأَثنى قوَّاسيَّ عزمي مبينين لي الخطر على حياتي لان الرعاع كانوا مشتغلين بنهب الاسواق التي عليَّ ان امرَّ بها فارسلت الى دولته ارجوه ان يبعث اليَّ بحامية فأَجاب طلبي . فذهبتُ معها الى السراي فوجدتُ الساحة مكتظة بالجنود مشاةً وفرسانًا وفيها عدة مدافع . ورأَيت ان الخوف اوهن دولته فحاولتُ ان ابثَّ فيهِ روح الشجاعة موضحًا لهُ ان الجدال والتأسف على ما مضى لا يجديان نفعًا وانما يحسن بهِ منع امتداد الشر وانقاذ ما بقي في دمشق سالمًا من أَلسنة النار وايقاف تيَّار النهب والقتل . ثم اقترحت عليه الاَّ يسمح للدروز بدخول المدينة فأَجاب دولته ان

مشايخهم حضروا المجلس الذي عُقد ووعدوا بأنهم يخرجون برجالهم من المدينة حالاً. ثم قلتُ لهُ انه يجدر بهِ ان يعهد الى منادٍ يعلن جميع الاجانب المنتشرين في القرى المجاورة ان يبقوا حلس بيوتهم وانهُ لا ينظر الى ما مضى بل يعاقب كل اعتداء يحدث فيما بعد . فأجاب دولته : قد سبق للمجلس ان وافق على هذا الرأي في جلستهِ ثم استأذنته بالدخول الى القلعة لارى اذا كان بعض الاوربيين التجأوا اليها فوجدت الاباء اللعازريين وراهبات المحبة والخواجا انطون شامي من اغنياء المسيحيين المستخدمين في السراي ليس غير مع اني كنت قد نُبئت بان كثيرين من اعيان المسيحيين موجودون هناك ولاسيما حضرة الفاضل وليم كراهام أحد المرسلين البروتستنت فلم اجدهُ هناك ولا اعلم الى اين التجأ فانه كان لجأ بداءة بدء الى بيت مسلم ثم غادره على ما اظن الى بيت آخر اكثر امناً لانه كائن في حي مختلط وحتى الان لم اعثر لهُ على أثر وانا آسف على ذلك شديد الاسف .

وعند غروب الشمس عادت بعض السكينة الى المدينة فانه رغماً عن تواصل الحريق قد خمدت ناره قليلاً مماً بعث على الامل بانطفائها . لم يحدث ما يقلق البال في الليل انما عند الصباح استولى الجزع على القلوب من جرَّاء انتشار خبر قوامه ان المسيحيين اطلقوا الرصاص على بعض المسلمين المشتغلين باطفاء الحريق فقتلوهم. وفي الحقيقة ان بعض المسلمين قُتلوا اذ نُقلوا الى قرب بيتي .

فاخذ المسلمون يتسلحون ويتفوهون بانواع السباب متوعدين جميع المسيحيين بالقتل . ثم بدأ صبح الحقيقة ان يظهر ذلك ان مسلماً كان يبني داراً قرب الحي المسيحي فسلّح فعلته المسيحيين لحمايتهم واذ مرَّ جمهور ذاهب لاطفاء النار فتوهموا انهم آتون لمهاجمة الدار فارتاعوا واطلقوا عليهم الرصاص فجرحوا بعضهم وقتلوا اخرين على انه مع ظهور سر هذا الحادث لم يقف الاضطراب بل قتلوا كل مسيحيٍ صادفوه في طريقهم . ان بيوت المسلمين لا يمكن ان تكون ملجأً للمسيحيين على

مدة مستطيلة لان الذين يجرأُون على ابقاء المسيحيين الذين اجاروهم قليل .

سألت الباشا ان يرسل اليَّ بحامية لحراستي ففعل ومثله الامير عبدالقادر

عند الساعة الـ ١٢ مساءً ورد عليَّ مذكرة من المستر روبصن يقول لي فيها انه امسى غير أَمين على حياته ويسألني ان ارسل اليه بحامية تأتي بهِ الى القنصلية فاكببت على السعي انما انقضى ساعة قبل ان افوز بها وقد ارسلتها الان . ان الجزع الشديد قد استولى على الاتراك كالمسيحيين ويخشون ان يأتي الدروز فيطلبون اليهم تسليمهم المسيحيين المختبئين عندهم وهم يرغبون في التخلص منهم .

نحن في قلق عظيم والاعتقاد سائد بان الحكومة لا تحمي المدينة وقد شاع ان ارباب الحكومة الجدد راكبون الطريق الى هنا او بلغوا بيروت بيد ان البريد الاخير بيَّن كذب هذه الاخبـار فانقلبت الامال الى يأس . وحقيقة الامر لا يوجد حكومة ولا احد يثق بالمشير بل يعدونه ضعيفًا أَو سيّء النية وان معظم ما فعله جاءَ متأَخرًا اوغير مناسبٍ . قد سافر البريد اليوم قبل ميعاده بثلاث ساعات فلم اتمكن ان اعرف اكثر مما بسطته انما لي أَمل كبير بان المستر كراهام حي يرزق في أَحد بيوت الاتراك وسأَبحث عنه حالاً . (عدد ٢٣ ملحق ٣ ص ٤٨ – ٤٩)

٩٥ – ومنه ايضاً في ١٢ منه

وصل كتابكم المؤَرخ في ٩ الجاري فاشكركم واني لمنبئكم الآن بما قد جرى عندنا . كان يوم أَمس يومًا مشؤُومًا هائلًا كثر فيه القتل والنهب والحريق والاضطراب وشمل الخوف جميع من في المدينة . طلبت الى المشير حامية من الجنود فارسلها . وعندي حرس من الجزائريين اتباع الامير عبد القادر فوجودهم يطمن اللاجئين الى داري . علا الصراخ ان المسيحيين قتلوا بعض المسلمين فتسلَّح جمهورهم وانقضوا على المسيحيين يقتلون كل من يصادفونه منهم واستمرَّ ذلك حتى غروب الشمس

وكل من خرج الى الشارع يلقى حتفه لان المسلمين كانوا يعدون كل من يلقونه مسيحياً . استقدمت حنا مسك مع عائلته ولا اعلم كيف تمكن من المروز . مسكين المستر كراهام اخشى ان يكون قُتل ولا أمل لي بان اجده حياً . بلغ عـدد اللاجئين حتي الغروب الى القلعة سبعة الاف وخمسماية مسيحي اكثرهم من النساء والاولاد مع بعض الرجال والباشا يقول ان قد انضم الى هذا العدد ثلاثة الاف فاوصيت دولته ان يوزع عليهم خبزاً فوعد بذلك وبايوائهم تحت الخيـام وبدفن الجثث التي يبلغ عددها زهاء الالفين اتقاء تفشي الوباء وتعهـد ايضاً بان يخرج ببعض الجنود المنظمة باحثاً عن الهاربين المختبئين بين الخرائب فانهم سيموتون جوعاً اذا لم يُقتلوا عند خروجهم من مخبأهم . ان رجال عبد القادر انقذوا أمس نحو ٣٠٠ نسمـة ومن باب التخمين يرجح ان جمهوراً اعظم باقٍ مختبئاً . لا يمكن معرفة اسماء ضحـايا المجزرة . ان اسر روبصن وبفكفنجر وماركوبولي والياس هي الان في بيتي . ان بيتي روبصن والياس لم يُمسّا لكن بيتي الاسرتين الاخيرتين نُهبا وحُرقا والله وحده يعلم قبل خمس دقائق بمن ينجو . ان داري ملأى باللاجئين وليس عندي طعام لاقدمه لهم لان موْنة بيتي قد فرغت ودراهمي لا تكفي لمدة طويلة وعليّ ان اعول ماية نسمة خلا الحرس في حين ان شهوتهم للطعام تزداد مع قلته . ان جميع ضيوفي هربوا بالثياب التي عليهم وجيوبهم فارغة وقد نهبت موْنة بيوتهم وامتعتهم كلها . ماذا كانت دعوتنا لمسيحي حاصبياً وراشياً التعساء الى هذه الكارثة فعددهم يبلغ على الاقل ٢٠ الفاً وهم في حاجة الى الملجإ والقوت والكسوة . يقتضي على الاقل مليون ليرة تعويضاً عن المفقود والمنهوب فمن اين يؤتى بهذا المال ؟ اذا كانت بريطانيا العظمى لا تساعدهم فمن يأتيهم بالفرج ؟ الله يساعد هذا الشعب التاعس ! ليس لدينا اخبار عن المستر كريفورد وقرينته ولا وصول اليهما . لم يصب اوربي بسوء إلاَّ المستر كراهام المنكود الحظ فقد نال اكليل الشهادة فليكن ذلك

عبرة لغيره انما يجب الاَّ نعجب اذا كان ذلك نصيبنا ان مصيرنا بيد الله ولا ثقة لنا باحد من الناس . ان الامير عبد القادر قام بواجبه ومثله محبو السلامة انَّما الرأس قد خان وفقد كل جرأة وحزم فهو جبان عاجز فقد قصدته غير مرة وحدثته فكان جوابه لي على كل نصائحي واحداً : « قد عملت او سأعمل » لكنه لم يفعل وعندما كنت أَلومهُ على اخلاف وعده وخيانة عهده كان جوابهُ دائماً : « ما تريد ان اعمل وليس لي قوة ؟ » وهذا ما يتفوه بهِ في تركيا كل والٍ غاشم . ان دولته لم يغادر السراي حيث هو محاط بالجنود والمدافع الضخمة .

تلطف بتلاوة هذا التحرير على المستر مور اذ ليس لديَّ وقت لاكتب له . قد قضيت طول النهار وانا منتصب على قدميَّ اقتبل الناس واعطي التعليمات وازور المشير وعدت الى بيتي منهوكاً من التعب لا اقوى على كتابة حرف قبل ان ارتاح بل اضطررت الى ان اقص نتيجة مساعيَّ على الاجانب الذين جاءُوا لاستماع الاخبار وملأُوا دار القنصلية وقد تجالدت كثيراً على نفسي عند كتابتي هذا التحرير لاني متأثر كثيراً من حديثي مع الباشا ومن عدم حصولي على جواب يعزيني بل انا متحقق انها وعود رجل ضعيف غاشم لا يقوم بها . فقد قال لي اولاً ان قد جاءَ من حوران الف رجل هذا المساء بامرة مصطفى باشا وهو يؤمل كثيراً في شدة حزمه و ٦٠٠ من بعلبك بقيادة امين باشا فلما الححت عليه امسى عددهم ٥٠٠ و ٣٠٠ والارجح ان عدد القوتين لا يتجاوز الـ ٥٠٠ ثم زاد بانهُ ينتظر هذا المساء قدوم ٢٠٠٠ جندي من بيروت بامرة قائد لا يعرفه .

(عدد ٢٣ ملحق ٤ ص ٤٩ ـ ٥٠)

٩٦ — القناصل العامون في بيروت الى خورشيد باشا في ١٣ منه

انه على اثر الحوادث الفظيعة التي جرَت في دمشق اعتداءً على دور القنصليات

وشخصية القناصل مع ان المعاهدات الدولية تضمن لهم حرمة بيوتهم وشخصيتهم فالقناصل العامون الموقعون أدناه يرون ذواتهم مضطرين إلى سؤال دولتكم اذا كان لديكم ضمانات كافية لحماية رعايانا وهذه المدينة

التواقيع : مور . بيجر . وبر . ڤيلانيس . عن الكونت دي بنتيڤوليو بريتي . اغوستوس جونسون . كناريس .

(عدد ٢٧ ملحق ١ ص ٥٧ـ ٥٨ ودي تستا عدد ٤١ ص ٨٨)

٩٧ ـ جواب خورشيد باشا الى القناصل العامين في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٢٧٦ [١٣ تموز سنة ١٨٦٠]

بعد الترجمة المألوفة : تلقيت كتابكم وفيه ان عدم احترام شروط المعاهدات الدولية بخصوص حرمة القنصليات اثناء حوادث دمشق اضطركم الى ان تسألوني إذا كان لديّ وسائل كافية لضمان امن رعايا حكوماتكم ووقاية هذه المدينة فجميع ما ذكرتموه قارن الافهام . ان المخاوف المتأتية عمّا حدث في دمشق قد حملتكم على هذا الطلب مع انه رغمًا عن ان عدد الجنود السلطانية لم يكن الاّ ربع ما هو الان ورغمًا عن خطورة كوائن لبنان غربيه وشرقيه في ايالة دمشق لم يحدث هنا بعون الله وبسطوة الحضرة السلطانية ما يعكر كأس الراحة ويقلق البال . أمّا الهياج الذي فار فائره نهار السبت على اثر تجروء رجل يدعى بطرس من جبل لبنان على قتل مسلم فقد هدأ غليانه في الصدور وذلك بانهاء هذه المسألة بمنتهى السرعة في يوم واحد كما هو معلوم وفقًا للتدبيرات المتخذة معًا في الحال وعليهِ استتبّ الامن وتوطدت الراحة في المدينة بعون القدير المتعال دون حدوث ما يوسف لهُ.أمّا الان فان دعائم الراحة قد توطدت اكثر من ذي قبل لوجود قوّة كافية تزيد ٤ اضعاف عمّا كانت عليه في ذلك الوقت وذلك بفضل مساعي الحكومة المحلية المستمرّة وسهرها ليل

نهار. وبناءً عليهِ فقوّة الحكومة وهيبتها كافيتان مع بركة الله لحفظ راحة المدينة اذا ما حاول أحد الاخلال بها

أمّا في ما يختص بجبل لبنان فقد استقرّ الرأي على نشر السلم فيهِ بمصالحة الفريقين وبناءً على العهد الذي كتب بينهما حررت الاوامر المؤذنة بانعقاد الصلح مشفوعة بالتنبيهات اللازمة وارسلتها أمس إلى القائممقامين وقد اوشكا ان ينشراها في البلاد وفقًا لعوائد الجبل القديمة ولنظامه الخاص فلا يطول الامر حتى تتبدل سوء حالة هذه البلاد قلقًا وشقاقًا براحة ووئام.

ونحن نرجو من مراحمه تعالى ونضرع اليه ليساعد على ازالة المخاوف وقطع دابر الانباء المقلقة المنشورة لغرض في النفس واذا على فرض المحال حدثت فتنة داخلية أو خارجية فمن الثابت ان الحكومة قادرة على قمعها بعون الله. هذا ولمّا كنتم ورعاياكم تقطنون ببيروت مركز الايالة التي عهد إليّ بها جلالة مولاي السلطان الاعظم فاتعهد لكم اني طالما انا في قيد الحياة لا ادّخر وسعًا في سبيل حفظ شروط المعاهدات وحسن الوئام من كل مساس وآخذ على ذاتي مسئولية وقايتكم ورعاياكم من كل أذى. وبناءً عليه يجب على المدينة ألاّ تستسلم إلى المخاوف استنادًا على سطوة الحكومة وعون الله بيدَ ان الحكومة ترغب اليكم ان تأمروا رعاياكم وموظفيكم والمستظلين بحمايتكم ان يطبقوا أقوالهم واعمالهم على مقتضيات الحال في هذه الاونة الحرجة متجنبين اتيان ما يخلّ بالراحة من مثل اهانة المستائين منهم أو ضربهم الامر المحظور عليهم في كل آن وعليهم ان يتحاشوا اذاعة الاخبار المقلقة الطائشة الخالية من كل صحة واني أؤمل منكم ذلك بحيث تغنمون شكر الحكومة المحلية فتتمكن من تنفيذ الوسائل اللازمة في الكوائن الحالية

(عدد ٢٧ ملحق ٢ ص ٥٨ ودي تستا عدد ٤٠ ص ٨٦-٨٨)

٩٨– مور الى السر بولفر فى ١٤ منه

اتشرف بان ارسل لكم في طيه صورة رسالتي المؤرخة في ١٣ الجاري الى وزير خارجية جلالة الملكة مع ملاحقها في ما يختص بفتنة دمشق :

غادر اليوم بيروت معمر باشا والي دمشق الجديد يريد محل مأموريته . أمّا الـ ١٧٠٠ جندي المرسلة إلى دمشق بقيادة خالد باشا فقد توجهت اليها مساء أمس بسرعة ويؤمل وصولها الى هناك غداً .

اطلعت على تحرير خاص من المستر برانت يقدر به عدد المسيحيين المذبوحين حتى نهار الخميس ١٢ الجاري بألفين والخسائر بمليون ليرة انكليزيّة . أما اذا انضمّ البدو والاكراد والدروز وغيرهم الى المشاركة في النهب كما يخشى فيتعذر معرفة الحد الذي يقف عنده الشر الأّ اذا وصلت القوّات التركية في حينها وقامت بواجبها

ان جميع الروايات مجمعة على تقبيح سوء تصرف أحمد باشا والي دمشق السابق منذ بدء الفتنة فانه لم يحرّك ساكنًا لقمعها .

أمّا في ما يختص ببيروت فيقدّر ان قد غادرها اليوم الف مسيحي على بواخر روسية وتركية الى الاسكندريّة وسيرا وغير اماكن ويظهر ان منع المهاجرة لم يُنفّذ بقوّة .

ان الانباء الواردة من حلب تحدث عن القلق والهياج السائدين فيها وعن تقاعد حكومتها مع حدوث اضطرابات يومية فيها وخارج اسوارها . ويخشى من ان وصول انباء دمشق يقدح شرر الفتنة فيها . (عدد ٢٨ ملحق ٥ ص ٦٣)

٩٩– ومنه الى اللورد روسل فى ١٨ منه

وصل يوم الاثنين ١٦ الجاري بارجتان فرنسويتان احداهما تدعى « دوناورس »

معقودة اللواء على الكونتر اميرال « جهين » والاخرى « ردوتابل » .

وصل أَمس على البارجة التركية « طائف » صاحب الدولة فؤاد باشا المندوب السلطاني الخارق العادة يصحبه حليم باشا مشير فيلق عربستان الجديد وفور وصوله ذهبت لتهنئة دولته واستوضحته عن الساعة التي يشأ ان يقابلني فيها في اليوم التالي فضرب لي موعداً ذهبتُ فيه اليه فاقتبلني بمزيد المجاملة والتودد ثم زرت بعده حليمً باشا .

علمت ان دولته استدعى فور وصوله متسلم دير القمر وقائد حاميتها للتحقيق عن تصرفهما وارسل اليوم بوارج حربية تركية الى الشواطيء لتطمين اهالي المدن الواقعة على سيف البحر وأنفذ خورشيد باشا على احداها الى اللاذقية ويقال ان ذلك للغاية ذاتها

ان الاحوال في دمشق لم تزل كما كانت عندما كتبت اليكم حديثًا بيدَ انه جاء خبر بان الوالي والجنود المرسلة اليها بلغوها مساء الاثنين في ١٦ الجاري وتدلّ الانباء الحديثة الواردة من حلب ان حوض الامن فيها لم يُعكر صفوه بصورة تقلق البال وان اخبار المجزرة لم تبلغها حتى الان

ان قدوم البوارج التركية المقلة الجنود لمتواصل (عدد ٢٧ ص ٥٦_٥٧)

١٠٠- مقتطفات من رسالة المستر كراهام الى اللورد دوفرين . عن بيروت في ١٨ منه

انه وان كان أُذيع في الجرائد بمدى الشهرين الاخيرين روايات عديدة عن الفظائع التي ارتُكبت في سوريا وقد ارسلت اليكم دون انقطاع اخباراً عنها لا ريب بانكم ترون أَفيد لكم وللشعب الانكليزي عموماً الحصول على خلاصة رواية هذه الحوادث المشؤُمة شاملة كل دقائقها مذ بدء الاقتتالات حتى اليوم . ولما كنت في هذه الاماكن خلال هذه الحربْ وشاهدت بعيني - ربّما اكثر من

سائر الاوربيين - ويلاتها وفظائعها وكنت قد صرفت كل عنايتي الى جمع الاخبـار الصحيحة اعتقد ان الرواية التي ارسلها اليكم صادقة وتفاصيلها موثرة لكنها لسوء الحظ حقيقية .

لا اخالكم نسيتم ان قد حدث قتال بين الدروز والموارنة بعد ظهر يوم أحد من الصيف المنقضي في قرية بيت مري وهي تبعد زهاء ساعتين ونصف ساعة عن بيروت فقتل كثيرون انما لحسن الحظ لم يعقبه قتال آخر . بيد ان الحزازات الكامنة في صدور الدروز والموارنة بقيت على حالها ومع انه كان نودي بصلح تامة بـين الفريقين ظلت القلوب واجفة من تجدد القتال في سنة ١٨٦٠ اذ لم تتخذ الحكومة التحوطات لحقن الدماء .

ان الدروز هم الذين بدأوا بالاعتداء اذ وُجد في اوائل شهر ايار قس مقتولاً في منتصف الطريق بين بيروت ودير القمر على انه وان لم يُهتدَ الى قاتليه لم يرتب احد بانهم دروز لان المسيحيين لا يجسرون على قتل كاهن . فثأر اذ ذاك المسيحيون له وقتلوا اول درزي صادفوه ثم قتل الدروز مسيحيين قرب نهر الدامور بين هذه المدينة وصيدا فانتقم اهلوهما لهما وقتلوا درزيين وفقاً لعوائد هاتين الامتين .

فلو كانت الحكومة أبدت اقل اهتمام في ذلك الحين لتمكنت من منع انتشار الحرب . لقد كنت عند وقوع هذه الكوائن عند سعيد بك جنبلاط كبير زعماء الدروز في المختاره وهي على مقربة من بتدين حيث قصر الامير بشير فالححت عليه ان يبذل جهده لحقن الدماء .

وفي ٢٨ ايار اصطلت الحرب . وفي الليل شوهد من بيروت ٣٢ قرية تحترق وفي ٢٩ منه أمست بعض بلدان لبنان الزاهرة مهجورة خربة .

وقد تقدم الدروز الى مسافة ٤٠ دقيقة من بيروت فخرقوا بحضرة خورشيد باشا ومعسكره (لانه كان خرج من المدينة بحجة ايقاف رحى الحرب) قرية الحدث

الزاهرة مقرّ الامراء الشهابيين وأسرفوا في النهب والقتل . ويقال ان الجنود التركية اطلقت الرصاص هناك على المسيحيين الفارين (والمرجح ان الخبر صحيح)

وفي ٢٩ ايار هاجم الدروز مدينة حاصبيًا الكائنة عند سفح جبل حرمون «جبل الشيخ » وفيها امير مسلم من الاسرة الشهابية يبغضه ولاة دمشق لما لهُ من مزيد البسطة والسلطة . وفي السنة المنقضية ارسل المشير أحمد باشا والي دمشق فصيلة من الجند لاحتلال المدن الكائنة عند سفح الجبل المذكور والحقها حديثًا بنجدات أخرى بأمرة عثمان بك الذي سيظلّ اسمه مكروهًا من المسيحيين. فان هذا الرجل قال لمسيحي حاصبيًا حين هاجمها الدروز انه أُرسل لحمايتهم وطلب اليهم تسليمه اسلحتهم والاّ جرُّوا على نفوسهم كدر الحكومة فاطاعوا ظنًا بانه يبرّ بوعده ثم دعاهم الى الاعتصام بالسراي (المعسكرة فيها الجنود) لزيادة الطمأنينة فانحشر الرجال والنساء والاولاد في هذه البناية . ثم ارسل عثمان بك سلاح المسيحيين المسلّم اليه مخفورًا على بغال الى دمشق على ان رجال الخفر كان عددهم قليلًا جدًا بحيث لا يصح ان يطلق عليه هذا الاسم إلاَّ من باب الاستهزاء وقبل ان تجتاز البغال وادي حاصبيًا حضر الدروز (وهذا كان المقصود) واستولوا على الاسلحة فلم تمنعهم الجنود . وكان المسيحيون لا يزالون في السراي في أشد حالات العوز لا طعام عندهم ولا ماء . وفي ٥ حزيران رأوا نساء الحاكم يتهيأن للسفر فاستولى عليهم الجزع وطفقوا يسألون عن السبب فاجيبوا اجوبة مبهمة .

وفي ٦ حزيران بدأت الجنود بمغادرة المدينـة فادرك اذ ذاك المسيحيون المنكودو الحظ انهم خُدعوا بالاكاذيب وان الفرصـة قد فاتت فتراكضوا الى الساحة وطلبوا ان يُسمح لهم بالخروج . فاعطيت الاشارة المعهودة الى الدروز وفُتحت الابواب فدخلوا مسلّحين واخذوا يذبحون جميع الرجال فتمكن بعضهم من اجتياز الباب لكن الجنود التركية لحقت بهم وقتلتهم . وقد استوضحت كثيرين من

المسيحيين عن حقيقة الحادثة فاقسموا لي بانهم رأوا الجنود تشترك في المذبحة واساءوا معاملة النساء ويظهر لي من الجراح التي شاهدتها ان في اجسام الاحياء وان في جثث القتلى ان الجزارين قد تصرفوا بقساوة وفقًا لخطة مرسومة فكثيرًا ما شوهد ١٠ الى ١٢ الى ١٤ جرحًا عميقًا وبعضها بالات راضّة وقصارى القول ان الجناة استعملوا كل ما وجدوه من الاسلحة فقطعوا الايدي والارجل وشقوا الرؤوس او رضّوا الاجسام وهشموها . ولم يفلت من جميع الرجال الذين كانوا في السراي سوى ٤٠ الى ٥٠ شخصًا ومعظمهم جُرح جراحًا خطرة وتُركوا كقتلى تحت اكداس الجثث ولما انسدل الظلام هربوا وقد قدم بعضهم الى بيروت فكانت ثيابهم مخضبة بدم الجثث التي اختبأوا تحتها .

ان الدروز لم يقتلوا النساء ولم يسيئوا معاملتهنّ بوجه عام بل تركوا ذلك الى الاتراك والمسلمين .

فقد انتزع اطفال يتراوح عمرهم بين ٤ الى ٥ سنوات من اذرع والداتهم وضُربت الارض بهم او مُزقوا اربًا اربًا واذا ما طوقتهم امهاتهم كان القساة يقتلونهم على ركبهنّ واحيانًا كانوا يقتلون الوالدات والاطفال معًا توفيرًا للوقت . وقد اكدت لي عدة نساء ان الجنود التركية مسكت اطفالهنّ برجليهم وشطروهم الى شطرين واستمرت المجزرة حتى غروب شمس ذلك النهار غير مبقية على ذكر من سكان المدن الواقعة في سفح جبل الشيخ لانه في اليوم ذاته ذُبح مسيحيو حاصبيًّا بالطريقة ذاتها .

لم يبقَ على ما أظن من لم يغمس يده في هذه الاعمال المستفظعة الأ امرأة واحدة هي شقيقة كبير زعماء الدروز فانها اشارت على المسيحيين قبل بدء المذبحة بالأَ يذهبوا الى السراي لمعرفتها على ما ارجح بمصيرهم وعرضت عليهم ملجأ في بيتها . انما لسوء الحظ لم يثق الجمهور بكلامها ومع ذلك لاذ بها ٤٠٠ من هؤلاء

المنكودي الحظ وعندما جاء الجزّارون الظمأى الى شرب الدماء وطلبوا اليها تسليم المسيحيين « الكلاب » انتهرتهم قائلة : « ادخلوا اذا جسرتم وخذوهم » فلم يجرأوا على خفر حرمة بيت احد كبار امرائهم مع انهم سكارى من الدم بل عادوا على رسلهم كاظمين غيظهم . وهذه المرأة قادت بذاتها هؤلاء المسيحيين التعساء حتى المختاره ومنها أُرسلوا الى صيدا فنقلتهم احدى بوارجنا الى بيروت .

ان الامير الشهابي الذي سبق لي ذكره قُتل وجميع الذين كانوا في داره فجميعهم مسلمون ولهم مقام عالٍ وسطوة كبيرة لكنهم كانوا اعداء والي دمشق فضُحّوا لهذا السبب ويظن ان مندوب الوالي قد اجاز قتلهم . لو لم يكن لدينا سوى هذه الدلائل لكفت اثباتًا لاشتراك مأموري الباب العالي في المذابح

وبينا كان التعساء الذين لجأوا الى سراي حاصبيًا يتضورون جوعًا ويتلهبون عطشًا هجم الباشبوزق وغيرهم من المسلمين في اوائل حزيران على اهل صيدا المتقسمة قلوبهم فرقًا وجزعًا محكمين فيهم السلاح قتلًا ايامًا ولم يكن احد من المسيحيين خارج المدينة ليأمن على حياته بل قُتل الرجال والاولاد الذكور وانتهكت حرمة النساء .

وهذه الاعمال شجعت الدروز فقالوا في نفوسهم : « ان المسلمين لادرى منّا » فانقضوا اذ ذاك على دير في ضواحي صيدا ونهبوه وقتلوا ١٦ راهبًا . كل هذا وعامل صيدا لم يحرك ساكنًا مع ان هذه المدينة محاطة باسوار فلو اوصد ابوابها لامتنع على الدروز دخولها.ولم يعاقب ايضًا جنود الباشبوزق على ما قد جنت ايديهم.

فاتني انباؤك ان جمهورًا من المسيحيين اللاجئين الى الجبال على أثر حرق قراهم في ٢٨ ايار قصدوا المجيء الى بيروت فداهمتهم الدروز والجنود الغير النظامية على بعد ثلاث ساعات منها وقتلوهم . وقد جرى ما تقدم في ٣٠ او ٣١ منه .

وفي ٣ حزيران بدأ الهجوم الاول على دير القمر حاضرة جبل لبنان القديمة

الآهلة بسبعة الاف نسمة وفي صباح ذلك اليوم رغب اهالي قريتين مجاورتين الى المستر برد احد المرسلين الاميركيين ان يأتي لنجدتهم ويوصلهم الى دير القمر اعتقاد انهم يلاقون فيها ملجأً اكثر امنًا فذهب المستر برد حالاً الى المتسلم وقائد الجند وسألهما أَصحابه بجرس فرفضا اولاً ثم أعطياه جنودًا لخفارته . ولم يمر على ذهابه ساعة من الزمن حتى فاجأ الدروز دير القمر هازجين متغنين باغانيهم الحربية فاستمر اطلاق الرصاص بين الفريقين حتى الليل فقتل كثير من المسيحيين و ٧٠ الى ٨٠ درزيًا لان المسيحيين أبلوا بلاء حسنًا في الدفاع.ولما خيمت ظلمة الليل تراجع الدروز ومن الغد اعادوا كرّتهم . اما المسيحيون فرغبوا في عقد الصلح فذهب المستر برد وكان قد تمكن من العودة الى المدينة في صباح ٤ منه الى زعيم الدروز موفدًا من قبل الشعب فرضي بعقد الصلح لقاء بعض شروط.وفي الحال دخل الدروز المدينة واستسلموا للنهب مدة ثلاثة ايام ولم يكن المسيحيون يأْمنون على حياتهم اذا ما خرجوا الى اطراف المدينة فلقد قتل الدروز رجلًا مسنًا كان ذاهبًا لرعاية بقرته . على اني اجهل سبب عفوهم عن سائر الاهالي في ذلك اليوم .

أمَّا مشروعهم الحربي الاخر فكان قوامه الاستيلاء على زحلة وهي آهلة بعشرة الاف نسمة انما تضاعف عددها في ذلك الحين (في اوائل حزيران) لان جمهورًا من اهالي القرى المجاورة لاذوا بها . وعندما ذاع خبر فوز الدروز تراكض قسم كبير من ابناء مذهبهم في حوران بقيادة زعيمهم اسمعيل الأطرش وهو رجل حربي همجي يدفعهم الطمع في النهب واستصحبوا عربًا من القبائل الرحالة الصغيرة النازلة حوالى حوران مجتازين جميعًا سهل البقاع الكائن في سوريّة المجوفة بين سلسلة جبال لبنان الشرقية والغربية ووقفوا عند الشعاب المؤدية الى زحلة . وهناك لحق بهم جماعة من اكراد دمشق واهالي حمص ومتاولة بعلبك معللين نفوسهم بالنهب وذبح المسيحيين .

وفور انتهاء هذا الخبر الى بيروت بذل قناصل الدول الخمس العامون قصارى

جهدهم لحقن الدماء فذهبوا الى الباشا وسألوه عمّا إذا كان لا يريد ان يهتم للامر واحتجوا بشدة على تهاونه واهماله (لانه لم يحرّك ساكنًا منذ انفجار بركان الفتنة بل اقتصر على الذهاب بعسكره الى مكان يبعد نصف ساعة عن بيروت) وألحوا عليه باتخاذ التحوطات لابعاد الخطر عن زحلة . فأَجاب : « سأُرسل جنودًا لحماية المدينة . » ففعل بيدَ ان ارسالها سبَّب خرابها . إذ عندما شاهد الدروز قاطنو السلسلة الاولى من منحدرات جبال لبنان وكانوا قد التزموا جانب السكينة حتى ذلك التاريخ زحف الجنود التركية هتفوا هتافهم الحربي وهجموا على زحله يقودهم احد كبار مشايخهم (وهو حاصل على لقب بك لتقيده بخدمة الحكومة التركية)

ان عدة وديان عميقة تتشعب من اعالي قمم لبنان الشرقية متجهة إلى سهل سوريًا المجوفة ومدينة زحله كائنة في إحدى هذه الشعاب في منتصف الطريق فهي أوفر مدن لبنان عمرانًا وازدهارًا وفيها دير كبير للاباء اللعازريين الفرنسويين (والصحيح لليسوعيين) وتشتمل على بنايات عمومية وكنيسة اسقفية كبرى ومدارس ودور فخيمة . وكان اهالي زحله طلبوا الى دروز البقاع عقد الصلح معهم فلم يحصلوا سوى على شروط مذلّة أبتها نفوسهم واستدلُّوا من كنهها ان موجبيها هم مسلمو دمشق لا الدروز .

وفي ١٩ منه ظهرت الجنود العثمانية ودروز لبنان امام زحله وعندما شاهدهم دروز البقاع اشتد ازرهم فأَخذوا بالزحف عليها . فخرج المسيحيون من المدينة متوقلين الجبل على أَمل الاستدارة بدروز لبنان والانقضاض عليهم في الوادي . لكنهم ابطأوا بحركتهم وقبل ان يبلغوا قمة الجبل رأُوا القوّتين قد انضمتا الى بعضهما وبدأَتا باضرام النار في المدينة . فتبادل الفريقان اطلاق الرصاص وعندما رأَى المسيحيون ان الجنود التركية انقلبت عليهم تراجعوا القهقرى . ولم يكُ باقٍ في المدينة سوى الرجال المسنين والعجز وبعض النساء والاطفال فذُبحوا . وقُتل راهبان عازريّان

فرنسويان (يسوعيان) وجُرح ثالثهما ولم يكن الاوربيون بنجوة من الاعتداء .

ان الجنود التركية وهي بأمرة نوري بك اشتركت بمهاجمة زحلة بصورة أوضح من ذي قبل فلقد اطلقت قذائف مدفعها على المسيحيين ويقال ان قذيفة هدمت قبة الكنيسة الاسقفية . وهذا معنى وعود خورشيد باشا !

وكان ان الدروز سكروا من خمرة الانتصار والنهب فقصدوا استئناف مهاجمة دير القمر . وعندما بلغ اهاليها وسكانها المنكودي الحظ خبر اقترابهم تأهبوا للدفاع بيدَ ان المتسلم وقد كان لديه ٤٠٠ جندي في دار الحكومة و٣٠٠ غيرهم في بتدين على مسافة نصف ميل تعهد بحمايتهم مشترطاً تسليمه أسلحتهم . فطلبوا اليهِ حرساً يخفرهم الى بيروت فأبى عليهم فاضطرُّوا الى الانقياد لمشيئته فاوجب عليهم نقل امتعتهم النفيسة وأموالهم الى السراي فانحشر الرجال والنساء والاطفال فيها ليل ٢٠ حزيران

وفي صباح الغد ٢١ منه اجتمع الدروز حوالى البلدة وقدم أحد زعمائهم السراي لمفاوضة المتسلم فجرى الحديث بينهما بصوت خافت بواسطة ترجمان لان المتسلم تركي يجهل العربيـة وفي آخر الحديث سمع المسيحيون المتسلم يجيب على سؤال الزعيم الدرزي بلفظة « هبسي » أي الجميع . فانصرف الزعيم وبعد بضع دقائق فُتح باب السراي ودخل الاشقياء فذبحوا جميع الذكور بمساعدة الجنود . وقصارى الكلام ان هذه الفاجعة كالتي حدثت في حاصبيّا على ان المجزرة كانت أشدّ هولاً والذين تخلفوا عن المجيء الى السراي لم ينجوا منها بل قُتل جميع من بقي في البيوت والذين عبروا الساقية لائذين ببيت الدين على ان بعضهم قد تمكن من الهرب باختبائه في الخنادق وبقي بعض الجرحى في قيد الحياة . وقد وصف لي هذا المشهد الهائل بجميع دقائقه كثير من النساء اللواتي كنَّ هناك وقصصنَ عليَّ كيف رأينَ ازواجهنَّ واباءهنَّ واشقاءهنَّ وأولادهنَّ يُذبحون وكيف جرحن بينما كنَّ يحاولنَ انقاذ اطفالهنَّ وكيف انتزعهم هؤلاء الجزَّارون من ايديهنَّ وقطعوهم أرباً ورموا لحمانهم في

وجوههنَّ ورويَ لي ان الجنود التركية لم تحترم عرضهنَّ وان الدروز سلبوهنَّ كل ما يملكنَ . ومن المشهور انه كان في دير القمر اناس ادباء ذوو ثروة يعيشون بنعيم العيش الرافغ في دور فخيمة معتادين على الرفاه فأمسوا الان في فاقة يمدون ايديهم للاستعطاء .

لقد اختلف في تقدير عدد قتلى هذه المجزرة الهائلة فمن قائل انها بلغت الـ ٩٠٠ ومن قائل ٧٠٠ وأرجح بعد التدقيق في جميع الروايات ومعارضتها ببعضها ان عدد الذكور الذين قُتلوا في ذلك اليوم بلغ ١١٠٠ الى ١٢٠٠ . ثم اضرم الدروز النار في المدينة فامتدَّ دخانها الى بيروت كعمود من الغيوم منبئاً بالكارثة . ان الروايات عنها غير مبالغ فيها اذ قد جلت في كل البلاد قبل انتهاء الحرب وبلغت دير القمر قبل بضعة ايام بعد المجزرة فشاهدت بيوتها محروقة وطرقاتها غاصة بجثث القتلى ومعظمها معرّاة من ثيابها مبتورة الاعضاء مشنَّع بها . لقد كان عليَّ ان اجتاز المدينة لكن حصاني لم يتمكن من المرور في بعض الطرقات من تراكم الجثث اكداساً وجميع التي حدّقت فيها رأيتها مهشمة بالجراح واكثرها مبتورة اليد اليمنى والمرجح ان هؤلاء التعساء كانوا يدرأون بايديهم ضربات السيوف وشاهدت اطفالاً يتراوح عمرهم بين الثالثة الى الرابعة مطروحين على الارض وبجانبهم شيوخ مسنون وسيماء النزع واليأس منطبعة على وجوه بعضهم وقد قُتل أحدهم وهو راكع على ركبتيه يضرع الى جلَّاديه مستغيثاً

رأيتُ في الساحة جثثاً بلا رؤُوس ورؤُوساً بلا جثث قد تُركت كلها دون دفن فريسة للضباع والوحوش الكاسرة وفي وسط هذه المشاهد المفجعة رأيت بعض الدروز الذين جاؤوا لاخذ ما بقي من الاخشاب في تلك البيوت يقهقهون ويبتهجون عند نظرهم الى جثث ضحاياهم وهو مشهد كنت اعتقد انه يدعو اسفل الناس الى السكوت تهيباً .

وقد اعربت لكبير زعماء الدروز عن نفوري من هذا السلوك المعيب الهمجي وأَلححت عليهِ ليعتني بدفن القتلى فتبسم وسألني لماذا . ثم وعدني بان يأمر بدفنها ولي بعض الامل بانه فعل وان قال انه يصعب عليه اقناع الدروز بدفن جثث المسيحيين .

وعندما وصل الخبر الى بيروت بلغ الاشمئزاز والحنق اشدهما مع اننا قد اصبحنا معتادين على مثل هذه الفظائع بيدَ ان هذه الفاجعة قد فاقت كل ما نعرفه من نظائرها ودلت على مقدار خداع الباشا وان كان يتعذر اقناع احد ساسة اوربا الرصينين بان والي ولاية كبيرة كهذه يشغل منصبًا عاليًا غمس يده في كل هذه المذابح .

ان الباشا وصل الى دير القمر مساء يوم المذبحة وقد قال « انه سينوح طول حياته على ابطائه.» هكذا قال ومن عادته الصدق ! ! وما اتصلت بنا هذه التفاصيل حتى جاءَتنا السفينة الحربية الفرنسويَّة « سنتينيل » بعد ظهر يوم الاحد ٢٦ حزيران بانباء مقلقة من صيدا فان الدروز هددوا هذه المدينة مجددًا بالهجوم والمفتي وعظ في الجامع وفي الشوارع محرضًا على قتل المسيحيين داعيًا المؤْمنين ليأتوا وينظروا كيف يكون فوز الصادقين وكان يصرخ قائلًا : « قد آن الوقت . ان الله قد دفع اليكم الكفَّار » . وفي الليلة السابقة ٢٥ منه سُمح للدروز بالبقاء في المدينة وقضى المسلمون ليلتهم في الجامع مسلحين بانواع الاسلحة وعتاد القتال متأَهبين لمساعدة الدروز بما في طاقتهم عندما يبدأُون بالمجزرة. وكان ان اربع بوارج اثنتان انكليزيتان واثنتان فرنسويتان مخرت قاصدة صيدا والقت مراسيها فيها قبل الغروب فخفض قدومها من غطرسة المتعصبين وهوسهم فارتاعوا وخلصت المدينة من فتنتهم

وقد أَظهر التحقيق ان قد دبرت هناك مكيدة لان متولي صيدا جمع سلاح كل المسيحيين بحجة ان حالة الاضطراب السائدة في البلاد تقضي به مع انه سمح في

الوقت ذاته للدروز والمسلمين بدخول المدينة والبقاء فيها مسلحين دون ان يتعرض لاحد منهم. وليس اظلم من هذه المعاملة ولاشيء يوضح باجلى بيان منها غايته السيئة ولما سئل رسمياً لم ينكر بل صرّح بانه سيكره جميع الاهالي على اختلاف مذاهبهم على تسليم اسلحتهم ولما رُغب اليه ان يكتب بذلك تعهداً على نفسه أَبى بحجة انه لا يقوى على منع الدروز من دخول صيدا بسلاحهم مع ان لديه حامية قوامها ٣٠٠ جندي ومدفع والمدينة ذات اسوار.

انه بعد مذبحة ديرالقمر بينما كان الرعب سائداً في صيدا هُددت بيروت ذاتها وكاد ان يصيبها ما أَصاب سائر المدن لولا وجود عدة بوارج اوربية. ان معظم التجار الوطنيين هاجروا الى الاسكندرية. وممَّا زاد الطين بلة انه وجد مسلم مقتولاً فاحدثت هذه الجناية هياجاً عظيماً والحّ المسلمون بوجوب اعدام مسيحي فقبض على فلَّاح مسكين وحوكم وأُعدم في مدى بضع ساعات وهو بريء من هذه الجناية براءة امبراطور الصين منها (١)

ولما لم يبقَ للقناصل العامين أدنى ثقة بالباشا اجمع رأْيهم على ارسال كتاب اجماعي الى كبار زعماء الدروز سألوهم فيه ايقاف الاعتداءات. وتواصلت حوادث القتل وأَمست بيروت وصيدا في خطر وكانت الالوف المؤَلفة التي لجأَت الى كسروان (وهذا اسم الناحية الواقعة وراء نهر الكلب) تتوقع في كل ساعة وثوب الدروز.

ان زعماء الدروز اوضحوا بجلاء انهم لم يكونوا في حرب الجبل الأ آلة بيد

---

(١) ان الشاب المذكور يدعى بطرس بن يوسف ابي مرعي من بكاسين لجأ الى بيروت بعد المذابح وقد ظلَّ ينادي ببراءتهِ من التهمة الى ان تقدم اليهِ الجلاَّد فقال امام الجمع المزدحم في ساحة البرج: «انا بريء وكلكم تعلمون ذلك وتريدون قتلي لاني مسيحي فأَني أَموت مرتاحاً اذا كان في سفك دمي كفارة عن الجميع.»

الباشا وقد حاولوا ألاَّ يعطوا تعهداً صريحًا على ان كتاب قناصل الدول العظمى الخمس الاجماعي قد اتى ببعض الفائدة ولما اتصل خبره بالباشا رأى ان قد كشف سره وايقن ان لا أمل له برفع المسئولية عن عاتقه الا في الالحاح بعقد الصلح .

وقد تحقق حدسنا انه كان في النية احداث مذبحة في كسروان مثل مذابح حاصبيًا ودير القمر وقوام الدسيسة ان الدروز يزحفون على حدود هذه البلاد فينفذ الباشا قوة كبيرة من الجنود العثمانية بحجة « وقاية الامن وحماية المسيحيين من اعتداء الدروز » واذ ذاك تبدأ المجزرة فلا تنتهي حتى تكون الجنود والدروز قد ذبحوا معظم سكان لبنان المسيحيين فلو نجحت هذه السياسة السرطانية لقضي على الوف من المسيحيين .

وكانت النتيجة ان قد أُعلن وجوب عقد الصلح في لبنـان على شرط واحد قوامه ان المسيحيين « يتناسون ما مضى » . فلجأَ الباشا الى الحيـلة واستدعى عدداً متساويًا من وكلاء الامتين لكن الذين أتوا من قِبل المسيحيين كانوا خونة رُشوا بالمال وعلى فرض انهم كانوا نزهاء لما جسروا على مخالفة أَمر الباشا ورفض توقيع ما املاه عليهم . يالتعاسة هذا الشعب ! كيف يتناسون ما مضى ؟ أَنَّى ينسون ان عدة الاف منهم سُلبوا كل اشيائهم واموالهم وامسوا لا يملكون شروى نقير وكيف ان جمهورًا من النساء اصبحن لا مجير ولا معين لهنَّ وقد حُرقت بيوتهنَّ واشياؤهنَّ وكيف ان ٦٠ بلدة وقرية في لبنان قد دمرت وكيف هذا الجبل العامر أمسى قاعًا بلقعًا !

يقال ان عدد المنكوبين بلغ ٧٥ الفًا وربَّما خُيل ان في التقدير مبالغة على انه يسهل تصور مقدار ضحايا المجزرة اذا ما قلت ان البوارج الحربية الانكليزية وحدها نقلت من صيدا ونهر الدامور الى بيروت ٢٤٠٠ لاجيء فيهم ٢١٠٠ من النساء والبنات . ان معظم الاولاد الذكور الذين نجوا قد فرُّوا بزيّ النساء . ان الجميع

يرغبون في هجر البلاد لان هذا الشعب التعس هو في رعب مستمر فلو امكنه السفر لما رضي ان يبقى ساعة تحت حكم تركيا إلاَّ البعض القليل منه. لكن الحكومة هنا أتت عملاً دلَّ على الاستبداد الفظيع وتعمدها استئصال شافة المسيحيين . فان الباشا انذر هؤلاء التعساء الذين رغبوا منذ حين في مغادرة دمشق وسائر المدن حرصاً على حياتهم بانه لا يعطيهم جواز مرور (تذكرة) مع ان لا حق له بمنعهم اذ لكل فرد من رعايا الحكومة العثمانية ان ينتقل في السلطنة من بلدة الى اخرى حسب هوائه .

يتعذر معرفة عدد المسيحيين الذين قُتلوا في مذابح جبل لبنان فالتخمينات متباينة فبعضهم يقدّر عدد القتلى باربعة الاف واخرون بعشرة . فهذا العدد الاخير مبالغ فيه كثيراً وارجح انه لا يتجاوز الاربعة الاف فقد جمعت عدة انباء موثوق بصحتها وعارضتها ببعضها فتبين لي ان عدد القتلى في دير القمر يتراوح بين ١١٠٠ الى ١٢٠٠ وفي حاصبيا وراشيا ٧٠٠ وفي صيدا ٥٥٠ بحيث يبلغ مجموع هذه المذابح الثلاث الكبيرة ٢٢٥٠ ذكرًا الى ٢٣٥٠ واذا ما اضفنا اليها ٢٠٠ لاجيء قُتلوا في ٣٠ و٣١ ايار في جوار بيروت والف مسيحي ذُبحوا في بيوتهم على ما أُرجح فلا اعتقد ان عدد القتلى يتجاوز ٣٥٠٠ ذكر انما فقدهم يحرم البلاد من ايدٍ عاملة كان يتوقف عليها نجاحها وجمع الثروة .

يوم الاربعا الواقع في ١١ تموز وصل ثغرنا بارجة وثلاث سفن حربية تركية وعليها ٣٠٠٠ جندي فارتاع المسيحيون من قدومها واستعدوا للرحيل والحَّ القناصل على الباشا ليسمح لهم بركوب البحر . ان مسيحيي بيروت شعروا الآن بما جرى لهم منذ بدء الحركة فقد كانوا حتى الآن ينظرون بعين الطمأنينة الى وجود البوارج الحربية الاجنبية الراسية في الثغر لكن رأوا ذاتهم بين نارين لان نزول الجنود المار ذكرها الى البر بدلاً من ان تدعو إلى الطمأنينة زادت في غطرسة المسلمين ومن ثمه

في الخطر المهدد المسيحيين .

هنا يقف وصفي الحرب الناشبة في لبنان . وهذه الحرب (ومن الهزء اطلاق هذه اللفظة على مجزرة) قد انتهت اليوم وكنتُ اودُّ ان تنتهي معها روايتي . لكنه في اليوم الذي أُعلن عقد الصلح حدثت فتنة في دمشق منشأها التعصب . وقد كنّا نتوقعها . وفي الحقيقة ان جميع العارفين بشؤون سوريّا تكهنوا منذ ثلاث وأربع سنوات عن امكان حدوث فاجعة في هذه البلاد ولاسيما في حاضرتها . اذ ليس أشدّ تعصباً من اهالي دمشق والمسيحيون فيها قليلو العدد بحيث يخشى ان يُبادوا عن آخرهم . ان عدد المسلمين فيها يناهز ١٣٠ الفاً في حين ان المسيحيين لا يتجاوزون الـ ٣٥ الفاً . ان بركان الفتنة الموَجج منذ زمن طويل انفجر نهار الاثنين ٩ تموز الساعة الثانية بعد الظهر فهوجمت أوّلاً دار قنصل روسيّا ثم أُضرمت النار في بعض بيوت كبار تجار المسيحيين عملًا بالعادة السيئة الجارية في هذه البلاد ولكنهم رأوا ان هذا العمل بطيء جداً فذهبوا الى باب حاب (باب توما) وأخذوا يحرقون الحي المسيحي بأجمعه . فاقتصر على ما تقدم لان كارثة دمشق لم تنتهِ إذ يستفاد من الرسالة الحديثة الواردة منها ان ألسنة النار لا تزال تلتهم حي المسيحيين بعد انقضاء ٨ ايام على بدء الحريق وصراخ المسلمين لم ينقطع وهياجهم لم يخمد وظمأهم للدم لم يرتوِ . لم يسلم أحد . ان الشوارع ممتلئة بالمتعصبين وهم يصرخون دائماً « اقتلوا المسيحيين ! اقدموا فقد سُمح لنا بذبحهم لا تبقوا على أحد ! » . وفي الرسالة المذكورة ان الاوربيين نجوا انّما بغير مساعدة الاهالي وقد حرقوا جميع القنصليات الاّ قنصليتي انكلترة وروسيّاً وطلبوا علناً تسليم قنصلي الروسية وفرنسا الى يدهم .

ان الاوربيين القليلي العدد في دمشق نجوا بفضل عبد القادر والمستر برانت قنصل انكلترة الذي تمكن من انقاذ كثيرين حتى الان بجزمهِ ونشاطهِ العجيب . لكنه محصور في داره مع مائة لاجيء ومعرَّض للخطر في كل دقيقة . يضاف إلى

هذه الاحوال ان العرب والاكراد جاءوا المدينة ينهبون ويقتلون الرجال ويسبون النساء. كل ذلك والمشير غافل لم يبدِ حراكًا ولم يأمر بقفل الابواب ! ولم تمتز الجنود التركية الأ بذبح المسيحيين وهتك حرمة النساء.

ان عثمان بك وقد كان في حاصبيًا عاد إلى دمشق منذ بضعة ايام فاستُقبل فيها بمظاهر التعظيم والاجلال كفاتح. لا يوجد شيء افظع من سلوك أحمد باشا وجميع ضبَّاطه وموظفيه.

ان خوفنا على حلب وحمص وحماه والقدس لعظيم. هل تنجو هذه المدن ؟ لا اظن. اذ يتعذر بقاء حلب في مأمن. (عدد ٢٢ ملحق ص ٤٠ـ٤٦)

(تنبيه) ان هذه الرسالة لم تبلغ اللورد دوفرين الأ بعد ان غادر انكلترة وقدم باريس لمفاوضة الحكومة الفرنسويَّة وسفير حكومته فانفذها الى اللورد روسل وزير خارجية دولته مع الكتاب الآتي المؤرخ في ٥ آب :

اتشرف فارسل الى سيادتكم مقتطفات من رسالة وردت عليَّ الان من المستر سيريل كراهام تتضمن رواية مذابح سوريَّـة الحديثة متناسقة فيمكن سيادتكم ان تثق كل الثقة في صدق اقوال المستر كراهام نظرًا لمعرفتهِ اللغة العربية وعلاقاته مع الدروز والموارنة وتمكنه من زيارة المحال التي مُثلت فيها هذه المأساة ممَّا مهد لهُ معرفة الحقيقة بجلاها. وسترى سيادتكم انه قد قبح بأمرّ الكلام سلوك ارباب السلطة التركية في سوريَّة وستحقق اللجنة الدولية صوابية الاعتقاد السائد في بيروت باشتراك هذه الحكومة والجنود في المذابح بيدَ اننا إذا ما تذكرنا ان المستر كراهام شاهد بعينيه الفظائع التي يرويها لا نستغرب العبارات القاسية التي عاب بها أعمال مثيري الفتنة. (عدد ٢٢ ص ٤٠)

١٠١ – تعليمات الموسيو توفنل وزير خارجية فرنسا الى سفراء دولته في لندرة وفيانّا وبطرسبورج وبرلين بتاريخ ٦ تموز سنة ١٨٦٠

ان الكوائن التي جرت في لبنان قد اثارت كثيرًا الرأي العام كما هو المنتظر وفقهت جميع الوزارات ان هذه الكوائن تفرض عليها واجبات . فسارعت جميعها الى امداد ممثليها في الاماكن المذكورة بما في طاقتها من الوسائل لحماية المسيحيين والرجاء وطيد ان هذه الوسائل مع الجنود العثمانية الموضوعة قيد ارادة فؤاد باشا تكفي على الاقلّ لايقاف المجزرة. بيدَ انه بعد حدوث مثل هذه الفظائع ومثل هذا الاضطراب الشديد في حبل العلائق لا يكفي ايفاءً لموجبات العدالة وقيامًا بسنن النظام واعادةً لمياه الراحة الى مجاريها ان تقمع الفتنة ويُكره الدروز على ترك السلاح بل الحالة تستدعي اتخاذ وسائل جديدة باصلاح ما خربتهُ الكوارث وضمان عدم تجددها. فأرى، ان الدول في الشطر الثاني من المهمة الموكولة اليهنّ خطة رسمتها لهنّ من قبل سوابق المسألة فان المنازعات بين الموارنة والدروز وان كانت لم تظهر في الماضي بهذا المظهر من الاحتدام ولم يتفاقم شرها الى هذا الحد فانها شغلت وزارات الدول في ازمنة مختلفة بحيث ان اتفاقية سنة ١٨٤٢ الموضوعة لتنظيم ادارة لبنان هي نتيجة وفاق عُقد بينهنّ والباب العالي . أمَّا الآن وقد خفر الدروز ذمة هذه الاتفاقية فأَصبح من حق الدول التي اتفقت مع الباب العالي على وضع شروطها وبنودها ان تبحث معه مجددًا في الاسباب التي يخلق نسبة حدوث هذا الحرق اليها وان تنظر في ابدال التنظيم بغيره أوفر مناسبةً . ان الباب العالي لم يمانع قط في ما مضى في قبول توسط الدول في المنازعات التي حدثت بين طوائف لبنان. فالاتفاق معه وهو ضربة لازب ليس بالامر المستحدث ولا يُعدّ تدخلًا يخشى ان يمسّ هيبة الحكومة التركية او استقلالها وانَّما هو مطابق لما سلف وليس الاَّ

نتيجة اتفاق سابق رضي بهِ الباب العالي ولا بدّ من ان يكون راغبًا في بقائهِ لانهُ يجد فيهِ سبيلًا لايلاء الاتفاقيات التي تعقد مجددًا السلطة اللازمة. واذا أُريد استجلاء كنه الحوادث التي جرت ومعرفة مقتضيات الحالة أرى ان طبيعة الاشياء تخطّ لنا الطريق الواجب اتباعها فالدول اذا لم تبادر الى اجراء تحقيق اجماعي في محلّات الحوادث لا يمكنها معرفة عقبات المسألة وحاجات الاهلين الجديرة بالاعتداد. وعليهِ فحكومة الامبراطور ترى من المفيد تأليف لجنة قوامها مندوبو الدول والباب العالي وارسالها إلى لبنان للبحث في اسباب الاقتتالات الحديثة وبيان درجة مسئولية زعماء الفتنة ومأموري الادارة المحلية وتعيين التعويضات الواجب اداؤها لاهل ضحايا الفتنة الذين عضتهم بانيابها ثم درس النظامات التي يوافق اتخاذهـا تداركًا لتجدد مثل هذه الشرور والكوارث وعرضها على حكوماتهم والباب العالي لاجازتها. فاذا ما حاز هذا الاقتراح قبول الحكومات المشار اليها كما يؤمّلني اجماع رأيهنَّ فور تلقيهنَّ انباء المجازر اللبنانية فاننا نحصل بهذه الواسطة على جميع الافادات اللازمة لابرام اتفاق مع الباب العالي مكفول البقاء ولاسيما اذا كان مؤَسسًا على فحص مدقق وصادرًا باجماع الرأي. فاوعز اليك بما لي من الثقة بك ان تطلع حضرة وزير الخارجية على اقتراحي هذا واني مرسل مثل هذا الكتاب الى سائر الحكومات.

ان فرنسا اهتمت منذ القديم في شؤون لبنان وهي عادة (تقليد) مألوفة لا يسع حكومة جلالته انكارها وهذه العادة هي التي اوجبت علينا السعي لدى الدول. بيدَ اننا مع مبادهتهنَّ في هذا الشأن لسنا بمدفوعين بغـاية خاصة ولا نتعمد استحصال منفعة مقصورة على إحـدى الطائفتين المتنازعتين إذ نحن لا غرض لنا إلاّ مشاركة الدول بجامع الحق الواحد والتناصر على اعادة الامن والنظام إلى نصابهما في بلاد لا يمكن اقلاق راحتها دون تعريض السلم في الشرق إلى خطر عظيم.

فلك ان تتلو هذه الرسالة على حضرة وزير الخارجية وتسامه نسخة عنها .

(الكتاب الازرق الانكليزي في حوادث سوريّة سنة ١٨٦٠ ـ ١٨٦١ عدد ٦ ص ٣ ـ ٤ ودي تستا عدد ٣٦ ص ٨١ ـ ٨٣)

١٠٢ – رسالة الموسيو توفنيل الى المركيز دي لافاليت في الاستانة بتاريخ ٦ منه

ياحضرة المركيز : وصلت اليّ أمس رسائل الكونت دي بنتيفوليو قنصلنا في بيروت وتاريخها حتى ٢١ حزيران وفيها يخبرني بالمجزرة التي جرت في لبنان ولاسيما في زحله ودير القمر . ولا حاجة لي ان اقول لك ان هذه الانباء قد كان لها وقع سيء في حكومة الامبراطور فانهُ فضلًا عن عواطف الحزن والشفقة التي ستلقاها في في كل اوربا ضحايا هذه الفاجعــة فالتماليد المتقادمة العهد تقضي على فرنسا ان ترفع صوتها موجبة اتخاذ الوسائــل التي تستلزمها حالة هذه الحوادث المؤلمة وتشارك فيها فلا سبيل اليوم لتحكيم الخلافات السياسية والتزاحم على النفوذ بل ان الشعائر الانسانية تستدعي تدخــلًا عاجلًا وتحوطات سريعة . واني لموقن بانك بادرت في الحــال الى اقناع الباب العالي بكل مالديك من الوسائل ليقوم بالواجبات التي يفرضها عليه شعوره بمسئولية ملقاة على عاتقه . اني امتنع عن الحكم في سلوك مأموريه فالحوادث قد أثبتت عليهم الذنب ففي بيروت ودمشق فاجأتهم الحوادث دون ان يحتاطوا لها فهرق دم المسلمــين والمسيحيين . ان المذابح والحريق بعد ان اجتاحا لبنان يهددان الان سكان المدن ويستفاد من احدث الانباء الواردة علينا انه يُجهل اين تقف الشرور التي عجزت الحكومة عن اتقائها بعد ان شجعت عليها بسكوتها ان لم نقل باشتراكها . كان في مقدمة واجبــات الباب العالي واظنه فقهها ان يسرع لاتخاذ كل الوسائل الكافلة حقن الدماء فاعتقد انه اسرع بارسال القوات الكافية لكبح جماح عصابات الاشقياء التي دخلت لبنان

حتى اذا استتب السلم توجب على تركيا حفظاً اشرفها ان تقتص من المجرمين لان الرأي العام يلح بذلك فاذا احبطت آماله ستحكم اوربا بعجز الدولة حكماً يضطر سائر الحكومات الى الموافقة عليه . ان الحكومة العثمانية لا يمكنها ان تتجاهل في موقفها الحالي نوع واجباتها واهميتها . فعليها ان تنيل الرأي العام ورعاياها الترضية اللازمة وانا على يقين من انها تريد ذلك. انما يبقى على الدول ان تنظر حين الاقتضاء فيما اذا كان يوافق ابقاء التنظيم الذي وضعته للبنان بالاتفاق مع الباب العالي في سنة ١٨٤٢ او تعديله واكون شاكراً لك ان شئت تمحيص هذه المسألة وايقافي على رأيك فيها . (دي تستا عدد ٣٧ ص ٨٣ ـ ٨٤)

١٠٣ ـ رسالة السلطان عبد المجيد الى الامبراطور نابوليون الثالث عن قصر طولمه بغجه في ١٦ تموز سنة ١٨٦٠

يهمني جداً ان تتيقن جلالتكم اني تلقيت خبر كوائن سورية بأسفٍ لا مزيد عليه فانتق باني ابذل كل ما في طاقتي لاقرار الامن واعادة الراحة اليها وانزال أشدّ العقاب في الجناة أيٍ كانوا وانصاف الجميع ولكي لا يبقى أدنى ريب في نيات حكومتي قد شئت ان اعهد بهذه المهمة الخطيرة إلى ناظر خارجيتي المعروفة اراؤه لدى جلالتكم . (عدد ١٢ ص ١٠)

تنبيه : وقد انفذ أيضاً مثل هذه الرسالة البرقية الى جلالة ملكة انكلترة.

(عدد ٣٤ ص ٢٢)

١٠٤ ـ الموسيو نوفنيل الى الكونت دي برسيني سفير فرنسا في لندره عن باريس في ١٧ منه

ياحضرة الكونت : ان سفير جلالة الامبراطور في الاستانة طيّر اليّ الرسالة

البرقية المرسلة في طيهِ بخصوص كوائن دمشق وهي تثبت مآل الرسالة التي سبق لحضرة وزير البحرية اطلاعي على خلاصتها وهكذا قد تحققت المخاوف التي حدثتك عنها منذ بضعة ايام . ان هذه الحرب الفظيعة المعلنة على المسيحيين قد اتسعت دائرة حلقاتها بحيث يتعذر معرفة مبلغ امتدادها فاذا لم تبادر الحكومات الى اتخاذ جميع الوسائل الكافلة ايقاف هذه المشاهد المفجعة وهذه المجازر على قدر استطاعتها فلا تكون قد قامت بما يطلبه منها الرأي العام . ويظهر ان الباب العالي ذاته قد ادرك خطورة موقفه ودليلي على ذلك الكتاب الذي انفذه السلطان الى جلالة الامبراطور وأبلغه أولاً الى الموسيو دي لافاليت سفيرنا في الاستانة ليرسله بالاسلاك البرقية وفي طيهِ نسخة منه وربّما يكون السلطان كتب في ذات المعنى الى جلالة مليكة انكلترة .

بيدَ ان المضاء في الامر ليس باقل لزوم من ابداء الحزم في هذه المسألة ولما كان يخشى اسوء الحظ ان لا تكون وسائل العمل متوفرة لدى البـاب العالي مطابقة لنيّاته فاني أرتاب في استطاعته اتمام ما توجبه هذه الحالة الخطيرة اذا كانت الدول لا تتفق على مساعدته .

ان الامر المعطى لقواد الاساطيل بان يضعوا رجالهم قيد ارادة القناصل غير كاف لادراك محور الفتنة في قلب لبنان وقمعها ولاسيما في مدن الداخلية حيث امتدَّت اليها أو تهددها بالاشتعال فيها وعندي ان فيلقًا من الجنود متوفرة لديه وسائل العمل حسب الظروف يمكنه وحده ان يقوم بهذه المهمة . واذا أحطنا بالمسألة من جميع وجوهها نرى ان الفيلق المذكور يستطيع ان يؤَثر تأثيرًا حسنًا ليس فقط بالنظر الى المساعدة التي يمد بها الحكومة التركية لدى الحاجة بل بالنظر الى النفوذ الادبي الذي يتأتى عن وجوده اذ يطمن بال الاهالي ويؤَثر في سلوك المأمورين العثمانيين ذاتهم .

بيدَ ان هذه التدبيرة لا تُنفذ إلاَّ بالاتفاق مع الباب العالي وعدا ما تقدم فمن

اللازم اللازب ان تتفق عليها بصراحة الدول الخمس وعلى هذا يكون التدخل اجماعياً في اساسه . ان الجنود الاوربية المرسلة بالاشتراك لغاية واحدة تقوم بالمهمة التي انتدبتها اليها الدول .

فاذا شاطرتنا حكومة انكلترة هذا الرأي يصبح في الامكان الاتفاق دون تأخير مع سائر الدول والباب العالي واتخاذ الوسائل العاجلة الكافلة تحصيل الترضيات اللازمة للانسانية والسعي بالاشتراك الى اعادة السلم الى سوريّة .

وهذه النتيجة ياحضرة الكونت تكون عظيمة الاهمية ليس فقط عند الرأي العام والمسيحيين بل ايضاً عند الباب العالي الذي يعجز بالنظر الى الازمة التي تجتازها ادارته وماليته عن ان يتحمل دون خطر محنة قمع فتنة متسمة بهذا المقدار فهذه ملاحظة لا تغرب عن نيرة الحكومة الانكليزيّة . أمّا نحن فنعتقد بموافقة التعويل على مثل هذه التدبيرة التي بسطت رأيي فيها نعم اني لا اجهل صعوبتها انّما العدول عنها يجرّ الى اخطار اعظم ازاء الاضطرابات المتوقع حدوثها .

فاسألك ان تطلع اللورد جون روسل على رأي حكومة جلالة الامبراطور وتباحثه بهذا الشأن ونظراً لما هو ثابت من حراجة الموقف اكون شاكراً لك اذا شئتَ ان تعرّفني بأقرب وقت رأي الحكومة الانكليزيّة فيه ونيّاتها

(المحررات الانكليزيّة عدد ١١ ص ٨)

١٠٥ ـــ *الكونت دي برسيني الى الموسيو توفنيل . عن لندره في ١٨ منه*

ياحضرة الوزير : اني فور تلقيّ رسالتك بتاريخ أمس عدد ١١٣ قصدت حضرة وزير خارجية جلالة ملكة الانكليز فلم اتمكن من الاجتماع بهِ إلاّ في آخر النهار بينما كان يرأس مجلس الوزراء . ولمّا حدثته باقتراحك اضطرب لانه يرى فيه كبير خطر ثم اتفقنا على انه يجيبني هذا المساء الساعة السادسة ونصف الساعة ففعل

وقد ارسلت لكم خلاصة جوابه بالسلك البرقي وهاك مجملها :

ان الحكومة الانكليزية تقبل مبدئيًا مقترحكم لكنها لا تستطيع ارسال جنود انكليزية الى سورية لاسباب يعرفها الجميع وهي ان ليس لديها قوّات برّية انما ستعزز قواها البحرية في شواطىء سورية بارسال بعض بوارج لتتمكن من حماية سكّان المدن الساحلية . أمّا البلدان الداخلية ولاسيما بلاد لبنان المسيحية فيعهد بحمايتها الى جنود فرنسوية ربما أضيف اليها جنود نمسويّة . ولا ترى الحكومة الانكليزية لزومًا لاشراك الجنود الروسية أو البروسية . انما يشترط ان لا يتم احتلال الجنود الفرنسوية الا بموجب وثيقة يجري التفاوض فيها والموافقة عليها بيننا تكون هذه الجنود ذاهبة لمحل مقصدها . ويسألكم حضرة اللورد جون روسل ان تكتبوا مسودّتها . (دي تستا عدد ٤٢ ص ٨٨-٨٩)

١٠٦ — *المركيز دي لافاليت الى الموسيو توفنيل . عن طرابيا في ١٨ منه*

ياحضرة الوزير : تلقيت الرسائل التي شرّفتني بتوجيهها اليّ بما فيها رقم ٥٣ وقد ألفتَ نظري خاصةً الرسالة الـ ٥١ الباحثة في كوائن سوريًا . ولا بدّ من ان تكونوا واثقين باني لم اهمل ما بوسعي لحمل الباب العالي على التعجل باتخاذ احزم الوسائل الكافلة ايقاف نكبات سوريًا . وقد رأيت من الفضول ان اوقفكم على تفاصيل مساعيّ اليومية لاعتقادي انكم لا تشكّون في ما ابذله من النشاط النجاح في هذه المسألة الخطيرة انما دولتكم تعرفون موقفي دون ان ازيدكم ايضاحًا . ان الصعوبة كائنة كما قلت لكم سابقًا في عسر الدولة ومشاكلها لا في نيّاتها اذ لم تكن لتستطيع ارسال جنود جديدة الى سوريًا دون خطر قبل دفع رواتبها خشيةً من ان تضم الى الناهبين اناسًا مستائين ومستعدّين للتمرد. ولمّا تمكنتُ من الحصول على الاموال اللازمة لدفع رواتب الف جندي متأخرة أرسلتهم الى سوريًا والحقتهم

بغيرهم تدريجًا وكنت ساهرًا على ما هو جارٍ . وعندما تسنى لها جمع عدد من الجند كافٍ لجعل سلطة قائدها محترمة طلبت وفقًا لتعليماتكم ان يُعهد بقيادتها الى رجل حاصل على ثقتنا واذ ذاك تقرر ايفاد فؤاد باشا .

ان الكتاب الذي انفذته الى الناظر المشار اليه وقد ارسلت لكم نسخة منه تُلي أَوَّلاً على مسامع مجلس الوزراء ثم عُرض في اليوم ذاته على جلالة السلطان فكان وقعه عظيماً . فاستدعى في الحال ناظر خارجيته وخاطبه بلهجة حازمة خارجة من صميم فؤاده بحضرة قائممقام الصدر الاعظم عالي باشا ونزع من طربوشه الطغراء السلطانية وهي شعار السلطة العسكرية وسامه اياها قائلًا لهُ انه يعتمد عليه لاخذ ثأر شرف جيشه .

وهذه عبارة من حديث فؤاد باشا حين سفره مع الموسيو اوتري (قنصل فرنسا في دمشق) : « قل لسفير فرنسا اني سأغسل العار الذي لحق بشرف الجيش ولو كان في ذلك مماتي وان الجنود تقوم بواجبها . »

قد سافر فؤاد باشا نهار الخميس المنقضي ١٢ الجاري على بارجة تصحبها سفينتان حاملتين جنودًا وذخائر .

قد أَصبتم دولتكم في اعتقادكم ان لا علاقة لهذه المسألة بالخلافات السياسية ومزاحمات النفوذ الدولية وعلى كلٍ أَرى من المبتسر النظر منذ الان في تنظيم سوريًا بل يجب الاهتمام قبل كل شيء بوضع حدٍ للنهب والحريق والمجازر ومتى عادت الطمأنينة الى المسيحيين الباقين في قيد الحياة بفضل الاحتياطات العسكرية وأنزل الرعب في قلوب الدروز والمسلمين شركاهم في الجناية فهابوا سطوة الحكومة فيحسن اذ ذاك التدقيق في عيوب نظام سنة ١٨٤٢ الموضوع للبنان واصلاحه .

اتشرَّف بأَن ارسل لدولتكم في طيهِ ترجمة الخط السلطاني المتعلق بالمهمة الموكولة الى فؤاد باشا . (دي تستا عدد ٤٣ ص ٨٩_٩٠)

١٠٧- فرمان السلطان عبد المجيد لفؤاد باشا ناظر الخارجية في اواخر ذي الحجة سنة ١٢٧٧ [اوائل تموز سنة ١٨٦٠] (١)

الدستور المكرَّم المشير المفخم نظام العالم مدبّر أُمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأي السديد الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد أَركان السعادة والاجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى أَفخم وكلاء دولتنا العلية واعظم مشيري سلطنتنا السنية المنوطة بهِ نظارة الامور الخارجية في دولتنا العظمى المختار من لدن ملوكيتنا مستقلًّا بمأمورية خرق العادات لمصالح سوريَّا الحامل علامتنا المجيدية والحائز باستحقاق شرف نيشان امتيازنا الملوكي والخدمة العسكرية من الرتبة الاولى الوزير الالمعي محمد فؤَاد باشا أَدام الله تعالى اجلاله .

توقيعنا الرفيع الشأن هذا بوصوله اليك لتحط علمًا انك ايها الوزير الهمام المشار اليه بالبنان لعالم حق اليقين بالفتنة التي اشتعل اوارها الان بين الموارنة والدروز سكَّان جبل لبنان الذي هو في سوريَّا وحينما انتهى الينا ما نشب بينهم من المناقشة والجدال والمبادرة الى المجالدة والقتال كان ذلك ممَّا تكرهه عنايتنا الرحيمة رأفة

---

(١) احتُفل بتلاوة هذا الفرمان في بيروت في ١٩ تموز ثم انفذ فؤَاد باشا اذاعته الى شعب سوريَّا ووزَّع نسخًا منهما على القناصل . أمَّا بطانته فكانت مؤَلفة من المفتي شروان زاده محمد افندي وشوكت افندي كاتب سرّه الاول والقائم مقام حسن بك رئيس اركان حربه (وهو انكليزي عُرف باسم اوريلي وقيل انه ابن اللورد بلمرستون) والقائم مقام رؤُوف بك والضابطين مصطفى افندي وجميل بك ومن ابرو افندي مدير المراسلات الفرنسويَّة في نظارة الخارجية وفرنقو افندي رئيس قلم فصل الدعاوى (وهو الذي صار فيما بعد متصرفًا على لبنان) ودانيش افندي وكونستان افندي وارزومان افندي من تراجمة النظارة

بالعباد وسطوتنا القاهرة تأبى الا النظر بالشفقة على الرعية متساوياً لدينا جميع صنوف المتسمين بتبعة دولتنا العظمى على اختلاف مللهم ليكونوا بالامن والراحة رغيداً عيشهم مطمئنة قلوبهم في ظلال الامن راتعين وان لا يتجاوز بوسيلة على اخرين تلكم قصارى بغيتنا ونتيجة مأربنا . فأما ما اضطرب بهِ جبل لبنان من الحركات الغادرة الظالمة فانها من جميع الوجوه تغائر رضانا وتعاند معدلتنا ولهذا انطنا بدرايتك الكافية النظر في ذلك وفوضنا الى فطنتك الذاتية التي اتصفت بها في الخافقين الامر في الاستقلال لتسرع باخماد هذه الثائرة واستئصال جرثومة الذين ايقظوا الفتنة فلا تبقِ عليهم ولا تذر اولئك الذين عثوا مفسدين عدواناً وكانوا سفاكين دما البشر. فيا ايها الوزير الواحد الاحد المستجمع غرر الصفات السابق الايماء اليها الجليل المهاب بين رجال سلطنتنا المظفرة انت انت الذي وثقت بك عظمتنا وقد عولت عليك اعتمادها لتكون من لدنها بالاستقلال في الحادث الجلل مطلق الامر ماضي الاحكام ولقد سيُرنا نحو هاتيك الاقطار الجيش العرمرم وجحافل العسكر الجرار تصرفها أنى شئت حسب رأيك وتدبيرك واجتهادك في المصالح وبحول الله عزَّ وجل تجدّ في المسير من هنا الى تلك الناحية حتى اذا وطأتها اضحى وزراء الملك والجيش كافة اليك مرجعهم برأيك يأتمرون وعلى تدبيرك يسلكون في ما ينبغي لاضمحلال اثر هذه الفتنة التي نشبت بين الموارنة والدروز في اسرع حين . والجهد كل الجهد بردّ الامن والسكون والراحة الخفي برّها بالناس أجمعين والذين تجاسروا عدواناً على سفك دماء ذريَّة بني البشر اجعل جزاهم بمقتضى الاحكام التي نصَّ عليها عدلنا في قانون الجزاء ردعاً وتأديباً والهمة الهمة في محو أثر هذه الغائلة الفظيعة مستعملاً في ذلك ما استقليت بهِ رأياً واجتهاداً وقد فوضناه اليك وأنطناه بك من تدبير مصالح السياسة وترتيب الجيش ايفاءً بما يجب من حق الدراية والقيام بواجبات الوظيفة وبذل ما تتصل اليه الاستطاعة وعلى ذلك صدرت اليك الاوامر من ديواننا الملوكي بولاية

هذا العمل والاذن بالذهاب لتكون منتهجاً بمقتضاه موثقاً بهِ معتمداً على علامتنا الشريفة تحريراً في اواخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٧٦

(نُقل بالحرف عن الصورة المعربة الموجودة عند صاحبي هـذا الكتاب . والكتاب الازرق الانكليزي المذاع في سنة ١٨٦٠ ـ ٦١ عـدد ٦٥ ملحق ٢ ص ٤٣ـ٤٤ ودي تستا عدد ٤٤ ص ٩٠ـ٩١)

١٠٨ – نشرة فؤاد باشا في ٣٠ ذي الحجة سنة ١٢٧٦ [١٩ تموز سنة ١٨٦٠] الى شعوب سوريا

ان الحرب الاهلية التي نشبت في جبل لبنان بين الموارنة والدروز وأسالت أنهراً من الدم قد اوجبت استياء جلالة المتبوع الاعظم الشامـل برأفته جميع رعاياه على السواء دون أدنى تمييز .

من الامور المخالفة لنيّات جلالته اعتداء فردٍ على فرد أو ملة من الملـل على أخرى لاي سبب كان أو بأية صورة كانت وبناءً عليه فجميع الذين يخالفون هذه الاوامر يعدون كمتمردين على الحكومة . ومن ثم يجب محو آثار كل عداء بعد الفظائع التي اقترفها أهالي لبنان .

قد جئت موفداً من قبل الحضرة السلطانية بمهمة مستقلة وخارقة العـادة لمعاقبة الذين ارتكبوا هذه الجنايات وقد تضمن الفرمان السلطـاني العالي الشأن الموجه اليَّ بيان السلطة المخولة لي فاظهر عدالة الحضرة الشاهانية ملجـاء المظلومين التي تصغي لشكاويهم وتقتص من الظالمين وسأتمم ما عهد اليَّ بهِ بكل نزاهة فليرتح بال الجميع . أما في ما يختص بالعيل التي طُردت من بيوتها فأتكفل باعادتها وسد حاجاتها المعاشية مظهراً لها بذلك الشفقة الخاقانيـة والمعدلة الشاهانية . ينبغي ان يقف الاقتتال حالاً فان الجنود السلطانية التي بامرتنا ستعمل

منذ اليوم ضد من يخالف هذه الاوامر ويبدأ بالعداء منذرين بانزال العقاب العاجل في كل من يعكر كأس الراحة . وقد فوض الينا خلا السلطة لوضع حد للاقتتالات وسائل غير عادية لمحاكمة الافراد الذين اقترفوا الجنايات . فللجميع كبارًا وصغارًا ان يبسطوا لدينا شكاويهم فنعيرهم اذانًا صاغية . ولاحاطة الجميع بذلك حرر . (عدد ٦٥ ملحق ٣ ص ٤٤ ودي تستا عدد ٤٥ ص ٩١ ـ ٩٢)

١٠٩ — امر سام عام الى ولاة كردستان وخربوط والموصل وبغداد ومرعش واطنه وسيواس وانقره وطرابزون وارضروم ومشير فيلق الاناطول
في ذي الحجة سنة ١٢٧٦ [تموز سنة ١٨٦٠]

لقد علم الباب العالي بمزيد الكدر ان المسلمين في دمشق اعتدوا على المسيحيين رعايا جلالة السلطان الامناء وتجرأوا على ارتكاب الفظائع كالقتل والنهب . ولا حاجة الى تكرار القول بان حماية اموال المسيحيين رعايا الباب العالي وحياتهم وعرضهم التي عهد بها عزَّ وجلَّ الى جلالة مولانا السلطان الاعظم هي من قواعد الشرع الشريف الاساسية وتعاليمه المجيدة . ومن الجلي الثابت ان من يخالف هذه القواعد لا ينجو من العقاب دنيا وأُخرى .

ان مقترفي هـذه الفظائع المخالفة لشريعة نبينا محمد ولعواطف الحضرة الشاهانية المملوءة رأفة ورحمة سينزل بهم العقاب الشديد قريبًا وفقًا للشريعة وقانون الجزاء . أمَّا إذا حدث ان بعض الفاقدين رشدهم والجاهلين تعاليم ديانتهم ونواهيها يرتكبون مثل هذه الامور المستفظعة معتدين على المسيحيين فيجلبون أشدّ الاخطار على الحكومة تلقى كل المسئولية على عاتق مأموري الباب العالي ولا يستطيعون التنصل منها . ومن ثمَّ فعلى كل مأمور ان يعرف واجباته ويبذل جهده لحفظ الراحة في البلاد وليتيقن انهُ يحاسب على عمله ويعرض ذاته للقصاص اذا وقعت لا سمح

الله مثل هذه الجنايات . ينبغي في كل آن حفظ السكينة في ولايات السلطنة بل ان ذلك اشد ضرورة في هذه الاونة . فاسهروا ليل نهار وافكروا بان بلادنا في وقت حرج وخطر فاتحدوا بارباب السلطة العسكرية واوقفوا مساعيكم على استدراك وقوع نزاع بين سائر طبقات الرعايا وحفظ الامن وملافاة كل مايضطرب له حبل الالفة بحيث توفرون على الحكومة الكثيرة الارتباك الآن مشاكل جديدة فاذا ما لاح لكم بان المسلمين يضمرون الشر للمسيحيين وبالعكس خذوا حالاً جميع الوسائل الاحتياطية لملافاة الشر . واذا ارتُكبت جناية لا تتركوا الشر يتفاقم بل سارعوا بنشاط الى تسكين الخواطر واتقاء حدوث اضطرابات .

ولما كان اقرار السكينة في الولاية الموكولة اليكم ادارة شؤونها هي من الاهمية بمكان كما اوضحنا آنفًا فاذا ما تحققتم ان القوّات التي لديكم لا تكفي فلكم ان تجندوا دون استئذان العدد اللازم وتنتقوا هذه الضابطة من بين الاشخاص الصادقين الحسان السلوك الذين لم يسبق لمواطنيهم الشكوى منهم ثم تعلمون الباب العالي بما فعلتم

وقصارى القول ان جلّ رغبة الحكومة ان توطدوا الراحة في الولايــة التي تديرون شؤونها وتسهرون على عدم حدوث نزاع بين المسلمين والمسيحيين او اعتداء على المأمورين الاجانب ورعاياهم فتقيدوا بالنصائح المشروحة آنفًا واجعلوا نصب عيونكم سوء عقبى الاضطرابات التي نرجو ألاَّ تقع صارفين عنايتكم الى توطيد اركان السكينة وهو الامر الجوهري واثبتوا بالاعمال صداقتكم واخلاصكم وحبكم لحكومتكم وسلطانكم ومذهبكم وأمتكم. (دي تستا عدد٤٦ ص ٩٢-٩٣)

١١٠ – الكولونل اوريلي الى السر بولفر . عن بيروت في ١٨ منه

سألني فؤاد باشا ان اكتب اليكم لاقص عليكم ما رآه من حالة هذه البلاد

واطلعكم على ما تحوى رسائله الى حكومته من الانباء التي يظن انكم تودون معرفتهـا . وقد رغب اليّ في الوقت ذاته ان اهديكم تحياته وان اخبركم بأنه لولا كثرة اشغاله لكتب اليكم بيده . فقد وجد حالة الناحيـة حوالى بيروت في سكينة تامة وأنا مثـله لانه عُقدت هدنة بين الدروز والموارنة وعاد الاولون الى قراهم . وهو يعني الآن باعادة ثقة الاهلين بالحكومة وقد زعزعهـا تصرف قواد الجنود التركية في بعض الاماكن ولهذه الغاية أمر خورشيد باشا بالذهاب على سفينة لتفقد المدن الواقعة على سيف البحر حتى اللاذقيـة واوفد أَلفيس أميرال مصطفى باشا بهذه المهمة الى عكَّا واصحبه باحد رجال بطانته من الكاثوليك لتوزيع الاموال وانفاقها على جرحى الموارنة الموجودين في المدن الساحلية وقد اعطى ايضًا راهبات المحبة الفرنسويات مبلغًا لينفقنه على الجرحى في مستشفاهنّ .

لقد توالت الاعتداءات على مسيحيي دمشق منذ بضعة ايام . أمَّا جميع مسلمي دمشق محبي السلام والعلماء وسائر مشايخ الدين الاسلامي يبذلون جهدهم لايقاف الاشرار وهم سكَّان حي الميدان الواقع في ضواحي المدينة المأهول باشقياء الحوارنة والعرب الذين انضمّ اليهم الاكراد المقيمون في الجوار. ان مقترفي هذه الجنايات جميعهم مسلمون أو دروز لكن جميع اعيان المسلمين وجّهوا عنايتهم لاطفاء نار الفتنة انمـا يظهر ان ارباب السلطة العسكرية لم يعضدوهم في سعيهم ولذلك اوعز فؤاد باشا الى أحمد باشا المشير السابق ان يأتي ببيروت مستسلمًا اليه وسيحاكم ايضًا في هذا الاسبوع امام مجلس حربي الضابطان عثمان بك وعبد السلام بك على تهاملهما في مذبحتي حاصبيًا ودير القمر . ان عدد القتلى في دمشق يناهز الـ ٥٠٠ لان سـائر المسيحيين لجأُوا الى القلعة .

تلقى فؤاد باشا منذ وصوله رسائل تؤَكد لهُ استتباب الامن . وقد انفـذ كتابًا الى حلب موعزًا الى قائدها ان يستعمل القوَّة في الحال عند حدوث أَقلّ

اضطراب ويجود بنفسه وبحياة آخر جندي من رجاله لتوطيد الراحة.

بعد بضعة أيام نسافر للداخلية واذ ذاك ينزل دولته أشد العقاب في الفريق الذي ارتكب الجنايات في دمشق.

(المحررات الانكليزية عدد ٧٣ ص ٥٥ ـ ٥٦)

١١١ – خلاصة عريضة مسيحيي دمشق الى القناصل في ٢٠ تموز

ان مسلمي دمشق الشديدي التعصب أخذوا قبل عيد الاضحى الواقع في ٢٩ حزيران يعقدون جلسات سرية مكثرين من الاختلاء ببعضهم وكان احمد باشا مشير فيلق عربستان واقفاً على مجرى هذه الدسائس والمؤامرات لان المسلمين كانوا يجهرون بها منزلين ضروب الاهانات بالمسيحيين يومياً. ثم كان ان شاع خبر دخول الجيش الروسي مولداڤيا فازداد حنق المسلمين تأججاً. وفي الوقت ذاته حدثت مجازر لبنان. وفي علم الجميع كيف تصرفت الجنود التي ارسلها أحمد باشا في زحله وحاصبياً فان بعض الضباط لاموا رفيقهم عثمان بك ضابط هذه الفصائل لدى رجوعه الى دمشق على عمله فأجابهم انه فعل مؤتمرًا بتعليمات أحمد باشا. وفي ذلك الحين استقدم المشير المومأ اليه سرًّا كثيرين من زعماء الدروز الى دمشق فأُخبر الموسيو لانوس مدير شؤون قنصلية فرنسا بالوكالة والامير عبد القادر بما أُضمر من الشر للمسيحيين فاجتهدا باستدراك الخطر وتوفق الامير عبد القادر باقناع كثيرين من زعماء الدروز بالعدول عن الايقاع بالمسيحيين فتعهدوا لهُ بعدم السماح لرجالهم بدخول دمشق. واذ ذاك اعتزم المتعصبون على ايقاظ الفتنة عاجلًا وضربوا عيد الاضحى موعدًا لها على ان الامير كان يقظًا لا تأخذه سنة النوم فاستقدم اليه جميع الجزائريين المشتغلين بحراثة الاراضي في السهول المجاورة فاجتمعوا لديه فسلّحهم وقسمهم الى جماعات وأمرهم بالطواف في الاحياء والسهر على حفظ الراحة

العامة وبهذه الوسيلة اتقى وقوع الشر ومضت أعياد المسلمين دون ان يحدث ما يكدر معين الراحة واستمر الحال على هذا المنوال حتى ٩ تموز وماء الطمأنينة تجري مجراها في القلوب فصرف عبد القادر رجاله وذهب الى الصالحية للاصطياف .

على ان اعداء المسيحيين لم يعدلوا عن فكرتهم الشيطانية فارسلوا في ٩ منه بعض الرعاع الشرّد للتحرش بالمسيحيين فانتشروا في احيائهم يسبون الصليب ويهينونه ويلعنونهم موجهين اليهم كل أنواع الشتائم فاستلفت القناصل وزعماء الاسر انظار أحمد باشا الى هذه الاعمال التحرشية فكان ان تستر وراء واجبات العدل واوجب على المذنبين عقاباً من شأنه اثارة غضب المسلمين فبينوا لهُ الخطر الذي ينجم عن هذه الوسيلة فأبى الرجوع عن أوامره مع انهُ لم يكن يجهل هياج الافكار وقربِ طلوع جنين الفتنة فاصراره يثبت ما أُتهم بهِ من رغبتهِ في ايجاد سببٍ للمسلمين يتخذونه حجة للايقاع بالمسيحيين فلقد ارسل الرعاع المذكورين الذين أَهانوا الصليب مكبلين بالحديد الى أحياء المسيحيين ليكنسوا تلك الشوارع فاغاظ هذا المشهد المسلمين فاجتمعوا وهجموا على المسيحيين الامنين في الشوارع وكان ذلك عند الظهر . وبعد ساعة بلغ الهياج معظمه واحتشد جميع المسلمين مسلحين . وعند الساعة الثانية بدأُوا بمهاجمة قنصلية روسيا وكان القنصل في زيارة الموسيو لانوس فذبحوا ترجمانه خليل شحاده وسائر الموظفين . ثم استسلموا للنهب والحريق وفي برهة وجيزة اشتعلت النيران في حي باب توما كله فتراكض سكّانه الى قنصلية فرنسا طلباً للالتجاء فقتل كثير منهم في الطريق .

وفي ذلك الحين وصل عبدالقادر من الصالحية بالجزائريين الذين تسنى لهُ حشدهم فذهب توّاً الى قنصلية فرنسا وقد اصطحب اليها المسيحيين الذين التجأوا بهم ثم اوصل هؤلاء التعساء مع قناصل فرنسا والروسية واليونان وراهبات المحبة والاباء اللعازريين إلى داره . وظلَّ طول الليل يطوف انحاء المدينة وكان قد انضمَّ

اليه ابناؤه وجمهور من الجزائريين فخرج بهم سبع مرّات واوصل الى داره او الى القلعة عدّة الاف من المسيحيين فبلغ عدد الذين انقذهم واوصلهم الى القلعة الـ ١١ الف نسمة وعدد الذين أَواهم في بيته يربو على الثلاثة الاف

أَمَّا جنود الحامية وعددها الفان فقد انتشرت منذ الساعة الثالثة في الاحياء المسيحية دون ان تمدّ لهم يد المساعدة ولمَّا جاء الليل نُفخ في البوق فعادت الجنود الى القلعة .

وكان كثيرون من المسيحيين لم يتمكنوا من اللحاق بعبدالقادر عند مروره في احيائهم فاجتاز عدد عظيم منهم سطوح البيوت لائذين بدار بطريركية الروم الكاثوليك وكنيستها لكن أَلسنة اللهيب اتصلت بهذه الابنية فاضطرُّوا الى الفرار وعدد هؤلاء التعساء من ثلاثة الى اربعة الاف بينهم البطريرك وأَربعة اساقفة و٣٤ كاهنًا وكثير من العيال التي نجت من مذابح حاصبيًا وراشيًا والقرى المجاورة دمشق . فخرج هذا الجمهور من المدينة قاصدًا دير صيدنايا وهو يبعد نحو ساعتين عن دمشق فساروا صفًّا طويلًا في وسطهم النساء والكهنة والاطفال وعلى جوانبهم الرجال مسلحين.وبعد مسير ربع ساعة بلغوا الطواحين في المكان المعروف بجسر «الحدعشريّة» ففاجأَهم هناك عصابة من المسلمين قوامها ٧٠٠ الى ٨٠٠ رجل فقتلوا كل القافلة الأَ الف و٨٠٠ امرأة وبنت فاقتادوا هذه التعسات الى البساتين وبيوت المسلمين المجاورة واغتصبوهنَّ واكرهوا بعضهنَّ على اعتناق الاسلام وذبحوا من أَبت الاذعان لارادتهم ثم ساقوا معظمهنَّ في الاسواق عاريات لا يستطعنَ وقوفًا وباعوهنَّ بالمزاد الى البدو والعرب الآتين من الصحراء كل واحدة بمائة الى ١٥٠ قرشًا .

وقد تمكن قسم من الرجال وفيهم عدّة كهنة من الالتجاء الى بعض المسلمين فأَجاروهم وبينا كان جمهور المسيحيين السابق الذكر خارجًا من البطريركية والكنيسة

التقى بالجنود سائرة الى القلعة وفي مقدمتهم النافخو في الابواق فتوسلوا اليهم ليرافقوهم ويحموهم فلاقوا اذانًا صمًّاء . وبعد ان تناولت الجنود طعام المساء عادت الى المدينة واشتركت بالذبح والسلب وقد شوهدوا غير مرَّة عائدين الى القلعة حاملين الغنائم لايداعها مكانًا أمينًا ثم يرجعون الى مكان المجزرة .

ان ضابطًا يدعى سليم بك وبأمرته الف من الباشبوزق كان موجودًا في الميدان أَحد احياء دمشق المتطرفة وهو مأهول بألفي مسيحي وبعشرين الف مسلم فعند بدء المذبحة انتصر للمسيحيين وردّ سفا كي الدماء والناهبين وقبض على ١٥ شقيًا وقادهم الى قصر المشير فالتقى بطريقه بجنود نظامية فعنفوه على عمله واضطروه الى اطلاق اسراه فذهب الى أَحمد باشا محتجًا فلم يصغَ اليه وتركته جنوده وانضمت الى السالبين . وقد جرى ذلك يوم الثلاثاء الواقع في ١٠ منه .

ومن الغد الاربعاء ١١ منه اشتعلت النيران في الحي المسيحي كله فأَمسى كأتون مضطرم وغطت جثث القتلى الارض ولم يرتوِ الجزَّارون . وفي ذلك اليوم دخلوا بيت الخواجا عنحوري وهو شيخ جليل كان لهُ المقام الاول في دمشق بثروته ومنزلته العليا فأَبى الهرب لانه كان قد احسن الى الجميع في حياته فاعتمد على مبرَّاته واستسلم للآمال . وكان لسان اللهيب المندلع قد اوشك ان يتصل ببيته عندما دخل عليه الجناة فقتلوه مع كل ذكور عائلته الكثيري العدد وستة كهنة وضيوفه وخدمه ونهبوا البيت . وكان في عداد اللاجئين ٢٤ امرأة وبنتًا فافتضوهنَّ وعذبوهنَّ ثم جرُّوهنَّ في الاسواق مغمى عليهنَّ من الحزن والحياء عاريات داميات نائحات وبيع بعضهنَّ من الاكراد واتفق ان التقت الباقيات بالمسيو لانوس وكيل قنصلية فرنسا متنكرًا بزي بدوي طائفًا في الشوارع ومعه عدد من الجزائريين لانقاذ المسيحيين الذين يصادفونهم فاشتراهنَّ ولفهنَّ الجزائريون ببرانسهم واقتادوهنَّ إلى عبدالقادر . وفي اليوم ذاته اتصل بالامير ان النساء اللواتي اوصلهنَّ

إلى القلعة وسلمهن إلي أحمد باشا أمسين عرضة لاعتداء جنود الحامية وان الالوف من المساكين الذين اجارهم فيها يتضورون جوعاً ففقد والقناصل مجلساً وكان الزاد قد نقص عند الامير فوقع الاتفاق على انـه لا يبقي عنده سوى الذين يمكنه ان يقيتهم ويعولهم ويرسل الباقين الى القلعة تحت حماية رجاله فتم ذلك وذهب المسيو لانوس وكيل قنصلية فرنسا والموسيو سبارتاليس وكيل قنصلية اليونان إلى القلعة للسهر على أمن اللاجئين اليها فرافقهما الاباء اللعازريون وراهبات المحبـة لتعزية هؤلاء المنكودي الحظ والاعتناء بهم. فابتاع الموسيو لانوس ما وجد من الخبز والمأكولات المتنوعة وتولى الآباء اللعازريون والراهبات السابقات الذكر توزيعها . أمّا مشهـد هؤلاء الـ ١١ الف نسمة المنكودة الطالع المحشورة في ساحات القلعة المتوسدة التراب فكان يدمي القلوب ويفتت الاكباد. فكنت ترى الرجال والنساء والاطفال مختلطين مذعورين عائشين في قلق مستمرّ فقضوا هناك ثمانية ايام كأنها ثمانية قرون فأشعة الشمس تصهرهم والنـداء يبللهم والبرد يقرسهم والارض فراشهم والسماء غطاؤهم لا يجسرون على الابتعاد عن بعضهم اكثر من عشرة اقدام حتى لقضـاء حاجاتهم الضروريّة وكلهم مرضى يرتجفون من الحمى لا خبز عندهم ولا ماء وكل يوم يشهدون نزع كثيرين منهم . لقد وضعت بعض النساء واجهضت اخريّات من جرّاء هول هذه الحالة وليس من يعتني بهنّ . وخيم السكون المريع فوق تلـك الجماهير القانطة التي كانت ترتعش لكل حركة خارجية معتقدة ان قد اقترب أجلها كلما سمعت صراخ سفاكي الدماء. انّما بعد وصول الموسيو لانوس والاباء اللعازريين وراهبات المحبة عاد الى هؤلاء التعساء بعض روعهم .

أمّا المجزرة فلم تقف إلّا يوم الاثنين ١٦ تموز عند الساعة الثالثة بعـد الظهر . وحينئذٍ وصل محمد باشا والي دمشق الجديد ومعه ثلاثة الاف رجل من الجنود النظامية فأحاطوا بالمدينة وأمر بنزع السلاح من الجميع . ومن الغد ١٧ منه اوعز الى

المسيحيين بان قد صار في وسعهم الخروج من القلعة آمنين بيدَ انه لم يجسر أحد منهم حتى ١٩ منه ان يخطو خطوة واحدة خارج هـذا الملجأ دون ان يكون مخفورًا بالجزائريين .

ان عدد الضحايا يتراوح بين ستة إلى سبعة الاف ولا تزال جثث كثيرة تحت الردم وفي خرائب البيوت المحروقة والابار هذا خلا الاولاد والنساء المتراوح عمرهم بين ١٠ إلى ٢٠ سنة الذين اقتيدوا الى الصحراء . (عن الاب جوبين ف١ ص٦٩ـ٧٥)

١١٢ - تلغرافية الباب العالي الى سفيري فرنسا وانكلترة في اول محرم سنة ١٢٧٧ [٢٠ تموز سنة ١٨٦٠]

لقد طُرح على انجاث مجلس الوزراء الرسالة البرقية التي بعث بها حضرة الموسيو توفنيل فتسلمنا نسخة منها وهي تتضمن المطالب الآتية :

١ً : ايفاد لجنة اوربية الى سورية لاجراء تحقيقات فيها بالاشتراك مع مأموري الباب العالي وادخال التعديلات اللازمة على نظام سنة ١٨٤٥

٢ً : انفاذ قوة الى سورية للمساعدة على اعادة مياه الراحة الى هذه الايالة .

٣ً : عقد اتفاق مع الدول العظمى للقطع بهاتين المسأَلتين .

٤ً : تفويض سفيرنا في باريس تلغرافيًا الاجتماع بممثلي الدول الاول لمفاوضتهم والاتفاق معهم وضعًا لبنود هذه الاتفاقية .

فدقق مجلس الوزراء المشار اليه في محتويات هذه الرسالة البرقية . وعليه أُبادر الى ايقاف سعادتكم على ما استقرَّ عليه رأيًا وصدرت الارادة السنية باجازته وهو

إِنه لما كانت خصائص هذه اللجنة ستقتصر على تنقيح نظامات لبنان الادارية الموضوعة في سنة ١٨٤٥ وتحصر في شؤُون الجبل دون غيرها بحسب ماهية النظامات المذكورة وكانت من جهة أُخرى طريقة الادارة الجاري العمل بموجبها

الآن في لبنان قد بُحث فيها ووضعت باتفاق الدول العظمى فمن البديهي ان تجري المفاوضات في التعديلات المراد ادخالها عليها والقطع بها بمشاركة الدول أيضاً. وعليهِ بادر الباب العالي الى القبول بارسال اللجنة المقترح ايفادها.

(دي تستا عدد ٤٧ ص ٩٣ ـ ٩٤)

١١٣ - الدوك دي مونتبيلو سفير فرنسا في بطرسبورج الى المسيو توفنيل في ٢١ منه

ياحضرة الوزير: تلقيت في ١٩ الجاري رسالتكم البرقية المنفذة اليَّ في ذلك اليوم وفيها تنبئونني بالاقتراحين اللذين عرضتموهما على حكومات لندره وفيانا وبرلين بشأن سورية وبان انكلترة قبلت بهما وارتأت ان تقوم فرنسا بتقديم معظم القوات الاوربية التي سيعهد اليها بالاشتراك في اعادة السلم الى سورية بموجب اتفاق يعقد بين تركيا والدول الاول.

لكني لم اتمكن من مقابلة البرنس غورتشاكوف وهو دائمًا في بترهوف إلاَّ أمس الجمعة فتلوت على مسامعه رسالتكم وابرقت لكم مساء أمس خلاصة جوابهِ لي بعد ان فاوض الامبراطور. فقد صرَّح لي البرنس المشار اليه دون تردد ان الروسية لا تجعل أدنى تمييز بين الطوائف والمذاهب كلما قضت الاحوال باتخاذ وسائل لحماية المسيحيين وتكون دائمًا مستعدة للاشتراك بها ولذلك يوافق على مقترحاتنا ويؤثر رؤية علم فرنسا خافقًا في تلك الاصقاع على غيره دون حسد بل بالسرور وملء الثقة.

وفي الحال انفذ تعليمات مطابقة لرغائبكم الى البرنس لوبانوف (سفير حكومتهِ في الاستانة) ورسالة برقية الى الكونت دي كيسيليف (سفير دولتهِ في باريس) مجيزًا لهُ عقد اتفاقية مع الحكومة الفرنساوية وسائر الدول.

وزاد انه تلقى من الامبراطور أمرًا بوجوب الالحاح باضافة مادة الى الاتفاقية المذكورة تتعهد بها الدول بتحسين حالة المسيحيين في كل السلطنة فعلًا بالاتفاق مع

تركيا وفقاً لوعودها الصريحة وبالسهر على اصلاح ما ظهر من الخلل واتخاذ الوسائل الادارية منعاً لتجدده . وعدا ما تقدم على الدول ان تتكفل بمساعدة تركيا اذا ما حدثت اضطرابات في غير أماكن وفقاً للطريقة التي يتفق عليها بخصوص سوريّة .

(دي تستا عدد ٤٨ ص ٩٤ ـ ٩٥)

١١٤ ـ الارل كولي الى اللورد روسل . عن باريس في ٢٢ منه

تمكنت من محادثة الموسيو توفنيل بضع دقائق بعد ظهر اليوم فأخبرت دولته باننا قد تلقينا في ٢٠ الجاري من الاستانة نبأً بانعقاد الصلح بين الدروز والموارنة في ١٠ منه وبان سيادتكم ترون انه اذا ثبت هذا النبأ ينبغي تأجيل ارسال البعثة العسكريّة الفرنسويّة إلى سوريّة أو العدول عنها . فأجابني انهُ لم يبلغه ما يحقق هذا الخبر بل ان الانباء التي تلقَّاها من بيروت حتى ١٢ الجاري لا تتضمن أدنى اشارة الى وقوف القتال بين الدروز والموارنة فلو كانت عُقدت الصلح بينهما في ١٠ الجاري لذاع خبرها في بيروت في ١٢ منه . وأردف انهُ من الممكن ان تكون أبرمت لكنه لو ثبت ذلك لا يمكنه ان يجاري سيادتكم في رأيكم بان هذه الصلح من شأنها ان تحول دون كل تدخل

ثم قال : « وفي الحقيقة ما هي هذه الصلح ؟ فلربما ليست سوى اضطرار الموارنة الى الخضوع للدروز لانقاذ انفسهم من مجزرة جديدة . لكن أي تعويض نالوه عن الخسائر التي لحقت بهم ؟ ويستفاد من الاخبار التي تلقتها حكومة الامبراطور ان قد قُتل عشرة الاف مسيحي ولم يُتخذ أقلّ تحوط لاتقاء تجدد مثل هذه الفظائع . »

فقلت ان حكومة جلالة الملكة قبلت بمقترح الحكومة الفرنسويّة وقوامه ايفاد لجنة تحقيق وانا موقن بانها ستساعدها بما في وسعها الأ انه لما كان أصبح لدى الباب

العالي في سوريّة قوّة كبيرة من الجند فيرجح ان هذا العدد كافٍ لضمان السكينة اثناء اشتغال اللجنة بمهمتها

فسلّم الموسيو توفنيل بان في وسع القوّات التركية ايقاف الاعتداء على المسيحيين لكنه واثق كل الثقة بانهم لا يُنصفون اذا لم تذهب الجنود الاجنبية . وعلى كلٍ فلا يستطيع ان يبدي رأيه في هذا الشأن الاّ بعد وقوفه على نص عهد الصلح الذي عُقد بين الفريقين اذا ما ثبتت صحة انعقاده .

(المحررات الانكليزيّة عدد ١٨ ص ١٣)

١١٥ – ومنه اليه بالتاريخ ذاته

لمّا اجتمعت بعد ظهر اليوم بالمسيو توفنيل تلا عليّ رسالة برقية بتاريخ أمس وصلته هذا الصباح من سفير فرنسا في الاستانة وهاك خلاصتها :

« ان الموسيو لافاليت لم تصله رسالة الموسيو توفنيل البرقية التي يقترح بها عقد اتفاقية بين الباب العالي والدول العظمى لاقرار السلم في سوريّة قبل الساعة الرابعة بعد ظهر أمس وعندما بلغته قصد عالي باشا وتلاها على مسامعه فاضطرب كثيراً وقال لهُ انه لا يستطيع اعطاءه جواباً قبل مشاورة رصفائه واستطلاع ارادة السلطان لكنه واثق بان نزول الجنود الاجنبية في سوريّا يكون بدء كوارث جديدة

وقد جرى هذا الحديث بحضرة السير هنري بولفر الذي تلقى أوامر بعضد مشروع ارسال لجنة مختلطة الى سوريّة لكنها لا تشمل اقتراح ارسال بعثة عسكريّة أجنبية . وختم الموسيو لافاليت رسالته سائلًا : « ما الرأي في وقاية الاستانة ؟ » مردفًا ان قلقًا شديدًا سائد فيها » .

ان رسالة الموسيو لافاليت كأغاب الرسالات البرقية فيها بعض الغموض وخاصة بما يقصده عالي باشا بمخاوفهِ من حدوث كوارث جديدة . ويظن الموسيو توفنيل

انه يعني الاستانة وأنا اميل إلى هذا التفسير .

ثم أوضح الموسيو توفنيل انه لا يمكنه القبول بعدول الدول عن ارسال قوّات أجنبية الى سوريّة بحجة ان احد نظار تركيًا اوجس خيفةً من ان نزول هذه القوّات يحدث اضطرابًا في الاستانة مع انه قد سبق لها ان حكمت بضرورتها لتوطيد اركان الراحة في هذه البلاد فاذا ما قُبلت هذه الحجة مرّة واحدة ستدلي بها تركيًا كلما رؤي وجوب تقويم معوج فيها . فقلت اني استنتجت من السؤال الذي ختم بهِ سفير فرنسا رسالته المذكورة آنفًا انه يشاطر عالي باشا مخاوفه من وقوع فتنة في الاستانة . أمّا الآن وقد عرفت بالفظائع التي ارتكبت في سوريّة لا استطيع ان اقيس بذات المقياس النتائج التي يمكن ان تعقب حدوث فتنة في الاستانة . وسألته عمّا اذا كان لا يفضل تأجيل التدخل في سوريّة بقوّة السلاح أو العدول عن هذه الفكرة اذا كان ينشأ عن متابعتها بلايا عظيمة تنقضّ على الاستانة . وقلت دعوا اولاً رأس المال (يريد الاموال الاجنبية المتجر بها في السلطنة) تطمئن عليه افكار اصحابها واذ ذاك يتسع لكم المجال للحكم فيما اذا كان يجب التدخل في هذه الولايات وفي كيفية هذا التدخل . بيدَ ان الموسيو توفنيل لم يصغَ لهذه البراهين بل ذهب الى ان عسر الباب العالي هو الذي جعل رؤوس الاموال في خطر .

(عدد ١٩ ص ١٣ـ ١٤)

١١٦ — اللورد روسل الى الارل كولي في ٢٣ منه

ان الانباء التي تلقيناها من سوريًا بمدى العشرة الايام الماضية لهائلة تقشعرّ لها الابدان . فانه خلا الذين قُتلوا في المعارك قد ذُبح ٥٥٠٠ شخص وأمسى عشرون ألفًا مشتتين في البلاد يتضورون جوعًا بمن فيهم ارامل المذبوحين وأولادهم . وبينما كانت هذه الفظائع جارية لم تحرّك الحكومة التركية ساكنًا بل ان من لم يغمس من

مأموريها يده في المذابح وقف وقفة المشاهد .

ففي دير القمر نزع عثمان بك السلاح من أيدي المسيحيين وبعد ان أجاعهم أيامًا دفعهم الى يد اعدائهم فقطعوهم أربًا أربًا .

ان سلوك الاتراك في غير اماكن اثار الريبة فيهم فاتهموا بمساعدتهم القتلة على أبادة جميع المسيحيين فاغضب فقدان عاطفة الانسانية منهم وضعفهم الحكومة الانكليزية وقبلت اقتراح امبراطور فرنسا بارسال جنود اوربية الى سورية لاستدراك حدوث مذابح جديدة . وفي طيهِ صورة رسالة الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني بهذا الشأن. ولمّا أبلغنيها أجبتهُ شفاهًا ان حكومة جلالة ملكة انكلترة لاتعارض في ارسال بعثة عسكرية اوربية الى سورية على شرط ان يتفق عليها الباب العالي والدول الخمس . وقد سلمني الموسيو دي برسيني أمس مسودّة الاتفاقية المراد ابرامها . لكن حكومة جلالتها ترى انه وان كانت هذه الظروف الغير العادية تسوّغ ارسال هذه البعثة فاذا كانت انباء الـ ١٠ الى الـ ١٥ يومًا الماضية تدفع الى الامل بان المجازر وقفت ولن تتجدد فلا يبقى من سبيل للمخاطرة بارسال جنود أجنبية الى سورية بحجة اعادة الامن اليها وعليه فلا لزوم لركوب الجنود الفرنسوية البحر وان ركبته تعاد في الحال . وترتأي ايضًا حكومة جلالتها وجوب تحديد ميعاد جلاء الجنود الاجنبية عن سورية في المعاهدة المذكورة ويمكن جعل مدة الاحتلال ٦ اشهر .واذا لم يتوطد الامن في تلك الفترة فمهما طال الاحتلال لا يقوى على اعادة الامن والراحة .

ان مادة اخرى من الاتفاقية تستدعي الملاحظة الآتية: ان حالة تركيا المالية لا تمكنها من دفع نفقات هذه البعثة العسكرية واذا استُكتب السلطان تعهدًا بتسديد هذا المبلغ يمسي تحت عبء ثقيل ممّا يزيد في عسر الحكومة العثمانية وضيق ذات يدها وعليه ترتأي حكومة جلالتها انه يجدر الغاء هذه المادة .

لم اتكلم في كل هذه الرسالة إلاَّ عن الجنود الفرنسوية فقط مع ان جلالة الملكة عزمت على ارسال أسطول الى ثغور سورية مخولة أَمير البحر السلطة بانزال البحارة الى البر اذا اقتضى الامر. انمَّا ليس في نية جلالتها استخدام قواها البرية في سبيل استدراك هذه المذابح واعادة الامن الى نصابه. ولا يرجح ان دولة أخرى من الدول العظمى ترسل جنودها الى سورية.

واضيف الى ما تقدم ان حكومة جلالتها لم توافق على ارسال الجنود الاجنبية الى داخلية سورية إلاَّ مرغمة اذ ربَّما أثار ارسالها تعصب المسلمين فيؤخر اعادة السلم الى سورية بدلاً من تعجيله وهي وسيلة من شأنها احداث عراقيل دولية خطيرة. وعليه يُرغب بان لا يُقدم على الاحتلال إلاَّ متى ثبت وجوبه ويبادر حالاً الى وضع حدٍّ له عندما لا يبقى اليه حاجة. (عدد ٢٢ ص ١٥ ـ ١٦)

١١٧ — الارل كولي الى اللورد روسل بالتاريخ ذاته

جرى لي بعد ظهر اليوم حديث آخر مع الموسيو توفنيل في شؤون سورية فعلمت ان دولته تلقى رسائل من الموسيو دي برسيني ينبئه بها بعدول حكومة جلالتها عن القبول بارسال بعثة عسكرية فرنسوية الي سورية وعدم استحسانها اقتراح عقد اتفاقية بين الباب العالي والدول العظمى تأييداً لهذه البعثة. وقد سبق لي ان اوقفتكم على خلاصته في رسالتي المنفذة في ١٩ الجاري ثم اطلعكم الموسيو دي برسيني على جميع تفاصيله.

ينوي الموسيو توفنيل ارسال تعليمات الى الموسيو دي برسيني جواباً على هذا البلاغ وستحتوي على ما أعتقد ذات الاراء التي اوقفني عليها دولته أمس وتشرفت بابلاغها سيادتكم في رسالتي المؤَرخة في ٢٢ الجاري لكنه زاد اليوم بان على حكومة جلالتها ان تتذكر بانه لم يقترح ارسال بعثة عسكرية الى سورية الاَّ عند

حدوث فتنة دمشق وانه لو ثبت ان الصلح عُقدت بين الدروز والموارنة وهو لم يزل جاهلًا ذلك فيخشى ان تكون المذابح تواصلت في دمشق اجهازًا على المسيحيين وامتدت الى اورفه وحاب وسائر الاماكن وعليه فان فرنسا محقة في طلبها التعويض عن نهب دار قنصلها في دمشق وتخريب اديار اللاتين في لبنان الموضوعة منذ عهد القديس لويس تحت حمـاية فرنسا وبدعمها هذا الطلب بالقوة لكنها لا ترغب في الانفراد في المسائل الطارئة في الشرق وقد برهنت على ذلك في الخطة التي انتهجتها.

وختم الموسيو توفنيل قوله انه كان يرغب بان يستطلع الموسيو دي برسيني رأي حكومة جلالتها في الاقتراحات التي يمكنها قبولها وهو يعتقد انه يتعذر عدم التدخل في هذه الكوائن الخطيرة . (عدد ٢٤ ص ١٧ ـ ١٨)

١١٨ - ومنه اليه بالتاريخ ذاته

اتصل بي بان بضعة الاف من بنادق مينيه وُزعت على الموارنة فاطلعت الموسيو توفنيل على هذا الخبر فاجاب انه من المشهور دخول كمية عظيمة من الاسلحة حديثًا الى سورية مرسلة من المعامل الفرنسوية والانكليزية وانها بيعت جهارًا في بيروت من الدروز والموارنة وانه حين كان في الاستانة حادث السير بولفر غير مرة بهذا الشأن مبديًا مخاوفه من تجدد القتال بين الطائفتين المتعاديتين المذكورتين .

ثم تكلم عن اسباب النزاع السابق فقال انه لا يستبعد ان يكون بعض كهنة الموارنة حرّضوا ابناء مذهبهم على ابتداء القتال لتوطيد سيادتهم في النواحي المختلطة وجلّ رغبته اظهار الحقيقة لانزال العقاب في مسببي هذه الفواجع واذا مـا افترض ان ذبح الرجال والنساء والاطفال كان من قبيل الدفاع الشخصي وان تجاوز حدّه فذبح المسيحيين سكّان زحلة ودمشق وهم روم لا موارنة يدلّ على انه لم يُقصد بهِ الدفاع بل ابادة المسيحيين أجمع . وانه تلقى منذ شهر ادار افادة مآلها

ان أحمد باشا والي دمشق ضمر استئصال شافة مسيحيي زحلة ودير القمر فخيل لهُ ان هذه الدسيسة بعيدة التصديق لفظاعتها فلم يحفل بالخبر . ثم طلب دولته رسالة رفعها اليه الكونت دي بنتيفوليو قنصل فرنسا العام في بيروت بتاريخ ٢٨ ادار المنقضي ينبئه بدسيسة أحمد باشا فأُحضرت لهُ فتلاها على مسامعي . وقد ارسل نسخة منها الى الكونت دي برسيني لاطلاع سيادتكم عليها . وفي الحقيقة ان مضمونها يدعو الى الدهشة فاذا ثبتت هذه التهمة على أحمد باشا فلا يوجد عقاب يضارع جناياته . (عدد ٢٥ ص ١٨)

١١٩ — الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني في ٢٣ منه

ياحضرة الكونت : تلقيت الرسالة البرقية والكتاب اللذين انفذتهما اليَّ بتاريخ أمس .

ان حكومة الامبراطور علمت بمزيد الاندهاش والاسف بعدول الحكومة الانكليزيّة عن الاتفاق المبرم بينها وبيننا تحت تأثير أسمى العوامل وأنبلها . لم يبلغنا خبر انعقاد الصلح بين الدروز والموارنة في ١٠ الجاري فان الرسالة البرقية التي انفذها الينا قائد قوانا البحريّة في بيروت في ١١ منه لاتتضمن أدنى اشارة الى هذه الصلح بل يذكر فيها المذابح التي بدأَت في دمشق في ٩ منه ولمَّا كنَّا نعلم ان كثيرين من المسيحيين المنكوبين لاذوا بكسروان فلا يُستغرب ان يكون هذا الجمهور وقد ثبطت البلايا التي نزلت بهِ عزائمه قد قبل بعقد الصلح مع الدروز درءًا لخطر استئناف الكرَّة عليه وابادته

لكن ما هي قيمة هذا العهد ادبياً ؟ هل في وسع الرأي العام ان يسلّم بان وسائل الاكراه على الصلح تبرر الفظائع السابقة وتمحو اثار الدم المسفوك ؟

وعلى كلٍّ ان كوائن لبنان ليست بالوحيدة التي اثَّرت في افكارنا ودفعتنا الى

اقتراح التدبيرات السابق الايماء اليها وانما مذابح دمشق هي التي استحثتنا على الفات نظر الدول الى وجوب التدخل عاجلًا بالقوة المسلحة في شؤون سوريّة . من يعرف منّا اذا كانت المجزرة التي بدأت في ٩ منه لم تتابع في الغد ؟ وهل أمنّا بانها لم تمتد الى سائر الاماكن وان الدم المسيحي لم يُهرق في حلب وديار بكر والقدس وسائر البلدان المعرّضة سكّانها لثوران فائر التعصب عند ذيوع خبر مجازر دمشق ولبنان ؟ فلو صحّ ان الصلح عُقدت في لبنان فالحالة لم تتبدل بل يوجد أسباب كثيرة تدعونا الى الخوف من تفاقمها !

وبناءً على ما تقدم يتعذر علينا ياحضرة الكونت ان نشاطر الحكومة الانكليزية طمأنينتها فان الحالة لم يعترها حؤول في نظرنا وان كان اللورد روسل اخبر بانعقاد صلح لم يرد علينا حتى الآن ما يثبتها ويوضح أسبابها .

وفضلًا عمّا تقدم فاني أريد ان أبيّن صفة المفاوضات والاراء التي تبادلناها وحكومة لندره . فهي التي فور ورود أنباء لبنان بادرت الى دعوتنا الى ارسال بوارج حربية الى شواطي سورية وتحويل قواد الاسطول حق ازال بجارته . ولمّا بلغتنا أخبار كوائن دمشق تجلت لاعيننا مرامي هذه الحرب الفظيعة التي بدأ بها الدروز ثم ناصرهم عليها المسلمون ففكّرنا بان هذه الفاجعة تقضي علينا بان نفعل اكثر ممّا تقدم بسطه فارتأينا وجوب تدخل الدول الاجماعي دون تحديد وظيفة كل منهن ولم يجل في خاطرنا ان نختص ذواتنا بدور اعظم من أدوار سائر الدول وانّما اشترطنا عقد اتفاق سابق مع الباب العالي قبل الاقدام على هذا العمل . وعلى كلٍّ فقد روعيت الاصول والقواعد بصورة لم يسبق لها مثيل حتى ان حكومة روسيا لم تتردد في قبول اقتراحنا .

ويستفاد من كلام اللورد روسل الذي نقلته الينا في رسالتك المؤرخة في ١٠ الجاري ان انكلترة أقرّت على تعزيز بوارجها في شواطيء سورية ليتسنى لها حماية

سكّان المدن الساحلية وعلى الرضا باناطة حمـاية سكّان الداخلية بفرنسا بمساعدة جنود نمسوية اذا ما اقتضى الامر . وقد دعانا ايضاً حضرة وزير الخارجية الى كتابة مسودّة الاتفاقية المراد عقدها لتحديد عمل الدول الاجمـاعي والباب العالي وقد فوض اللورد كولي سفير انكلترة هنا ابلاغي هذه الاقتراحات .

ان الاتفاق الخاص الذي تمكنّا من عقده دون اضاعة وقت نظراً لمجـاورة البلادين أمّلنا في نجاح مساعينا لدى سـائر الحكومات . فحررنا مشروع الاتفاقية وشاء اللورد روسل ان يعلمنا بانه وجده مطابقاً للغرض الذي نتوخاه معاً. ومن ثم اجتهدنا في عدم الباس اقتراحنا صفة نهائية بل قدمنـاه بصورة مسودّة تتضمن ذكر الشروط الاساسية التي ستتخذ اساساً للمفاوضات. وهذا ما اوضحته في رسائلي لسائر الدول

أمّا نحن فلا نودّ الانفراد بالتدخل حالة كون نهب دار قنصلنا في دمشق وقتل المرسلين الفرنسويين وعدم احترام علَمنا هي اسباب كافية توجب علينا الاستقلال بالتدخل ومع هذا لم نفكر الأ بالاتفاق مع سائر الدول فرفعنا بذلك عنّا التبعـة الملقاة على عاتقنا . انّما نسأل الحكومة الانكليزيّة مجـدداً ان تعود إلى حسن استعدادها الاول وتشاركنا في العمل في سوريّة على وجه متساوٍ فاذا كانت ترى انها لا تستطيع ذلك فما هي نيّاتها وماذا تبغي ؟ فاننا مستعدون للنظر في ارائهـا والقبول بها اذا كانت اكثر مناسبة مما اقترحناه واوفر ملائمةً لمقتضيات الحالة لكنها ستفقه كما انا موقن اننا بسؤالها ايقافنا على ما ترتأيه لم نصدر الأ عن حسن نية اجابة لداعي الضمير . فلك ان تتلو هذه الرسالة على مسامع اللورد روسل وتسلمه نسخة منها . (دي تستا عدد ٤٩ ص ٩٥—٩٧)

١٢٠ – اللورد روسل الى السر بولفر في ٢٤ منه

افدتكم في رسالتي البرقية بتاريخ ١٩ الجاري ان الحكومة الفرنسويّة اقترحت ارسال جنود اوربية الى سوريًا بعد عقد اتفاق بين الدول العظمى والباب العالي وان حكومة جلالتها قبلت بهذا الاقتراح . وقد صرّحت في الوقت ذاته بوجوب ربط هذه البعثة العسكرية بوثيقة يشترط فيها جلاءها فور انتهاء مهمتها

وافيدكم اليوم ان قد أوقف ارسال الجنود الفرنسوية إلى سوريّة على اثر ورود الخبر بانتهاء القتال بين الدروز والموارنة . بيدَ انه يجدر بالسلطان ان يعجل باستشارة الدول العظمى في شروط الاتفاقية المذكورة آنفًا كما انه يجب عليه اتخاذ التحوطات اللازمة لاقرار الامن في سوريًا واتقاء تجدد المذابح .

ان سفير فرنسا ابلغني صورة الاتفاقية فاقترحنا تعديل موادها وطلبنا ان تُجعل مدة احتلال الجنود الاوربية سوريًا ٦ اشهر وان يعفى السلطان من دفع نفقات هذه البعثة . (عدد ٢٦ ص ١٨–١٩)

١٢١ — الارل كولي الى اللورد روسل في ٢٤ منه

لما تلقيت هذا الصباح رسالة سيادتكم بتاريخ أمس المتضمنة ما جرى بينكم وبين المسيو دي برسيني بخصوص اقتراح الحكومة الفرنسويّة ارسال جنود اوربية الى سوريّة والمنبئة بانه لما وافقت حكومة جلالة الملكة على هذا الاقتراح على كره منها كانت معتقدة بان البعثة لا تُرسل اذا ثبتت الاخبار التي تلقتها سيادتكم بان الراحة استتبت في ذلك الصوب فقصدت حالاً المسيو توفنيل واطلعته على ارائكم العامة . فانشرح صدرًا بهذا التصريح لان دولته كان يعتقد ان حكومة جلالتها رجعت عن قبولها بهذه البعثة او اوشكت . فازلت عنه كل وهم في هذا

الصدد واوضحت لهُ ان حكومة جلالتها فكرت كثيرًا وتروّت قبل الاقدام على هذا العمل الخطير. وقلت انها اظهرت رغبتها في مجاراة فرنسا الى ما تريد عندما تثبت ضرورة التدخل بالقوّة في سوريّة وانه ليس بكثير اذا طلبت لقاء ذلك التروي قبل الاقدام على هذا التدخل ازاء مشا كله وخطره . فلم احصل على جواب جازم من المسيو توفنيل

ان دولته لم يصله حتى الان جواب حكومتي الروسية وبروسيا على اقتراحه بخصوص التدخل ولا من الباب العالي بشأن توقيع الاتفاقية ويظهر انه يرغب في عقد موتمر بحضرة ممثلو الدول الخمس وسفير الباب العالي بحثًا في مواد هذه الاتفاقية فقلت انه وان كانت سيادتكم ابدت بعض ارائها بهذا الصدد كنت اتصوّر ان الحكومة الفرنسويّة اقترحت عقدها في الاستانة

فأَجاب دولته انه عرض على الدول والباب العالي عقدها في باريس . وعليه اكون شاكرًا لسيادتكم اذا شئتم ان تمدوني برأيكم بهذا الشأن .

هذا وان المسيو توفنيل مستعد كل الاستعداد لالغاء المادة الموجبة على الباب العالي دفع نفقات البعثة العسكريّة بل اضافها إلى الاتفاقية بيانًا لكون الحكومة الفرنسويّة لم ترغم الباب العالي عليها . اما انا فلا اعتقد ان الموسيو توفنيل يرفض في المفاوضات المقبلة اضافة مادة الى الاتفاقية يحصر بها عدد الجنود التي يراد استخدامها ويحدد مدة الاحتلال . (عدد ٢٧ ص ١٩)

١٢٢ – الكونت دي برسيني الى الموسيو توفنيل في ٢٥ منه

ياحضرة الوزير : خرجت الان من وزارة الخارجية حيث انتظرت طويلًا انتهاء جلسة مجلس الوزراء وعليه لا اتمكن من ان ارسل لكم سوى خلاصة ما اقرت عليه الوزارة رأيًا . فقد جزمت بقبول ارسال جنود اوربية الى سورية بناء

على الثلاثة الشروط الآتية :

اولها : ان لفؤاد باشا ان يطلب تدخل هذه الجنود اي انه لا يلجأ الى الى استخدامها إلاَّ اذا عجز الاتراك عن اعادة الراحة .

ثانيها : وجوب عقد اتفاقية بين الدول العظمى والباب العالي باقرب آن .

ثالثها : ان احتلال سورية لا يستمر اكثر من ستة اشهر .

يظهر ان الانكليز موقنون بانعقاد الصلح بين الدروز والموارنة ممَّا سيحول دون تجدد المذابح في دمشق . (دي تستا عدد ٥٠ ص ٩٧ ـ ٩٨)

١٢٣ — الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني في ٢٦ منه

ياحضرة الكونت : استدعيت اليوم ممثلي الدول بيد انه لمَّا كان سفير تركيا لم يتلقَ من دولته التفويض اللازم خلافًا لما كان افادني المركيز دي لافاليت في رسالته البرقية فان هذا الاجتماع لم يأتِ بنتيجة بل اقتُصر فيه على مطالعة صورة الاتفاقية التي عرضتها على انظار السفراء وفي طيهِ نسخة منها .

وفضلًا عمَّا تقدم صممت النية على عرض (البروتوكول) المرسل في طيه على ممثلي الدول الاوربية لتوقيعه بعد الاتفاقية وذلك رغبة في اعطاء ضمانات جديدة على حسن نيتنا . وقد تلوته على اللورد كولي فلم يتردد في الاعتراف بانه رأى فيه دليلًا واضحًا على رغبتنا في تحقيق متمنيات حكومة انكلترة وتبديد اوهام الرأي العام وسوء ظنونه .

بيد اننا لا نستطيع القبول بشروط منافية لأمن جنودنا ولاستقلال قائدها .

لقد سهل عليكم كما كتبتم لي ان تبرهنوا للورد روسل انه يتعذر علينا جعل أمر انزال جنودنا الى البر معلقًا على دعوة سابقة من فؤاد باشا كما انهُ يصعب علينا ان نضعها بامرتهِ ونعهد اليه بادارة حركاتها . اننـا نرضى بارسال جنودنا الى

سوريّة بصفـة مساعدين مشترطين انها تعمل باسم اوربا بالاشتراك مع قوات سائر الدول التي تمد مثلنا يد العون لتركيا . انمـا يجب ان يكون قائدنا مستقلًا نظرًا للمسئولية الملقاة على عاتقه ومفوضًا بتوزيع القوات حسب ما يراه اكثر ملائمة لبلوغ غاية مهمته ووقاية شرف جنديتنا وذلك بعد مفاوضة ممثل جلالة السلطان .

(دي تستا عدد ٥١ ص ٩٨ ـ ٩٩)

١٢٤ – اللورد روسل الى الارل كولي فى ٢٨ منه

انبأتني برسالتك في ٢٦ الجاري باقتراح الحكومة الروسية اضافة مادة الى الاتفاقية المتعلقة بارسال بعثة عسكرية الى سوريًا تتضمن تصريح الدول الاوربية بأنتصارها لجميع المسيحيين فاعلمك ان هذا الاقتراح لا يناسب في الحالة الحاضرة واذا أَلحَّ بهِ سفير الروسية فمليك ان ترفض توقيع اتفاقية أَو وثيقة (بروتوكول) تحتوي على مادة بهذا المعنى . (المحررات الانكليزيّة عدد ٣٨ ص ٢٤)

١٢٥ – الامبراطور نابوليون الثالث الى الكونت دي برسيني . عن سانه‌كلو فى ٢٩ منه

عزيزي برسيني : أرى ان الامور كثيرة التعقيد من جرّاء عدم الثقـة السائدة في كل مكان منذ حرب ايطاليا ولذلـك اكتب اليك لتحادث اللورد بلمرستون بصراحة كاشفًا لهُ غايتنا واني لآمل خيرًا من هذه المكاشفة . ان حضرة اللورد يعرفني ومتى اكدت شيئًا يصدقني فحقق لهُ باسمي انه لم يكن لي منذ انعقاد الصلح في فيلَّافرانكا (١) سوى همّ واحد وغاية واحدة قوامها فتح عصر سلم

---

(١) هي إحدى مدن ايطاليا واقعة على نهر « بو » اجتمع فيها نابوليون الثالث امبراطور فرنسا بفرنسوى جوزف امبراطور النمسا في سنة ١٨٥٩ ووقّعا فيها صك الصلح

جديدة وتوثيق عرى الوداد مع جيراني ولاسيما انكلترة . وكنت قـد تنازلت عن اقطاعتي سافوى ونيس لكن توسع بلاد البيامون الخارق العادة دفعني إلى الرغبة في ضم الاقطاعتين المار ذكرهما إلى فرنسا لان أصلهما فرنسوي .

وربّ معترض يقول : انك تدعي حب السلم في حين انك تريد قوى فرنسا العسكرية فوق المعتاد. اني انكر ذلك واردّ هذه التهمة. ليس في قوى جيشي واسطولي تهديد موجّه إلى احدى الدول. فسفننا البخاريّة لا تقوم بحاجاتنا وعددها لا يضارع عدد السفن الشراعية التي روُي لزوم لها في عهد الملك لويس فيليب . ولديَّ ٤٠٠ الف جندي تحت السلاح انّما اذا اسقط من هذا العدد ٦٠ الف مقاتل في الجزائر و٦ الاف في رومية و٨ في الصين و٢٠ من رجال الضابطة (جندرمـة) والمرضى والعجز يضطر الى الاعتراف بان عـدد رجال ألويتي هو دون ما كان عليه في العهد السابق ولم نزد الاَّ الحرس الامبراطوري

لكنني مع حبي السلم ارغب أيضًا في تنظيم قوى البلاد على أحسن طريقة لانه اذا كان الاجانب لم يروا في حروبنا الاخيرة سوى محاسن جنديتنا فانا شاهدت عن قربِ الخلل والنواقص فيها فأُريد ان اصلحها . وعليه فاني منـذ انعقاد صلح فيلَّافرنكا لم أفعل شيئًا أو اطمح الى شيء من شأنهِ اقلاق بال أحد. ولمَّا سافر لافاليت الى الاستانة اقتصرت على تزويده التعليمات الآتية : « اصرف كل عنايتك لحفظ الحالة الحاضرة » لان لفرنسا مصلحة بطول عمر تركيا .

وعندما حدثت مذابح سوريّة كُتب بأنّي سررت بايجادي فرصـة جديدة لاقدم على حرب صغيرة وألعب فيها دورًا جديدًا . لقد وهموا وأيم الحق ورموني زورًا بقلة التبصر والحكمة فاذا كنت قد اقترحت ارسال بعثة عسكريّة حالاً فلاني اشعر كالشعب الذي انتخبني رئيسًا عليه ولان انباء سوريا قد أثارت مزيد استيائي واشمئزازي . ومع ذلك فأوَّل شيء فكرت بهِ الاتفاق مع انكلترة

فما هي المصلحة التي تدفعني إلى ارسال جنود الى تلك الناحية إلاَّ الانتصار للانسانية ؟ هل ان امتلاك تلك البلاد يزيدني سطوة وقوَّة ؟ هل اجهل ان الجزائر مع الفوائد التي ستأتينا بها في المستقبل هي إحدى الاسباب التي تضعف فرنسا وقد مرَّ عليها ثلاثون سنة وهي تنفق عليها أموالها وتسفك فيها دم أفضل رجالها ؟ قد سبق لي ان قلت في بوردو في سنة ١٨٥٢ ان عليَّ فتوحات عظيمة ولكن في فرنسا. وما زلت على رأيي . فان تنظيم ادارتها الداخلية وانماءها الادبي وتزييد مواردها تستغرق وقتاً طويلًا . فهنا ميدان واسع لاركاض افراس مطامعي فيهِ وهو كافٍ لاشباعها .

لقد تعذر عليَّ ان اتفق مع انكلترة بخصوص أواسط ايطاليا لاني كنت مرتبطاً بعهد صلح فيلَّافرنكا لكنني مطلق اليدين في ما يختص بجنوبي ايطاليا وأود كثيراً ان اتفق مع انكلترة على هذه المسأَلة وغيرها فاستحلف باسم الله الرجال العظام الذين يديرون شؤون الحكومة الانكليزية ان يدعوا جانباً الحسد الممقوت وسوء الظن لان لا محل لهما . فلنتفق باخلاص قصد كاناس صادقين كما نحن متحاشين التصرف كلصوص يخادعون بعضهم . وقصارى القول ان جل ما ابتغيه عودة السلام الى ايطاليا بأَيَّة صورة كانت لكن بدون تدخل اجنبي وان تتمكن جنودي من مغادرة رومية دون ان تعرَّض راحة البابا الى خطر .

اتمنى من صميم فؤادي الاَّ اضطر الى ارسال بعثة عسكرية الى سورية وفي كل الاحوال الاَّ انفرد بها . أولاً : لانها تكلفني أموالاً كثيرة . ثانياً : لاني أَخشى ان ينجم عن هذا التدخل فتح المسأَلة الشرقية . انما من جهة أُخرى أَرى انه يتعذر عليَّ مقاومة الرأي العام في بلادي فلن يسكت عن عدم معاقبة قتلة المسيحيين والذين حرقوا دور قناصلنا ومزقوا علمنا ونهبوا الاديار المظللة بحمايتنا .

قد كشفت لك كل سرائري دون مواربة فافعل بكتابي هذا ما تراه مناسباً

وثق بودي الخالص اه .   (عن الاب جوبين ص ٢١٣ ـ ٢١٥)

١٢٦ — البابا بيوس التاسع الى بطريرك الطائفة المارونية واساقفتها في ٢٩ منه

الى اخواننا الاجلّاء بطرس بولس (مسعد) بطريرك انطاكية على الطائفة المارونية ومطارنتها السبعة

أيها الاخوة المحترمون السلام والبركة الرسولية

وصلت تحاريركم المحزنة في ٢٦ الجاري فعلمنا بمزيد الاسف وانشغال البال الفظائع الهائلة التي اقترفها اعداء الاسم المسيحي في انحائكم بانزال اعتداءاتهم في المؤمنين وكنّا قد قرأنا تفاصيلها المفجعة في صحف الاخبار . ان مشهد الاديار والكنائس التي حُرقت والقرى التي دُمرت بالسيف والنار والاواني المقدسة التي نُهبت ودُنست وهذا الجمهور الذي لا يحصى عدده وقوامه اشخاص مختلفو العمر والمنزلة والجنس وقد ذُبح فريق منه بصورة هائلة وأمسى الفريق الآخر ساقطاً في وهدة الشقاء مشتتاً شمله هائماً على وجهه طلباً للمأوى وفراراً من الموت العاجل . كل هذا قد زاد احزاننا وبلايانا ومحننا بل قد ساءنا ايضاً انكم كنتم انتم وغير واحد من الاساقفة عرضةً لخطر فقدان حياتكم بسبب القساوة الغريزية في قلوب الغير المؤمنين وقد ثار فائرهم من جراء لهج الجرائد غير مرة في المدات الماضية باقتسام السلطنة العثمانية فتنمروا غيظاً وصمموا على ابادة الامة المسيحية . ومما يؤسف له خاصةً ان الممالك المسيحية ذاتها أمست في عصرنا هذا تظاهر النافخين في بوق الفتن والثورات ايثاراً لهم على الامم المسيحية وقد سبق لاوربا في الازمنة الفائتة ان خاضت غمار حرب ضروس لاعتاقها من نير العبودية . حتى انه شوهد خطباء في ندوة نواب احدى الامم يطرئون رجلاً سعى الى بلبلة الديانة والهيئة الاجتماعية في كل

مكان خلافاً لكل حق وانصاف .

ان الذين يكفرون بالدين المسيحي وهو الوحيد الذي يقود الى الحقيقة ويعلّمها ويبري، جراح الالفة البشرية وينشطها ويقيلها من عثراتها وينهضها من كبواتها ينزلون دركات الهاوية فتفسد أفكارهم ويفعلون الشر. وانّا لنتمنى من صميم الفؤاد ان يتحقق جميع الذين هم اكثر احتياجاً لهذه المعرفة ان الاخطار التي تهدد الهيئة الاجتماعية ليست من قبل كنيسة الله بل من اعدائها الذين اذا سوعدوا وعُضدوا ينتهي بهم الامر الى رمي سهامهم بوجه من قلدهم اياها عاملين على نقض السلطتين الروحية والزمنية .

بيد اننا ايها الاخوة المحترمون لنرجو بعون الله تحسن حالة مسيحيي جهاتكم لان الامة الفرنسوية الكريمة المحتد وحكومتها يعدّان اسطولاً عظيماً لارساله الى بلادكم وحمايتها كما ان سائر الدول انفذت بوارج حربية لحماية رعاياها وانقاذها من بيد الجزّارين ولقد سعينا بتحريضاتنا على قدر استطاعتنا الى تحريك هذه الغيرة الجديرة بكل ثناء مدفوعين بعاطفة الحب الوالدي ولا نشك بازدياد هذه الغيرة نماءً لضمانة سلامتكم وراحتكم .

ومن ثمّ ثقوا اننا نشاطركم احزانكم في النكبات التي حلّت بكم . هذا ومع مبادرتنا الى ارسال مبلغ من المال على قدر ما سمحت لنا حالتنا الضيقة (١) لنتعزّى باننا ساعدنا على تخفيف مصاب المسيحيين وشقائهم العظيمين نضرع الى ابي المراحم ان يتنازل من علو عرش مجده فيرمق هذا القطيع التعس بعين عنايته ويقويه على احتمال مصابه بمنّه وكرمه .

فنسأل الله السرمدي القابض بيده على قلوب الملوك ان يدفع اعظم الامراء

---

(١) ان اول مبلغ جاد بهِ قداسته لزهاء مائة الف فرنك ثم توالت احساناته

المسيحيين بأساً الى ردع الغير المؤمنين لئلّا يزدادوا جرأةً فيجهزون على الاسم المسيحي ويمحون اثاره ! وعسى ان يفقه هؤلاء الامراء الخطر الشديد المهدد الهيئة الاجتماعية اذا كانوا لا يوحدوا قواهم وسطوتهم لكبح جماح الاشرار في اوربا واحباط مساعي أولئك الرجال المتأججة في صدورهم نيران الحقد المستعملين كل الدسائس لاطفاء شعلة كل عاطفة دينية في النفوس والغاء جميع الحقوق الالهية والانسانية الساعين لجعل الالفة البشريّة كغار حيوانات ضارية بافقاد الناس التمييز بين الحق والبطل .

على اننا وان كنّا في وسط هذا الاضطراب العظيم وبلبلة الشؤون المدنية ورغماً عن مخاوفنا من حدوث عواصف جديدة فانه لينشط عزائمنا الاعتقاد بان المؤمنين المنتشرين في جميع اقطار الدنيا مواصلون رفع التضرعات الحارة الى عرش الرحمة لتسكين غضب الرحمن الرحيم فيهبنا حين يشاء الراحة ضالتنا المنشودة . حتى اذا ما شاهدنا تحقيق امانينا نرتل آيات الشكر على هذه المنة العظمى فتتصاعد الى مدبر كل الامور حارس كنيسته والمنتقم لها .

وعلى هذا الرجاء نحضكم أيها الاخوة المحترمون من صميم فؤادنا والقطيع الموكول الى رعايتكم بركتنا الرسولية تفاؤلاً بمستقبل حسن في هذه الدنيا وعربوناً للسعادة الابديّة .

أعطي في رومية قرب كنيسة القديس بطرس في ٢٩ تموز سنة ١٨٦٠ وهي الخامسة عشرة لحبريتنا . (عن الاب جوبين ف ٥ ص ١٥٣-١٥٥)

١٢٧ – نشرة أئمة دمشق الى مسلمي سورية (١)

ان المسيحيين بدأوا باحتقار احكام الشريعة المطهرة منذ جلوس السلطان

(١) ليس لهذه النشرة تاريخ وقد وقعت بيد قناصل الدول على ان فؤاد باشا رجّح انها مزوّرة لانه لم يهتدِ إلى معرفة كاتبها لخلوها من توقيع

عبدالمجيد وتجاوزوا حدود الواجبات المفروضة عليهم من عهد الامام عمر بن الخطاب وقد اتصلت بهم القحة الى ان يزدروا بالمسلمين ساخرين بكل ما يتعلق باصول عقيدتهم وعوائدهم المرعية من ذلك زعمهم ان على المسلمين النهوض للسلام عليهم وان لهم حق التقدم عليهم في المجالس والاجتماعات مع ان هذا الادعاء من شأنه اذلال المسلمين وصب اللعنات على رؤوسهم . ولم ينفرد اعيانهم بهذا الطلب بل شمل صعاليكهم وغايتهم مساواة المسلمين لا بل احراز السيادة عليهم وهم يجهلون ان المسلمين صمموا على ابادتهم عملاً بتعاليم الشريعة الغرّاء .

أولاً : ان سفك دم المسيحيين وهتك حرمة عرضهم واغتصاب أموالهم وحرق كنائسهم وتدمير بيوتهم مباح لانهم امتنعوا عن دفع مال الاعناق (الجزية)

ثانيًا : ان كثيراً من الفتاوى الهندية والبخارية تنهى بصراحة عن السماح للمسيحيين باستداد ساعدهم وتوجب اضعافهم باهلاك نسلهم وتخريب بيوتهم وعرقلة كل اعمالهم وقصارى القول منع نجاحهم .

ثالثًا : اياكم واحترام المسيحيين والوقوف لهم ومهاداتهم وتكريمهم لان الرسول قد قال : « ان المسيحيين واليهود كفرة فاللعنة تحل على من يكرمهم . »

رابعًا : ان شهادة المسيحي غير معتبرة شرعًا بل يجب تفضيل شهادة النصيري عليه اذ قال الرسول : « ان أمّة الكفر واحدة »

ويؤخذ من تعاليم مشايخ الطريقة النقشبندية جواز ابادة المسيحيين وعلى كلٍ فنحن نذكركم بكلامهِ تعالى عزّ وجلّ في القرآن الكريم : « لا تفرقوا بين الامم الكافرة لاننا القينا بينها الشقاق والعداوة حتى يوم الحشر » . فاستيقظي ايتها الامة الاسلامية واستأصلي شأفة خدَمة الصليب في هذه البلاد المقدسة التي دنّسوها ولا تبقي على أحد منهم .

ويؤخذ من اقوال بعض كبار رجال الدولة ان الدول الاوربية لا تقوى الان

على القتال وقد استنزفت حرب القريم قواها . فاننتهز هذه الفرصة الموآتية للتغلب على الامة المسيحية فقد آن وقت محو اثارها ودنا أَجلها !

ان اميال المسيحيين أَصبحت ظاهرة للعيان واذا تركناهم سنتين تزداد قواهم فيغنمون أملاكنا ويبيدوننا ولذلك فاوضنا بعض اركان الدولة وانتظمنا في سلك الجمعيَّات السرّية المؤَسسة في الاستانة منذ السنة المنقضية ووقفنا على مقاصدها

ان معظم ساستنا عقدوا مجلساً سرّيًّا وأَقرُّوا على خلع السلطان وابادة المسيحيين عن وجه البسيطة لان السلطان حاد عن النهج المسنون في الشريعة الاسلامية بادخاله صوَرًا إلى قصره وبتعليق مثاله وقبوله وسامات اوربية عليها رسم الصليب . فهذه الاعمال منافية للشرع الاسلامي فاذا سكتنا عن سلوكهِ ينتهي بهِ الامر لا محالة الى جحد مذهبنا واضطهاده .

وقد وطَّد المجلس السرّي المذكور الذي عُقد منذ سنتين وحضره الوزراء والعلماء واعيان الامة الاسلامية على خلع السلطان كما قلنا ومحو اثار حزبه ومبايعة شقيقه (عبدالعزيز) لانه قائل برأْينا فيعيد إلى الدين الاسلامي مجده القديم باضعاف النصارى وارجاعهم الى حالتهم الاولى وكسر شوكتهم. وعليهِ يجب استئصال جرثومتهم من هذه البلاد ان امكن لانه اذا نشبت حرب بيننا وبين الدول الاوربية لا يجدر بنا ترك اعدائنا الالدَّاء وراءنا فيساعدون الاجانب علينا

ان المسيحيين هم متآمرون على المسلمين مع الدول الاوربية ولاسيما اهالي جبل لبنان البالغ عددهم ٢٠٠ الف المعروفين بدسائسهم المستمرَّة فانهم يمالئون الاوربيين الذين لا يستطيعون دخول بلادنا بغير واسطتهم

ولمَّا استثبتنا كل ما تقدم صممنا بالاتفاق مع الوزراء والعلماء على ابادة المسيحيين قاطني الجبل المذكور ودمشق وحلب وحمص وحماه وسائر المدن السورية ولقد اثرنا الفتنة في لبنان فاهلكناهم وشتتنا الباقين فاذا حدث عندكم مثل هذا لا تغيثوا

المسيحيين انما تصرفوا بحكمة وافيدونا لنعلمكم كيف تتدبرون .

(عن كتاب ذكرى سورية ص ١١٢ - ١١٧ وعن بوجولا ص ٢٣٠ - ٢٣١)

١٢٨- رواية الموسيو شارل اوبانل عن مذابح دمشق الى الجمعية الشرقية في ٢٩ منه

ان المكيدة التي كادهـا مسلمو دمشق المتعصبون لاهلاك مسيحيي سوريّة نصبت حبائلها بمهارة فائقة . أمَّا خطتهم فكان قوامها ابادة سكَّان لبنان الاشدَّاء ليتسنى لهم ذبح اهالي المدن الضعفاء . بيدَ ان متعصبي دمشق ملّوا الانتظار وضاق صبرهم . وعند دنو العيد تآمروا مع الدروز واكراد الجوار على ايقاظ الفتنة فهيأوا المعدَّات . انَّما المسيو لانوس وكيل قنصلية فرنسا اخبر بهذه الدسيسة في اليوم السابق الامير عبد القادر وهو البطل الذي احرز بسلوكه مكانًا في التاريخ ازاء اعظم مشاهير الرجال . فجاء مسرعًا الى الجامع الكبير والقى على الجموع الظمأى الى دم المسيحيين كلامًا بديعًا لحمته الحكمة وسداه حب الانسانية محرضًا اياهم على الاقلاع عن دسيستهم الشيطانية . وفي الوقت ذاته انذر الدروز بعدم دخول المدينة بسلاحهم فتوقفت الحركة بفضل حزمه ونشاطه لان المسلمين كانوا يخافون الاربعة الاف جزائري بقدر ما كانوا يهابون أميرهم . فتأجلت المجزرة الى حين لكن الاعتداءات على المسيحيين ظلت متواصلة فشكا الاساقفة الامر الى المشير وأيَّدهم القناصل فطلبوا اليه ان يرسل جنودًا الى الحي المسيحي لحمايته من كل طارىء . ولسوء الحظ انخدع قناصل دمشق نظرًا لحسن طويتهم بوعود الاتراك كما خُدع زملاؤهم في بيروت من قبلهم . أمَّا المسيحيون فلم يغتروا ولاسيما اللاجئين من حاصبيًا وراشيًا لانهم كانوا يعرفون مبلغ الثقة التي يمكن وضعها في تلك الجنود وهي التي قتلت اقاربهم واشقاءهم فقالوا لمسيحيي دمشق : « لمَّا أرادوا ان يقتلونا وكلوا حراستنا الى الجنود . » ومع ذلك لم يفتر المسيحيون عن اكرام الجنود المذكورة .

واستمرّت المخاوف حتى ٧ و٨ تموز وفي تلك الايام وصل خبر استيلاء الدروز على زحلة ونهبها الى دمشق فاكثر المسلمون اذ ذاك من اهانة المسيحيين وتجاوزوا فيها الحد . ولنكد الطالع لم يكن عبدالقادر في قصره بل كان في مصطافه في بلدة مجاورة فجاءت جماعة من الاشرار بخمسة كلاب واطلقت عليهم اسامي الملوك المسيحيين الخمسة موقّعي معاهدة سنة ١٨٥٦ (١) ثم أتوا بغيرهم ودعوهم قناصل وأخذوا يوقفون كل مسيحي يمرّ من هناك ويسوطون امامه هذه الحيوانات قائلين : « هذا الامبراطور نابوليون ! وهذا الامبراطور اسكندر ! وهذه الملكة ڤيكتوريا ! (تمثلها كلبة) » . . . ولم يقتصروا على هذه الاهانات بل علقوا صلبانًا من خشب في عنق هذه الكلاب واكرهوا المارّين على السجود امامها قائلين : « اعبدوا إلهكم . . . » ومن الغد ٩ تموز رسم المسلمون صلبانًا على الارض وداسوها باقدامهم واكرهوا المسيحيين على الاقتداء بهم . فغضب المسيحيون وكادت تقع الفتنة فاحتجّ القناصل فقبض الوالي على بعض المشكو منهم وسجنهم فتجمهر الرعاع وطلبوا اطلاق سبيلهم فأرسلهم عن خبث نية الى الحي الذي رسموا بهِ الصلبان ليكنسوه لتيقنه انه ينجم عن هذا العمل بدء المجزرة .

فكان ما توقّع اذ علا الصياح عند الظهر وملأ جوانب المدينة وكان الباشا في الجامع فاخبروه بهياج الاهالي فلم يحرّك ساكنًا ثم جاءه رسول آخر منبئًا بان المذبحة والحريق ابتدأا فلم يفه ببنت شفة . أمّا الجنود فخيّل انها مستعدة لاعادة الراحة فقتلت بعض الثائرين وأخذ جمهورهم بالتراجع . بيدَ انه لم تمضِ فترة حتى

---

(١) هي المعاهدة التي أبرمت في مؤتمر باريس بين الدول الخمس العظمى والباب العالي واوجب فيها عليه لقاء دخوله في مصاف الدول الاوربية احترام امتيازات المسيحيين الدينية والسياسية ممّا آل الى اذاعة الخط الهمايوني المعروف بالتنظيمات

نُفخ في الابواق وأطلق مدفع فعادت الجنود الى ثكنتها انقياداً لاوامر ضبّاطها.
ولمّا رأى المتعصبون ان الجنود اكتفت باطلاق قذائف محشوّة باروداً فحرقت الهشيم
المخيم فوق الشوارع عادوا أُلوفاً مؤلفة واستأنفوا المجزرة واضرام النار

من ذا يستطيع ان يصف الفظائع التي ارتُكبت في ذلك اليوم المشؤم ! فبينا
ألسنة النار تلتهم البيوت الفخيمة كان الجزّارون يذبحون الفارين أو تدفعهم الجنود
التركية الى النار برؤوس حرابها .

ان قائد الجنود الغير النظامية أسرف في القتل ومطلقو المدافع (طوبجية)
ملأوا عجلاتهم بالاسلاب التي كان يرميها مضرموا النار في الازقة وسلب الاشرار
النساء والبنات امتعتهنّ واغتصبوهنّ ثم ساقوهنّ امامهم كقطيع من البهائم الى
بيوتهم وباعوا بعضهنَّ - وهنّ من بيوتات كريمة - من الاكراد. وشوهد غيرهنّ
جاثيات على ركبهنّ يتوسلنَ الى مختطفيهن ان يحترموا عرضهنّ فيلقون على
صدورهنّ ملاءة قصيرة لا تستر باقي جسمهنّ وقد حدث ان وحشاً ضاريا قتل فتاة
بعد ان افتضها لكي لا تلد هذه الكلبة المسيحية مؤمنًا على ما قال !... ان
الدخان الكثيف الذي تصاعد من الحي المسيحي حرّك مطامع عصابات الرعاع
المجاورة فانقضّ الدروز والاكراد على هذه الغنيمة مطمح اطماعهم انمّا لحسن
الحظ كان هذا الدخان نذيراً للشهم الباسل المقدام الامير عبد القادر فتراكض مع
بضع مئات من رجاله الجزائريين وانفذ رسلاً الى الباقين ليلحقوا بهِ إلى قصره في
دمشق واذ ذاك بدأ الانقاذ فالتجأ الموسيو لانوس وسائر القناصل اليهِ وانتشر
الجزائريون في انحاء المدينة يجمعون الفارين وينقذون المحصورين ونظراً لعظم
هيبة عبدالقادر في دمشق كان جزائري يقود وحده ٤٠ او٥٠ مسيحياً دون ان يجرأ
احد على معارضته.وهكذا نجا الآباء اللعازريون وراهبات المحبة وجمهور من البنات
اللواتي لجأنَ اليهنّ .وقد بلغ عدد الذين انقذهم الامير ورجاله من يد السفّاحين ونُقلوا

الى دار الامير والقلعة اكثر من عشرين الفًا فاقتبلهم فيها أحمد باشا مرغمًا. وكان قد جلس كالظالم نيرون على سطح القلعة وهو يدخن تبغًا ليشاهد خراب الحي المسيحي على ضياء الحريق بينما كانت الموسيقى العسكرية تصدح بألحانها وقد سبقه إلى ذلك متسلم دير القمر إذ ظلَّ جالسًا مكانه كأنه قُدَّ من جلمود بينما كان الدروز يذبحون المسيحيين في دار الحكومة

أمَّا الحريق فبدأ بالقنصلية الروسية وذبح الاشرار مسجلّها فيها. ثم أُضرمت النار في سائر القنصليات ولم ينجُ غير دور قناصل فرنسا وانكلترة وبروسيا لوقوعها في الحي الاسلامي ولان مالكيها مسلمون. ان المعهد الخاص براهبات المحبة ملجأ ذوي الشقاء والعاهات أَمسى ركامًا من الرماد فور خروجهن منه. وقد حلّت نكبة أعظم بدير الآباء الفرنسيسكان فلم ينجُ أَحد من رهبانهِ وكان عددهم ٧ آباء وراهبين جميعهم اسبانيون أو ايطاليون وذبح أيضًا عدد وافر من المسيحيين اللائذين بالدير وجرى فيه مشهد استشهاد كاهنين من شأنه تعزية قلوب الكاثوليك الدامية في وسط هذه المجازر والفظائع. فان الاشرار انذروا الاب انجلو كاهن اللاتين في دمشق بان يجحد دينه ويعتنق الاسلام فاجاب برباطة جأش وبجزم انه لا يعرف غير الله وابنه يسوع المسيح فمزقوا جسده وقطعوا اعضاءه أربًا أربًا ثم جرّوا هيكله المبتور الى الشارع لعرضه على الانظار. وكان في الدير أيضًا رجل ماروني من أُسرة مسابكي وهو شيخ جليل صاحب ثروة معروف بتقواه فدُعي الى الاسلام وهُدد باشنع ميتة اذا أَبى فاجاب انه قد كُتب في الانجيل: « لا تخافوا الذين يستطيعون ان يقتلوا الجسد بل خافوا الذي يمكنه ان يهلك النفس والجسد معًا في جهنم. » فاعملوا فيه بالحال الخناجر والفؤوس والسيوف فانتثرت لحمانه.

وقد أَسف عبدالقادر كثيرًا على مقتل الآباء الفرنسيسيين اذ كان أرسل اليهم ثلاث مرَّات رجاله البواسل لانقاذهم فأَبوا مرافقتهم اليه ولا يعلم إذا كانوا تمنعوا

لقلة ثقتهم بهم توهماً بان الجزائريين هم شركاء السفاحين أو لانهم كانوا يعتقدون بمناعة ديرهم فهلكوا جميعاً تحت انقاضه المشتعلة. فاذا فرضنا انهم استسلموا للحذر فلم يخطي ظنهم لان كثيراً ما كان غوغاء المسلمين يكيفون اصواتهم ويتكلمون بلهجة الجزائريين ويدعون المسيحيين التعساء المختبئين في الابار ومجاري المدينة الى الخروج من مخبأهم فينخدعون ويقتلونهم هازئين بهم. وقد استمرّت هذه المشاهد المفجعة ثلاثة أيام وثلاث ليال منذ الاثنين ٩ تموز الى يوم الخميس وعند وصول خالد باشا عادت عصابات الناهبين والسفاحين الى اوجارها مرتوية من الدم حاملة الاسلاب.

ان الدول المسيحية مديونة بامتنان عظيم للامير عبد القادر لسلوكه الباهر. ومما يعود على فرنسا بالفخر ان اسمها وذكرى انتصاراتها هما اللذان دفعا الامير المشار اليه الى هذا التفاني الجديد بكل اعجاب. فهي التي اعالت مدة ١٥ يوماً زهاء ١٢ الى ١٥ الف نسمة كما ان هذا الامير المجيد قدم رجاله لخفارة جماعات المسيحيين البائسين الى بيروت وقنصلية فرنسا امدتهم بالمال اللازم فأول قافلة غادرت دمشق جاوز عددها الف نسمة وفي عداد حراسها ٥٠ درزياً تحت مراقبة الجزائريين.

(عن كتابِ فرنسا في لبنان لمؤلفهِ لويس دي بوديكور ص ١٤٢ ـ ١٤٨)

١٢٩ ـــ رواية ضابط تركي في دمشق (١)

بعد الدعاء إلى الرحمن الرحيم لينتقم لعباده ! اخبركم ان السبب الوحيد الذي

---

(١) ان المستر مور قنصل انكلترة العام في بيروت انفذ هذه الرواية الى اللورد روسل في ٤ آب سنة ١٨٦٠ كاتماً اسم كاتبها وقال في كتابهِ انها مرسلة الى أحد اصدقاء هذا الضابط في بيروت. فرأينا اثباتها هنا لتكون روايات هذه المجزرة متتابعة ليسهل معارضة بعضها ببعض وسنردفها برواية المستر روبصن وان كانت تشتمل على ذكر ذات الحوادث

دفع شعب دمشق والقرى المجاورة الى ايقاظ الفتنة التي اروي لكم تفاصيلها هو انه قبل انفجار بركان هذه الشرور بعشرين يومًا طلب قناصل الدول الى الحكومة تجنيد بعض الاهلين لزيادة الامن فعينت بعض رعاع القوم وغوغائه ضبَّاطًا وانفارًا في دائرة الشرطة. ولمَّا كان هؤلاء الاشخاص زعماء الفتنة ضموا اليهم جمهورًا على شاكلتهم وسلحوهم وعهدوا اليهم بالمحافظة على الحي المسيحي فأثار ذلك ظنون الدمشقيين ولولاه لما كان جال بخاطرهم امكان حدوث فاجعة مثل هذه .

ففي يوم الاثنين ٢٧ حزيران حسابًا شرقيًّا (٩ تموز سنة ١٨٦٠ حسابًا غربيًّا) عند الساعة الثانية بعد الظهر أخذ بعض الفتيان يرسمون صلبانًا في كل انحاء المدينة ويكرهون المارّين على دوسها ويشتمون المسيحيين . ولا ريب في ان هؤلاء الفتيان لم يقدموا على هذا العمل من ذاتهم بل دفعهم اليه بعض زعماء الفتنة . ولم تنقضِ نصف ساعة حتى نُمي الخبر الى الحكومة انَّما لا يعلم بأَيَّة طريقة فأرسلت في الحال رئيس الشرطة مع بعض رجاله فذهبوا وقبضوا على فريق من هؤلاء الفتيان وغيرهم وارسلوهم إلى دار الحكومة حيث كُبلوا بالحديد وأُعيدوا إلى الاسواق لتكنيس شوارعها ولمَّا همُّوا التف حولهم مسلمو الجوار وخلصوهم من ايدي رجال الشرطة وفكوا الاغلال من ارجلهم ورموها وفور اطلاق سبيل هؤلاء الفتيان أُقفلت المخازن في كل الاسواق بمدى ٥ إلى ١٠ دقائق . وبعد مضي ربع ساعة أُطلق مدفعان وسُمع دوي رصاص البنادق وكان الخائن سليم آغا بلوكباشي الجنود الغير المنظمة في الميدان قد حشد جمهورًا من رعاع هذا الحي وسلحهم وذهب بهم على جناح السرعة الى حي المسيحيين وعندما دخلوه هجم حالاً على بيوت المسيحيين التي كان اختارها من قبل وكسر أَبوابها واسرف ورفقاؤه في النهب والحريق والقتل . أَمَّا عدد الرعاع المسلَّحين الذين كانوا بأمرتهِ فكان عظيمًا جدًّا بحيث لم يتمكن أَحد من سبقهم الى سلب انفس المتاع

أجل ان سكّان القرى المجاورة دمشق والبدو والدروز جاءوا المدينة جماهير غفيرة بعد بضع ساعات وملأوها واستسلموا للنهب والقتل واغتصاب النساء . فمن يرتاب بان انضمام هؤلاء القرويين والبدو الى شعب دمشق واتحادهم معه واتفاقهم وتآخيهم في ظرف ساعة من الزمن لاتمام الفتنة في دمشق لم يكن عن سبق تآمر بين زعمائهم ؟ ومما يبرهن عن ذلك جلياً ويظهره كالشمس في رائعة النهار ان جميع المسلمين ركزوا فوق بيوتهم بمدى ٥ أو١٠ دقائق اعلاماً بيضاء وخضراء فلم تمس هذه المنازل بأذى . هل من الممكن ان تكون أعدّت هذه الاعلام بفرصة وجيزة كهذه وفي مثل هذا الوقت الحرج دون سبق استعداد ؟ . ان حرس المدينة والجنود الغير النظامية التي حُشدت بأمر المجلس الكبير بحجة حماية الحي المسيحي هم الذين بدأوا بالنهب واضرام النار والذبح . فلو كانت شرطة هذه المدينة وسكّان حي الميدان الذين جُندوا للمحافظة وقفوا في رأس الشوارع المؤدية الى الحي المسيحي وقفلوا أبوابه وأطلقوا النار على المهاجمين واجتهدوا بارجاعهم على اعقابهم ومنعهم من دخوله كالجنود النظامية لِما وصلت الحالة الى هذا الحد بل وقفت حالاً على ما أرجح . ولو كان اعضاء المجلس الكبير وزعماء القوم وأعيان المدينة ذهبوا في ذلك الوقت الى الحي المسيحي لما حدث شيء مما تقدم لكن لم يقل أحد من الاعضاء والزعماء المذكورين آنفاً لاحـد من الرعاع « امتنع » . ومن هذا يظهر جلياً ان هذه الكارثة التي انقضت على رؤوس المسيحيين المنكودي الحظ وأموالهم وبيوتهم وأولادهم ونسائهم قد دبّرها من قبل الزعماء المذكورون كما وضح من سلوكهم .

ان كثيرين من المسيحيين الذين اختبأوا في بيوتهم ذهبوا فريسة النار ومات كثير منهم بعد ان أُذيقوا أفظع العذابات لحملهم على الاقرار بدفائن أموالهم فذُبحوا بعد ان دلّوا عليها . وكثير من النساء قُطعت معاصمهنّ لسلب اسورتهنّ واخريات بُترت اصابعهنّ لنزع خواتمهنّ ومُزّقت اذانهنّ لاخذ حلاهنّ خلا اللواتي قُتلن

ان رجال الامير عبد القادر الجزائري انقذوا كثيرين من المسيحيين المختبئين في الآبار والدهاليز والاسراب وأوصلوهم الى القلعة وفي الطريق اطلق الغوغاء عليهم النار فجرحوهم . وقد اغاث الامير جمهوراً كبيراً في داره ثم نقلهم الى القلعة . فهو الوحيد الذي سعى بانقاذهم .

اجل ان بعض اعيان المدينة قادوا الى دورهم بعض الاسر المسيحية ان من الحي المسيحي وان من القلعة معلنين انهم يريدون ايواءهم واعالتهم . لكن يا لتعاسة أولئك الذين وثقوا بكلامهم فاستجاروا بهم فان هؤلاء الاشرار عذبوهم بأنواع العذاب لاكراههم على الاقرار بالمكان الذي خبأوا فيهِ أموالهم وبعد بلوغ غرضهم قتلوا معظمهم وارغموا الآخرين على جحد دينهم ولم يعيدوا الى القلعة الاّ نفراً قليلاً

وكان الرعاع يدخلون القلعة وينتقون النساء والبنات ويأخذونهن دون أدنى ضمانة حتى اذا بلغوا بهنّ الشوارع تركوا النساء المسنّات واحتفظوا بالفتيّات لاشباع شهواتهم . وقد كنت يوماً في القلعة فشاهدت بأُم عيني فريقاً من الغوغاء ينتقي نساء فتيّات ويقتادهنّ دون ان تمانع الجنود .

وقد فتح الاشرار كنائس الارمن والروم والروم الكاثوليك وسلبوا الاواني الكنسية وقتلوا كهنتها ثم اضرموا النار فيها ونهبوا أيضاً القنصلية الروسية وحرقوها. أمّا القنصل فهو الان في دار الحكومة ولم تمسّ دارا قنصليتي انكلترة وفرنسا لوجودهما في حي المسلمين

وكان في ذلك الحين في ادارة الجمرك زهاء ٢٠٠ مسيحي فذهبتُ حالاً إلى دار الحكومة وجئتُ ببعض الجنود النظامية فتمكنتُ من انقاذهم . ان جميع البيوت المسيحية المنتشرة في الاحياء المسلمة وعددها زهاء ٣٠٠ نُهبت أوّلاً ثم جُعلت طعاماً للنار

وفي ٩ تموز حساباً شرقيّاً (٢١ منه) وصل الفريق خالد باشا فأرسل اناساً الى

الحي المسيحي للبحث فيه عن الاموال المخبوءة عملاً بحكم المجلس الكبير وحظر دخوله على غيرهم انمّا سمح لبعض المسيحيين الموجودين في القلعـة ان يفتشوا في انقاض بيوتهم المحروقة .

لقد أخذ بعض المسيحيين منذ ٣ أيام بالخروج الى الشوارع المجاورة القلعة انمّا شاع ان مسيحياً قُتل أمس قرب القيمريّة . وفي يوم اشتعال الفتنة أخذ السفّاحون جرس إحدى الكنائس ووضعوه مقلوباً في وسط الصليب المطروح منذ عهد قديم عند مدخل الجامع الاموي وأبقيت أبواب المدينة مفتوحة في يوم الحادثة وفي الليل التالي ليتسنى للناهبين نقل الاسلاب . وبعد ان انتهوا من نهب دور المسيحيين كسروا أبواب مخازنهم وحملوا كل ما فيها من المتاع ليلاً . ان كثيرين من المشايخ واعيان القوم تنكروا بازياء مختلفة ونهبوا الحي المسيحي . وقصارى القول انه لم يعارض أحد من الدمشقيين نهب أموال المسيحيين حتى النساء المسنّات .

ولمّا كنت قد كتبت اليك هذا الكتاب بعجلة فقد سهوت عن ذكر بعض التفاصيل وغفلت عن ذكر اسماء بعض الاشخاص المشهورين وأعمالهم فاذا شئتَ استطيع ان اخبرك بهم . (المحررات الانكليزية عدد ٨٦ ملحق ٢ ص ٦٩ـ٧١)

١٣٠ – اللورد دوفرين الى اللورد روسل . عن بيروت في ٢٦ ايلول

اتشرّف بان ارسل لسيادتكم نسخة الرواية التي سألت المستر روبصن ان يكتبها اليّ لايقاف سيادتكم على أسباب مذبحة دمشق وتفاصيلها . ان المستر روبصن هو مرسل ايرلندي بروتستاني رصين متوقد الذكاء أقام في دمشق ١٨ سنة يجيد التكلم باللغة العربية محيط بشؤون البلاد ولذلك كان كلامه عن معرفة تامة . ان روايته هذه مع رواية المستر كراهام التي سبق لي ارسال نسخة منها لسيادتكم تؤلف تاريخاً متناسقاً جديراً بكل ثقة شاملاً الكوائن المحزنة

التي روَت ارض هذه الولاية بالدم البشري (عدد ١٤٦ ص ١٤١)

١٣١ – رواية المستر روبصن

انه منذ بدء القتال بين المسيحيين والدروز في لبنان أمسى مسيحيو دمشق في مخاوف عظيمة لان مواطنيهم المسلمين أخذوا يهددونهم ويتوعدونهم ويقذفونهم بأنواع السباب والشتائم فكانوا كلما خرجوا الى اسواق وشوارع حي المسلمين يقابلهم الرجال والاولاد بالكلام البذيء موجهين اللعنات اليهم والى ديانتهم متوعديهم بالقتل. وكان ان فوز الدروز المتوالي زاد المسلمين غطرسةً وانزل الرعب في قلوب المسيحيين واشتدَّ هياج الاولين على أثر ذيوع خبر مقتل المسيحيين في كناكر ومذابح حاصبيًا وراشيًا واعتداءات المسلمين والدروز في القرى المجاورة الايالة ومشاهدتهم ٥ الى ٦ الاف من الفارين التعساء الذين لجأوا الى المدينة طلبًا للنجاة والقوت . فساد الاعتقاد في جميع الطوائف والطبقات بأن الحكومة ذاتها راغبة في ابادة المسيحيين وموطدة النية على ذلك . ولم يبقَ المسيحيون في المدينة الاَّ لاعتقادهم انهُ يتعذر عليهم الفرار الى مكان اخر اكثر امنًا . ثم ان خبر سقوط زحله ومجزرة دير القمر أجج فائر المسلمين واسكرتهم خمرة الفرح فاشتد ذعر المسيحيين .

وفي خلال هذه المدة تعاظم عتوّ المسلمين ووقاحتهم وكثر وعيدهم واعتداءاتهم في حين ان خوف المسيحيين بلغ حدًّا لا غاية بعده وهلعت قلوبهم وطارت شعاعًا . وخيل انهم تنازلوا دفعة واحدة عن كل الحقوق والامتيازات التي كانوا حصلوا عليها في مدة الـ ٢٧ سنة الماضية فلم يجسروا على ركوب الخيل في المدينة وسكتوا عن الاهانات الموجهة اليهم ولم يشكوا منها كأنهم لم يشعروا بها وامتنعوا عن المطالبة بديونهم وملاحقة دعاويهم على المسلمين وصبروا على الضيم وانقادوا صاغرين الى كل ما كان يفرضه عليهم المسلمون وينزلونه بهم من ضروب الاعتساف وانقطعوا

عن الذهاب الى القهاوى والمنتزهات في البساتين والمجتمعات العامة اتقاء الاسباب . وعلاوة على ما تقدم أقفلوا مخازنهم وتركوا أشغالهم . ولم يكن سوى القليل منهم يأمل بان أعياد المسلمين تنقضي دون هجومهم على حيهم ولذلك لزموا بيوتهم مدة أيام العيد الاربعة .

وقد بدأت حفلاته في ٢٩ حزيران وفي ذلك اليوم عسكرت الجنود في الحي المسيحي فاطمأنت قلوبهم قليلًا . انما كانوا يعلمون بان الجنود السلطانية هي التي حضرت مذابح اخوانهم في لبنان وان بعض الضبَّاط الموجودين في حيهم وكثيرين من رجالهم غمسوا يدهم في مذبحتي حاصبيًّا وراشيًّا فكانوا كلما لهجوا بهذه الكوائن وفكروا فيها يزداد خوفهم من هذه الجنود

ولمَّا انقضت الاعياد تنفسوا الصعداء وسكن روعهم قليلًا . بيدَ انه لمَّا كان سلوك المسلمين لم يتبدل وظلوا يعتدون على المسيحيين ويشتمونهم ويسبون دينهم عاودهم الاضطراب والجزع . ولمَّا كان نهار الاثنين في ٩ تموز ورأوا انهُ لم يقع في المدينة كوائن ذات بال ولم تحدث مذابح في الخارج وهموا بان الخطر الذي توقعوه ووجفت منه قلوبهم طول هذه المدة كاد يزول . ويظهر ان بعض المسلمين بذلوا مجهودهم لتطمين افكارهم . ذلك ان النذل اللئيم مصطفى بك الحواصلي استدعى اليه في الليل السابق كثيرين من اعيان المسيحيين لاقناعهم بانه لم يعد من داعٍ لخوفهم وان في استطاعتهم ان يناموا في بيوتهم آمنين وأبوابها مفتوحة وانه يضمن سلامتهم من كل أذى . وفي ذلك اليوم اي ٩ تموز أخذ المسيحيون المنكودو الحظ يهنئون بعضهم بعضًا على نجاتهم وعادوا جميعًا الى أعمالهم بعد انقطاعهم عنها طويلًا فذهب المستخدمون في الحكومة الى السراي والتجار الى حوانيتهم ومخازنهم والاولاد الى المدارس .

وحدث ان الباشا أمر يومئذٍ بوضع الاغلال في رجلي ولدين مسلمين أهانا

المسيحيين وعند الساعة الثانية بعد الظهر أرسلهما لتكنيس الشوارع . ففي الحال عمد المسلمون في أهم الاسواق الى قفل حوانيتهم دلالةً على سبق اتفاق بينهم والوالي وكبّروا وهللوا ولعنوا الكفّار وحرّضوا بعضهم بعضاً على التسلح ومهاجمة المسيحيين وركضوا جميعاً الى الحي المسيحي . وفي ذلك الحين أخذ الرعاع يجتمعون ويتسلّحون ويركضون قاصدين الشوارع المجاورة الحي المسيحي فريق منهم من الشاغور الواقع في جنوبي المدينة والاخر من الميدان الكائن في جنوبيها الغربي على بُعد ميل ونصف ميل الى ميلين من الحي المسيحي ومن الصالحية وهي قرية في الضواحي تُبعد مسافة ميلين وأخذوا يشجعون بعضهم بعضاً باسم ديانتهم ونبيهم ويقذفون الكفّار بانواع الشتائم صارخين « تسلحوا تسلحوا ؟ اقتلوا انهبوا احرقوا. فقد آن وقت الذبح واشرقت شموسه » الى غير عبارات مماثلة لها .

وكانت النساء ايضاً يثرنَ الرجال بصراخهنّ وشتائمهنّ ودعائهنّ لهم بالنجاح والفوز . أمّا الجماهير فخافت أولاً الجنود وتجنبت الاحياء المعسكرة فيها لكنها ما عتمت ان تحققت انها لا تعارضها .

ان الباشبوزق الموجودين بأمرة سليم آغا المهايني ومصطفى بك الحواصلي وغيرهما والاكراد مع زعيمهم محمد سعيد آغا ورجال الضابطة والشرطة كانوا في مقدمة الذين أسرفوا في القتل والنهب . مع ان كثيرين من الباشبوزق الذين بقيادة الحواصلي جُندوا خاصةً لحفظ الامن في المدينة مدة الهياج . وقد انضم إلى أهل المدينة مساء الاثنين ويوم الثلاثا دروز من حي الميدان وجرمانا « وهي قرية آهلة بالدروز تُبعد مسافة ميلين عن المدينة » وعدد غفير من فلّاحي المسلمين من القرى المجاورة . انّما لم يشترك في هذه الفتنة زعيم درزي أو قوة درزيّة منظمة .

ان سلاح رعاع القوم كان دون سلاح الباشبوزق جودةً وكمالاً فقليل منهم كانوا يحملون بنادق وبعضهم « غدّارات » وآخرون سيوفاً وكثيرون فؤوساً وخناجر

ومعظمهم نبابيت وعصياً وربّما كان نسبة الذين يحملون البنادق واحد الى عشرين وكثير من هذه البنادق غير صالحة . فلو كان رجال الباشبوزق والضابطة قاموا بواجبهم لاستطاعوا قمع الفتنة في الحال حتى انهم لو كانوا التزموا الحياد لسهل ايقاف الرعاع . واقول مثل ذلك عن الجنود النظامية فلو كانت أبدت بعض الحزم لما لقيت أدنى مقاومة حتى من الباشبوزق

أمّا المسيحيون فلم يدافعوا عن انفسهم . وقد قيل ان يونانياً اطلق بعض طلقات نارية على الرعاع وخرجت بعض رصاصات من بيتين من الوطنيين وعدا ذلك لم يلاقِ السفّاحون مقاومة لانه لم يكن لدى المسيحيين سلاح سوى بعض بنادق صيد « وغدّارات » بيد نفر من شبّانهم انّما ارجح انه لم يكن عندهم سيف أو فأس

ان قنصلية الروسية الكائنة في وسط الحي المسيحي هوجمت في بادىء الامر ونُهبت وحُرقت وقُتل ترجمانها ونجا اثنان من الخدَمة باختبائهما في نفق حيث بقيا ٤ ايام دون قوت وماء بينما كانت الدار تحترق فوقهما. وفي عداد البيوت التي دخلوها في البدء دور فيس قناصل بروسيا وبلجكا والولايات المتحدة والمستر فرازيه المرسل الاميركي . فالاولان فرّا بأسرتيهما قبل الهجوم على داريهما وكان المستر فرازيه قد غادر المدينة بأسرته قبل الفتنة . أمّا فيس قنصل اميركا فجرح جراحاً خطرة ولم يتمكن من الفرار الاّ بشقّ النفس وولداه الكبيران كانا خارج البيت وتشتتت اسرته ولم يتمكن من الاجتماع بها إلاّ بعد بضعة أيام. وقد هاجم الرعاع بيوت أغنياء المسيحيين مدفوعين بعامل الطمع بما يجدونهُ فيها من الامتعة الثمينة ثم انتقلوا إلى البيوت المجاورة وهكذا أخذ النهب والقتل والحريق والدمار يزداد ساعة فساعة ونهبوا كنيسة الروم ودار البطريركية وأواني الكنيسة الذهبية والحلى الاكليريكية الثمينة وأَمتعة البطريرك الفاخرة وكل ما كان في خزانته من الاموال . وكانت الجنود تحرسهما في يوم الفتنة حتى بعد غروب الشمس فلما دخلها الرعاع أطلقوا

الرصاص وأضرموا النار فقتل كثيرون .

أمّا طريقة العمل فكانت واحدة ذلك ان الرعاع كانوا يكسرون أبواب البيوت بفؤوسهم ويغشونها مفتشين أولاً عن الرجال فيقتلون من يعثرون عليه بضرب النبابيت والعصي والفؤوس والخناجر والسيوف واحيانًا يميتونهم رميًا بالرصاص . ثم يبدأون بنهب ما في البيوت من الامتعة والثياب والارزاق والمؤن والسلع التجارية ويبحثون باعتناء عن الاموال والاشياء الثمينة المخبوءة ويهولون على النساء والاولاد ويرعبونهم ليرشدوهم الى مكان وجود الرجال والى دفائن النفائس ويفتشون النساء لئلّا تكون خبأت حلاها وأموالها في ثيابها فيجردونهن والاولاد من كل ما يعثرون عليه ويعرّونهم من ثيابهم ويسبون البنات والنساء والفتيات ويأخذوهن إلى بيوتهم مدة وفي النهاية كانوا يضرمون النار في البيوت المنهوبة .

ان السفّاحين الذين كانوا يفضلون غيرهم بجودة سلاحهم ومقامهم وجرأتهم وقساوتهم خصوا ذواتهم بأثمن الاشياء التي وجدوها في البيوت وتركوا الباقي لمن هم دونهم اذ كان يتبعهم جماعات من الغوغاء والعزّل والفقراء والصعاليك والنساء وصغار الاولاد فيسلبون كل ما ابقاه الاولون غير مكتفين بما فيها بل يحملون الابواب وأخشاب النوافذ وزجاجها وكل ما هو على الجدران حتى الحطب والفحم وبلاط الرخام وجذوع السقوف . وخلا الرجال والنساء والاولاد الذين كانوا ينقلون الاسلاب فقد استخدم الناهبون ايضًا الجمال والخيل والبغال والحمير .

ولمّا انفجر بركان الفتنة كان جمهور من التجار وأصحاب الحوانيت وموظفي الحكومة ومستخدمي التجار المسلمين وبعض أصحاب المهن كالحجّارين والبنائين قد ذهبوا إلى اشغالهم في حي المسلمين فلما أخذ المسلمون بالاجتماع حاول هؤلاء العودة إلى بيوتهم بعضهم على أمل ضعيف بحماية عيالهم والبعض الآخر

لجهلهم مكاناً أميناً آخر يلجأون اليه فتمكن فريق منهم من الوصول الى بيوتهم ولقي الفريق الاخر حتفه في الطرقات . وقصد قسم دور قناصل انكلترة وفرنسا وبروسيا والامير عبدالقادر او بيوت شركاءهم ومعارفهم المسلمين . وكثيراً ما كانوا لخوفهم ويأسهم يدخلون بيوت المسلمين بالقوة فيلاقون وجوهاً كالحة ويختبيء آخرون في الخانات التي يصادفونها في طريقهم فتقودهم الجنود من الغد الى القلعة القديمة . فلو بقي المسيحيون في حيهم وبيوتهم كما لزموها مدة العيد فلربّما كانت المذبحة أشد هولاً وضحاياها أوفر عدداً .

ان بعض الرجال الذين كانوا في بيوتهم أو في الحي المسيحي لجأوا الى الكنائس أو الى دار قنصلية النمسا أو الى بيوت جيرانهم الاغنياء لكنهم لم يجدوا فيها امناً. واختبأ كثيرون في بيوت الخلاء والمخادع والانفاق أو في سقوف البيوت فاهتدى الاشرار الى مخبأ معظمهم وقتلوهم . ونزل جمهور منهم إلى الابار ومع عمقها وضيقها وخطرها فقد نجا معظمهم وأنقذوا منها بعد ان مكثوا فيها ٣ الى ٥ ايام دون طعام ولا نوم . وقد نجا نفر قليل بانتقالهم من سطح الى آخر واختبائهم بين انقاض البيوت المحروقة وفرّ آخرون الى خارج المدينة لكن الفلّاحين قتلوا بعضهم فيما بعد واكرهوا الاخرين على الاسلام. وقصارى القول انهم لم يهملوا وسيلة للنجاة اختباءً أو فراراً إلاّ وحاولوها

فبعضهم تزيّا بزي النساء لكنهم عُرفوا وآخرون بزيّ السفّاحين وأخذوا ينقلون الامتعة إسوةً بالناهبين وبعضهم قضوا النهار والليل في الهرب من بيت مسلم الى آخر ومع انه قُتل كثيرون منهم فقد تمكن معظمهم من الوصول الى ملجإ أَمين . وقد صحب فرار هؤلاء الجزع والذعر والاخطار ومشاهد النهب وانتهاك العرض والقتل واطلاق الرصاص . وكان يمازج خوفهم على حياتهم قلقهم على عيالهم واصدقائهم حتى انه لم تتمكن عائلة بكاملها من الالفي عائلة التي شملتها المذبحة من الفرار واللياذ بمحل أمين دون افتراق اعضائها وكثيراً ما يجهلون ما حلّ بافرادها

وتمرّ الايام قبل ان يجتمع الباقون في قيد الحياة باقاربهم .

ان نهب البيوت وحرقها والقتل وانتهاك عرض النساء وافتضاض البنات استمرّ متواصلًا من الساعة الثانية بعد ظهر ٩ تموز حتى الساعة الثانية بعد الغروب . وفي هذه المدّة اشترك بالنهب والقتل والحريق عدّة الاف من الثائرين فأسرفوا فيها ونقلوا معظم الاسلاب الى مكان أمين . ان القسم الاكبر من الرعاع غادروا الحي المسيحي في الليل لكن بقي كثيرون فتابعوا التدمير والتخريب وامتدّت ألسنة اللهيب كثيرًا في ذلك الحين ملتهمة عدّة مئات من البيوت . ومن الغد باكرًا عاد المسلمون الى حي المسيحيين بعدد أوفر من اليوم السابق واستسلموا للنهب والحريق والقتل طول ذلك النهار واخذ عددهم ينقص عند المساء لانه لم يبقَ سوى بيوت قليلة لمهاجمتها . وفي ذلك اليوم كُسرت أبواب معظم مخازن المسيحيين في الاسواق الكبيرة ونُهبت وعند الغروب لم يبقَ شيء ممّا يملكه المسيحيون سوى حجارة البيوت المحروقة وبعض اخشابها وبعض بيوت وغرف لم تكن اتصلت اليها ألسنة اللهيب بعد. ولم يبقَ من المسيحيين في الحي سوى الذين اختبأوا في الاباراو بين انقاض البيوت .

وصباح الاربعاء أذيع خبر ملفق مآله ان بعض المسيحيين اطلقوا الرصاص من بيت مسلم على المسلمين في الشوارع فقتلوا اثنين منهم ثم ظهرت الغاية من نشر هذا الخبر . ذلك ان جمهورًا من مسلمي الصالحية بقيادة الشيخ عبدالله الحلبي جاءوا بحجة اطفاء النار واقدموا على ارتكاب فظائع هائلة ساعدهم عليها الباقون . فطافوا جميع الاحياء التي لاذ بها المسيحيون وطلبوا إلى أصحابها تسليمهم اليهم فقتلوا البعض في الحال عند خروجهم الى الشارع وجرّوا جثثهم إلى الحي المسيحي أو قادوهم الى ما بين انقاض بيوتهم ثم قتلوهم. يتعذر معرفة عدد الذين قُتلوا بهذه الطريقة الفظيعة بعد ان دُمّرت بيوتهم ونُهبت أموالهم وبعد ان املوا بزوال خطر الموت ولا يستطيع

ذلك إلاّ الحكومة اذا أجرت عن صدق نية تحقيقاً دقيقاً في انحاء المدينة التي حدثت بها هذه المجازر والفواجع . ومن المؤكد ان عدة مئات من الذين كانوا استسلموا للآمال عند وجودهم ملجأ قُتلوا في ذلك اليوم ولم ينجُ منهم سوى الذين فرّوا الى بيوت خاصةً أو اعتنقوا الاسلام .

وبعد يوم الاربعا هذا لم يُقتل إلاّ القليل لان السفّاحين لم يصادفوا أحداً من المسيحيين لكنهم ظلّوا ينقلون ابواب البيوت والاخشاب والرخام من تحت الانقاض وما فتأت النار مشتعلة حتى أوائل الاسبوع التالي ولم تخمد إلاّ لقلة مواد الاحتراق مع انها استمرّت مدة ١٠ أيام أُخرى تلتهم ما بقي من البيوت . لانّ بيوت دمشق ولاسيما بيوت الفقراء لا تحترق سريعاً نظراً لكيفية بنائها ومن النادر حدوث حريق في البيوت الخاصة قضاءً الاّ في حوانيت الطبّاخين أو الافران . ولمّا كان الهواء ساكناً اثناء المجزرة كادت النار تنطفي دون ان يندلع لسانها لو لم يكن اضرامها متواصلاً في البيوت المجاورة .

ان الايدي الناهبة لم تعف عن شيء ذي قيمة في الحي المسيحي . وكان كثير من المسيحيين قد خبأوا أنفس متاعهم تحت جذوع السقوف وفي الدفائن وبيوت الخلاء والخزائن وثقوب الجدران والآبار فنجا قسم ممّا خبيء في هذه الاخيرة انّما اهتُدي إلى اكثره وأخذ . لقد نهبت الحوانيت التي في الاسواق لكن الخانات وما فيها من اموال المسيحيين لم تمس ومثلها دور قناصل انكلترة وفرنسا وبروسيا لوقوعها في حي المسلمين ولقوة حرسها إلى غير أسباب . ولقد نجا ايضاً بيت في الحي المسيحي يقطنه انكليزي .

ان البيوت التي نُهبت يناهز عددها ١٥٠٠ بيت وسلم بيت واحد غير مأهول وغير محروس . وقد نُهب أيضاً ٢٠٠ بيت مجاور لبيوت المسلمين وعطلت كثيراً انّما لم تُحرق .

أمّا سائر الحي المسيحي المشتمل على ١٢٠٠ إلى ١٣٠٠ بيت فأمسى الان ركاماً من الانقاض بما فيهِ الكنائس والمدارس والاديار ومخازن الصنائع والخانات . وفي كثير من الاماكن تشاهد اثار اجتهاد القوم في تخريب ما لم تلتهمهُ النار من جدران مهدومة إلى اشجار مقطوعة

ان الخسائر على أقلّ تقدير واقربه الى الحقيقة تتراوح بين ٣٠٠ الف الى ٤٠٠ الف كيس قيمتها مليون و٢٥٠ الف الى مليون و٥٠٠ الف ليرة . وينبغي ان يضاف اليها الخسائر الناجمة عن وقوف دولاب الاعمال وانقطاع المسيحيين اضطراراً عن مزاولة أعمالهم .

لا يمكن الاهتداء الى معرفة الاشخاص المقتولين بالتدقيق . بيدَ أن المشهور ان مئات قد اختفى أثرها والباقون في قيد الحياة مشتتون ومهتمون بمصابهم بحيث يتعذر عمل جدول صحيح بالمفقودين . انّما يسهل تقدير عدد الذكور المسيحيين الذين كانوا موجودين في دمشق يوم الفتنة واحصاء الذين بقيوا في قيد الحياة فيعرف عدد المقتولين . لقد كان عدد الذكور في دمشق ثمانية إلى تسعة الاف وعدد اللاجئين اليها من القرى المجاورة ألفين الى ثلاثة الاف فيكون مجموعهم يتراوح بين عشرة واثني عشر الفاً فاذا ما اسقطنا عدد الاولاد الذين دون الرابعة عشرة من سنيهم وهو الثلث يكون عدد الباقين ٧٥٠٠ الى ٨٠٠٠ قُتل منهم زهاء ثلاثة الاف أي اكثر من ثلثهم وهذا أقلّ تقدير ولربّما كان يقرب من الحقيقة

انّما يصعب القطع في المسألة نظراً لتباين ما أصاب كل عائلة وكل طائفة فان معدل المذبوحين من طائفة الروم كان اكثر من سائر الطوائف لان الهجوم بدأ على بيوتهم . فكثير من العيال لم يبقَ منها فرد وكثير منها فقد جميع ذكورها . فقد قُتل في بيت كائن بجانب قنصلية الروسية لجهة الشمال اب واولاده الثلاثة واغتُصبت النساء ونُهب البيت وحرق كغيره . وكان اربعة اخوة يعيشون معاً فتركوا بيتهم

قبل دموق الرعاع عليه وتفرقوا في الشوارع فقُتل الكبيران ونجا الصغيران. وكان رجلان مقيمين في بيت واحد فاختبأ احدهما في البئر فنجا والآخر اختبأ فوق سقف البيت فقُتل. وكان اربعة عملة غير متزوجين في بيت واحد فقتل اثنان وجُرح الاخران جراحًا خطرة فتركا ظنًّا بانهما ماتا. وكان قد التجأ إلى المعبد البروتستاني اربعة رجال وعدة نساء فتنكر احدهم بزي امرأة وخرج من الكنيسة فجرح في الطريق واختبأ الثلاثة الاخرون انما اكتشفوا فذُبح اثنان منهم. وذُبح ايضًا نحو ثلاثين رجلًا في بيت كاهن رومي. وحدث ان لاذ تسعة اشخاص ببيت عامل غائب في بيروت فقتلوا جميعًا بحضور امرأته. وكان في كنيسة الروم ودار البطريركية جمهور غفير من اهالي راشيًا ومن سكّان البيوت المجاورة فهجم عليهم الرعاع بعد غروب شمس اليوم الاول من الفتنة وذبحوا عددًا كبيرًا من الوطنيين والغرباء اللاجئين. وكان ايضًا عدد كبير من اللاجئين في البيوت المتصلة بدير الارمن فقتل معظمهم وقد وجدت جثث عديدة في الشوارع والبيوت المجاورة دار مصطفى بك الحواصلي. ان الرهبان الفرنسيسيين قُتلوا عن اخرهم امَّا اللعازريون فانقذهم الامير عبدالقادر فيكون مجموع خدمة الدين الذين ذبحوا زهاء الثلاثين بما فيهم الآباء الفرنسيسيون ومرسل بروتستاني. ولم ينجُ من الكهنة الوطنيين سوى خمسة او ستة.

ان عفو السفّاحين عن الاطفال لم يكن عن شفقة او حنان اذ لو كانوا مدفوعين بعاطفة الرحمة لما قتلوا العجز والشيوخ الضعفاء كالاطفال بل انقادوا الى عقيدة اسلامية مؤسسة على حديث نبوي يحترمه جميع السنيين قوامه ان كل طفل يولد مسلمًا وهي الديانة الحقيقية وعندما يشبّ يجعله اقاربه الكفّار يهوديًا او مسيحيًا او وثنيًا حسب عقيدتهم. وعليه لمّا كان الاطفال مسلمين لا يجوز قتلهم اقتصروا على اخذهم لجعلهم مسلمين فان كثيرين من الذين أُعيدوا الى اقاربهم وجدوا مختونين

ان مسلمي دمشق اساءوا معاملة النساء بوجه الاجمال بعكس الدروز فانهم

احترموهنَّ. ولربما كان عدد البنات والمتزوجات اللواتي اغتصبنَ يفوق كثيراً عدد الرجال الذين قتلوا فجمهور منهنَّ أُخذنَ الى بيوت المسلمين في المدينة أو الى القرى المجاورة والبعيدة وابقينَ هناك بضعة أيام وأسابيع قبل ارجاعهنَّ إلى اقاربهنَّ. أمَّا المعاملة التي عوملنَ بها فمختلفة.

ان كثيرين اسلموا خلال المذابح أملًا بالنجاة لكن قليلين افلتوا من يد الرعاع وانما نجا كثيرون من الذين لاذوا أولاً ببيوت المسلمين واعتنقوا الاسلام لانقاذ حياتهم أو اتقاء تسليمهم ليد الغوغاء. ان معظم الذين جحدوا دينهم اقدموا على ذلك اضطرارًا لمزيد رعبهم من مضطهديهم واغتنموا اول فرصة سنحت لهم لمغادرة دمشق والوصول إلى محل أمين فارتدُّوا إلى الدين المسيحي. لكنَّ القليل منهم باق في المدينة متظاهر بالاسلامية. وقدأُكره ايضًا عدد كبير في القرى المجاورة على جحد الدين المسيحي واعتناق الاسلام.

ومن الجلي ان اصحاب الفتنة قصدوا استئصال شأفة ذكور المسيحيين وسبي نساءهم واكراههنَّ على التمذهب بمذهبهم وتنشئة اطفالهنَّ عليه وتدمير الحي المسيحي ونقضه من اساسه.

ان شعب دمشق الاسلامي اعتقد ان كل ما فعله كان برضاء مأموري الحكومة واعيان المدينة ورؤساء الدين ان لم يكن بايعازهم فطالما خضع اليهود والمسيحيون للمسلمين وأدُّوا الجزية حقٌّ لهم ان يتمتعوا بحماية حياتهم وعرضهم وأموالهم حتى لو شقوا عصا الطاعة على سلطانهم. ثم ان أرباب الحكومة الجدد صرَّحوا بانهُ اذا سُمح لاوربي ان يعيش بأمن بين المسلمين مدة ما وان كان غير تابع للسلطان ولا يدفع الجزية المرتبة على الكفَّار يحرز حقًا بحماية المسلمين فلا يجوز قتله او حجز أمواله او أخذ امرأته واولاده لمخالفة ذلك المذهب الاسلامي.

بيدَ انه خلافًا لهذه الاصول قام في وهم مسلمي دمشق انه بالنظر لما احرزه

المسيحيون في مدة الثلاثين سنة الماضية من الامتيازات والنعم جعلوا ذواتهم في مقام الثوار والخوارج ففقدوا كل حقوقهم في الامن والحماية ولذلك جاز شرعاً قتلهم ونهبهم وسبي نساءهم واخذ اطفالهم.

ان اعتقاد القوم بان ما فعلوه كان مطابقاً لشريعتهم ومذهبهم ولرغائب روءسائهم يخفف من فظاعة أعمالهم لكنه يلقي أشدّ المسئولية على عاتق الزعماء والأئمة الذين بثوا هذه الافكار ونشروها بين عامة الشعب وعلى الحكومة التي لم تفعل شيئاً لازالة التصوّر الفاسد ان ذلك كان جلّ رغبتها ومقاصدها كما ذاع بين القوم وصدقوه.

ان الامير عبدالقادر بذل ما في طاقته منذ بدء الهياج لتقويم ما اعوجّ من اعتقادهم ومن المقول ان شيخاً اقتدى بهِ لكن المفتي والشيخ عبدالله الحلبي ولهما منزلة سامية أو غيرهما من العلماء أو اعيان القوم لم يؤَيدوهما بل تناقلت الالسنة انهم فعلوا الخلاف.

وكان أَميرالالاي علي بك على قيادة الجنود في الحي المسيحي يوم اشتعال نيران الفتنة فأَبى ان يصدّ الجمهور. بيدَ ان اميرالالاي صالح ذكي بك استقلّ بان أَمر جنوده برمي موقظي الفتنة بالرصاص واطلق عليهم قذائف مدفع مرّة او اكثر فقتل رجل او اثنان وجُرح البعض. وعندما امطرتهم الجنود رصاصاً تراجع الرعاع ولم يبدوا أَقلّ مقاومة على ان دفاع الجنود هذا المنفرد لم يطل أمره. وبعد الغروب حُشدت الجنود في مكان واحد وأُبقيت حتى الساعة الواحدة أو الثانية من صبح الثلثاء فذهبوا إذ ذاك الى ثكناتهم ولم يبقَ منهم احد في الحي المسيحي. وفي اليوم التالي استخدمت بعض هذه الجنود لايصال بعض المسيحيين من الخانات وسائر محلّات اختبائهم الى القلعة (عدد ١٤٦ ص ١٤١ ـ ١٤٧)

١٣٢ – عالي باشا الى احمد وفيق افندي سفير باريس في ٢٧ منه

ان كدر الحضرة الشاهانية من كوائن سوريّة المحزنة ليس بعده كدر فقد وطّدت العزيمة على انزال اشدّ العقاب في مقترفي الفظائع ومسببيها وفي المأمورين الذين لم يقوموا بواجبهم استدراكًا لها وخوّلت فؤاد باشا سلطة مطلقة بهذا الشأن ووضعت قيد اوامره القوّة الكافية . فاذا ما شاءت العناية الالهية تسوّت هـذه المسألة حالاً وفقًا لاميال قلب جلالتها الرؤوف ولرغائب جميع المسلمين الصادقين واوربا ذاتها . ان المسيو دي لاڤاليت ابلغ الباب العالي الرسالة البرقية التي انفذتها الحكومة الفرنسويّة طلبًا لايفاد لجنة اوربية الى سوريًا لاجراء تحقيق في اسباب الكوائن المارذكرها والاتفاق مع مأموري الباب العالي لاصلاح نظامات سنة ١٨٤٥ وارسال بعثة عسكريّة لمعاونة الحكومة السلطانية وفقًا للوثيقة التي ستعقد بين جلالة السلطان والحكومات الاوربية وتخويل ممثل جلالته في باريس برقيًا ملء السلطة للتباحث مع ممثلي الدول المذكورة توصلًا الى ابرام الوثيقة المار بيانها .

وكان ان انعم مجلس الوزراء النظر في محتويات هذه الرسالة تكرارًا فاستحسن فكرة ايفاد اللجنة . أمّا بخصوص ارسال بعثة عسكريّة الى سوريًا في هذه الظروف فقد ابلغ الباب العالي اراءه بهذا الشأن إلى سفيري فرنسا وانكلترة في الاستانة وبسط لهما اعتبارات ذات شأن . وقد ثبت من الانباء الحديثة الواردة على الباب العالي ان جيش جلالة السلطان الموجود الان في سوريّة كافٍ لقضاء المهمة الموكولة اليه وادراك الغاية التي هي مطمح انظار جلالته وحلفائه. انّما اذا ترآى للدول العظمى صديقات الدولة العلية وحليفاتها خلال بحث ممثليها المفوضين المجتمعين في باريس في هذه المسألة وجوب ارسال قوّة عسكريّة اوربية تعمل بالاتفاق مع مندوب

الباب العالي لضمان اعادة السلم عاجلاً إلى تلك الانحاء وتوطيد سلطة الحكومة الشاهانية فان جلالتها قد شاءت ان تخولكم ملء السلطة لتبحثوا في مواد الاتفاقية مع ممثلي الدول المشار اليها وتوقّعوها على شرط ان تكون متضمنة ما يأتي :

١ً ان حركات الجنود المراد ارسالها تدار بالاتفاق مع مندوبي الباب العالي.

٢ً يعيّن عددها وفقًا لمقتضيات الحالة الحاضرة .

٣ً يحدد وقت جلائها .

ولكم ان تفاوضوا الموسيو توفنيل حالاً بهذا الشأن وتسلموه نسخة من هذه الرسالة البرقية .   (عدد ٧٤ ص ٥٧)

١٣٣ — موزوروس افندي الى اللورد روسل في ٣٠ منه

ان سفير الباب العالي في لندره (يعني ذاته) قد تلقى الان من حكومته رسالة برقية توعز اليه بها ابلاغ مضمونها الى صاحب الدولة اللورد روسل

ويستفاد من هذه الرسالة المؤرخة في ٢٧ تموز ان جلالة السلطان الاعظم بناء على طلب انكلترة وفرنسا فوّض الى سفيره في باريس أَمر المفاوضة في ابرام وثيقة مع الدول بخصوص ارسال بعثة عسكرية الى سوريًا وتوقيعها إذا أَجمع رأيهنّ على ذلك . وفي هذه المناسبة يصرّح الباب العالي بانه عوّل على هذا الرأي لاعطاء حليفاته برهانًا على ثقته ورغبته الصادقة في قمع المشاغب التي اسف لوقوعها اكثر من الجميع . ومع ذلك لم يكتم سفيري فرنسا وانكلترة في الاستانة جميع الاضرار والاخطار التي تنجم عن مثل هذا التدخل وألفت انظارهما الى امكان اضطراب افكار سكّان السلطنة من نزول الجنود الاوربية في احدى جهاتها وما سيجرّ وراءه من الكوارث . ولا غرابة في الامر إذ لربّما يسيء بعض المسيحيين أصحاب القلاقل تأويل عمل الدول واهمين ان ذلك مساعدة لهم فيقدمون على التمادي

في الشر . ومن جهة أُخرى يخشى ان المسلمين الذين لا يستطيعون ان يفقهوا نيّات اوربا الحقيقية يغضبون لمعاملتهم بمثل هذا لان الدروز ونفراً من الاشقياء ليسوا على الاسلام من شيء قد أتوا أعمالاً قبيحة في نظرهم فيستسلمون الى اليأس ويقابلون الشرور بمثلها

ومن الجلي ان حراجة هذه الحالة ستؤول إلى تأجيج الاحقاد التي تبذل الحكومة السنية جهدها لاطفاء نارها . وعدا ما تقدم فاذا ما ذاع في المسلمين ان الحكومة طلبت قوّات أجنبية لمعاقبة ابناء مذهبها تفقد كثيراً من هيبتها في أعينهم .

ومن ثمه لمّا كانت الحكومة الشاهانية وقد اتخذت الوسائل الفعالة الكافلة قصاص مقترفي هذه الفظائع وكانت قد أوفدت ناظر خارجيتها وخولته ملء السلطة فهي موقنة بان في وسعها وحدها بعون الله قمع الفتنة ومعاقبة المذنبين .

وبناء عليه فالباب العالي لا يرى وجوباً لاتخاذ وسيلة من شأنها احداث اخطار عظيمة مثل هذه وعلى كلٍ تُعدّ مساساً بسيادة الحضرة الشاهانية المطلقة ويرجو من حكومة جلالة ملكة انكلترة ان تنظر إلى هذه الملاحظات الصادقة بعين الاعتبار وبناء على هذا الامل ابلغتها حضرات ممثلي الدول الذين وعدوها بايقاف دولهم عليها .

(عدد ٤٥ ص ٢٧ ودي تستا عدد ٥٢ ص ٩٩ ـ ١٠٠)

١٣٤ – الارل كولي الى اللورد جون روسل . عن باريس في ٣١ منه

انه على أثر بحث المؤتمر أمس في مواد الوثيقة التي أشرتُ اليها في رسالتي السابقة بتاريخ اليوم والموافقة عليها اخبر المسيو توفنيل ممثلي الدول المجتمعين ان الجنرال كيسيليف سفير الروسية راغب في عرض اقتراحٍ عليهم . فوقف إذ ذاك وقال انه تلقى اوامر من حكومته ليطلب اضافة مادة إلى الوثيقة تجعلها شاملة سائر انحاء السلطنة حيث يحتاج المسيحيون الى مثل هذه الحماية حتى اذا لاقى اقتراحه اعتراضاً

فقد عهدت اليه حكومته بان يدعو ممثلي الدول المفوضين إلى اثبات تصريح في صكٍّ « بروتوكول » تلاه على مسامعنا وقد سبق لي ذكره في رسالتي المنفذة في ٢٦ الجاري . ثم اردف انه اذا لم يحز احد هذين الاقتراحين قبولاً فالتعليمات المزود بها تنهيه عن توقيع الاتفاقية .

فأجاب سفير تركيا محتجاً على هذا الاقتراح وجهر بانه اذا اصرَّ سفير الروسية عليه يرفض توقيع الاتفاقية المذكورة ووصف هذا الاقتراح بانه اعتداء على استقلال سلطانه ومجحف به ومملوء اخطاراً تهدد ليس فقط الحكومة التركية بل اوربا باسرها نظراً لما ينشأ عن التعويل عليه من الاضرار .

فانكر الموسيو توفنيل بلهجة شديدة على ممثل تركيا حق الاعتراض باسم حكومته دون مراجعتها واحتجَّ على تصريحه بأبائه توقيع الاتفاقية اذا أصرَّت الروسية على اقتراحها

فقلت ان ممثل تركيا اعرف منّا بواجباته نحو حكومته واني أفقه تردده في توقيع اتفاقية تجيز لقوة أجنبية احتلال املاك سلطانه ويُراد اضافة مادة اليها تولي حق احتلال سائر انحاء السلطنة في المستقبل وزدت اني لا استطيع القبول بشيء من مقترحات الروسية لان تعليماتي لم تشر اليها بل هي مقصورة على مسألة معينة لا عامة.
وبعد جدال قصير عدَّل الجنرال كيسيليف اقتراحه على الصورة الآتية وهي : وجوب كتابة صك « بروتوكول » وتوقيعه في الحال يسجل فيه اقتراحه مع الرجاء بان ممثلي الدول يعرضونه على حكوماتهم وان بعثة سورية تُرسل في خلال هذه المدة وتبقى المسائل العامة مطروحة على بساط البحث .

فابديت تأسفي من عدم استطاعتي قبول هذا الاقتراح وقلت انه يتعذر عليَّ توقيع صك «بروتوكول» يتضمن مسألة خارجة عن الموضوع الذي اتفقنا على البحث فيه وان اكون واسطة ابلاغ سيادتكم مقترحات حكومة الروسية بل يجب ان

تجري المخابرة بشأنها توًّا بين الحكومتين. وقد اشكل عليَّ ادراك سبب رضاء ممثل الروسية بسفر البعثة العسكرية وإبائه في الوقت عينه توقيع الاتفاقية مع ان ارسال الجنود يتوقف على توقيعها. واذا ما كنت فقهت اقتراح سفير الروسية اراه اغرب شيء طرأ على مسامعي في حياتي فانه بمحاولته ابلاء شروط اتفاقية موضوعة لغرض معيّن ولم تزل قيد البحث لانها لم تُوقّع معنىً أعمّ يكون قد اوثق يد الدول وارغمهنَّ على جعل هذه الاتفاقية شاملة السلطنة العثمانية بأسرها في حين قد رفض توقيعها لما كانت مقصورة على سوريًّا وحدها

فقال المسيو توفنيل انه لا يعتقد ان في وسعي رفض توقيع قرار « بروتوكول » يتضمن ابحاث المؤتمر بل لي ان أبدي الاعتراضات التي تحلو لي على كل اقتراح فتُدوَّن جميعها في القرار المذكور. فأجبت اني اذا قبلت بتوقيعه اكون ساعدت على نشر اقتراح لا تراه حكومة جلالة المالكة مناسبًا وانه كان يحق لي فور انتهاء الجدال في مبنى الاتفاقية الخروج من المؤتمر فلم افعل اجابةً لعامل المجاملة لاني لا اعدّ ذاتي مفوضًا بتوقيع صك يتضمن رواية ما جرى من البحث بعد انتهاء المؤتمر. واننا أمسينا جميعًا في موقف حرج من جرّاء اقتراح سفير الروسية لعدم استطاعتنا القطع بقضية ذات بال في نظر الحكومة الفرنسوية الأ اذا رضينا بقبول أمرٍ لا علاقة لهُ بالمسألة المعروضة على ابحاثنا.

فسلَّم الموسيو توفيل بان الحكومة الروسية سببت دون تعمد لا ريب وقوف المفاوضات وسأل الجنرال كيسيليف ان يوقف حكومته على ما جرى ويطالب اليها العدول عن اقتراحها.

ان سفيري النمسا وبروسيا لم يشتركا في الجدال بل اقتصرا على التصريح باستعدادهما لقبول مقترح الروسية.

واختم رسالتي مصرحًا بان كل هذا الجدال لم يحتدم بل ظلت عليه مسحة

الاعتدال وان خيل لسيادتكم الخلاف من قرائة هذا الوصف الوجيز .

(عدد ٤٨ ص ٣٠ ـ ٣١)

١٣٥ ــ فؤاد باشا الى المستر مور (١) . عن بيروت في ٢٦ منه

يتشرّف فؤاد باشا بانباء حضرات قناصل الدول الموالية المقيمين في بيروت انه رأى لزوماً لكفّ يد خورشيد باشا والي ايالة صيدا عن معاطاة وظيفته فعهد بادارة شؤونها بالوكالة الى امير البحر مصطفى باشا قائد اسطول الحضرة الشاهانية في البحر المتوسط .

ان ناظر خارجية الدولة العلية الموكول اليه مهمة خارقة العادة في سورية بابلاغه حضرة قنصل جلالة ملكة الانكليز العام في بيروت ما تقدم له ملء الرجا بان وكيل الولاية الجديد يحسن علائق الحكومة المحلية مع قنصلية انكلترة نظراً لما امتاز به من جميل الصفات ويحقق الثقة الموضوعة فيه .

وعليه ففؤاد باشا يغتنم الفرصة الخ . . . (عدد ٨٢ ملحق ٢ ص ٦٢)

١٣٦ ــ مور الى السير بولفر . عن بيروت في ٢٨ منه

اتشرف بانبائكم ان فؤاد باشا سافر بعد ظهر أمس إلى دمشق مستصحباً تابورين من الجنود وستة مدافع وقد حدّثني بعزمه على استعمال أقصى الشدّة في دمشق . وقد وصل ليل امس سفينة تركية قادمة توّاً من الاستانة حاملة كتباً الى

---

(١) ان فؤاد باشا انفذ مثل هذه الرسالة الى سائر قناصل الدول . وقد جاء في رسالة المسيو مور عدد ٨٢ ص ٦٠ـ٦١ ان فؤاد باشا فصل خورشيد باشا اجابةً لطلب امير البحر مارتين قائد الاسطول الانكليزي وقد كان وصل على البارجة ملبروك في ٢٤ تموز . وفي اليوم ذاته أوقف علي وصفي افندي « كاخية » خورشيد باشا وعبدالسلام بك متسلم دير القمر

فؤاد باشا على أثر وصول انباء فاجعة دمشق الى الباب العالي فأُنفذ رسول خاص في الحال بالتحارير المذكورة فادرك فؤاد باشا على بُعد بضع ساعات من بيروت . وستعود السفينة المار ذكرها هذا المساء الى الاستانة وقد تلطف حضرة أمير البحر مصطفى باشا بافادتي عن ميعاد سفرها فاغتنمت هذه الفرصة المواتية لاكتب إلى سعادتكم هذه الرسالة .

ان فؤاد باشا وجّه قبيل سفره فرنقو افندي احد رجال بطانته والمطران طوبيا (عون) الى كسروان ليسعيا بالصلح بين الفلّاحين والمشايخ الخازنيين الذين طُردوا من هذه الاقطاعة منذ سنتين تقريباً كما تعلمون . وقد ذهب المعتمدان المذكوران إلى جونيه على بارجة تركية صغيرة . وكان في نية دولته أولاً ان يوفد لهذه الغاية القائمقام المسيحي لكنه عدل عن هذا الرأي بناء على ما اوضحه له المطران المشار اليهِ من خطر ايفاد القائمقام المذكور نظرًا لشدة كره أهالي كسروان له . وفي الحقيقة ان استياء اللبنانيين منه لعامٌ ومعظم الكوائن التي وقعت تُنسب اليه .

وصلت البارجة نبتون الانكليزية . (عدد ٧١ ص ٥٤)

١٣٦ — ملاتيوس مطران الروم الكاثوليك في بعلبك الى القنصل مور عن جبة بشراي في ١٩ تموز

أرى من واجبي ان اخبركم بالبلايا التي نزلت بي وبابناء رعيتي بما فيهِ كنائس بلاد بعلبك واديارها. اولاً : ان متاولة هذه البلاد ومسلميها تسلحوا بعد ان فازت قبائل الاشقياء الهمجية على زحلة ونهبتها وحرقتها وهجموا على المسيحيين وقلوبهم تتقد حنقًا وقتلوهم ونهبوا اموالهم وحرقوا بيوتهم وكنائسهم وسلبوا قطعان ماشيتهم وأَخذوا محاصيل ارضهم . وبعد ان انتهوا من تدمير القرى قدموا بعلبك مقرّ العامل فلم يبدِ أقلّ اهتمام بحماية رعايا جلالة السلطان من اعتداء اعدائهم مع وجود

اميرالالاي حسين بك وبامرته لواء من الجنود السلطانية المنظمة وتابور من الفرسان ومدفعان

ثانيًا : كان الامراء الحرافشة الفارّون من وجه الحكومة قد ترأسوا في خلال هذه المدة عصابة من اللصوص وفاجأوا فارس آغا قادرو عامل بعلبك قصد الفتك به فلم يتمكنوا الأ من قتل بعض اتباعه فلم تعارض جنود الحامية التركية عصابات الاشقياء هذه ولم تتخذ أدنى تحوط لحماية المسيحيين المنكودي الحظ من هذه الاخطار العظيمة بل ظلت على الحياد .

ثالثًا : لمّا رأيت ذاتي محاطًا بالاخطار من الداخل والخارج لذت بالفرار مع بعض ابناء رعيتي تاركين كل اموالنا وارزاقنا ومؤنتنا وحللنا الفاخرة وثيابنا الثمينة حتى انه لم ينفسح لنا الوقت لنتزوّد طعام ذلك اليوم

رابعًا : عند بلوغنا بعناية الله بلدة بشرّاي سالمين اتصلت بنا الاخبار بان حسن اغا يازجي قدم بعلبك بـ ٤٠٠ جندي غير منظم بزي الارناؤود وكان قد استنفرهم من ثفالة شعب دمشق ورعاعه ولاسيما من الاكراد المشهورين بفظائعهم متظاهراً بانه يريد حماية اهالي بعلبك لكنه انقلب حالاً ووضح ان هذا الآغا ورجاله الاشرار كانوا أشدّ ضربة على المسيحيين الباقين في بيوتهم . فان هذا الزعيم لمّا سمع بالفظائع التي اقترفها مسلمو دمشق اطلق العنان لجنوده فهاجموا كنيستنا ومقرّنا الاسقفي وبيوت المسيحيين عامةً وسلبوا الاموال ودمروا الباقي ودنسوا مذابح التقديس وقتلوا بعض الرجال واغتصبوا النساء وافتضّوا البنات ثم قتلوهنّ ولا يزال حتى الآن عدد عظيم منهنّ هائمًا على وجهه في الجبال المقفرة واخر في يد اعدائهنّ والباقيات منهنّ جحدنَ الدين المسيحي واعتنقنَ الاسلام لانقاذ حياتهنّ

خامسًا : ان الكارثة التي أصابت مسيحيي بعلبك امتدّت حالاً الى القرى المجاورة فان المسلمين والمتاولة وعليهم الامراء الحرافشة هاجموا المسيحيين مسرفين في

القتل والنهب فسلبوا الكنائس والبيوت وحرقوها . وفي كل يوم نشاهد جمهوراً من المسيحيين وكهنتهم قادمين أو مشتتين وهم في عوز تام عراة حفاة قد سُلبت ثيابهم ومحاصيلهم ومؤونتهم وماشيتهم وبعضهم سُبيت نساؤهم واولادهم وقد بقي كثيرون مختبئين في البراري والآبار على ان اماكن مخبأهم غير امينة .

سادساً : ان الرواية الوجيزة السابقة البيان تدلكم كم قد سُفك من الدم المسيحي وكم قد سبي من النساء والاولاد وعلى مقدار الاموال المنهوبة وعدد الكنائس التي سُلبت وحُرقت في بلاد بعابك فعددها يتجاوز العشرين بما فيه ١٢ كنيسة وديرا الغزال وسيدة الراس خاصة طائفتنا وقد قتل فيها ثلاثة رهبان .

سابعاً : ان ثمن الاموال المنهوبة والاملاك المخرَّبة يبلغ زهاء ٥٠٠ كيس يضاف اليها مثلها لقاء الـ ١٢ كنيسة والديرين السابق ذكرها و٢٠٠ كيس بدَل املاكها فيكون المجموع زهاء ١٧٠٠ كيس وتقدَّر خسائر ابناء طائفتنا العالميين بخمسة الاف كيس .وقد تجاوز ثمن ما نُهب من اموال سائر الطوائف المسيحية في هذا القضاء وقوامها محاصيل الاملاك والحبوب والماشية والجمال والخيل والحمير والبيوت المحروقة العشرين الف كيس . هذه هي الخسارة المالية عدا فقدان الرجال والنساء وهتك العرض وتدنيس المعابد والاواني المقدسة

وقد رأيت من واجبي ان ابسط لحضرتكم هذه الحالة متوسلاً الى رأفة حكومة انكلترة العظمى الممتازة بغيرتها السامية واقتدارها العظيم لانه لم يبقَ لنا ملجأ بعد الله الأها ان ترمق بعين الشفقة حالة شقاء المسيحيين رجالاً ونساءً وأطفالاً المعرضين للهلاك وهم عراة حفاة جياع ليس لديهم ما يسدون بهِ رمقهم . فعسى ان تنتصر لهم وتحصل لهم على تعويض وانصاف فتغنم دعاءهم الحميم إلى العزة الالهية لتؤيدها وتوطد دعائم سلطتها وتجعل أعداءها موطئاً لقدميها وتعقد النصر فوق اعلامها المجيدة إلى الدوام .   (عدد ٧٦ ملحق ٣ ص ٧٢ ـ ٧٣)

١٣٧ – اللورد روسل الى اللورد دوفرين في ٣٠ منه

ان جلالة الملكة قد انتقت سيادتكم لتمثلوا مملكة بريطانيا وايرلندة المتحدتين في اللجنة التي ستؤلف عن قريب لاجراء التحقيق في كوائن سوريًا المحزنة . فعلى سيادتكم ان تسافروا في الحال الى الاستانة حيث يزوّدكم السير بولفر سفير جلالتها التعليمات ويمدّكم بالافادات اللازمة لقضاء مهمتكم على أحسن وجه

ان غرض اللجنة الرئيسي هو الحصول على ضمانة اقرار السلام في سوريًا وتوطيد اركانها . انّما لا يستقرّ الامان في الداخلية الاّ إذا أُوجد فيها ادارة نزيهة عادلة نقية الذيل حزومة لانه عندما يرى جميع الذين يصيبهم ضرر عدم معاقبة مقترفي الجنايات أو سالبي الاموال يعمدون اخيرًا الى الاقتصاص بيدهم او الاثآر لانفسهم تعويضًا عمّا فقدوه او خسروه

فعليك ان تؤَدي الاكرام لارباب السلطة المعينين من قِبل السلطان وتجعل نصب عينيك دائمًا ان حكومة جلالتها لا تسعى إلى احراز أرض جديدة وأَرجحية نفوذ وفائدة تجارية خاصة ولا تريد ان تستقل احدى الدول بذلك . وسأرسل اليك نسخة من الاتفاقية المتعلقة بسورية فور توقيعها في باريس .

(عدد ٤٢ ص ٢٦)

١٣٨ – المسيو نوفنيل الى الكونت دي برسينيي في اول اب سنة ١٨٦٠

ان اللورد كولي جاءَني وحدّثني بارتياب خالج فكر حكومته حتى اذا لم نستطع ازالته لا يمكنها القبول بان ننفذ عاجلًا الوسائل التي قضت حالة سوريًا باتخاذها . ان حكومة لندره تعتقد انه يصعب عدم الاعتداد بالمعاملات المرعية في مثل هذه الحال كالاجازة لممثلي الدول توقيع الاتفاقية قبل ان تكون بلغتهم الكتابة التي

تخولهم ملء السلطة والمبادرة إلى تنفيذ موادها قبل تمام الموافقة عليها .

ولقد بدا لي ياحضرة الكونت انه يمكن ازالة هذه الصعوبات وقد أمست غير ذات بال بعد اتفاق الدول على جميع المسائل اذا وُقّع حالاً صك «بروتوكول» يتضمن جميع المواد المقطوع بها ويشترط فيه ابداله باتفاقية عندما يتمكن ممثلو الدول من ابرامها وانه يُبدأ حالاً بتنفيذ الوسائل المقرَّرة بالاجماع . واتشرَّف بأن ارسل اليكم في طيهِ مسودَّة هذا الصك وارى ان نصه يرضي الجميع فأسألك ان تبلغه اللورد روسل ولي الامل بانه يرضى بتفويض سفير جلالة الملكة في باريس توقيعه، ومثل هذا النهج لم يخلُ من سالفة فقد عُمل بهِ كلما اضطرَّت الدول إلى التدخل بسرعة

وقد اعلمني ايضاً اللورد كولي ان الوزارة الانكليزية لا يسعها مع الاسف الاَّ الاصرار على رأيها رفضاً لاقتراح الروسية لكنها لما كانت راغبة في تمهيد السبيل لعقد اتفاق بين جميع الحكومات ترضى باضافة تصريح يسمح لحكومة بطرسبرج ان توافق عليه دون ان يمسّ سيادة السلطان وهيبته. وهذا التصريح يطابق الرغبة التي سألتكم ابلاغها اللورد جون روسل وقد صرفت كل عنايتي الى ايجاد طريقة توفق بين الجميع واعتقدت اني وجدتها فعرضتها على حضرة سفير انكلترة مقترحاً عليهِ توقيع صك مع سائر ممثلي الدول يوضح كيفية التدخل وصفته ويعرب عن رغبتهنّ إلى الباب العالي ان يقوم بالوعود المدونة في مؤتمر باريس واعترفت الدول باهميتها .

فهذا التصريح مع ارتباطه بالترتيبات الموضوعة في سنة ١٨٥٦ يكون ضمانة لتركيا وفي الوقت ذاته عهداً على اهتمام جميع الدول دون تمييز في حفظ السلم وعنايتها بحالة المسيحيين رعايا السلطان . وقد تراءى لي اننا بذلك نكون قد راعينا أرقّ العواطف واعربنا عن رغبة الدول وقد أثارتها ظروف قاهرة غيرعادية لا مردّ

لحكمها مع كل المراعاة الواجبة للحكومة العثمانية.وقد سلمت نسخة من هذا الصك إلى اللورد كولي فاشكر لك اذا شئت ان تنبئني بالسلك البرقي اذا كان يجوز القبول لدى اللورد روسل.وستعلم من رسالة المركيز دي لافاليت البرقية وفي طيه نسخة منها ان من اللازم اللازب المبادرة الى مساعدة تركيا لحقن الدماء الجارية كالانهر في سوريّة . (دي تستا عدد ٥٣ ص ١٠٠ ـ ١٠١)

١٣٧ – اللورد روسل الى السر بولفر في اول اب سنة ١٨٦٠

اني مرسل لكم في طيهِ نسخة النطاقة التي رفعها إليَّ المسيو موزوروس .

ان حكومة جلالة الملكة تعلم مقدار الضرر الذي يتأتى عن احتلال البلاد بقوَّة أجنبية . لكن سلوك الباشاوات الاتراك والجنود التركية الشائن في سوريّا هو الذي ارغم حكومة انكلترة على القبول بمقترحات فرنسا . وكان في الوسع ان تناط معاقبة مقترفي مذابح لبنان وقمع الفتنة بعدالة فؤاد باشا ودرايته لو لم تكن الانباء المفجعة الواردة من دمشق قد اوضحت بجلاء ان أرباب السلطة التركية عاجزون عن وقاية حياة المسيحيين حتى في أهم مدن السلطنة . فسواءٌ كان ذلك ناشئًا عن وهن السلطة أو ضعف الارادة فعدم وجود الامن على الحياة والاملاك ثابت . (المحررات الانكليزيَّة عدد ٤٩ص ٣١)

١٣٨ – صك « بروتوكول » جلسة المؤتمر المعقود في باريس في ٣ اب سنة ١٨٦٠

الحاضرون: ممثلو النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيًا وتركيًا

انه لمَّا كان جلالة السلطان يريد ان يحقن الدماء في سوريّة باتخاذ أقرب الوسائل الناجعة واظهار عزمه على المحافظة على حسن النظام وبسط الامان بين الشعوب الخاضعة لسلطنتهِ وكان أصحاب الجلالة امبراطور النمسا وامبراطور فرنسا

وملكة بريطانيا العظمى وايرلنده وسمو كفيل الملك في بروسيا وجلالة امبراطور الروسية قد عرضوا على جلالة السلطان مساعدتهم الفعّالة فقبلها قد اتفق ممثلوهم على المواد الآتية :

المادة الـ ١ يُبعث إلى سورية جيش من العساكر الاوربية يمكن زيادة عدد رجاله الى اثني عشر الفًا ليعمل على توطيد الراحة فيها .

المادة الـ٢ ان جلالة امبراطور الفرنسيس رضي ان يجهز في الحال نصف الجيش. واذا اقتضى الامر ابلاغه الى العدد المحدد في المادة السابقة فعلى الدول الأوَل ان تتفق دون تأخير مع الباب العالي بطريق المفاوضة الدولية العاديّة على تعيين الدولة التي يتوجب عليها تقديم الجنود اللازمة .

المادة الـ ٣ على قائد هذه البعثة العام ان يخابر فور وصوله مندوب الباب العالي الخارق العادة للاتفاق على اتخاذ جميع الوسائط التي تستدعيها الاحوال ولاحتلال المواقع التي يجب النزول فيها لبلوغ الغاية المقصودة .

المادة الـ ٤ ان اصحاب الجلالة أمبراطور النمسا وأمبراطور الفرنسيس وملكة بريطانيا العظمى وسمو كفيل الملك في بروسيا وجلالة أمبراطور الممالك الروسية وعدوا بمواصلة ارسال القوات البحرية الكافية إلى شواطىء سورية وابقائها فيها مساعدةً على انجاح المساعي المشتركة الآئلة إلى توطيد الراحة في تلك البلاد .

المادة الـ ٥ ان الدول المتعاقدة جعلت مدة احتلال الجنود الاوربية سوريّة ستة أَشهر لتيقنها انها كافية لاعادة الامن والراحة المبتغاتين .

المادة الـ ٦ يتعهد الباب العالي ان يبذل ما في وسعه لتسهيل تموين هذه البعثة العسكريّة .

قد استقرّ الرأي على نظم المواد الست السابقة البيان بشكل اتفاقية يوقّعها ممثلو الدول فور وصول تفويض دولهم المطلق اليهم . بيدَ ان شروط هذا الصك

تنفذ في القريب العاجل

أمَّا القائم بوكالة سفارة بروسيا فقد ألفت الانظار الى ان توزيع بوارج الاسطول البروسي حاليًّا لا يسمح لحكومته ان تشترك منذ الان في تنفيذ محتويات المادّة الرابعـة .

التواقيع : مترنيخ . توفنيل . كولي . رسّ . كيسيليف . أحمد وفيق .

(عدد ٥٩ ملحق ١ ص ٣٦ ـ ٣٧ ودي تستا ص ٤٢ ـ ٤٤)

تنبيه : ان هذا الصك قد نُظم بشكل اتفاقية فوقّعت في ٥ ايلول سنة ١٨٦٠ بعد ان خُوّل ممثلو الدول المذكورون ملء السلطة وأُضيف اليه الفقرات التالية :

بعد عبارة « عرضوا على جلالة السلطان مساعدتهم الفعّالة فقبلها » :

فأقرُّوا رأيًا على عقد اتفاقية في هذا الصدد وعين كل منهم ممثلًا له مفوّضًا اليهِ ملء السلطة كما يأتي مفصلًا :

جلالةامبراطور النمسا : الموسيو ريشار أمير مترنيخ وينبورغ ودوق بورتلّا و كونت كونسفارت الحائز رتبة عظيم اسبانيـا طبقتها الاولى ووسام الملك ألبر دي ساكس طبقته الاولى ووسام الدوق ارنست دي ساكس ـ كوبورغ ـ غوتا ووسام ليوبولد ملك بلجيكا طبقتـه الثانية ووسام جوقة الشرف من طبقة فارس ورتبة فارس فخري في جوق فرسان القديس يوحنا في مالطة وحاجب جلالته وسفـيره الخارق العادة لدى جلالة أمبراطور الفرنسيس .

جلالة أمبراطور الفرنسيس : الموسيو ادوار ـ انطوان توفنيل من اعضاء مجلس الاعيان الحامل وسامات جوقة الشرف وتاج النمسا الحديدي والقديس اسكندر نيوسكي الروسي والمجيدي العالي الشأن طبقتها الاولى الخ الخ . . . ووزير خارجيته

جلالة ملكة بريطانيا العظمى وايرلندة : حضرة النبيل هنري ـ ريشار شارل

كونت كاولي وفيكونت دنكان وبارون كاولي وأحد اعضاء مجلس النبلاء ومجلس جلالتها الخاص الحامل وسام الاستحمام طبقته الاولى (١) وسفيرها الخارق العادة المفوض اليه ملء السلطة لدى جلالة امبراطور الفرنسيس

سمو كفيل الملك في بروسيا : الامير هنري السابع دي روس ـ شليز ـ كستريز الحائز وسام النسر الاحمر طبقته الرابعة ووسام القديس يوحنّا الاورشليمي البروسيوي الخ . . . ووكيل سفارته في باريس .

جلالة امبراطور الممالك الروسية : الكونت بولس دي كيسيليف رئيس اركان حربه وقائد المشاة وأحد اعضاء مجلس الامبراطوريّة الحامل وسام جوقة فرسان الروسية من طبقة فارس ووسامي العاهلين نقولا الاول واسكندر الثاني المرصعين ووسام جوقة الشرف طبقته الاولى والوسام المجيدي المرّصع وسفيره الخارق العادة المفوض اليه ملء السلطان لدى جلالة أمبراطور الفرنسيس .

جلالة سلطان العثمانيين : أحمد وفيق افندي الحامل الوسام المجيدي طبقته الثانية الخ . وسفيره الخارق العادة لدى أمبراطور الفرنسيس

فالمشار اليهم بعد ان اطلعوا على الكتابات المفوض اليهم بها ملء السلطة ووجدوها مطابقة للاصول اتفقوا على المواد الآتية :

وهنا أعيد ذكر هذه المواد دون تبديل وأُضيف اليها مادة سابعة وهي :

المادة الـ ٧ تتم الموافقة على هذه الاتفاقية ويُتبادل توقيعها في باريس في مدى خمسة اسابيع أو قبلها اذا امكن .

---

(١) دخل هنري الرابع ملك انكلترة الحمَّام ذات يوم فبادر اليه أحد حجَّابه وقال له ان أرملتين مظلومتين تطلبان العدل فخرج لساعته من الحمَّام ولبس ثيابه وهو يقول : العدل واجب والحمام لذّة والواجب يفضل اللذة ـ فهذا كان سبب انشاء وسام الحمَّام

واشعارًا بذلك فقد وقّعها المفوضون المشار اليهم ومهروها بطابع شعارهم .

كُتب في باريس في ٥ ايلول سنة ١٨٦٠

١٣٩ — قرار آخر في ٣ منه

لمّا كان معتمدو دولة النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيًا يرغبون في ان يبينوا صفة المساعدة المبذولة للباب العالي تحقيقًا لنيَات دولهم وفقًا لمواد الصك « بروتوكول » الذي وقعوه وان يوضحوا العواطف التي أملت عليهم شروطه وتجرّدهم عن كل غرضٍ فيصرحون بصورة علنية قاطعة بان الدول المتعاقدة لا ينوينَ ان يطمحنَ ولن يطمحنَ أبدًا في اثناء اجرائهنّ عهودهنّ الى الاستيلاء على بعض اراضٍ او اكتساب نفوذ خاص او بعض امتيازاتٍ تتعلق بتجارة رعاياهنّ ممَّا لا يمكن منحه لرعايا سائر الدول

بيدَ انهم لا يتمالكون من تذكير الباب العالي بعهود جلالة السلطان المثبتة في المادة التاسعة من المعاهدة المعقودة في ٣٠ ادار سنة ١٨٥٦ (١) المعلنة خطورتها

(١) هي عهد صلح وقّعتهُ دول النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وسردينيا والباب العالي من جهةٍ ودولة روسيًا من جهةٍ أخرى وأُشركت بهِ بروسيا وذلك في باريس في ٣٠ ادار سنة ١٨٥٦ . وهذا نص المادة ٩ فيه :

المادة الـ ٩ : لما كان جلالة السلطان مدفوعاً الى خير رعاياه ورفاهيتهم بعامل عنايته المتواصلة فقد جاد بفرمان يثبت حسن نيّاته نحو الملل لمسيحية القاطنة سلطنته على اختلاف طوائفها ويضمن تحسين حالها . ولمّا كان يرغب في ابراز دليل جديد على حسن استعداده أقرّ على ابلاغ الدول المتعاقدة هذا الفرمان الذي اصدره اختيارًا .

ان الدول المتعاقدة تعترف بأهمية هذا التبليغ . بيدَ انهُ من المقرّر انه لا يوليهنّ بأيّة صورة كانت حقًا في التدخل في علاقات جلالة السلطان برعاياه وفي ادارة داخلية مملكته ان بالانفراد وان بالاجماع . اه

ومن ايضاح ما تُعلّق كل واحدة من دولهم من كبير الاهمية على وفاء الباب العالي بوعوده فيتخذ وسائل ادارية حازمة وتحوطات واقية تكفل اصلاح احوال المسيحيين من كل الملل المقيمين في السلطنة العثمانية .

ان سفير تركيّا المفوّض اطلع على تصريح ممثلي الدول الأول وأخذ على نفسهِ ان يبلغ دولته ذلك ملفتاً الانظار الى ان الباب العالي قد وجّه ولم يزل يوجه عنايته إلى تحقيق الامنية السابق بيانها . حُرّر في باريس في ٣ آب سنة ١٨٦٠ وكتب منه ست نسخ .   (عدد ٥٩ ملحق ٢ ص ٣٨ ودي تستا ص ٤٤ ـ ٤٥)

١٤٠ – الارل كولي الى اللورد روسل في ٢ منه

وصل اللورد دوفرين باريس ليل اول أمس ولما كان الموسيو توفنيل قد انشغل كثيراً أمس فلم يتمكن من مقابلته فصحبته اليوم الى وزارة الخارجية . ولمّا علم الموسيو توفنيل ان اللورد دوفرين سيتلقى تعليمات من سفير جلالة الملكة في الاستانة قال انه يخشى وقوع ارتباك والتباس اذا انتهجت الحكومة الانكليزية هذه الطريقة. فان اقتراح دولته ـ وقد قبلتــه الحكومة الانكليزية على ما فهم ـ يتضمن طلب ارسال لجنة مختلطة إلى سوريّة ليجري اعضاؤها تحقيقاً في اسباب الفتنة الاخيرة بالاتفاق مع مندوب الباب العالي ويراقبوا معاقبة مسببي المذابح والمحرضين عليها وينظروا في التعديلات الواجب ادخالها على نظام سنة ١٨٤٥ وفي الوسائل الكافلة عدم تجدد الفواجع السابقــة وتحسين إدارة شؤون سوريّة . وللوصول إلى هذا الغرض يرى دولته ان على الدول الخمس ان تتفق على التعليمات التي ستزودها مندوبيها وإلاّ يضطرب حبل اتحادهم وبدونه لايمكن الحصول على نتايج مرضية . امّا هو فينوي ارسال المندوب الفرنسوي من هنا الى سورية توّاً مزوداً التعليمات . أمّا اذا كانت حكومة جلالة الملكة تؤثر ان تعطى التعليمات من الاستانة فيجدر ان

توضع هذه التعليمات في جلسة يعقدها ممثلو الدول الخمس بحيث يعطى كل مندوب تعليمات متماثلة وبدون ذلك يتعذر اتحاد كلمتهم فيقع بينهم الخلاف لتباين ارائهم . ولكي يتمكن سفراء الدول في الاستانة من ان يحسنوا فهم الغرض المراد ادراكه بأرسال اللجنة ويتسنى لهم الاجماع على اعطاء تعليمات متماثلة ينبغي ان ترسل كل حكومة الى ممثلها ذات التعليمات التي سبق لهنّ الاتفاق عليها وان لم تفعل لا يرجى نجاح في الاستانة .

وقصارى القول ان غايته تزويد المندوبين تعليمات متماثلة سواء أعطيت من الاستانة أو من غير مكان . (عدد ٥٤ ص ٣٤)

١٤١ - اللورد روسل الى الارل كولي في ٤ منه

وصلتني رسالتكم البرقية المؤرخة في ٣ الجاري بعد انفاذ رسالتي اليكم فعلمت منها ان الموسيو توفنيل لم يزل مصرًّا على ابائه تخويل ممثلي الدول الخمس في الاستانة حق تزويد مندوبي الدول الموكول اليهم اجراء التحقيق في سورية التعليمات اللازمة .فاجيبكم ان حكومة جلالتها تعتقد انه يتعذر الاتفاق على وضع تعليمات في باريس تنال استحسان جميع الدول وانه إذا كان لا بدَّ من ذلك يجب وضعها في الحال.

(عدد ٥٨ ص ٣٥)

١٤٢ - الكونت كافور رئيس وزارة سردينيا الى المركيز دي ازيليو سفير دولته في لندره . عن تورين في ٣ منه

انه منذ بدأت العراقيل الناشئة عن حالة المسيحيين في الشرق بادرت حكومة الملك استناداً على الحقوق المستمدة من المعاهدة المعقودة في باريس سنة ١٨٥٦ فطلبت الاشتراك في المفاوضات التي ستجري بين الدول التي وقّعت معها العهود المعين فيها

موقف تركيا تجاه اوربا .

ولما حدثت فيما بعد اضطرابات سوريًا ومذابحها فأثارت استياء اوربا وأوضحت وجوب اتخاذ وسائل عاجلة تكفل وقاية حياة الطوائف المسيحية المنكودة الحظ القاطنة تلك البلاد وتضمن راحتها فحكومة الملك شاطرت جميع البلدان المتمدنة عواطف الشفقة عليها وعنايتها بها فطلبت مجدداً الاشتراك في الاتفاق الذي يُبرم بين الدول الموقّعة معاهدة باريس للاقرار على وسائل من شأنها مساعدة تركيًا على وضع حد لهذه الشرور والكوارث . ومن البديهي انه كان على الدول ان تحفل بطاب حكومة سردينيا لانه مبني على مواد معاهدة شهيرة وعلى الواجب المفروض على وزارة تورين وهو حماية رعاياها العديدين المقيمين في سوريًا وعلى صوالح بحريتها وتجارتها ولذلك لقينا في عدالة حكومات باريس ولندره وبطرسبورج ونزاهتها افضل استعداد لاجابة طلبنا

ثم كان اتصل بنا ان الدول رغبةً في تسهيل عقد اتفاق - يخشى ان ينجم عن تأجيله استمرار أهالي سوريّة معرضين لاعتداءات اعدائهم ومظالمهم - قد عولت على ان تبني تدخلها على الاتفاقية المعقودة في سنة ١٨٤٥ ولم تشترك بها سردينيا . وعليه فاهمال العمل بمبنى المعاهدة الموقعة في باريس في ٣٠ اذار سنة ١٨٥٦ في هذه المسألة يستدعي اعتراضنا .

لستُ اجهل انه في سنة ١٨٤٥ شاءت الدول منع تجدد الاضطرابات التي أسالت الدماء في سوريًا فاتفقت مع الباب العالي على ايلاء سكّان تلك البلاد المنكودي الحظ بعض تنظيمات اداريّة داخلية ضمانةً لراحتهم وطمأنينتهم. ولا خلاف في ان الكوائن الهائلة التي فاجأ خبرها اوربا المسيحية وأقامها واقعدها منشأها واحد . ومن البديهي ان الدول التي وهمت بانها اتقت تجددها بوضعها نظامات سنة ١٨٤٥ وتحققت اليوم عدم كفايتها أو عدم تنفيذها قد اضطرَّت اليوم الى اتخاذ

وسائل أَنجع وأَحزم من ذي قبل بالاتفاق مع الباب العالي .

لا مراء انه إذا كانت المسأَلة مكانية نظرًا لبقعة الارض التي مُثلت فيها هذه الفواجع فقد أَصبحت عامة لامتدادها إلى اوربا واثارتها اهتمامهـا فأَثرت في حالة تركيا وفي العلائق بين سائر دول اوربا . ولاغرو فاننا لسنا بحاجة إلى ان نذكر كم من مرة كادت حوادث سوريّة تعرض اوربا إلى مشاكل وخلافات خطـيرة قبل وضع نظامات سنة ١٨٤٥ .

ومن ثم لا يغرب عن الذاكرة ان الغرض الرئيسي الذي توخته الدول من قبول تركيا في مصاف الدول الاوربية في سنة ١٨٥٥ هو اتقاء امكان انفراد دولة واحدة من الدول الموقعة المعاهدة ـ التي اوجدت حقًا عامًا مشتركًا في شؤون تركيًا ـ بمسائل مكانية أَو وثائق خاصة هي من الاهمية بمكان بحيث اوجبت التدخل بقوّة عسكريّة .

وبناءً على ما تقدم فاذا كان موقف تركية الحالي يرتبط بتنظيمات سنة ١٨٤٥ من جهة الكوائن نرى من الواجب ان تستمد طريقة العمل من شروط معاهدة سنة ١٨٥٦ التي اشتركت بها سردينيا .

بيدَ انه إذا كانت الحجج المدلى بها آنفًا تؤيد اعتقادنا المكين باننا لم نطلب إلاَّ حقًا ثابتًا في معاهدة شهيرة فقد سررنا كثيرًا باتفاق الدول حتى نخاطر باثارة خلافات من شأنها بلبلة العمل الخيري الذي صممت اوربا على الاقدام عليه انتصارًا لشعوب حلّت بها نكبات جسيمة أَو عرقلته .

ولا نجهل ايضًا ما تقيمه النمسا بمساعيها المتواصلة من العقبات في وجه طلبنـا لحرماننا من الاشتراك في اتفاقيات يقتضي ان تكون بمعزل عن كل حسد سياسي وقد شاءَت سائر الدول مدفوعة بروح المسالمة ان توليها صفة انتصار للانسانية أَوحت بهِ أَنبل العواصف وأَسماها .

ولذلك فان حكومة سردينيا تعدل الآن عن زيادة الالحاح في طلبها مع الاحتفاظ بالحقوق التي تخولها اياها معاهدة باريس . ومع اتيانها هذا الدليل على حبها المسالمة ازاء مسألة يتوجب فيها على العالم المسيحي باسره ان يبرهن عن تعاضده وتكاتفه واتحاد كلمته فهي واثقة بان ستدعى سردينيا الى الاشتراك في المفاوضات العامة إذا كانت المسألة المعتبرة اليوم موضعية ومحصورة في نظامات سنة ١٨٤٥ تعمم فتلامس العلائق التي اوجدها الحق الحديث المشترك بين تركيا وسائر دول اوربا .

ولك ياحضرة المركيز ان تسلم اللورد روسل نسخة من هذه الرسالة .

(عدد ٦٨ ملحق ١ ص ٤٩ _ ٥٠)

١٤٣ — نشرة امير البحر مصطفى باشا وكيل ايالة صيدا في ١٦ محرم سنة ١٢٧٧ [٤ اب سنة ١٨٦٠]

لما كان قد شاع كثيراً خبر قدوم العساكر الفرنساوية الى بيروت وكان قنصل فرنسا والكولونل دوسمون قد اعلمانا بذلك وهذا الاخير موكول اليه اختيار محل موافق لاقامة الجنود المذكورة بواسطة الحكومة المحلية وقد ابلغنا مهمته شفاهاً وكنّا لا نعلم إذا كان الباب العالي قد رضي بمجيء هذه الجنود أو لا فتعجلنا برفع كتاب مفصل بهذا الشأن الى صاحب الدولة فوأد باشا ناظر الخارجية المفوض اليهِ ملء السلطة ليقطع مستقلّاً في جميع المسائل المتعلقة بهذه البلاد والتمسنا منه ان يمدنا بتعلياته . وقد فهمنا من فحوى جواب دولته انه عرف هذا الخبر من تحارير الباب العالي التي حملها اليه قاسم بك من اركان حرب نظارة البحريّة ومضمونهـا ان الحكومة الفرنسويّة عرضت على الباب العالي ارسال فرقة من جنودها إلى هذه البلاد وقد دفعها إلى ذلك الاعمال الفظيعة التي اقترفت ولاسيا تجروء بعض رعاع شعب دمشق على الغدر بالمسيحيين رعايا الحكومة السنية وقتلهم ونهب اموالهم .

ونرجو ان تقف الاضطرابات ويستتب الامان تماماً قبل وصول هذه الجنود وتقاوم القلاقل وفقاً لموجبات النظام والعدالة بسطوة جلالة سلطاننا الاعظم المؤيد بعون الله ورسوله وتكاتف جميع رعاياه المخلصين العقلاء بحيث لا يبقى سبيل الى استخدام هذه الجنود . ولا يخفى ان اقدام الحكومة الفرنساوية على ارسالها ناشيء عن صداقة وثيقة العرى وولاء تام كائنين بين الحكومتين . ولا تأتي هذه الجنود بأدنى حركة في السلطنة العثمانية دون سبق اتفاق مع موظفي الباب العالي . وعليه فلا سبيل إلى الخوف من خبر قدومها بل يقتضي على مأموري الحكومة السنية ان يسعوا بذاتهم لاجابة مطالبها وتسهيل امورها والقيام بواجبات الضيافة نحوها وفقاً لما أمر بهِ صاحب الدولة فؤاد باشا وزير الخارجية في جوابه .

وقد بادرنا إلى اذاعة هذه النشرة لتطلع عليها جميع طبقات الامة وتنزع من قلبها كل خوف ليتمكن كل فرد من الاهتمام باشغاله وشؤونه الخاصة .

(عدد ٧٦ ملحق ١ ص ٦٩)

١٤٤ ـــ نشرة فؤاد باشا في الجنود التركية في دمشق في ٢٠ محرم سنة ١٢٧٧ [٨ اب سنة ١٨٦٠]

ايها الرفقاء : ان بعض الجنود الفرنسوية والانكليزية ستصل قريباً إلى هذه البلاد. لان دول اوربا لرغبتهنَّ المتواصلة في ان تستمر بلادنا متمتعة بالراحة قد شئنَ ان يساعدننا على قمع الاضطرابات التي حدثت في هذه البلاد فقبلت الحكومة السنية مساعدتهنَّ اظهاراً لثقتها في حليفاتها .

وغير خافٍ عنكم ان هذه الجنود تخص ذات الدول التي عضدتنا بكل قواها في عهد سابق فعليكم ان تقوموا بواجب الاخاء نحوها فانتم في بلادكم وهي في ضيافتكم فاعملوا بواجبات الضيافة فتشاهد احسانكم خدمة نيَّات جلالة متبوعنا

الاعظم المنصرفة الى العدل وانقيادكم العسكري واحترامكم نظام الجندية وشرفها وترى انكم بغنىً عن كل مساعدة على معاقبة سافكي دم المسيحيين مواطنيكم مثلنا والاقتصاص من الجناة باسم الانسانية

(عدد ١٢١ ملحق ٢ ص١٠٦ . ودي تستا عدد ٥٤ ص ١٠١)

١٤٥ — فؤاد باشا الى المسترمور . عن دمشق فى ٤ منه

بدأتُ بالعمل هنا وأصبتُ نجحًا . فاني بعد ان اتخذتُ جميع التدابير لارهاب المدينة من جهة وضربها من جهةٍ أُخرى إذا حدثت مقاومة تمكنت حتى مساء أمس من القاء القبض على ٣٣٠ شخصًا كان القناصل والمسيحيون سامُوني لوائح باسماء بعضهم ودفع إليَّ المواطنون الاخرين . ولا يزال القاء القبض متواصلًا اليوم بحيث يبلغ عدد الموقوفين في هذا المساء الـ ٥٠٠

قد أَخذ القوم باعادة المسلوبات ومع انه يتعذر استعادة معظم الاشياء الثمينة المنهوبة فقسم كبير منها صار في يدنا . وتمَّ ذلك دون مقاومة اذ لزم عقلاء المدينة السكون فساعدوا الجنود التي أنزلت الرعب في قلوب الاشقياء بحسن سلوكها مساعدة أدبية . وصار عليَّ الان ان أُوقف الاعيان الذين اشتركوا في فتنة دمشق وقد استخدمتهم حتى الان لنجاح خطتي وسأدفعهم قريبًا الى يد العدالة.لقد أَلفت مجلسًا خارق العادة لاستنطاق المقبوض عليهم فشرع بمهمته وسأُنفذ احكامه في الحال عملًا بالسلطة المطلقة التي خولنيها جلالة مولاي السلطان . فهذه الوسيلة وسائر التدبيرات التي سأَتخذها لانزال أَشدّ العقاب في الجناة عبرةً لمدينة دمشق سوف لا تلاقي أَدنى مقاومة من قِبل سكَّانها لان قسمًا منهم وهم العقلاء مخلد الى السكون كما سبق لي القول والقسم الآخر أصبح سلس القياد طائعًا على أَثر القاء القبض على بعض زعمائه . ولمَّا كنت متيقنًا ان كل ما اخبركم بهِ يسرّكم كثيرًا وان الصدق في

الرواية من شأنه استدراك العراقيل التي يخشى ان تنجم عن اشتراك الجنود الاوربية في هذه الاعمال رأيت من واجبي ان أوقفكم على كل ما جرى هنا . وأني موفد الى بيروت اميرالالاي حسن بك (اوريلي) من اركان الحرب ليقصّ عليكم وعلى حضرة أمير البحر قائد اسطول جلالة ملكة انكلترة الراسي في مياه بيروت تفاصيل ما فعلناه هنا ويبلغكما شفاهًا بعض ملاحظات خطيرة .

(عدد ٨٧ ملحق ١ ص ٧٣ ـ ٧٤)

١٤٦ — مور الى فؤاد باشا . عن بيروت في ٧ منه

شرفني الكتاب الذي جادت دولتكم عليَّ به في ٤ الجاري فاشكر لكم تلطفكم بايقافي على الوسائل الحازمة التي اتخذتموها في دمشق وارجوكم ان تثقوا باني سررت بها كثيرًا .

أمَّا بخصوص الملاحظات الشفاهية التي عهدتم الى أميرالالاي حسن بك بان يبلغنيها وأَمير البحر مارتين فانبئكم باني خلوت بامير البحر المذكور وفاوضته بشأنها واسررت إلى حسن بك نتيجة حديثنا ليعيده على مسامع دولتكم .

(عدد ٨٧ ملحق ٢ ص ٧٤ ـ ٧٥)

١٤٧ — الماجور فرازر الى اللورد روسل . عن بيروت في ٢ منه

وصلتُ إلى بيروت ليل ٣١ المنقضي فوجدتها هادئة واظن ان الاسطولين الانكليزي والفرنسوي مع الفين من الجنود النظامية التركية بامرة اسمعيل باشا (الجنرال كميتي) كافٍ لاستمرار استتباب الراحة فيها. بيد ان مهاجرة المسيحيين لا تزال متواصلة بكثرة إلى الاسكندرية وازمير واليونان والى أبعد ثغر يمكنهم الوصول اليه معلنين انهم فقدوا كل أمل بالمعيشة باطمئنان تحت ادارة حكومة سوريّة الحالية.

ان فؤاد باشا بلغ دمشق في ٢٩ المنقضي بعد ان اقام مدة في بيروت كما علمتم سيادتكم من ينابيع مختلفة وفي مـدة اقامته هنا ارسل أحمد باشا والي دمشق السابق الى الاستانة سجيناً وكان يجدر بهِ ان يبقيه هنا ويحاكمه حيث توجد الشهود والدلائل المثبتة عليه جنايته فيكتسب ثقة الشعب ويسكن قلقه . وقد ألحقه بخورشيد باشا والي صيدا انَّما بغير صفة سجين . ولم يفعل ذلك كما علمت إلاَّ بعد ان الحّ عليه أمير البحر مارتين والمستر مور . . .

تلقيت الآن رسالة من بلاد الدروز في لبنان مآلها ان الدروز أَخذوا بنقـل اشيائهم الثمينة وعزموا على الذهابِ الى اللجا وحوران الواقعتين في الجنوب الشرقي من دمشق والاعتصام بهما خوفاً من قدوم الجنود الفرنسويَّة . وانهم يرضون بان تتولى التحقيق حكومة انكلترة فيسلمونها بعض زعمائهم ومع وثوقهم بوعد أمـير البحر الانكليزي بجريان محاكمتهم وفقاً للعدالة والنزاهة لا يريدون ان يُحاكموا إلاَّ أَمام قضاة انكليز .   (عدد ٩٠ ص ٧٥ ـ ٧٦)

١٤٨ – خطاب الامبراطور نابوليون الثالث فى جنود بعثة سوريا في معسكر شالون بتاريخ ٧ اب سنة ١٨٦٠

جاءَ في جريدة « المونيتور » لسان حال الحكومة الفرنسويَّة ما يلي :

عند الساعة العاشرة من هذا الصباح عرض الامبراطور جنود بعثـة سوريَّة وقوامها الالاي الخامس بامرة الكولونيل كوبر والـ ١٣ بامرة الكولونيل داريكو والسريَّة الاولى من فيلق الفرسان الاول بقيادة اليوزباشي ستوكلي . وكانت الجنود كاملة العدة وعليها سيماء الحماسة ومنظرها مهيب . وقبل ان مرَّت امام جلالته وزَّع عليها بعض الوسامات والانواط وكانت الجنود مصطفة على شكل مربع والاعلام في وسطها فألقى عليها الخطاب الآتي :

أيها الجنود

انكم مسافرون إلى سوريًا . ففرنسا تحيي بسرور حملة غايتها الوحيـدة نصر حقوق العدالة والانسانية .

لستم بذاهبين لمحاربة احدى الدول بل لمساعدة السلطان على اخضاع رعايا اعماها تعصب الاجيال الغابرة .

ستقومون بواجبكم في هذه الارض السحيقة الغنية بتذكارات مجيدة فتبرهنون على انكم أولاد اولئك الابطال الذين حملوا علَم المسيح في تلك البلاد بعزّ وشرف .

ان عددكم قليل انّما انا واثق بان بسالتكم وسطوتكم تغنيانكم عن كثرة العدد لان الشعوب تعلم ان حيثما يجتاز علَم فرنسا فهناك غاية نبيلة تتقدمه وشعب عظيم يتبعه اه .

وبعد هذا الخطاب مرّت الجنود أمام جلالته هاتفة « فليحيَ الامبراطور » .

(المحررات الانكليزية عدد ٦٢ ص ٤٠ ـ ٤١)

١٤٩ – نشرة المركيز دي بوفور القائد العام عن مرسيليا في ٧ منه

ان الامبراطور المحامي عن كل المصالح النبيلة السامية قد أمر باسم اوربا المتمدنة بأجمعها ان تذهبوا الى سوريًا لمساعدة جنود السلطان على الاثأر للانسانية ممن جنى عليها ولطخها بالعار . فهذه مهمة شريفة يحقّ لكم الافتخار بها وستبرهنون على انكم جديرون بها .

ستجدون تذكارات وطنية مجيدة في تلك الاصقاع المشهورة وهي مهد الديانة المسيحية وقد شرّفها غودفريد دي بوليون والصليبيون والجنرال بونابرت وجنود الجمهوريّة الباسلة .

ان تمنّيات اوربا باسرها ترافقكم . ومهما حدث فلي وطيد الامل ان الامبراطور

وفرنسا يبتهجان بسلوككم . فليحيَ الامبراطور ! .

(عن جريدة السيمافور في مرسيليا وعن كتاب سوريّة للاب جوبين ص ٢٢٠)

١٥٠ – الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني عن باريس في ٨ منه

ان حضرة الكونت كاولي سفير انكلترة أخبرني بتعيين اللورد دوفرين عضواً في لجنة سوريّة الدولية من قِبل حكومته وقد جاءَ بهِ لزيارتي وقال لي حين عرّفني بهِ انه مسافر بعد غدٍ إلى الاستانة حيث يتلقى تعليماته من سفير دولته السير بولفر . لم يتصل بي حتى الآن ان سائر الدول عيَّنت مندوبيها وبتُّ انتظر اتفاقهنَّ بهذا الشأن لاطلب موافقة الامبراطور على الشخص الذي سانتقيه .

ولا بدَّ لك ياحضرة الكونت ان تذكر رأيي الحكومة الفرنسويّة في مهمة اللجنة وايضاحي وظيفتها في رسالتي المنفذة في ١٦ تموز . فقد قلت لك فيها ان قوامها البحث في الاسباب التي ولَّدت الاقتتالات الحديثة وبيان درجة مسئولية كل من زعماء الفتنة ومأموري الحكومة المحليين وتحديد التعويضات الواجب اداؤها للمنكوبين والنظر في الترتيبات الواجب التعويل عليها ملافاةً لوقوع بلايا جديدة ثم عرضها على الدول والباب العالي لاجازتها . وعندي انهُ اذا أُريد تخويل المندوبين السلطة اللازمة للقيام بالمهمة الموكولة اليهم يجب ان تزودهم حكوماتهم التعليمات كما عينتهم ويظلوا يتلقونها منها مع مراسلتهم سفراء دولهم في الاستانة واستشارتهم . ومن ثم لا أرى لزوماً الى الاحاطة بكل دقائق هذه المهمة عند كتابة التعليمات المذكورة بل يكفي وضع بعض قواعد تتفق عليها الحكومات ويُعهد بتنفيذها إلى المندوبين

أمَّا الوظائف المهمة الرئيسية التي سيعهد بها إلى اللجنة فهي ذات التي عددتها في بلاغي الاول الموجه إلى الدول وقوامها التوصل إلى معرفة منشأ الكوائن الحديثة واسبابها واجراء تحقيق بالاتفاق مع مندوب الباب العالى الخارق العـادة غايته

معاقبة الجناة وانالة العيـال المنكوبة تعويضات مادّية عن خسائرها على قدر الاستطاعة والتدقيق في التعديلات الواجب ادخالها على نظامات جبل لبنان الادارية الموضوعة في سنة ١٨٤٢ و ١٨٤٥ وتدوينها في لائحة اجماعية .

يهمني ياحضرة الكونت معرفة ما اذا كان وزير خارجية انكلترة يشاطرني رأيي واذا ما كان صدر عن هذه الاراء عند ارساله اللورد دوفرين الى سوريًا .وعلى كل من اللازم اللازب ان تتفق الدول على هذا الامر . ولا شك ان اللورد روسل يحكم في مناسبة ابلاغ سائر الدول رأي حكومة جلالة ملكة انكلترة في هذا الصدد وفي تعيين ميعاد اجتماع المندوبين في بيروت .

لقد كتبت إلى حضرة أمير البحر هملين وكيل وزارة الحربية التحرير المرسلة نسخته في طيهِ ليتسنى له تعيين غاية المهمة الموكولة إلى حضرة الجنرال دي بوفور القائد العام لبعثة سورية العسكرية في التعليمات التي سيزوده اياها .

(المحررات الانكليزية عدد ٦٦ ص ٤٥)

١٥١ ـ الموسيو توفنيل الى امير البحر هملين في ٤ منه

حضرة امير البحر ورصيفي العزيز

اني ائتمارًا باوامر الامبراطور وقّعتُ أمس بالاشتراك مع ممثلي الدول العظمى وحضرة سفير تركيًا الصك الذي اتشرّف بأرسال نسخة منه في طيه اليكم وهو يتضمن بيان صفة المساعدة الفعَّالة التي نبذلها لتركيًا بقصد وضع حد في القريب العاجل للاضطرابات السائدة في سوريًا مع تحديد دائرة هذا العضد .فهذا الصك مع ايضـاحه الغرض الذي تريد الدول بلوغه يثبت في الوقت ذاته اتفاقهنّ ويشترط عليهنّ ان يتدخلنَ بالاجماع باسم اوربا بعد اتفاقهنّ مع الباب العالي العائد اليهِ قبل غيره أَمر الاهتمام بأَصلاح شؤُونه . فعلى قائد جنودنا العام ان يتخذ روح

هذا الوفاق قاعدة له للجري على سننه ولا ريب في ان دولتكم تستنسبون ان تبنوا عليه تعليماتكم إلى حضرة الجنرال دي بوفور دوطبول (١) .

ان غاية المهمة الموكولة الى هذا القائد العام والى قوّاد اساطيل الدول المجتمعة في شواطي سوريّا هي التكاتف على حقن الدماء بوسائل عاجلة حازمة والمساعدة على منع الاعتداءات على المسيحيين إذ لا يمكن تركها دون عقاب. ان المادة الثالثة من الصك المذكور توجب على قائدنا العام ان يخابر مندوب الباب العالي فور وصوله إلى سوريّة وهذا الشرط قد اوجبته الظروف الحالية ليستمرّ اتفاق الدول متواصلًا بين ممثليهنّ الموكول اليهم بلوغ الغاية التي رمن ادراكها . فيترتب على مندوب السلطان وحضرة الجنرال دي بوفور ان يوحدا مساعيهما و يوفقا ترتيب حركات الجنود مع السلطة المطلقة المعطاة للمندوب العثماني وهي تخوله حق الاستقلال بأخذ الوسائل التي تستدعيها الحالة . بيدَ ان الجنرال دي بوفور يبقى مطلق الحرّية في ما يختص بشرف علمنا وأمان جنود بعثتنا ان تعويلًا على التحوطات وان احتلالاً للمواقع التي يراها موافقة بعد مخابرة ممثل الحكومة التركية .

أوعزت إلى سفير جلالة الامبراطور في الاستانة وقناصلنا في بيروت ودمشق ان يبذلوا ما في طاقتهم لتسهيل تنفيذ المهمة المعهود بها إلى القائد المشار اليه.

(عدد ٦٦ ملحق ١ ص ٤٦ ـ ٤٧)

---

(١) ان اللورد كولي سفير انكلترة في باريس شهد بنزاهة قصد الحكومة الفرنسويّة فقد جاء في رسالة انفذها إلى اللورد روسل في ٧ آب (عدد ٦٠ ص ٣٩) ان آخر عبارة خاطب بها الامبراطور الجنرال دي بوفور هي: ان جلالته يستاء كثيرًا اذا لم يتم عود البعثة العسكريّة إلى فرنسا في مدى ٣ اشهر .

١٥٢ – اللورد روسل الى القنصل برانت في ١٠ منه

بناءً على رسالتكم المؤرخة في ١٦ المنقضي المتضمنة وصف الذبح والنهب والحريق في حي المسيحيين في دمشق بين ٩ و ١٥ منه وما بذله الجزائريون بامرة الامير عبدالقادر من النشاط في انقاذ عدة مئات من الهلاك اوعز اليك ان تبلّغ سمو الامير المشار اليه شكر حكومة جلالة ملكة انكلترة مساعيه النبيلة في وقاية حياة المسيحيين. (عدد ٦٤ ص ٤٢)

١٥٣ – صورة التعليمات المعطاة لمندوب فرنسا في اللجنة الدولية في بيروت (١) في ١٦ منه

انكم تعرفون غاية المهمة الموكولة اليكم بصفة مندوب الامبراطور في سوريّة وتفقهون اني لا استطيع ان اتوقع كل المصاعب التي ستقوم في سبيلكم ولا ان ابيّن لكم مفصلاً المشاكل المتنوعة التي ستعرض لكم وتضطرون إلى حلها وعليه اقتصر على اعطائكم التعليمات العامة التي يقتضي عليكم ان تجعلوها قاعدة عملكم.

فعليكم بعد اجتماعكم بمندوبي النمسا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسية والسلطان ان توجهوا عنايتكم بداءة بدء إلى البحث بالاتفاق معهم في منشإ الفتنة واسبابها وبيان درجة مسئولية كل من زعماء الثورة ومأموري الحكومة وايجاب

---

(١) كتب الموسيو توفنيل هذه التعليمات في ٩ آب وابلغها سائر الدول فحازت قبولهنَّ وزودنَ مندوبيهنَّ نسخة منها دون ابدال حرف. أمَّا فرنسا فعينت الموسيو بيكلار قنصلها العام سابقاً في الفلاخ والروسية الموسيو نوفيكوف كاتب اسرار سفارتها في الاستانة والنمسا الموسيو دي ويكبكر قنصلها العام في بيروت و بروسيا الموسيو دي رهفيوس كاتب سفارتها في الاستانة أمَّا الحكومة الانكليزيّة فعينت اللورد دوفرين كما سبق لنا القول.

انزال القصاص في الجناة . ان تأكيدات حكومة الاستانة والسلطة التي فوّضها السلطان إلى المندوب العثماني لا تترك كان مجالاً للريب في انكم تجدون لديه المساعدة التي يحق لكم انتظارها منه ليأتي التحقيق الذي تجرونه بالاشتراك معه مطابقًا لما تقتضيه النزاهة التامة والعدالة .

ويفرض عليكم ايضًا تقدير الخسائر التي المَّت بالمسيحيين وايجاد الوسائل الكافلة تخفيف شقائهم وتعيين التعويضات الواجب اداؤها الى المنكوبين بقدر الامكان ولنا الثقة بان جميع المندوبين يوحدون مساعيهم لاتمام هذا العمل التعويضي. بيدَ انه يوجد مسألة أُخرى جديرة بالفات نظركم اريد بها الترتيبات التي يتراءى لكم وجوب وضعها ضمانةً لتوطيد اركان الراحة والامان في سوريّة في الآتي ملافاةً لتجدد ذات الكوارث . وعليكم ان تزنوا بكل نزاهة الكوائن الحديثة واسبابها وتستمدوا منها الانوار اللازمة لاقتراح التعديلات التي يجدر ادخالها على ادارة الحكومة الحالية ولاسيما على تنظيمات جبل لبنان الموضوعة بالاشتراك في سنتي ١٨٤٢ و ١٨٤٥ . وينبغي تدوين هذه التعديلات في لائحة اجماعية يوقعها جميع المندوبين .

فهذه هي التعليمات الوحيدة التي رأيت مناسبًا ان امدّكم بها . ان مندوبي النمسا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسية سيتلقون مثلها فعليكم ان تجتهدوا بان تكونوا معهم على اتم وفاق ولا ارتاب بانكم تجدون فيهم ذات الاستعداد لتوحيد الكلمة .

لقد اوعزت الى جميع قناصل جلالة الامبراطور في سوريا ان يجيبوكم الى طلباتكم ويعضدوكم في اتمام مهمتكم .

واني مبلّغ هذه التعليمات الى حضرة سفير جلالته في الاستانة فعليكم ان ترسلوا اليه جميع الانباء التي يهمه الوقوف عليها وتمتثلوا اشارته .

(عدد ٧٠ ص ٥٢ . ودي تستا عدد ٥٥ ص ١٠٢ ـ ١٠٣)

١٥٤ - مور الى اللورد روسل في ٦ منه

اتشرَّف بان اصدقكم الخبر بخصوص ما اذاعته صحف الاخبار من انه لم يكن في سوريًّا حين انفجار بركان الفتنة سوى ٤٠٠ من الجنود النظامية . انه وان كان يتعذر الوصول الى حصر عددها بالتدقيق فمع ذلك يمكن سيادتكم ان تعتمدوا على التقدير الآتي :

لقد كان عدد الجنود التركية النظامية في ايالتي بيروت ودمشق عند بدء الاضطرابات وقبل وصول النجدات زهاء اربعة الاف . ففي كل مكان من جبل لبنان حدثت فيهِ مذابح كان فيهِ حاميات من الجنود التركية يتراوح عددها بين ٢٠٠ إلى ٦٠٠ من الرجال الاشدَّاء مع مدافع . ويقدَّر انه حين اشتعلت نار الفتنة في دمشق كان عدد الجنود النظامية بما فيهِ الفرسان والمشاة ١٥٠٠ ومثله من الباشبوزق

(عدد ٨٨ ص ٧٥)

١٥٥ - القنصل برانت الى اللورد روسل . عن دمشق في ١١ منه

اتشرَّف بان ارسل اليكم في طيهِ نسخ ثلاث رسائل انفذتها الى سعادة السير هنري ليتون بولفر .

حادثت اليوم فؤَاد باشا لاستطلاع نيَّاته فاوقفكم عليها . فقد تلقى من اعيان كل حي في المدينة لوائح باسماء السفَّاحين والناهبين والمحرّضين على القتل والنهب والحريق . فقال لي دولته ان الافادات التي جمعها ستمكنه من ختم التحقيق بعد بضعة ايام واصدار الاحكام فينفذها حالاً في جميع الذين اقترفوا جنايات توجب الاعدام مهما كان عددهم وسيقضى على بعضهم بالسجن مدى الحياة وعلى آخرين بالاشغال الشاقة ويُجنَّد قسم كبير ويرسل الى إحدى جهَّات السلطنة

ليقضي الخدمة العسكرية فيها خلا سوريّا. لا يمكن وصف شدّة استياء دولته من الجنايات والفظائع التي ارتُكبت ومن سوء سلوك معظم الدمشقيين وغدرهم. ثم اخبرني دولته انه ينوي فرض غرامة قدرها ٢٥ مليون غرش أي زهاء ٢٠٠ الف ليرة انكليزيَّة فقلتُ لهُ ان ليس في وسعي تقدير الخسائر انمَّا اعتقد ان خمسة ملايين ليرة انكليزيّة تكاد لا تكفي للتعويض عن تخريب الاملاك وعن خسارة الاموال والحلى والجواهر والامتعة الثمينة والسلع والملابس.

يؤَكدون ان قد ذُبح من مسيحيي دمشق الوطنيين زهاء ٣٥٠٠ نسمة ومن الغرباء الذين لجأُوا الى المدينة طلبًا للنجاة نحو ٢٠٠٠ وهذا التقدير قريب من الصحة

وقد أَعربت لدولته عن رجائي في انه يتمكن بجزمه وعزمه من اعادة الراحة والطمأْنينة وتوطيد دعائمهما بحيث لم يبقَ حاجة الى احتلال الجنود الاوربية. فأَجاب انه يبذل جهده لاقناع اوربا بذلك ويؤمل انه لا تمضي بضعة ايام حتى يثبت لها ذلك

وعليَّ ان اشهد بان فؤَاد باشا نظرًا إلى المصاعب التي ذللها والحواجز القائمة في طريقه قد برهن على انه كفوء للمهمة التي عُهد اليهِ بها سلطانه ولي وطيد الامل بانه لا ينفك عن العمل الذي بدأَ بهِ بجدارة ونشاط حتى يتمه. (عدد ١٠١ ص٨٣)

١٥٦ — ومنه الى السير بولفر · عن دمشق في ٤ منه

اتشرف بانبائكم باني زرت فؤَاد باشا بعد ظهر اول آب الجاري وسلمته لائحة طويلة الاهداب تتضمن اسماء أَهم السفَّاحين والناهبين ولائحة اخرى فيها اسماء الذين ايقظوا الفتنة بتظاهرهم الكاذب بالتدين مع تحريضهم الشعب على ذبح المسيحيين وذكرت ايضًا اسماء بعض كبار القوم الذين احسنوا السلوك. فشكر لي دولته هذه الافادة وقابل بينها وبين الانباء المجتمعة لديه من ينابيع مختلفة فوجدها مطابقة لها بوجه عام. ثم قال لي انه أعدَّ معدَّاته وينتظر قدوم تابورين في ٣ الجاري

ليضرب الضربة القاضية . وبناءً عليه لما كانت الجنود قد وصلت فزاد الساعة الخامسة من صباح أمس عدد حرس دور القناصل ومخافر البلدة وكانت المخازن مقفلة والشوارع مقفرة وبدأت الجنود بالقاء القبض على المتهمين واستمرّ الامر طول ذلك النهار واعيدت بعض المسلوبات وسُلّمت الى اصحابها. ويقال ان عدد الاشقياء الذين قُبض عليهم ونُزع سلاحهم وسُجنوا يتراوح بين ٣٠٠ الى ٤٠٠ فاستولى الرعب على الجميع واخذوا يتذللون الى الاوربيين للحصول على مساعدتهم . ولا يزال القاء القبض متواصلاً اليوم انما لم يوقف أحد من الزعماء ويظهر ان قوام خطة الباشا القاء القبض على الرعاع والسفاحين قبل ان يمس الزعماء . وقصارى القول ان رعباً شديداً سائد بين جميع طبقات المسلمين وقد تبدلت لهجتهم عمّا كانت عليه منذ بضعة أيام ولا يجسر أحد على تهديد المسيحيين بالموت خوفاً من قدوم الجنود الاوربية ونزولها في سوريّة . فيسرّني ان اقول اننا خطونا خطوة كبيرة الى اعادة الثقة وقد بدأ اكثر المسيحيين جزعاً يعتقدون بانهم أصبحوا بمأمن . وقد ابتهجت بانه لم يتفشّ بين الجماهير المحشورة بين جدران القلعة سوى الرمد ولا وجود للحميّات وداء الزحير وغيره من الاوبئة التي يخشى انتشارها عادة في مثل هذه الاحوال . (عدد١٠١ ملحق٢ص٨٤)

١٥٧ — ومنه ايضاً في ٩ منه

قد انتظرت اتيان فؤاد باشا بعمل جازم لاخبركم بهِ . فانه بدأ باستقاء الاخبار من كل الينابيع ليصل إلى حقيقة ما جرى فعمله هذا لم يكن بالسهل لان اعضاء المجلس خدعوه وعاكسوه وهمّاً منهم بان دولته يجري على طريقة المأمورين السابقين وانهم بعرقلتهم تنقيبه وباعاقته يتوصلون إلى املاله وما عتموا ان تحققوا انهم اغترّوا . ويقتضي عدة ايام لاستخراج بعض الحقيقة من لوائحهم انما اظن ان دولته توفق أخيراً اليها ومع ان الزعماء المذكورين لم يتصرفوا بصدق اعتقد انه علم منهم

اشياء كثيرة بضغطه عليهم . قد استعيدت الامتعة الضخمة المنهوبة لكنها قليلة القيمة وبلغ عدد المقبوض عليهم بتهمة القتل والنهب أو بالسلب فقط ٧٥٠ شخصاً فبعضهم ثبتت عليهم جناية القتل ولم يُعدم منهم سوى واحد . وفي ذلك اليوم قُتل مسيحي في محلته ومن الشائع في المدينة ان المسلمين مصممون على قتل مسيحي كلما أُعدم مسلم فاحدثت هذه الاشاعة ذعراً شديداً وزادت رغبة المسيحيين في مغادرة المدينة بعد ان بدأت افكار كثيرين منهم تطمئن وظنوا انه يحسن بهم البقاء فيها

ان المحكمة الجزائية التي أ لفها فؤاد باشا لم تتمكن من حمل شاهد واحد على القسم بانه رأى أحد المتهمين يقترف جناية القتل فكثيرون يشهدون ان الشعب اقترف النهب لكن لا يمكنهم ان يؤكدوا ان احداً منهم قتل مسيحياً.ومع انه من الثابت ان زهاء ٥ الاف شخص ذُبحوا في رائعة النهار أو على ضياء البيوت المشتعلة فلا أحد يريد ان يشهد بانه رأى اقتراف جناية أو يتهم أدنى صعلوك بها . اذا كانت طريقة المحاكمة العادية المرعية في السلطنة العثمانية لا تكفي لا كتشاف القتلة فيجب استعمال طرائق غير عادية واعتبار الذين يثبت عليهم النهب انهم ارتكبوا جناية القتل أيضاً. لا يمكن ترك الفظائع التي اقترفت دون عقاب ولا يُسمح بابعاد سيف العدالة عن رقاب الجناة بمثل هذه الحيل فاذا تعذر وجود وسائل غير هذه لا كتشاف الجناة يقتضي استحصال خط شريف يؤذن باعدام كل من ثبت عليه انه ارتكب جناية الحريق أو النهب اثناء فتنة دمشق مع تخويل المحكمة السلطة على ابدال عقاب الاعدام المحكوم بهِ على الجناة بغيره اذا ثبت وجود أسباب مخففة .

(عدد ١٠١ ملحق ٣ ص ٨٤ ـ ٨٥)

١٥٨ – الماجور فرازر الى اللورد روسل ٠ عن بيروت فى ٨ منه

لقد سبق لي في رسالتي المنفذة في ٢ الجاري ان اخبرتكم بوصولي إلى سورياً

ووصفت لكم حالة الشؤون بايجاز. قد كنت عزمت على السفر في الحال الى دمشق بيدَ اني لمَّا رأيت ان صاحب الدولة فؤَاد باشا طلب نجدات جديدة ليتمكن من القاء القبض على السفَّاحين خشيت ان ينشأ عن وصول اوربي اليها في تلك الظروف هياج بين الرعاع فأجّلت سفري إلى الغد. أمَّا في ما يختص بحالة البلاد العامة فيمكن القول ان السكون الذي بدأ عند وصول فؤَاد باشا مستمرّ. ان وجود ٧ الاف جندي في دمشق و٢٠ بارجة حربية في ثغر بيروت وحامية عدد رجالها ١٥٠٠ من شأنه توطيد سلطة السلطان وتأمين المسيحيين بيدَ انهم لا يزالون عرضة للوعيد والاهانات والنهب في كثير من الانحاء. ان بغض المسيحيين لمتأصل في اعماق قلوب المسلمين ويعرف مقداره من محاولتهم في الاسبوع المنقضي دسَّ السم في أرغفة الخبز الموزعة على اللاجئين الى القلعة فذهب بحياة ٧ الى ٨ منهم قبل اكتشاف هذه الدسيسة الشيطانية. ويسرني ان اقول ان قد قُبض حالاً على الخبَّاز وسائر المظنون فيهم.

من الشائع انه ينتظر قدوم ٥ الاف جندي من الاستانة. وعند وصولهم يتسنى ايفاد بعثة إلى جوار حاصبيًّا وراشيًّا الفخَّار غربي سفح جبل حرمون (جبل الشيخ) حيث باق كثيرون من المسيحيين معظمهم من النساء والاولاد عرضةً لاعتداءات الدروز او الهلاك قتلًا أو الخوف من ان يصحبوهم معهم اذا ما عمدوا الى الاعتصام بجبال حوران. ويوجد أيضاً الاشخاص الذين فرُّوا من القرى المجاورة حاصبيًّا حين المذبحة فشملتهم شقيقة سعيد بك جنبلاط بحمايتها حتى الان لكنها أمست لا تقدر على مواصلة وقايتهم أو لا تريد.

وصل الى هنا في ٤ الجاري ٣ الاف من المسيحيين الذين كانوا محشورين في قلعة دمشق منذ المذبحة واغلبهم من النساء والاولاد وهم في حالة يرثى لها ولم يزل في القلعة ١٢ الفًا لم يُتمكن من ايجاد لوازم سفرهم وحرس لهم وقد أمسوا بلا

مأوى وفي فقر مدقع لان كثيرات منهن فقدنَ رجالهن واقاربهن الذكور فقد قُتل ٣ الاف ذكر من مسيحي دمشق خلا ٢٠٠٠ قروي كانوا لجأُوا اليها طلباً للنجاة . يرجى ايجاد مراكيب وحرس لارسال قافلة أُخرى من اللاجئين بعد يوم أَو يومين .

بدأَ فؤَاد باشا في ٢ الجاري بالقاء القبض على بعض الجناة بعد ان ضاعف حرس دور القنصليات وزاد عدد الجنود في شوارع المدينة وقد بلغ عدد الذين قبض عليم حتى الان زهاء الألف ومعظمهم من الغوغاء وان كان قد سجن منذ يوم أَو يومين بعض اعيان القوم . يخشى كثيراً من حدوث مقاومة اذا ما عوقب مسلم على ما جنت يداه انما لم تطلق بندقية حتى الان . ويظهر ان السفَّاحين كانوا يعتقدون ان الباشا يقتصر على تغريمهم وحبسهم وتجنيدهم وارسال بعض اعيانهم إِلى الاستانة أَمَّا الان فقد قلقت افكارهم وأَمسوا يخافون من ان يعاملهم بأَشدّ قسوة فمنذ ١٦ سنة لم يكن يُعدم مسلم لقتله مسيحياً ولذلك يصعب عليهم ان يتصوروا بان الامور تبدَّلت . ان اعمال دولته حتى الان هي مقرونة بالحذر لكنها حازمة .

قد جُمع قسم كبير من الامتعة الضخمة المنهوبة ذات القيمة التافهة أَمَّا الثمينة فلم يهتدَ اليها .

قدم بيروت في ٥ الجاري أَحد اركان حرب فوأد باشا واخبر ان قد قُبض على ٤٠٠ من الجناة .

وصلني هذا الصباح كتب من دمشق وفيها انه لم يُعرف ما اذا كان أُعدم احد لان معاملة السجنى جارية تحت طي الكتمان الشديد .

اذاعت الحكومة منذ بضعة ايام نشرة تخبر فيها ان بعثة عسكرية اجنبية تصل قريباً إِلى سوريا بناءً على رغبة السلطان فيجب ان تقابل بولاء واعتقد ان ذلك يزيل اوهام المسلمين في الداخلية .

ان زعماء الدروز يعقدون الاجتماعات في انحاء مختلفة من الجبل وقد انتدوا أمس في مكان يبعد عشرة أميال عن بيروت وعقد سعيد بـك اجتماعاً اخر قرب راشيًا قصد الاتفاق على رأي او خطة عامة على ما أُرجح. فقد شعروا الان بانه ستلقى على عاتقهم كل المسئولية وأخذوا يجهرون بان أرباب الحكومة العثمانية شجعوهم على عملهم وعضدوهم مع انه ليس لديهم كتاب يثبت ذلك. بيدَ انهُ يوجد أمر جدير بالفات الانظار وهو ان الاماكن التي حدثت فيها أهم المذابح هي التي كان فيها حاميات تركية يؤيد ذلك فواجع حاصبيا وراشيًا ودير القمر وصيـدا وزحله ودمشق فهذه المدن كانت فيها أهم الحاميات . . . . حتى ان قربتي بعبدا والحدث الكائنتين قرب بيروت قد حُرقتا بينا كان خورشيد باشا معسكرًا بجنـوده على مسافة ٣٠٠ يرد منهما وعلى مرأى منه دون ان يبدي أقل حركة لانقاذهما وجل ما فعلته الجنود التركية انها تراكضت كالباشبوزق لنهب بيوت المسيحيين .

علمت من احصاء أُجري انه كان في سورية حين اشتعال نيران الفتنة من ٤ الى ٥ الاف جندي ولي الامل باني سأتمكن قريبًا من الوقوف على عددهم الحقيقي وكيفية توزيعهم . (عدد ٩١ ص ٧٦ ـ ٧٧)

١٥٩ – اللورد روسل الى الارل كولي في ١٣ منه

لمَّا كان من الممكن ان يطرأ على بال الحكومة الفرنسويَّة ضرورة الحاق الجنود التي ارسلتها الى سوريَّة بغيرها اكمالاً لعدد الستة الاف جنـدي المعين في الصك الدولي « برتوكول » الموقع في ٣ الجاري فينبغي عليكم ان توقفوني على رأيها في هذا الصدد . وعندئذٍ تبحث حكومة جلالة الملكة في ما إذا كان من موجب لتعزيز هذه البعثة فتقوم هي بارسال الباقي من الجنود أو نصفها .

وممَّا نرغب فيه الان ان لا تذهب فرقة الجنـود الفرنسويَّة الى دمشق لان

الانباء الواردة من هناك تنذر بامكان ايقاظها تعصب المسلمين مجدداً .

(عدد ٧٥ ص ٥٧ ـ ٥٨)

١٦٠ ـ الارل كولي الى اللورد روسل في ١٤ منه

اتشرَّف فاخبركم جواباً على رسالة سيادتكم بتاريخ أمس بانه لا أثر لرغبة الحكومة الفرنسويَّة في تعزيز جيشها في سوريَّة ولم يجل شيء من هذا في خاطر المسيو توفنيل . ولما بسطتُ لدولتهِ ان هياج الافكار في دمشق يدعو الى الرغبة في عدم ذهاب الجنود الفرنسويَّة اليها أَجابني ان ليس في النيــة ان تيممها دون ان يستدعيها فؤَاد باشا وزاد ان على الحكومة الانكليزيَّة ان تثق بان القائد العام دي بوفور لا يأتي حركة من شأنها اثارة هياج الافكار وقد كفله امبراطوره .

(عدد ٨٠ ص ٥٩ ـ ٦٠)

١٦١ ـ السر بولفر الى اللورد روسل . عن طرابلس في ٨ منه

اني مرسل إلى سيادتكم الكتب والتعاليم التي انفذتها الى قناصل جلالة الملكة في سورية .

وعندي انهُ اذا أُريد اعادة الامان دون سفك دماء كثيرة ينبغي أَلاَّ يُنظر الى الاحوال من جهة واحدة بل ان نجعل ذواتنا في موقف الطوائف المختلفة السائد بينها الهياج الان . ان المسيحيين يوجسون خيفة من المسلمين وهم محقون انما هناك ايضاً قلق منتشر بين المسلمين بخصوص نيَّات المسيحيين لا اعني المسيحيين الوطنيــين خاصةً بل عمومهم وقد كانوا سبب فوران ثائر المسلمين وتعصبهم واقدامهم على ارتكاب الفظائع الحديثة . لا يمكن انكار كون المسلمين في سوريَّة وفي سائر انحاء تركيًا قد اعتقدوا حديثًا بوجود خطة يراد بها اخضاعهم لطبقة اعتادوا ان يعدُّوها دونهم مقاماً

وتسويدها عليهم (اقول هذا وانا واجف من سوء مغبة هذا الاعتقاد)

اظن ان عالي باشا تجاوز الحد في مخاوفه من هذا القبيل بيدَ اني اشاطره بعض ايجاسه من ان وصول الجنود الفرنسوية إلى سوريًا يزيد هذا الاعتقاد المستولي على جميع العقول رسوخًا وان كان فاسدًا. وعلى كل حال أرى ان الطريقة الوحيدة الكافلة تطمين جميع الافكار هي السعي لازالة هذه الريبة من العقول على قدر الامكان. ان ما كتبتهُ الى قناصل جلالة الملكة يرمي الى ادخال هذه الافكار-التي اعتقد بصحتها - في عقول هؤلاء المأمورين لترشدهم الى الخطة السديدة في وسط المصاعب والمشاكل التي تحيط بهم الان . (عدد ٨٣ ص ٦٣)

١٦٢ — السر بولفر الى المستر مور في ٨ منه [اقتطاف]

لئن كان ليس لديَّ اراء خطيرة ابثكم اياها إلاَّ وتوحي بها الحوادث الى نيّرتكم أرى انه يجدر بي ان احدثكم بما عنَّ لي بهذه المناسبة .

ان جل رغبتنا ان تُنتهج في سوريَّة خطة حازمة عادلة وان يتضح ما غمض من أسباب النزاع الذي وقع بين قبائلها المتعادية وفتنة المسلمين التي عقبته أو صحبته وان يُعاقب زعماؤهما والنافخون في نارهما وألاَّ يفلت احد منهم . أمَّا بخصوص مأموري الحكومة التركية فيجب ان يراعى تفاوت درجات جناياتهم فالذين نهبوا وقتلوا او سمحوا للاشخاص الموضوعين تحت ادارتهم ان ينهبوا ويقتلوا يعدون في مصاف الجناة من الطبقة الاولى اما الذين تواطئوا على القلاقل الاخيرة مباشرة او بالواسطة او شاركوا فيها فيحصون بين الجناة من الطبقة الثانية ويستحقون اشد العقاب والذين لم يقوموا بالواجب المفروض عليهم ان عن ضعف او اهمال يؤلفون طبقة ثالثة فيجردون من رتبهم ويفصلون عن وظائفهم ويُحكم عليهم في بعض الظروف بجزاء شديد يناسب ذنبهم. انَّما ينبغي ان تراعى العدالة المقرونة بالشدة مع

تحاشي التطرف انتقاماً لئلّا يدفع الفريق المظلوم الى اليأس وان كان يشفي غليل الفريق الآخر .

ان الوشاية والنميمة هما من احط اخلاق الشرقيين .

وأرى ايضاً انهُ يجب سرعة اتمام ما يراد عمله لانه يكون لهُ وقع عظيم وينشأ عنه تأثير مفيد من جهة ويحول دون انتشار الفوضى من جهة أُخرى

امَّا ما يتعلق بمسألة الدروز والموارنة فسينظر فيها مندوبو الدول الخمس . واجهر انهُ طالما تراآى لي ان الموارنة هم البادئون بالقتال ويظهر ان قد هيّجهم الاعتماد بان فرنسا ستستولي على البلاد فاحدثوا نفوراً كانت عاقبته عليهم وخيمة . واعتقد ايضاً ان الخطة التي نهجهـا بعض قناصل الدول وروح التسلط الذي ابدوه كان لهما القسم الاوفر في غليان مراجل الاحقاد التي انفجرت بصورة هائلة في قسم من سوريا ولا تزال فائرة في سائر انحائها

ويستفاد ايضاً من الانباء التي بلغتني ومن الرسائل المتضمنة المطاعن والمثالب التي عثرت عليها انهُ كان هناك دسيسة لتحريض المسيحيين على المسلمين وبالعكس لاثارة ظنون الفريقين والقاء الشقاق بينهما . فاذا تمكنتم من الوقوف على شيء بهذا الشأن فارغب اليكم ان تبلغونيه على علّاته

عرفت من رسالاتكم ورسائل غيركم بوجود ظن في ان البـاب العالي شجع على الفتنة الاخيرة فلربما فعل بعض موظفيه ذلك وان كان يستبعد امكان حدوثه لاول وهلة انما يمكنكم ان تتيقنوا ان عالي باشا وفؤاد باشا ليسا شريرين او غبيين بهـذا المقدار ليتواطئا على هذه الدسيسة وسيزيلان هذا الوهم اذا كان لهُ ثمة من وجود

اني افقه جيداً ان يكون العقل ميّالاً الى مثل هذه التصورات الهيولية متى كان صاحبه في وسط الكوائن التي احدثت الفواجع الهائلة لكني ارغب اليكم في ان لاتعيروا أَخبار الدسائس والمذابح والمبالغ فيها أَقل ثقة . ان الخوف في جهة يولد

مثله في الجهة الاخرى ومتى كان فريقان متعاديان يحاذر كل منهما الآخر - وان كان لا اساس لهذه المخاوف - فاقل حادث يقع يوقد بينهما نار القتال . وكثيراً ما يبذل الراجمون في الغيب في سبيل تحقيق تكهناتهم وحدسهم ذات الغيرة التي يبدونها عند التفوه بها. هذا وقد قصدت بما تقدم الاخبار التي لا تثبت على السبك.

(عدد ٨٣ ملحق ٣ ص ٦٥ - ٦٦)

١٦٣ - السير بولفر الى القنصل برانت في ٨ منه

قرأتُ كل رسائلكم حتى ٢٣ المنقضي فاعرب لكم عن ودّي الخالص لكم واعجابي بكم ان بالنظر للحالة الحرجة التي انتم بها وان لما تجشمتموه من الاتعاب وركبتموه من الاخطار واغتبط كثيراً اذا كان استحساني سلوككم فيهِ رضا كم

وفي الحقيقة ارى انكم تصرفتم في هذه الظروف الحرجة بسكون جأش وبسالة. ومع كونكم لم تتوقعوا امكان انقضاض هذه الكوارث كبعض زملائكم فانا متيقن انه لو كانوا جميعهم سلكوا خطة هادئة مثلكم لما انقلب الهياج الذي نشأ عنه اضطرابات غير ذات بال الى فتنة هائلة كهذه .

ان هياجاً عاماً مثل هذا ينتهي عادة باثارة اهواء الفريق النازع الى المشاغب ويضعف عزائم الفريق الواهن القوى أو الاكثر اعتدالاً متى داهمه الخطر. فهذه هي الاسباب التي تجعل الحكومات ان تتردد والرعاع ينتصرون في الازمات كالتي حدثت في سوريّة .

بيدَ انه يتعذر الدفاع عن سلوك احمد باشا لانه لم يظهر انه حرك ساكناً أو سعى بوجهٍ ما لاطفاء جمرة الاضطرابات التي اججها بارساله عن استخفاف وازدراء بعض الصبيان المسلمين لتكنيس الحي المسيحي. وسيعاد الى دمشق لمحاكمته ونرجو ان نتمكن اذ ذاك من معرفة مقدار ذنبه .

ولا يغرب عن البال انه كان مستاءً من الباب العالي وربما تهاون مدفوعًا برغبته في ان يثبت لهُ صوابية المخاوف التي ابداها لمَّا انقصت الحكومة كثيرًا عدد الجنود التي بأمرته . ومن الممكن ان يكون هذا الاستياء قد دفعه الى عدم الاهتمام بالفتنة التي اشتعلت واهمال امرها او قادته الى الارتباط بمثيريها اكثر ممَّا كان يريد . وعلى كل فان العدالة ستأخذ مجراها بيدَ انهُ يجب في الوقت ذاته تحاشي الانتقام وألاَّ يؤخذ شعب بكامله بجريرة بعض رعاعه .

اني اعلق بعض الاهمية على ما تقدم والحّ به لانه اذا أُثير خلاف ديني الان بين المسلمين والمسيحيين يخشى ان يمتد الى الولايات المجاورة فيجر وراءه كوارث يتعذر تلافيها أو الاثار لها . وفي رأيي يجب ان تُعد الحرب بين الموارنة والدروز مسألة قائمة بذاتها اذ يمكن وجود مثال لها مع ما اشتهرت بهِ من الفظائع كلما اشتبك القتال بين قبائل حربية وجدت في ذات الحالة وبينها عداء قديم متوارث .

امَّا قيام المسلمين على المسيحيين فهي مسألة أُخرى فاكون مسرورًا اذا شئتم ان تبدوا لي رأيكم الصائب في أُصول هذه الفتنة العميقة ودائرة اتساعها والاسباب التي ايقظتها أَو على الاقل في دمشق . وأَهمّ شيء في جميع هذه الحوادث هو بيان ما اذا كانت فجائية أو نتيجة دسيسة .

ونرجو بان الوسائل التي عوَّل عليها فوأد باشا ستأتي بالفائدة التي اتمناها لها . فرغبته في اصلاح ذات البين بين الفريقين المتعاديين يمكن ان تلاقي نجاحًا في الوقت المناسب انَّما يجب اعادة الامن الى نصابه وتوطيد أركان السلطة قبل ان يتسنى له انتهاج سياسة المسالمة والصلح على ما أُرجح . وعليه فنجاح كل شيءٍ معلق على حسن اختيار الزمان المواتي .

قد علمتم ان قد تقرر أَمر التدخل الاجنبي . أَما كيفية اجراء هذا التدخل فسيكون موقوفًا على الظروف بيدَ انهُ لمَّا كان يجب أَلاَّ يكون مستمرًّا وكان

يُقصد بهِ اعادة هيبة السلطان فيجدر ان تكون هذه الغاية الواضحة المعينة نصب عينه فلا يتجاوزها . ومن ثم لما كان الشر الاعظم الذي حلّ حديثًا بالحكومة العثمانية في سوريًا بل في سائر ولاياتها هو ضعفها فكل ما يفعل الان ان كان بواسطة التدخل الأجنبي او بغيره ينبغي ان يوجه الى ازالة هذا الضعف تمامًا واقامة حكومة هذه الايالة على اساس اكثر متانة ممَّا كانت عليه حديثًا بل اكثر ممَّا كانت عليه في كل آن ولم تزل عليه . (عدد ٨٣ ملحق ٤ ص ٦٦ ـ ٦٧)

١٦٤ـ القنصل برانت الى اللورد روسل · عن دمشق في ١٣ منه

اتشرف بان ارسل لسيادتكم رواية كبيرة الاهمية كتبها المستر سيريل كراهام وصف بها ما شاهده في زيارته حاصبيًا وراشيًا . ليس في طاقتي ان اضيف اليها شيئًا يزيد في اهميتها كما انه لا توجد عبارة تقوى على ان تزيد في هول هذه المشاهد التي مثلها المستر كراهام أمام اعيننا مجسمة .

وانبيء سيادتكم ان دولة فؤاد باشا قد اتخذ الوسائل لانقاذ هذا الشعب المسكين من الخطر الذي يهدده . (عدد ١٠٢ ص ٨٥)

١٦٥ ـ وصف حالة مسيحيي حاصبيا وراشيا للمستر كراهام بالتاريخ ذاته

لمّا كان بعض اللاجئين من حاصبيًا وراشيًا قد اوقفوني على اخبار واردة عليهم في ٦ و٧ آب تصف سوء حالة المسيحيين في البلدتين المذكورتين اللتين جرت بهما المذابح حديثًا عزمت على زيارتهما في الحال .

وفي ٨ منه حدثت صاحب الدولة فؤاد باشا بما نويت وطلبت اليه ان يجيز لي ابعاد المسيحيين عن تلك النواحي اذا اقتضى الامر او اتخاذ اضمن الوسائل لتأمينهم ووقاية حياتهم . فاظهر لي الباشا سروره من اقتراحي وقال انه قلق البال كثيرًا على

تلك الناحية ويود الوقوف على أخبار صادقة عمّا هو جارٍ فيها ومع ذلك لم يتمكن من تحقيق رغبته ثم أمر لي في الحال بجرس ووعدني بانه سيبني الوسائل التي سيتخذها لوقاية النواحي الواقعة في سفح جبل حرمون على افاداتي واعطاني ٢٠ الف غرش لأوزعها على المسيحيين التعساء الذين ازورهم .

فغادرتُ دمشق مساء ذلك اليوم الاربعاء ٨ آب وبلغت راشيًا صباح اليوم التالي فقصدت بيت خزاعي العريان أحد زعماء الدروز وبدأت حالاً بالاستقصاء عن عدد المسيحيين الباقين في المدينة وعن حالتهم فتحققت انهم بحالة يرثى لها وان ليس لديهم للاقتيات سوى ما يجود عليهم بهِ الدروز وهو دون الطفيف. اما عددهم فـ ١١٠٠ نسمة فيهم ٧٦ رجلاً لان سائر الذكور قُتلوا وقليل لجأ الى دمشق وبيروت. ولما شئت توزيع المال الموكول الى عنايتي قسمت النساء والاولاد إلى عدة اقسام حسب احياء المدينة التي كانوا يقطنونها وجعلت كل قسم في غرفة وحينئذٍ بديء بادخال النساء والاولاد عليّ فردًا فردًا فسلّمتهم المال يدًا بيد بحيث تسنى لي ان احصي عدد المسيحيين الباقين في راشيًا . على ان الدروز اغتاظوا كثيرًا مني وجاءَ جمهور غفير يسألني عن سبب مجيئي إلى بلادتهم وغايتي وعمّا افعل فيها .

يوجد في حاصبيًا زعيمان احدهما خزاعي آغا العريان المذكور آنفًا والاخر محمد النصار وهذا الاخير لا يلفظ اسمه المسيحيون الاَّ بمزيد الرعب والاشمئزاز لانهُ كان زعيم المحرضين والعاملين في مذبحة ١١ حزيران . فجاءَ لزيارتي في بيت خزاعي آغا وجرى بيننا حديث فظهر لي منه انه لا يزال يعتقد ككثيرين من الدروز ان لا بدَّ للحكومة الانكليزية من ان تكون مرتاحة كل الارتياح الى ما فعلوه لظنهم انهم بتقليلهم عدد المسيحيين قد خدمونا لان ذلك يؤول الى ضعف نفوذ فرنسا في هذه البلاد ! فابنت له ضلاله وصرحت له بان العالم المتمدن ارتاع من فظائعهم وان الشعب الانكليزي هو اكثر الشعوب مقتًا وكرهًا لاعمالهم المشنوءة .

واذ ذاك تشوقوا الى معرفة ما يتعلق بالبعثة العسكرية الفرنسوية لاضطراب افكارهم من جرائها وجهروا بانها اذا نزلت جنودها الى البر وحاولت التوغل في الداخلية يقتلون في الحال من بقي من المسيحيين . ثم خرج الزعيم محمد النصار وقال لبعض الجزائريين اتباع الامير عبدالقادر الذين كانوا بصحبتي ان الدروز سيقتلونني لسوء نياتي نحوهم . وكان قد سبق له ان قال لي تكراراً انهُ لا يحفل بالسلطان وحكومته ويحتقرهما وان الدروز هم شعب حرّ يعجّزون كل قوَّة عن منازلتهم .

وفي ذلك الليل قصدت حاصبياً ماراً بقريتي الكفير وميمس اللتين حُرقت فيهما جميع بيوت المسيحيين وقُتل ١١٠ منهم وتابعت طريقي حتى بلغت حاصبياً وهي ثانية مدن بلاد جبل حرمون . وهناك بحثت ودققت كما فعلت في الاولى واحصيت النساء والاولاد ووزعت الحسنات وتقبلت زيارة وجوهها . فوجدت ان عدد المسيحيين الباقين فيها لا يتجاوز ١٤٣٠ نسمة وقد كان منذ ٣ اشهر لا اقل من ٣٢٠٠ وبعضهم موجود في بيروت ودمشق انما اخشى ان يكون ذُبح منهم اكثر من ١٣٠٠ . اما المسيحيون هنا فهم في حالة شقاء كاخوانهم في راشيا وفي كلتا المدينتين يرتجفون خوفا من ذبح الدروز لهم لانهم عادوا الى هياجهم السابق .

زرت دار الحكومة فوجدتها ملأى بجثث المسيحيين التي لم تُدفن ومن العجيب انه لم يدب اليها الفساد وربما تكون قد صهرتها شمس سوريّة . ان المشهد لهائل فالجثث مطروحة على بلاط ساحة السراي بهيئات مختلفة وقد صبغ الدم الحجارة البيضاء فامسى لونها قاتما . أمَّا غرف الطابق العلوى فمنظرها أشد هولاً ففي اكثرها رأيت الجثث متراكمة فوق بعضها الى علو ٥ او ٦ اقدام وممددة كما وقعت . ومما زاد في هول هذا المشهد الذي تقشعرّ له الابدان ان النساء المنكودات الحظ اللواتي تبعنني اخذنَ يعولنَ ويندبنَ ويذرفنَ الدموع على هذه الجثث ويقدنني من جثة الى اخرى ويخبرنني كيف رأينَ اخوانهنَّ واباءهنَّ وازواجهنَّ واولادهنَّ يذبحون

امام اعينهنّ وسألنني ان اشهد بما رأيت للاخذ بثأرهنّ . أمَّا الدروز الذين صحبوني فاستسلموا لمظاهر الفرح عند مشاهدتهم هذه الجثث وأراني احدهم زوج «غدّارات» مفضضة كسرت احداهما بينا كان يشجّ بها روؤس المسيحيين . فندب غدّارته صارخًا : « انها تعطلت من جماجمهم الصلبة الملعونة . »

ان الدروز هنا امسوا أشد ظماء للدماء واكثر جراءة من ذي قبل . وقد سبق لي ان طفت في كل انحاء بلادهم وزرت معاقلهم في حوران فاستقبلت في كل مكان بولاء أمَّا الآن فهم يتكلمون بوقاحة مفاخرين بعدد المسيحيين الذين ذبحوهم ويعلنون انهم يبددون شمل كل قوة ترسل عليهم .

ان الامير سعد الدين وقد كان مكروهًا من الدروز قد قطع راسه ورميت جثته الى اسفل جدران القصر . ويقال ان الدروز حين هجموا على داخل السراي واخذوا يذبحون المسيحيين قال بعضهم : « اذا فعلنا كذلك نخسر ثيابهم فدعونا نجردهم منها ثم اقتلوهم . » فانقاد الباقون لهذا الرأي وبعد ان نزعوا عنهم ثيابهم ذبحوهم وهم ناعمو البال . بحثت منقبًا في امر المدفع الذي كان مع قائد الجنود في «سراي» حاصبيًا وكم مرة اطلق الخ . . فقال المسيحيون انه أُطلق ٢٧ مرة بيدَ ان جميع قذائفه أَصابت بيوت حيهم فخرقتها . لقد صدقوا . ولمَّا استوضحت الدروز اجابوني : « نعم قد صوَّب عثمان بك قذائف مدفعه الينا لكنه اخطأَ احكامه وتسديد رميه فاهلك المسيحيين عوضًا عنَّا . » ان عثمان بك فتح أبواب السراي فانقضّ الدروز وبدأوا بذبح المسيحيين اللاجئين اليها .

وفي المساء هددني الدروز بالقتل مجددًا وحدث شجار بينهم وبين احد اتباعي فهجم عليه درزيّان وكادا يقتلانهُ لو لم يتوسط بينهما اخرون . ثم انطلقت مجتازًا بعض القرى المحروقة حيث كان بعض المسيحيين يرتعدون خوفًا على حياتهم وعدت الى راشيًا فزرت دار الحكومة فرأيت فيها ما رأيت في حاصبيًا وغادرتها قاصدًا دمشق

فبلغتها صباح ١٢ الجاري .

وكانت نتيجة رحلتي والتحقيق الذي اجريته ان تأكدت الخطر العظيم المحيق بالمسيحيين فلا يجسر أحد منهم ان يخطو خطوة خارج المدن وفي كل اسبوع يُعتدى على كثيرين منهم ويُقتلون فيهددهم الدروز باستئصال شأفتهم إذا ما حاولوا الهرب الى بيروت .

وفي هذا النهار قابلتُ فؤاد باشا مجدداً وقصصتُ عليه تفاصيل رحلتي وعرضت عليه ان يتخذ وسائل عاجلة لابعاد المسيحيين المقيمين حوالى جبل حرمون وعددهم زهاء ٢٦٠٠ نسمة او ان يضمن سلامتهم إذا بقوا هناك وفي كلا الحالين يجب ارسال قوّة كبيرة من الجند.واقترحتُ عليهِ بخصوص راشيا ان يستدعي اليه الزعيم خزاعي العريان الذي احسن السلوك ويؤمّنه اذا شاء ان يأتي دمشق وان يتفق معه على حماية المسيحيين فيحدث بذلك انشقاقاً بين حزبي الدروز في تلك المدينة ممّا يمهد للباشا السبيل الى حماية المسيحيين من اعتداء محمد النصّار الزعيم الآخر بارساله قوّة صغيرة من الجند

فاستصوب دولته هذا الرأي وأنفذ في الحال رسولاً الى الشيخ خزاعي وأمر في الوقت ذاته بارسال ١٥٠ جزائرياً الى راشيا بأقرب آن . ان تابوراً من الجنود النظامية آتٍ من بيروت الى حاصبيا . ويصعب معرفة نتيجة هذه الوسائل فربّما احدثت مجزرة على ان المسألة أمست بين أمرين أو ترك المسيحيين عرضةً لاعتداءات الدروز الذين يهددونهم باهلاك الرجال والنساء والاطفال عندما يبلغهم خبر نزول الجنود الفرنسويّة الى البرّ ـ ونحن نعرف ان وعيد الدروز يصحبه انجاز ـ أو ان نخاطر بارسال قوّة من الجند لمساعدة هؤلاء المسيحيين . ارجو بل اعتقد ان الجنود تتمكن بسرعة حركاتها من الوصول الى هاتين المدينتين فجأةً واحتلال داري الحكومة فيهما ونصب مدافعها واذ ذاك يزول كل خطر لانه يمكن جمع المسيحيين

في «السراي» فيتشتت شمل الدروز بتسديد افواه المدافع الى بيوتهم. وقد بذل الباشا نشاطاً وأسرع باتخاذ هذه التحوطات بحيث صار في وسعنا ان نأمل النجاح واذا رؤي ان الحالة حرجة فيُرسل المسيحيون إذ ذاك بخفارة قوة كبيرة من الجند الى المدن الواقعة على سيف البحر حيث يستطيعون السفر الى مصر أو قنديا كما فعل غيرهم . (عدد ١٠٢ ملحق ١ ص ٨٥ ـ ٨٨)

١٦٦ ـ مور الى اللورد روسل في ١٠ منه

اتشرّف فانبئكم بان أحمد باشا مشير ايالة دمشق وواليها سابقاً عاد الى بيروت في ٨ الجاري وقد أرسلهُ الباب العالي لمحاكمتهِ في محل جنايتهِ ومن المظنون انهُ سيلحق بهِ للغرض ذاته خورشيد باشا والي بيروت سابقاً (صيدا) فكل ثناء يقصر عن ايفاء هذا العمل حقه . وقصارى القول ان لا شيء يطابق مقتضيات الحالة او يضمن جريان المحاكمة على سننها القويمة اظهاراً للشهادات اللازمة والادلّة الثابتة المفصلة سوى تحقيق محلي .

ولئن كان لم يحدث لحسن الجد فتنة جديدة أو اضطرابات ذات بال في مكان ما بيدَ اني اخبركم بان الفوضى سائدة في البلاد وبان الدروز مواصلون اعتداءاتهم على المسيحيين ونهبهم غير مراعين صك الصلح الذي عُقد بينهم . وفي طيهِ عريضة رفعها إليَّ بعض الناجين من مجزرة حاصبيا فتعلمون منها سيادتكم ما هو جارٍ في كل مكان . ولم افتر عن مواصلة مساعيَّ لدى الحكومة التركية للحصول على وقاية هذا الشعب التاعس فاني ملاحق ارباب الشأن كتابةً وشفاهاً انما انا آسفٌ على ان تعللهم باضطرارهم الى استئذان فؤاد باشا الموجود في دمشق يحول دون سرعة اتخاذ التحوطات التي اود بان يعمد اليها في مثل هذه الظروف الحرجة . وقد توفقت بواسطة الحاحي بهذه القضية الى حمل الموظفين المذكورين على ايفاد رسول خاص

الى فؤاد باشا لاطلاعه على حالة مسيحيي حاصبيًا اللاجئين ليبادر الى مدّ يد المعونة لهم.

لقد استولى على الدروز قلق وجزع عظيمان منذ وردت اخبار البعثة العسكرية الفرنسويّة وقد عقد زعماؤهم حديثًا اجتماعًا كبيرًا في العرقوب اقطاعة اسرة عماد للنظر في موقفهم والتعويل على انتهاج خطة لدى الاقتضاء . وقد اخبرني احدهم بواسطة معتمده ان قد استقرّ رأيهم على التوغل في الداخلية عند قدوم الجنود الفرنسويّة لمحاربتهم وعلى رفع عرائض الى حكومتي انكلترة وتركيا احتجاجًا على سوء معاملة الجنود لهم ...

ملحق : ان فؤاد باشا ارسل بناءً على ملاحظتي أمرًا الى اسمعيل باشا قائد الجنود في بيروت ان يرسل تابورًا لحماية مسيحيي حاصبيًا وراشيًا وقد أوعز الى هذه الجنود بمهاجمة الدروز اذا استمرّوا على ارهاق المسيحيين والاساءة اليهم .

(عدد ٩٢ ص ٧٨)

١٦٧ — مور الى اللورد ج روسل في ١٥ منه

اني عطفًا على ما تضمنتهُ رسالتي المؤرخة في ١٠ الجاري بخصوص استمرار الاضطرابات رغمًا عن وجود فؤاد باشا وقوّة عسكرية عظيمة والصلح المزعومة بين الموارنة والدروز اتشرّف بان ارسل اليكم في طيهِ ترجمة العريضة التي تلقيتها أمس من مسيحيي البقاع (سهل سوريّة المجوّفة) وهي تشتمل على وصف ما أتاهُ الدروز من الفظائع بامرأتين مسيحيتين وترجمة كتابين مورخين في ١٣ و١٤ الجاري انفذهما إليّ المستر ابيلّا فيس قنصل صيدا عن الحالة الحاضرة في ضواحي هذه المدينة . فقد قتل الدروز منذ بضعة ايام مسيحيًا في قرية ارصون بصورة فظيعة جدًا وجميع هذا يجري على مرأى أرباب الحكومة التركية الذين لا يحركون ساكنًا لوضع حدٍ لهذه الاعتداءات. وقد اوقفت حضرة أمير البحر مارتين على هذه الحوادث فكتب الى

فؤاد باشا في دمشق والى مصطفى باشا هنا محتجاً . أمَّا انا فباذل قصارى جهدي في سبيل الراحة وتسكين الافكار انَّما الامل ضعيف بارباب السلطة لانهم عوضاً عن ان يقوموا بواجبهم يسيرون وفقًا لروح قائد الجنود في صيدا وهو الذي روى عنه الموسيو ابيلَّا في كتابه الثاني انه طلب الى قائد البارجة «نبتون» ألاَّ يسمح لضبَّاطه ان يدخلوا البساتين الكائنة على مسافة ميلين عن صيدا لانه لا يضمن سلامتهم جاعلاً هذه المدينة مع حاميتها من الجنود النظامية والسفن الحربية التركية الراسية في مياهها عرضةً لاعتداء عصابة صغيرة من اشقياء الدروز في حين يمكنه تفريق شملهم اذا كالمهم بلهجة شديدة .

ملحق في ١٦ منه: بعد انفاذ كتابي السابق علمت بسرور ان الحكومة التركية اتخذت وسائل موآتية فان حاكم صيدا فُصل وأرسلت الجنود التي فيها مع ضبَّاطها الى حاصبيَّا وراشيَّا بامرة حسن بك (الكولونل اوريلّي) وصدر الامر الى التابور المرابط على حدود القائم مقاميتين الدرزية والمسيحية بصد الدروز واطلاق النار عليهم اذا اقتضى الامر . (عدد ١٠٤ ص ٨٩)

١٦٨ — مسيحيو ثمانه قرى في البقاع الى القنصل مور في ١٤ منه

ان خدمكم سكَّان البقاع وقراه وفلَّاحيه يبسطون لسعادتكم انهم منذ نشبت الحرب الاهلية بين المسيحيين والدروز في جبل لبنان رفعوا عريضة الى عاشور افندي قائم مقام البقاع التماساً لحمايته متعهدين بالبقاء في بيوتنا متجنبين الاشتراك في حوادث الجبل وقلاقله لاننا رعايا الباب العالي منصرفون إلى اعمالنا ندفع ما يتوجب علينا الى الحكومة ونحترم أَوامرها متحاشين كل خلاف . فكان جواب القائم مقام المذكور انه ارسل عريضتنا الى دولة المشير في دمشق ولم يرد لهُ منه جواب . ثم كررنا تقديم مثل هذه العريضة وبقيت حالتنا على ما كانت عليه الى ان بدأ القتل والنهب والحريق

في بعض قرانا فلزمنا بيوتنا الى ان قدم المعلقة حسني بك أميرالأي الفرسان في بعلبك واستدعى الشيخ كنج العماد الزعيم الدرزي المعين من قِبل الحكومة لحماية البقاع .

فجاء الشيخ المذكور الى المرج إحدى قرى البقاع واختلى باميرالالاي حسني بك وبعاشور افندي القائم مقام المشار اليهما واستمرت مفاوضتهم حتى المساء واذ ذاك ذهب كل منهم الى جهته . وفي ذلك الليل قصد الشيخ كنج قرية جب جنين حيث التقى بـ ٨ مسيحيين من كفرحونه فسلبهم جمالهم وبغالهم وكل اموالهم ثم قتلهم . ولمَّا نظرنا هذه الاعمال تركنا بيوتنا وكل ما نملكه وهربنا الى المعلقة مقر القائم مقام دون ان نصطحب شيئًا من اموالنا وماشيتنا وقصصنا على القائم مقام واميرالالاي حسني بك وضبَّاطه كل ما جرى لنا فركب القائم مقام في الحال وجاء البقاع حيث توجد قرانا واجتاز الناحية المعروفة بشرقي البقاع حتى أتى قرية القرعون الواقعة على الحدود ثم عاد . وفي تلك الليلة نُهبت جميع قرانا وحُرقت وقُتل من بقي فيها شيوخًا واحداثًا بينهم النساء والاطفال وافتُضت البنات . وقصارى الكلام ان الفظائع التي اقترفت لم يسبق لها مثيل فقد دُمرت كنائسنا مع بيوتنا وسُلبنا كل حيواناتنا .

وقد أُنزلت بنا جميع هذه البلايا دون ان نأتي ما يجلب غضب الباب العالي او الدروز علينا واضطررنا الى الهرب من المعلقة بعد ان التمسنا تكرارًا على غير جدوى وقاية دمائنا وعرضنا ونحن الان مختبئون في الجبال عراة جياع لانملك ما نسدّ بهِ رمقنا نذوق أمرّ الموت. فليس لنا ملجأ سوى دولتكم العظيمة ينبوع الشفقة والرحمة الذين يستمدون عونها وقد رفعنا عريضة الى دولة المشير في بيروت تتضمن كل ما حلّ بنا انَّنا لم نحصل على جواب سوى انها أُحيلت الى اللجنة التي نصحتنا بالعودة الى بيوتنا . لكن بيوتنا خربت ولم يبق مؤنة او حبوب ولا امان على حياتنا وخلا

ذلك فالشيخ كنج العماد «محامي البقاع» لايزال يتجول في قرانا يقتل كل من يصادفه . ومنذ ٨ ايام كانت امرأتان من نسائنا ذاهبتين إلى قريتهما صفيتا فقبض عليهما وحرقهما حيتين هذا خلا قطعه اغراسنا وسلبه حريرنا وسائر محاصيلنا وعليهِ لم يبقَ لنا ما نقتات به في قرانا مع اننا دفعنا كل ما علينا للحكومة . فننطرح على اقدام حكومتكم ونرجوها ان تنظر في حالتنا التعسة فاننا عراة جياع وكثيرون منّا يموتون في كل يوم من جراء فاقتنا وعوزنا ونتجاسر على تكرار طلب المساعدة .

(عدد ١٠٤ ملحق ١ ص ١٠)

١٦٩ — الفيس قنصل ايلاً الى مور . عن صيدا في ١٣ منه

اتشرف فاخبركم بان قد وصل الى هنا اول أمس نساء قرية عازور التي نزع الدروز سلاحهنَّ ولم يقتلوهنَّ كما سبق لي انباءكم . ان طبيب البارجة نبتون يعتني بالنساء المشار اليهنَّ المنكودات الحظ وقد اخبرننا ان الدروز بعد ان لحقوا بهنَّ واخذوا سلاحهنَّ كادوا يحرقونهنَّ لاكراههنَّ على ارشادهم الى المكان الذي خبأنَ بهِ اموالهنَّ فاكّدنَ لهم ان قد سبق لهم نهبها وكان بينهنَّ فتاة فاساءوا معاملتها وهددوها بافتضاض بكارتها لكنها تمكنت من الفرار ليلًا والالتجاء الى صيدا . وقد روت لي امرأتان ان الدروز ربطوا امرأة من بتدين اللقش لم تستطع اعطاهم الاموال التي طلبوها منها بذنب بغل فجرَّها وأخذ يركض بها ويرفسها الى ان ماتت وهؤلاء الدروز الرعاع هم من قرية مزرعة الشوف . وقد وصلت أمس امرأة من جزّين وقصَّت ان ضاهر عثمان معتمد سعيد بك جنبلاط أمر بألاَّ يُسمح لمسيحي بالذهاب الى صيدا متوعداً بالقتل كل من يخالف .

ان قائد البارجة نبتون اوعز الى مدير صيدا باتخاذ التحوطات لايقاف الاضطرابات فأجابه ان لا سلطة لهُ على ما هو خارج عن حدود مديريتـه مع ان

المكان الذي جرَت فيهِ هذه الحوادث لا يبعد سوى نصف ساعة عن صيدا وفضلًا عمَّا تقدم ان اميرالاي الحامية افاد قائد البارجة المشار اليها انهُ لمَّا كان الامن مفقودًا في جوار صيدا فيجدر بهِ ألاَّ يسمح لضبَّاطه بالذهاب إلى البساتين الواقعة على ضفة نهر الاولي .

ان تعصب المسلمين زاد في هذين اليومين اكثر ممَّا كان عليه منذ اسبوعين او ثلاثة وان كان في مياهنا بارجتان . فماذا يفعلون اذا غادرتنا هذه البوارج ؟ لا يزال الدروز يقطعون اشجار المسيحيين في اقاليم جزّين والخرُّوب وحاصبيَّا وراشيَّا .

ان فصيلة من الجند تقيم في دير القمر حيث لا يوجد سوى جثث القتلى والخرائب أمَّا في اقطاعة جزّين حيث كثير من المسيحيين المختبئين لا يوجد جندي لحمايتها .

ان الدروز مواصلون نهب قطعان ماشية المسيحيين في جباع ومحاصيل ارضهم والمسيحيون يشكون أمرهم لناظر هذه الاقطاعة لكنه لا يحفل بشكاويهم ولا يحميهم .

وقصارى القول انه يظهر ان الاعتداءات على المسيحيين لم تنقطع في الناحية المجاورة صيدا وان عمال هذه الاقاليم لا يحركون ساكنًا لإيقاف تيَّارها .

(عدد ١٠٤ ملحق ٢ ص ٩١)

١٧٠ — ومنه ايضاً بتاريخ ١٤ منه

اتشرَّف فانبئكم بان امرأة مسيحية من قرية المحتقره كانت قد لجأت إلى صيدا ذهبت اليوم مع ابنتها إلى الطاحون الواقع على نهر الاولي لطحن بعض الحبوب وعند عودتهما ووصولهما إلى الجسر هجم عليهما درزي ونهب ما كان معهما من الدقيق وعرَّاهما من ثيابهما منزلاً بهما أقبح الشتائم .

ان مسلمي اقاليم الخروب الذين نهبوا كميَّات عظيمة من دير القمر وزحله وجوار

صيدا قد قضوا هذين اليومين مشتغلين بنقل اسلابهم إلى بلاد المتاولة لايداعها فيها.
أمّا ارباب السلطة هنا فلم يمدّوا يد العون لاسترجاع اموال المسيحيين المنهوبة واعادتها الى اصحابها بل انهم يبذلون جهدهم لمنع اعادتها .

(ملحق ٣ ص ٩١ ـ ٩٢)

١٧١ — القنصل مور الى اللورد ج. روسل فى ١٦ منه

اتشرّف فاخبركم بوصول الجنرال بوفور دوطبول في هذا الصباح ومعه تابوران من الجنود الفرنسويّة قسم منهما على باخرة من بواخر الميساجري والقسم الاخر على سفينة حربية ونرى عدّة سفن نقّالة غيرها في البحر مقبلة الينا وقد بدأت الان الجنود بالنزول الى البرّ .

ان أحمد باشا مشير فيلق دمشق وواليها السابق الذي أعيد من الاستانة الى سوريّة كما سبق لي القول قد أرسل اليوم الى دمشق ومعه سائر الضبّاط المقبوض عليهم لاجراء محاكمتهم هناك . ويرجى ان تكون محاكمتهم نزيهة والحكم مطابقاً لجنايتهم وينفذ في محل الحوادث .

وقد وصل اليوم ايضاً بارجة نمسويّة أخرى تدعى « رادتسكي » وبارجة بروسية عليها لواء أمير البحر البروسي . (عدد ١٠٥ ص ٩٢)

١٧٢ — الماجور فرازر الى اللورد ج. روسل .عن دمشق فى ١٦ منه

بلغتُ دمشق في ١١ الجاري بعد ان اجتزت لبنان مارًّا في طريق العجلات التي عُنيت شركة فرنسوية بمدها من بيروت في السنة الماضية وهذه الطريق كاد يتمّ تمهيدها ويكفي ثلاثة اسابيع لجعل القسم الاعظم منها المجتاز قمم لبنان مع الفروع المتشعبة منها صالحةً لمرور جيش كالجهة الشرقية من سهل البقاع الواسع

(سوريّة المجوفة) حيث تستطيع الجنود ان تجول فيها دون صعوبة كبيرة من الشمال الى الجنوب واجراء الحركات في داخلية البلاد . وقد شاهدت الدخان متصاعداً من زحله ومن عدة قرى محترقة ومخيماً فوق سهل البقاع وجماعات من المسلمين منتشرين في السهل محملين الجمال محاصيل املاك المسيحيين الذين فرّوا أو قُتلوا .

ان وصولي الى دمشق كان عند الفجر فذهبت حالاً الى دار القنصل وسلّمته التحارير التي عُهد اليّ بايصالها.وعند مروري في الأسواق ألفت انظاري سيماء الحزن والرعب المنطبعة على وجوه سكّانها فاستدللت من ذلك انهم لا يزالون يخافون مع انه لا يوجد سبب لخوفهم وان كانوا شعروا ببعض القلق من جرّاء سجن بعض القوم. زرت أمس صاحب الدولة فؤاد باشا فعرّفني بهِ المستر برانت فاخبرني انه القى القبض على ٩٠٠ شخص معظمهم من الرعاع وجعلهم قيد المحاكمة وسينفّذ الاحكام بحقهم حين ابرامها . فاجبت اني سررت بسماعي بان الامور جارية وفقاً لرغبة دولته وان عيون اوربا باسرها شاخصة اليه منتظرة بفروغ صبر نبأ يبشرها بان قد أنزل في سفّاحي دمشق عقاب مناسب لجناياتهم . قال انه لا يمكنه ان يسرع اكثر ممّا فعل لصعوبة وجود شهود . اجبت ان الحالة تتطلب انتهاج طريقة المحاكم العسكريّة لا العاديّة وتسويفها وتأجيلها . قال انه استحسن هذا الرأي ونهج مثل هذه الخطة فأوعز الى المحاكم ان تقبل كل شهادة قريبة من الصواب حتى شهادة مسيحي من عامة الناس على مسلم .

قلت ان هذا ما طالما انتظرناه منهوانما نرجو بألاّ يفلت جانٍ من العقاب.فذكر دولته اذ ذاك صعوبة مهمته وانه فعل ما في استطاعته لكنه يخشى ألاّ ترضى بعض الحكومات الاوربية عنه وانه اذا كان يوجد خطة موضوعة فيبذل جهده للسير بموجبها ويعدم الاشخاص الذين تعيّن لهُ عددهم . فأجبتُ ان ليس من حكومة تقدم على وضع مثل هذه الخطة او طلب اعدام عدداً معيناً من الجناة وان جلالة

السلطان خوَّل دولته السلطة المطلقة في هذا الشأن وجلّ ما يمكن حكومات اوربا طلبه هو ان يكون العقاب على قدر الجناية وعدد مقترفيها بحيث يرضي ليس فقط العدالة بل يحول دون تجدد مثل هذه الفظائع في المستقبل. فقال انه يشعر بان حفظ شرفه موقوف على هذا الامر وانهُ مصمم على تذليل الصعاب التي تعترض مهمته لكنه يطلب عونًا ونصيحة وسأَلني اذا كنت اريد ان امدّه بما عندي. فاجبت اني مستعد لخدمته على قدر طاقتي وان كان ليس لديَّ تعاليم بهذا الشأن انّما اعتقد ان حكومة جلالة الملكة تودّ كثيرًا مساعدته على اتمام المهمة الموكولة اليه. فأَبدى دولته استياءه من قرب وصول الجنود الفرنسويّة خوفًا من ان ينشأ عنه اضطراب في البلاد. فاكدت لهُ اني لا اعتقد بانهُ يُسمح لبعثة الجنود الفرنسويَّة التدخل الآن في شؤُون البلاد الداخلية وان أَضمن طريقة لاتقاء هذا التدخل انّما هي حلّ المشاكل بطريقة لا تترك لهُ مجالاً. فقال انهُ يخشى أَلاَّ يُعدم الفرنسيون حجة للتدخل. فذكرت لدولته ان الاحتلال مربوط بصك اتفاقية بحيث لا تستطيع الحكومة الفرنسويّة ان تتجاوز شروطها. فسأَلني عن سبب عدم مجيء قوَّة انكليزيّة فأجبت اني لا اعلم

ان تأْجيل دولته اعدام عدَّة اشخاص حُكم عليهم بالموت ورغبته في التملص من التدخل الاجنبي وتشوقه الى الوقوف على ما يرضي اوربا كلها اسباب تدعوني الى الظن بانهُ يودّ معرفة عدد الذين يجب اعدامهم لارضاء اوربا اكثر من انزال العقاب بكل جانٍ. ولربّما لم يكن في المسأَلة ما يدعو الى الاستغراب لان من أَصعب الامور اعدامه كثيرين من ابناء مذهبه لقتلهم مسيحيين لان قتل المسيحيين في نظرهم جرم لا يستوجب الموت. ولئن كانت الاخبار شائعة في المدينة بان بعض المسلمين سيعدمون لاقترافهم المجازر الحديثة فان الجمهور لم يزل يعتقد حتى الان بان عدد هؤُلاء سيكون قليلًا جدًّا أَمَّا الباقون فيغرمون او يجندون في الجيش أَو يُحكم عليهم بعقوبات مختلفة.

وعندي انهُ يقتضي تشجيع دولته لا بل الضغط عليه لحمله على ان يسالك وفقاً لمقتضيات الحالة الحاضرة. فكل تأجيل أو تردد سيكون لهُ وقع سيء في البلاد ولاسيما اذا لم تصل الجنود الاجنبية المنتظرة الان وعلى كل فأنا واثق بانه سيعمل بما عهد فيهِ العموم من الحزم . ان أحمد باشا والي دمشق سابقاً المعاد من الاستانة سيصل اليوم الى هنا ليبدأ حالاً بمحاكمته واظن ان لا ريب بانه سيحكم عليه بالاعدام لان الادلة متناصرة على اشتراكه في المجازر الحديثة ان في دمشق وان في خارجها

اشرت على فؤاد باشا ان يرسل قسماً من الجنود العثمانية الموجودة في بيروت الى حاصبيا وراشيا وجوارهما لانقاذ المسيحيين الباقين هناك بين الدروز وبان يصحب هذه الجنود رجل اوربي يعرف البلاد او مسيحي وطني تطميناً لافكار اللاجئين فقبل النصيحة وارسل في الليل المنقضي ضابطاً ينظر في الوسائل الواجب اتخاذها . وفي هذا الصباح اوفد مديرين الى حاصبيا وراشيا لادارة شؤون هاتين المدينتين وزودهما نشرة مضمونها ان زعماء الدروز مسئولون بسلامة الـ ٣٠٠٠ مسيحي الباقين في بلادهم . وهذا التحوط ضروري لانه اتصل بنا هنا أمس ان في نية الدروز ابقاء المسيحيين كرهينة بين ايديهم وهم يسيئون معاملتهم .

في نية دولته ان يزحف على الدروز متى اتمّ واجبه هنا ويتعقبهم اذا اقتضى الامر حتى حوران واللجاه ومن المرجح اني ارافقه اذا لم تقع حوادث اكثر خطورة في مكان اخر .   (عدد ١٠٦ ص ٩٢ ـ ٩٣)

١٧٣ — القنصل برانت الى السير بولفر في ١٦ منه

اتشرَّف فاخبر سعادتكم ان المشير السابق وصل في الليلة المنقضية الى هنا باسم أحمد آغا ومثل في الحال امام اللجنة لاستجوابه وتجدد استنطاقه هذا الصباح . ان صاحب الدولة فؤاد باشا يأمل الوصول بهذه الطريقة الى استثبات ما اذا

كانت الفتنة هي نتيجة دسيسة مدبّرة منذ عهد طويل أو كامنة في تعصب المسلمين الذي انفجر بركانه على حين غرّة دون سابق تعمد فكانت المسألة بنت ساعتها

قُبض منذ يومين في هذه المدينة على دعاس آغا أحد الزعماء وقد كان المشير السابق منحه رتبة في فرقة الفرسان الغير النظامية

ان المشير الجديد ذهب بقوّة كبيرة من الجنود الى الجرود حيث لعائلة دعاس المذكور أملاك واسعة ونفوذ كبير فوجد في بيته مقادير عظيمة من الاسلاب فأعادها إلى دمشق وحرق بيته مع عشرة بيوت أخرى من أصحاب النفوذ الذين كانوا يرودون القرى المجاورة ويبلصون المسيحيين ويسيئون معاملتهم

أُعدم أمس أربعة مسلمين من حوران قتلوا منذ مدة ١٣ شخصاً كانوا ذاهبين لحصد محاصيل ارضهم في قريتي الصنمين وكنا كر.

لقد سبق لي القول ان فؤاد باشا سيشرع حالاً بتنفيذ حكم الاعدام في بعض الجناة وانا واثق بان عمله هذا سيلقي الرعب في قلوب المسلمين لانهم لا يعتقدون حتى الآن بانه سيعدم مسلم لقتله كافراً فمتى تأكدوا ذلك ووضح لاعينهم يغيّرون لهجتهم وسلوكهم ويعترفون بما قد حرصوا على كتمانه الى الآن.

(عدد ١١٨ ملحق ١ ص ١٠١)

١٧٤ — ومنه اليه في ٢٠ منه

التشرف فاخبركم باني تلقيت الآن بلاغاً من صاحب الدولة فؤاد باشا مآله بان قد شنق اليوم ٥٧ جانياً في انحاء المدينة وأُعدم ١١٠ رمياً بالرصاص في ساحة جنك الميدان على ابواب المدينة منهم فريق من فرسان الباشبوزق والفريق الاخر من الفرسان الغير النظاميين المعروفين « بالعونية » (معاونين).

ان محاكمة المقبوض عليهم متواصلة وقد وعدني دولته بان يسلمني لائحة باسماء

الذين أُعدموا او سيعدمون والذين فرّوا و يُحكم عليهم غيابًا .

قد جرَت محاكمة أحمد آغا المشير السابق وحتى الان لم يُعلن الحكم . ولا يزال عثمان بك قائد الجنود في حاصبيًا قيد المحاكمة . استولى الجزع على سكّان المدينة فانهم لم يكونوا ينتظرون شيئًا من هذا ومفاصلهم ترتجف خوفًا ممّا يمكن ان يحلّ بهم . (عدد ١١٨ ملحق ٢ ص ١٠١-١٠٢)

١٧٥ – فؤاد باشا الى عالي باشا . عن دمشق في ٢٠ منه

أُعدم صباح اليوم علانيةً ١٦٧ من الجناة المحكوم عليهم فشنق ٥٧ منهم في الاحياء المأهولة وأُعدم رميًا بالرصاص ١١٠ من رجال الشرطة في الساحة المسماة «جنك ميدان» وقد استولى الرعب على السكان فلم يبدوا أدنى حركة في خلال اعدام الجناة السابق ذكرهم .وسيرسل غدًا الى بيروت بخفارة الجنود الجناة المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة او بالكورك ليركبوا منها البحر الى الاستانة .

وفي عداد المشنوقين اشقاء اكبر اعيان المدينة واولادهم وانسباؤهم دون ان يحفل بمقامهم ووظيفتهم وسيقبض غدًا على سائر الاعيان المتهمين

ان محاكمة احمد آغا والي دمشق السابق وسائر الضباط متواصلة امام المجلس الحربي وسأُنفذ الاحكام حين ابرامها .

ان الجناة الذين تمكنوا من الفرار بعد المذابح سيحاكمون غيابًا وتنفذ فيهم الاحكام عندما يقبض عليهم .

ان جيش السلطان لهو اطوع من البنان وسالك باخلاص تام ويد العدالة ضابطة الامور

ان السكينة مستتبة في كل شواطيء سوريّة واعيدت مياه الراحة الى مجاريها في صيدا وضواحيها . (عدد ٩٨ ص ٨١ ودي تستا ص ١٠٣)

١٧٦ — امر سلطاني الى فؤاد باشا في ٣٠ محرم سنة ١٢٧٧ [١٨ اب سنة ١٨٦٠]

علمنا من مطالعة الكتب الواردة منكم بوصولكم إلى دمشق وبتفاصيل ما اجريتموه فيها . ان وقاية حياة كل افراد تبعتي دون تمييز واموالهم وعرضهم هي من اهم فرائض الشريعة الالهيـة فيتوجب دينًا على كل مسلم ان يكون عارفًا بهذه العقيدة من عقائد ديننا . يتعذر عليَّ ان اصف مقدار تأثر قلبي وقلوب جميع المسلمين العاملين بوصاياه تعالى من انقياد عصابة من اشرار دمشق وجهالها الى لوم طبيعتهم وفسادها وشراسة اخلاقهم فخفروا ذمة التعاليم الطاهرة السابقة الذكر والشريعة الالهية وتجرأوا على سفك دم كثيرين من مواطنيهم التعساء وهتك عرضهم وسلب اموالهم .

ان العذاب الاليم المعدّ في الاخرة لمرتكبي هذه الجنايات والفظائع غير خافٍ عن الاعين البصيرة غير انه يقتضي ان ينزل بهم ايضًا في هذه الدنيـا القصاص المفروض في الشريعتين الالهية والمدنية .

وقد رأت حكومتنا الشاهانية ان تعجلَ باعدام الاشخاص الذين يثبت عليهم اقتراف الجناية امام المحاكم وفقًا للسلطة التي خوّلناك اياها .

ان الغيرة التي بذلتها والخدم التي اديتها وهي برهـان على مروّتك الغريزية وفطنتك قد نالت استحساني ورضاي العاليين .

ان دلائل الاخلاص الجديدة والجدارة التي أبداها كل الرؤساء والقوّاد والمأمورين الخاصين وسائر ضبّاط جنودي التي برفقتكم كما اوضحت في رسائلك وفي «المضبطتين» العسكريّتين اللتين رفعتهما الينا قد جاءت مصداقًا لما كان ينتظر منهم ومطابقة للصفات العسكريّة المجيدة والمزايا التي وجدتها دائمًا فيهم. فعليك ان تذيع فيهم ان اعمالهم نالت حظوة تامة لدينا . فنسأل الله ان يوفق مساعيك وجميع الذين

يجاهدون امامنا باخلاص ونزاهة . (عدد ١٢١ ملحق ١ ص ١٠٥ ـ ١٠٦)

١٧٧ – مناقشة في مجلس العموم الانكليزي في ١٧ اب سنة ١٨٦٠

المستر مونسل – يرغب الى حضرة اللورد النبيل رئيس الحكومة ان يطلعه على التعاليم التي زوّدها اللورد دوفرين مندوب جلالة الملكة في سوريّة ويفيده عمّا اذا كان يعلنها على هذه الندوة.فقد سُلّم حديثًا الى اعضاء هذه الندوة الكرام سلسلة مراسلات جديدة تتعلق بكوائن سوريًا المحزنة . وفي جملتها كتاب حري بالاعتبار كامل الوصف دبجه يراع المستر سيريل كراهام وهو الذي سأله ممثلو الدول الاوربية ان يطوف في انحاء لبنان لاستثبات صحة ما جرى فيه من المذابح .

ان المشاهد التي وصفها تتجاوز كل ما يمكن حضرات الاعضاء الكرام ان يتصوروه فالفظائع التي ارتُكبت لفاحشة تستدعي المقت . وقد اكّد المستر كراهام بصريح العبارة المؤيدة بالادلة ان ارباب السلطة التركية اشتركوا بهذه الجنايات وغمسوا يدهم بالدم . لا اسأل الحكومة عمّا اذا لم يكن في وسعها اتقاء ما وقع لو اعارت نشرة البرنس غورتشاكوف المنفذة في نيسان التفاتة مقرونة بالاهتمام ولا اذا كانت مفاوضات انكلترة مع فرنسا قد حالت دون تدخل هذه الدولة في الوقت المناسب لايقاف تيّار الشر . انما وضح لي من التدقيق في تاريخ العشرين سنة الاخيرة ان انكلترة هي سبب ما جرى هنا لك . فماذا فعلنا ؟ فقد وجدنا ابرهيم باشا والامير بشير ممثل أهمّ اسرة في تلك البلاد يسوس شؤونها ان لم يكن على ما يرغب فيهِ من حسن التدبير فعلى الاقلّ بطريقة من شأنها ملافاة حدوث مثل هذه الكوارث الهائلة . فسعينا الى ابدال هيئة هذا الحكم نكايةً بفرنسا ومعارضةً لبعض دول اوربا .

فعملنا على التفريق بين الدروز والموارنة وجعلنا على كل فريق زعيمًا وسلّطنا

عليهما باشا تركيًا وقد كانت فرنسا نبهتنا إلى ما ينجم من الضرر عن ابدال سيادة السلطان الاسمية على هذه البلاد بسيطرة مطلقة . واذكر هنا ما قاله الباسل أمير البحر نابييه الذي اشترك في مسائل سنة ١٨٤٠ في اجتماع عُقد في ادنبورغ في سنة ١٨٤٥ فقد صرَّح « انه يخجل ان يعترف بان كانت له يد في ابرام الاتفاقية التي نشأت عنها هذه البلايا » .

سبق لي ان قلت ان فرنسا نبهت الحكومة الانكليزية في سنة ١٨٤٠ . وفي سنة ١٨٤٤ اعترف اللورد ابردين باننا مسؤولون بما جرى . وفي سنتي ١٨٤٥ و١٨٤٧ وقعت كوائن في سوريا بتحريض واليها التركي ومع ان دائرتها كانت ضيقة فلم تخلُ من الفظائع وهاك ما اسأله الان بعد ان تحققنا اخفاق طريقة الحكم التي عوّل عليها بناءً على الحاح انكلترة . هل عُهد الى مندوبي الدول الاوربية في لجنة سوريا الدولية ان يمعنوا النظر في هذه المسأَلة مجددًا ويبحثوا في امكان انقاذ سورية من استبداد باشا تركي وايلائها حكومة تماثل التي كانت متمتعة بها سنة ١٨٤٠ ؟ .

السير شارل نابييه — ان ما قالهُ حضرة العضو الفاضل لهو صحيح فقد قلتُ في الاجتماع الذي عُقد في ادنبورغ وكرَّرته فيما بعد على مسامع ندوة العموم اني مخجول من الدور المعيب الذي لعبته في سوريّة . ان الحكومة أوفدتني الى تلك البلاد بمهمة فقمتُ بها انَّما عليَّ ان اعترف بان سوريّة كانت في عهد محمد علي هادئة مطمئنة وطرقاتها أمينة وشعبها ناعمًا ببعض السعادة .

ولم يبقَ أدنى ريب بان الاتراك بذلوا جهدهم لحمل اهالي لبنان على شق عصا الطاعة على الحكومة المصريَّة فلم ينجحوا فكلُفت اذ ذاك بان اعد اللبنانيين بان الاتراك يحسنون معاملتهم اكثر من المصريين ففعلت وكان ان قام جمهورهم على الحكومة المصريّة ولولا مساعدتهم لتعذر على الحكومة العثمانيــة نظرًا لقلة عدد جنودها اصابة النجاح الذي ادركته

أمَّا اليوم فان الاتراك قد جاروا واستبدّوا باهالي لبنان اكثر من المصريين. ومع انهُ سبق لهم ان وعدوا غير مرَّة بتحسين ادارة الشؤون فقد خفروا ذمة عهودهم في كل آن بحيث لا يمكن الوثوق بهم.

أمَّا انا فاجهر اني أُوثر روية الفرنسويين متبسطين في كل سوريَّا ومظللين سكان جبالها التعساء بحمايتهم على بقاء تلك البلاد معرَّضة «لتحنن» الاتراك!!

اللورد بلمرستون — ان حضرة صديقي الفاضل نائب اقطاعة ليمريك قد تكلم في مسألة سوريَّا العامَّة واهمًا ان الكوائن الحديثة هي نتيجة استبداد الاتراك في حين ان الامر بالعكس فالفظائع التي ارتُكبت نشأَت عن عدم وجود سلطة للحكومة التركية مباشرةً. وقد قال حضرته ان تبعة هذه الكوائن واقعة على عاتق الحكومة الانكليزية فانكر ان يكون لي أَقلّ حصة في هذه المسؤولية وعلى كل حال فهي لا تقع على حكومة جلالتها. فقد أُذيع في اوربا افادات غريبة عن الذين كانوا البادئين في الشرّ. فمن هم المذنبون وما هي درجة ذنبهم؟ انما هذه اشاعات لا تثبت على السبك ولا يليق بي ان احدثكم بها عن ثقة

ان حضرة العضو الفاضل يودّ ان يعرف سبب قولي ان لديَّ ادلّة تدعوني الى الاعتقاد بان الموارنة كانوا البادئين بالشرّ. فيغمني ان البحث في هذا الصدد وعندي ان لا فائدة من السعي وراء معرفة من من الفريقين ضرب الضربة الاولى وآسف على ان يكون اكرهني حضرته في الجلسة السابقة الى ابداء رأيي بهذا الشأن. واليكم بالامر: انهُ أُذيع بين المسيحيين منذ بضعة اشهر اشاعات تنذر بحدوث كوائن كهذه في سوريَّا في فصل الربيع ووُزعت كمية من الاسلحة الاوربية على الموارنة فأنا لا اسأَل من أَين أَتتهم ومن اعطاهم ايَّاها انَّما أَنا واثق بانهم أُعطوا اسلحة غير التي بيعت منهم جهارًا في بيروت.

ان قنصل انكلترة في بيروت افادنا ان القتال بين الموارنة والدروز نشأ عن

هجوم الاولين على بعض قرى مأهولة بكلتا الطائفتين لطرد الدروز منها وان في بيروت لجنة مارونية برئاسة اسقفها سعت الى اثارة الموارنة وحملهم على اغتنام الفرصة لاقصاء الدروز عن البلاد . وقد قال حضرة صديقي الفاضل انه متفشٍ على الالسنة الان بان الحكومة الانكليزية تحمي الدروز مهما اقترفوا من الفظائع فلا استطيع ان اشير الى المنبع الذي استقى منه حضرته هذا الخبر ولم يسبق لي ان سمعت بهِ من قبل بل اقول بجرأة انها تهمة سافلة لا نصيب لها من الصحة معلنًا ان الحكومة الانكليزية لم يسبق لها أقلّ علاقة بالدروز في حين انه من الثابت ان لحكومة غيرها ارتباطًا بالموارنة .

(عن كتاب فرنسا في لبنان لمؤلفهِ لويس دي بوديكور ص ١٧٤-١٧٩)

١٧٨- مور الى اللورد ج . روسل في ٢٢ منه

اتشرف فاخبركم بان قد وصل احمد قيصرلي باشا والي هذه الايالة الجديد واستلم زمام وظيفته ودولته مشهور باستقامته ونزاهته وصدقه ومهارته . وقد تبادلنا الزيارة .

ومنذ بضعة ايام قدم من الاستانة خورشيد باشا الوالي السابق مخفورًا وقد ارسلته حكومته لمحاكمته هنا فحجر عليه في غرفة خاصة وأوقف حرس على بابها

وردت هذا الصباح اخبار مرضية من دمشق حتى ٢٠ الجاري وقد شرع فؤاد باشا بتنفيذ حكم الاعدام في المحكوم عليهم في ذلك اليوم . . . ولا شك ان المستر برانت كتب اليكم بهذا الشأن مفصلًا .

في طيهِ صورة الكتاب الذي انفذه إليَّ المستر كراهام وقد عاد من دمشق في ٢٠ الجاري وهو ذيل روايته عن زيارته حاصبيًا وراشيًا التي سبق للمستر برانت ارسالها الى سيادتكم .

ان الدروز لا يزالون منتهجين ذات الخطة ومصممين على ما سبق لي عرضه .

(عدد ١٣ ص ٨٨)

١٧٩ – ومنه اليه في ٢٢ منه

اتشرف فانبئكم ان وصول جنود البعثة الفرنسويّة إلى بيروت متلاحق فقد نزل إلى البر حتى هذا التاريخ زهاء ٥ الاف جندي في عدادهم ٢٠٠ فارس ومعهم كمية عظيمة من المؤَن والذخائر والبغال والخيل لجرّ المدافع وقد جعلوا معسكرهم العام في غابة الصنوبر الكائنة على مسافة ميلين من المدينة في مكان يحاذي طريق العجلات الممتدة الى دمشق . وقد تمَّ نزول هذه الجنود في مكان يبعد ٥ دقائق عن المدينة فاجتازتها دون ان تقف فيها منطلقة الى معسكرها تتقدمها موسيقاها صادحةً بلحنها الوطني .

لم اتمكن من معرفة ما اذا كان المسلمون نظروا الى هذا الاحتلال بعين الحنق انَّما تلوح على محياهم سيماء الانقباض لدى مرور الجنود وجميع تصرفاتهم عليها طابع الغضب والوعيد فيسخرون بالمسيحيين ويهينونهم ويعتدون على بعض افرادهم عند سنوح الفرصة او يتحرشون بهم . بيدَ انه يجب عليَّ ان اثني على احمد قيصرلي باشا الوالي الجديد لما اتخذه من الوسائل الشديدة قمعًا للمشاغب باذاعته نشرة يحظر بها على المسيحيين والمسلمين معًا حمـل السلاح بكل انواعه فكان ذلك حائلًا دون وقوع اضطرابات .

ومن جهة اخرى فان المسيحيين لمبتهجون فمنذ نزول الجنود اخذ اللاجئون منهم يحملون بنادقها وعدتها إلى المعسكر العام وغيرهم يقدمون مجانًا ماءً وتبغًا وشرابًا الى غير ذلك . ولا اتمالك من ان اوكد لسيادتكم ان قد عقب وصول الجنود الفرنسويّة اطمئنان افكار المسيحيين الوطنيين واللاجئين والاوربيين ايضًا فقد كانت

فرائص الجميع ترتعد رعباً لا يعلمون ما سيحل بهم من البلايا ومتى اذ انه لم يكن ليقوى على ازالة مخاوفهم سوى احتلال اوربي كهذا قصير المدة يضمن الامن العام

وقد أُسف كثيراً على عدم قدوم جنود انكليزية معها اذ لو أُرسلت لاتى وجودها بفائدة كبيرة فسكن حالاً قلق المسلمين واطمأن بالهم .

(عدد ٩٩ ص ٨٢)

١٨٠ – تابع رواية المستر كراهام عن حاصبيا وراشيا فى ٢٢ منه

ذكرت في روايتي المؤرخة في ١٣ الجاري اني فور عودتي الى دمشق من زيارة حاصبيا وراشيا جرى لي حديث طويل مع فؤاد باشا فاقترحتُ على دولته ان يفرّق بين دروز حاصبيا باستدعائه خزاعي آغا العريان الى دمشق وارسال ورقة امان اليه اذا شاء ان يأتيها.وألححتُ أيضاً عليه بان يرسل قوّة كافية وبعض المدافع الى كل من المدينتين المذكورتين لحماية العدد الغفير من المسيحيين الباقين هناك المرتجفين جزعاً في كل دقيقة على حياتهم ورجوته ان يسرع باتخاذ هذه التحوطات قبل وصول الجنود الفرنسوية . فتلطف دولته بقبول هذين الاقتراحين وانفذ في الحال حسن بك (الكولونل اوريلي) الى صيدا ليأتي بتابور ومدفعين الى حاصبيا وأمر نصف تابور قادم من بيروت الى دمشق بالذهاب الى راشيا وكان قد بلغ سهل البقاع . وارسل كتاباً الى خزاعي آغا يستدعيه اليهِ وكلفني ان اكتب اليهِ أيضاً وأؤمنه بناء على وعده ولم نهمل وسيلة من الوسائل التي من شأنها ايقاظ حسد حزب محمد النصّار فكللت جميعها بالنجاح . فان خزاعي آغا جاء دمشق بعد ان اتخذ التحوطات لحماية المسيحيين فاقلق ذلك بال الزعيم الآخر فغادر وجميع رجاله المدينة فأصبح المسيحيون في مأمن تحت حماية الفريق الآخر الموالي . وقد كانت المقابلة بين فؤاد باشا وخزاعي آغا خطيرة جداً وانتهت بتعهده بحماية المسيحيين أو ايصالهم

الى صيدا سالمين اذا اقتضى الامر . وفي خلال هذا تبلغ الجنود النظامية محل مقصدها فيطمئن بال المسيحيين فنحمد الله على هذه النتيجة لانه كان لدينا ما يدعونا الى الخوف ألاّ نحصل عليها بدون سفك دماء

وقد عين فؤاد باشا ايضاً متسلماً لكل من المدينتين فأيّد سلطة الباب العالي في ناحية من انحاء سوريّة الأكثر اضطراباً وقد جعل قيد خدمة متسلم راشياً ١٥٠ فارساً . (عدد ١٠٣ ملحق ١ ص ٨٨ ـ ٨٩)

١٨١ — صفوت افندي الى المسيو موزوروس في ٢٢ منه

كنّا طالعنا بمزيد الامتنان ـ في الرسائل المتتابعة التي رفعتموها الى الحكومة السنية لايقافها على ما كان لحوادث سوريّة من الوقع في انكلترة وانبائها بالبراهين التي ادليتم بها لبيان الاضرار التي تنتج عن تنفيذ مشروع تدخل قوة عسكريّة أجنبية في بلاد السلطنة ـ ان وزارة انكلترة مع قبولها بقاعدة التدخل المذكور علقت تنفيذها على اجازة الباب العالي . كما ان الحكومة السنية من جهتها لم تتقاعد عن اظهار اخطار هذه الوسيلة للدول لكنها اضطرت الى قبولها بناءً على نصائح ممثلي الدول وايضاحهم لها امكان نزول جنود اجنبية في اراضي السلطنة رغماً عن رفضنا توقيع الاتفاقية بهذا الشأن فاضطررنا الى ان نختار من الشرّين اصغرهما .ومع اعلاننا اننا قبلنا بها مرغمين بينّا بجلاء للدول العظمى مخاوفنا وكفوْ الاحتياطات التي اتخذناها . فان ما فعله فؤاد باشا في دمشق في مدى بضعة ايام يثبت انه كان في وسعنا قمع الاضطرابات ومعاقبة الجناة . فنجاح ناظر خارجيتنا يؤملنا بان البعثة العسكريّة الاجنبية تجد عند وصولها الى سورية دعائم الراحة موطدة في البلاد .

بيدَ انهُ اذا كان نزول الجنود الفرنسوية يجب ألاّ يتمّ دون سبب موجب فبالاحرى يقتضي التسليم ان لا سبيل لتوغلها في الداخلية .

ان مساعينا منصرفة الان الى غاية حصر الاحتلال في مكان مناسب من شاطئ البحر منعًا لتقدم الجنود في الداخلية فاذا حلّت هـذه المسألة وفقًا لرغبتنا ينتج عنها ليس فقط استتباب الراحة في سورية عاجلاً بطريقة امينة بل يأتي بفائدة أخرى الآَ وهي استدراك سوء تأثير تدخل عسكري اجنبي لم نستطع منعه

(عدد ١٠٨ ص ٩٤)

١٨٢ – خلاصة رسائل فؤاد باشا في ٢٣ منه

انه بغية في القبض على السفّاحين وشركائهم في الفظائع قسمت مدينة دمشق الى عشرة دوائر وأُقيم في كل منها سريّة من الجنود السلطانية وأُلّفت لجنة من اعيان المدينة برئاسة أحد كبار ضبّاط الجيش . وعدا ما تقدم طُوقت المدينة بالجنود بحيث أمسى كل سكّانها في قبضة يد القوّة المسلحة ثم شرع بالقبض على الجناة في كل من هذه الدوائر وباجراء التفتيش لاكتشاف المسلوبات وبفضل هذه الوسائل تسنى القبض في يوم واحد على ٤٢٨ جانيًا دون أدنى مقاومة واسترجع قسم من المسلوبات يقدّر بـ ٦ إلى ٧ الاف حمل كما انهُ أُعيدت كمية عظيمة من الامتعة الى اللجان خلا التي طُرحت في الشوارع ليلًا .

ان مقترفي المذابح والنهب مُثلوا امام محكمة الجزاء الخارقة العادة لاستجوابهم ومحاكمتهم والقضاء عليهم بعقوبات مناسبة لدرجة جريمتهم . أمَّا الاشخاص الذين لا يثبت عليهم انهم اقترفوا بيدهم جناية فينفون نفيًا مؤبدًا ويُرسل الذين قُضي عليهم بالاشغال الشاقة والكورك الى بيروت لاركابهم السفن السلطانية فتوصلهم الى الاماكن المعينة لهم.وقد وُزعت اعانات على المنكوبين أمَّا المرضى والجرحى فوُضعوا في المدرسة العسكرية التي حُولت إلى مستشفى حيث يُعالجون وتُضمد جراحهم .

ان جميع الوسائل المار بيانها نُفِذت بمدى بضعة ايام وكلما نُفِذ حكم من احكام

المحكمة الخارقة العادة يُخبر بهِ الباب العالي . ان الراحة والامن سائدان تماماً في حلب والقدس وسائر انحاء سوريَّا . (عدد ١١٢ ص ٩٨)

١٨٣ — القنصل برانت الى السير بولفر . عن دمشق في ٢٢ منه

اتشرف فانبئكم ان فؤاد باشا دعاني الى زيارته أَمس فصحبني الماجور فرازر وانضم الينا قنصل فرنسا فتناول الحديث كوائن هذه الايام فاخبرني دولته ان قد حُكم على ٤٠ جانياً حكماً غيابياً وقُبض على الشيخ عبدالله الحلبي رئيس علماء دمشق الذي يعتبره المسلمون وليَّاً وهو في الحقيقة رجل متعصب مفسد ومع كونه يسعى وراء جمع المال بالغش والخداع فله نفوذ كبير على الشعب . وقد كان لالقاء القبض عليه وقع عظيم وقُبض ايضاً على المفتي عمر افندي الغزّي وهو عالم من ذوي النفوذ وعضو في المجلس الكبير شديد التعصب له سطوة كبيرة نظراً لكبر سنهِ ووظيفته ومقامه ويستخدم نفوذه لكسب المال . وقُبض كذلك على محمد سعيد بك ابن شمدين آغا زعيم الاكراد في المدينة ووالده عمره ٩٠ سنة وذو ثروة واسعة . وقد كان احمد باشا قد رقَّى محمد سعيد الى رتبة اميرالاي مما ساء كثيراً الجيش النظامي وكان بامرته ٥٠٠ فارس (معاون غير نظامي) ولا اعلم بالتدقيق التهمة الموجهة اليه لكنه كسائر الاكراد له شهرة سيئة .

سيُرسل هذا المساء الى الاستانة ٣٠٠ شخص حُكم عليهم بالكورك المؤبد وسيُرسل ايضاً اليها ٢٠٠٠ او ٣٠٠٠ لتجنيدهم في الجيش ولا يُعرف عدد الذين سيحكم عليهم بالاعدام فمحاكمة الجناة والقبض عليهم لا يزالان متواصلين .

لقد أُسكنت ٢٠٠ عائلة مسيحية في حي المسلمين المدعو قنوات وهو احسن احياء المدينة ومجاور دار الحكومة . لا يزال عدد غفير من المسيحيين في القلعة ويخشون الخروج منها والمرجح ان يعود اليهم روعهم بعد بضعة ايام فيقبلون بالانتقال

إلى البيوت المعدة لهم .

لقد خاطبنا دولة فؤاد باشا في مناسبة حجز اموال المحكوم عليهم بعد الموافقة القانونية للتعويض على المسيحيين خسائرهم فاجاب دولته ان هـذا الحجز لا يكون شرعياً فالفتنا انظاره الى ان المسألة الحالية خارقة العادة وان من الظلم السماح لعيال الجناة ان تتنعم باسلاب المسيحيين. ويظهر ان دولته لم ينعم النظر في هذه المسألة انما يناسب مراجعته بها في وقت اخر . (ملحق عدد ١١٨ ص ١٠٢)

١٨٤ — القنصل برانت الى اللورد روسل في ٢٥ منه

اتشرف بان ارسل لسيادتكم نسخة الجدول الذي أمر صاحب الدولة فؤاد باشا بانفاذه الي وفيه تعداد الاشخاص الذين قُضي عليهم بعقوبات مختلفة حتى ٢٢ الجاري لاشتراكهم في قتل مسيحيي دمشق ونهبهم .

وكنت أؤمل ان لا يخامر فكر دولته قفل باب التحقيق لان عدة اشخاص مشهورين بانهم غمسوا يدهم في المذابح والنهب لم يُقبض عليهم ولم يستجوبوا لكن قد ظهر ان نشاط دولته قد ضعف عن ذي قبل ولربما عدّ ما فعله كافياً . أمّا انا فاخشى الاّ يكون الشعب اتعظ بهذه العبر فيعود إلى اقتراف فظائع اشد هولاً متى آنس ضعفاً من واليه .

ولست أرى ان في الوسع ايلاء هـذه البلاد ضمانة كافلة حسن ادارتها اذا استمرّ على اختيار ولاتها من طبقة الباشاوات وجميعهم غير اكفاء لهذا المنصب .

(عدد ١١٩ ص ١٠٣)

١٨٥ — الموسيو دانيش الى القنصل برانت . عن دمشق في ٢٣ منه

اتشرف بأن ارسل لكم في طيهِ جدولاً يشتمل على تعداد الاشخاص المحكوم

عليهم بالاعدام وبالكورك المؤبد والنفي والاشغال الشاقة الموقتة. ولمَّا كانت المحكمة الخارقة العادة التي أَلَّفها صاحب الدولة فؤَاد باشا مواصلة باهتمام استجواب السجناء الذين لم يُنظر في قضيتهم حتى الان فسترسل لكم اللائحة النهائية المفصلة المشتملة على اسماء الاشخاص المحكوم عليهم او الذين سيحاكمون حين فروغ المحكمة من عملها . (عدد ١١٩ ملحق ١ ص ١٠٣)

١٨٦ – جدول الاحكام

عـدد	
٥٦	المحكوم عليهم بالاعدام لقتلهم مسيحيين بيدهم وقد شُنقوا
١١١	المحكوم عليهم بالاعدام لاشتراكهم في الفتنة وهم مسلّحون وقُتلوا رمياً بالرصاص بصفة كونهم من الجنود النظامية والضابطة والباشبوزق.
١٣٩	المحكوم عليهم بالكورك المؤَبد لاشتراكهم في الفتنة وهم مسلّحون وقد أُرسلوا الى الاستانة .
١٤٥	المحكوم عليهم بالنفي لاشتراكهم بالنهب وهم عزّل .
١٨٦	المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة او الكورك الموقت وأُبقوا في دمشق لتشغيلهم في انشاء الطرقات
٠٨٣	المحكوم عليهم غياباً بالاعدام وسينفذ الحكم بحقهم حين القبض عليهم
٧٢٠	المجموع (عدد ١١٩ ملحق ٢ ص ١٠٤)

١٨٧ – الماجور فرازر الى اللورد روسل . عن دمشق في ٢٣ منه

اتشرف فاخبركم باختصار ان قد بديءَ اخيراً في ٢٠ الجاري بتنفيذ الاحكام المقضى بها على الجناة الذين غمسوا يدهم في مذابح دمشق وقد ثبتت جناية القتل على ٥٧

شخصاً من ١٦٧ محكوم عليهم فشُنقوا في اسواق المدينة وساحاتها عند الساعة العاشرة من ليل ١٩ الجاري بينهم ٤ او ٥ اشخاص من زعماء الجنود الغير النظامية. أمّا عدد الوطنيين الدمشقيين المحكوم عليهم فلا يتجاوز الـ ٤٠ . وبعد ظهر ٢٠ الجاري أُعدم خارج المدينة رمياً بالرصاص الـ ١١٠ الباقين وهم من الجنود الغير النظامية الذين عثر عليهم ينهبون وهم مسلّحون وقد نفذ حكم الاعدام دون اعلانه ولم يحضره إلاّ القليلون . ان حوانيت المدينة كانت ولا تزال مقفلة .

ثم زرت صاحب الدولة فؤاد باشا فاخبرني انه قُضي غيابًا بالاعدام على ٤٠ جانيًا أخر وأُرسل ٣٠٠ الى ٤٠٠ سجين إلى الاستانة حُكم على ١٣٨ منهم بالأشغال الشاقة مدى الحياة والباقون قضي عليهم بالسجن والنفي وخلا ذلك سيجند ٣٠٠٠ شاب في الجيش . وزاد ان محاكمة احمد المشير السابق وسائر الضبّاط قد خُتمت وان سائر السجناء مثلوا امام المحكمة وحتى الان لم يقضَ عليهم . فقلت له انهُ اذا كان لم يعدم سوى ٥٧ شخصاً لاقترافهم جناية القتل يستدل من ذلك ان معظم الجناة الذين غمسوا يدهم في المذابح باقون مطلقي الحرّية يمرحون في المدينة وانهُ لا يعقل ان ٥٧ شخصاً او ١٠٠ فقط تمكنوا من قتل ٥ الاف مسيحي خلا النساء اللواتي هُتك عرضهنّ وسبينَ والامل بانهُ لا يدع باقي الجناة يفلتون من العقاب .

فأجاب: « ان كثيرين باقون قيد المحاكمة والقاء القبض متواصل كما يسهل تحقيق ذلك انّما يلاقي صعوبة عظيمة في ايجاد شهود عليهم وانهُ يودّ كثيرًا ان يتحقق فيما اذا كان من وجود لدسيسة كما أُوكد غير مرّة بيدَ ان مساعيه لم تُكلل بالنجاح وان أحمد باشا المشير السابق انكر حتى النهاية اطلاعه على شيء » . ومع ذلك لم يرتب أحد من الواقفين على ما جرى في المدينة قبل انفجار بركان الفتنة في انه اذا لم يكن ثمه من دسيسة مدبّرة فأقله اتفاق عام بين زعماء القوم في المدينة تواطؤا على المذبحة . فان الامير عبد القادر وقد قابلته أمس اكد لي ذلك وفي عرفه انهُ

يجب قسمة المدينة الى ٢٤ قسماً منها ٢٠ كانت ميَّالة الى المجزرة أمَّا الـ ٤ اقسام الباقية فثلاثة ونصف منها كانت راغبة فيها لكنها لم تحرّك ساكناً والنصف الباقي كان معاكساً . ولمَّا ذهب الى المجلس الكبير اثناء المجزرة لمكالمة الاعضاء اضطرَّ الى مغادرتهم لاشمئزازه منهم لانهم كانوا يدخنون « غلايينهم » وأبوا ان يفعلوا شيئاً .

واخبرني فؤاد باشا أيضاً بالقاء القبض أوَّل من أمس على ثلاثة من كبار القوم وهم عبدالله الحلبي شيخ الجامع الكبير وهو المحرّض الاكبر على الفتنة ومحمد سعيد بك زعيم فرقة الاكراد الاشرار وعمر افندي الغزي من أهمّ اعضاء المجلس الكبير وهو رجل معروف بشدَّة تعصبه . وعليَّ ان اذكر هنا ان كاتب اسرار فؤاد باشا الذي زارني هذا الصباح اخبرني ان دولته لم يتسنَّ لهُ الحصول على شهادة ضد الشيخ عبدالله لانه لا يوجد أحد يجسر على ذلك خوفاً من سوء العاقبة . وكان قد اتصل بي ان في صباح يوم القاء القبض عليهِ قصد بيته جمهور من نساء الذين أُعدموا واقاربهم وهنَّ يولولنَ ويشتمنه ويلعنه ويتهمنه بانه سبب موت ازواجهنَّ واقاربهنَّ بتحريضه ايَّاهم على ذبح المسيحيين فنشأ عن عملهنَّ قلق في الجوار . ومع ذلك فالحكومة تزعم انها عاجزة عن ايجاد شاهد عليه .

وقد أَخبرني دولته أيضاً باستقدامه الى دمشق من إحدى القرى اربعين مسيحياً أُرغموا على الاسلام لوقاية حياتهم فقيل لهم انهم احرار بالرجوع الى مذهبهم فصرَّحوا برغبتهم في ذلك ورجعوا الى قراهم مسيحيين . ولمَّا قال لي دولته ان الرهبة استولت على سكان المدينة منذ تنفيذ حكم الاعدام أجبتهُ انها لم تعمّها لمعرفتي بان جمهوراً من الرجال جاءوا صباح أمس إلى بيت قنصل اميركا ولعنوا القنصل وسبُّوا ديانته وحذَّروه من ان يقوم في وهمه ان فؤاد باشا يبقى دائماً في دمشق لحمايته وان قد جرى مثل ذلك للامير عبدالقادر وشُتم اوربيون في السوق العام . فأَظهر دولته

الدهشة وتشوّق الى معرفة هؤلاء الاشخاص . فقلت ان في وسع قنصل اميركا ان يهديه الى بعضهم وأوضحت لهُ انهُ يجدر بهِ اذاعة اعلان ينذر بهِ الاهلين انه يعدّ مثل هذا العمل جرماً كبيراً من شأنه اقلاق الراحة العامة . فأجاب انه سيفعل في الحال وأردف ان الدمشقيين يكرهون الاتراك وان من الضروري القاء الرعب فيهم توطيداً لاركان الحكم العثماني فيتجنبون ركوب متن الفتنة . فاستصوبت رأيه لتيقني انه أصبح أوضح من ذي قبل انسلطة السلطان غير موطدة في سوريّا وانّما يحكمها نظراً لتفرق كلمة أصحاب الاقطاع واختلاف طوائفها وتعدد جنسيّاتها وان لا بدّ من تدويخ البلاد مجدداً . ثم قلت انه اذا أُريد القاء الرعب في النفوس كان يجدر ابقاء السجناء المراد ارسالهم إلى الاستانة هنا لان تأجيل ذيوع خبر الحكم عليهم يجعل الاهالي يتوهمون ان قد مضى عهد الاحكام الشديدة وجاء دور القصاصات الخفيفة . فاعتذر دولته بعدم وجود سجن كافٍ لاستيعاب الجميع مع اني اعتقد بانهُ من السهل اعداده

ثم قلت لدولته انه يخلق بهِ اذا كان يشعر ان باستطاعته قمع المشاغب والقلاقل تنفيذ حكم الاعدام جهاراً في ساعة معينة من النهار واعلان الجناية التي قضت باعدام مقترفيها لانه لم يسبق ان أُعدم مسلم لقتله مسيحياً . فأَجاب دولتـه ان قد عُلقت ورقة على صدر كل مشنوق توضح جنايته ولا يرى فائدة من ذلك لان العدد الاكبر من الوطنيين يجهل القراءة حتى لو دنا من المقتول . واردف ان ليس لديه معاونون يعتمد عليهم ولذلك يتعذر تسوية كل شيء وفقاً للمرغوب لان كل العمل ملقى على عاتقهِ فعليه ان ينظر في قضية كل متهم منذ بدء استجوابه حتى وفي كيفية اعدامه

ثم اشار دولته الى الاتفاقية المعقودة حديثاً فابدى استياءه الشديد من اضطراره الى البقاء طويلاً في دمشق في حين ان عليه تسوية مسائل الدروز وقد صار الشتاء على الابواب . ولا يرى وجوباً لاستدعاء الجنود الفرنسويّة الى الداخلية.

لم يحدث اضطرابات جديدة في جوار دمشق سوى مقتل مسيحي ومع ذلك فالمسيحيون في المدينة لا يمكنهم التجول فيها بلا حرس او مرافقة مسلم دون ان يكونوا معرضين للاهانات . فلا يجسر احد منهم على الخروج الى ما وراء الاسوار . أمَّا الرعب فمستمر ولاسيما منذ القاء القبض على كبار القوم الثلاثة المذكورين آنفًا . وقد هجر رجال الاكراد حيهم وهربوا عند شيوع خبر اول اعدام جرى .

لانعرف هنا كثيرًا من حركات الدروز سوى ان زعيمهم سعيد بك جنبلاط جاءَ سهل البقاع منذ بضعة ايام لجمع محاصيل املاكه واثمان مواسمه من شركائه والاستيلاء على اموال الذين لا يدفعون لهُ حصته . وقد ارسل هذه الاموال الى اطراف جنوبي جبل حرمون (جبل الشيخ) لنقلها إلى حوران لان من الشائع الآن ان الدروز مزمعون على الالتجاء الى تلك البلاد والبقاء فيها الى ان تسكن العاصفة . وقد أرسل سعيد بك عدَّة كتب الى فؤاد باشا والامير عبد القادر والمستر برانت قنصل انكلترة هنا جلُّ ما فيها انه بذل جهده لملافاة الشرّ وغرضه من ذلك الحصول على جواب يستدل منه على افكارهم نحوه وحتى الان لم يفز ببغيته

يُظن ان المسيحيين المقيمين في بلاد الدروز اصبحوا الآن يستطيعون ان يبرحوها دون ممانعة . ان عدد المسيحيين الباقين هنا يبلغ ٨ الاف وقد ضمن فؤاد باشا سلامتهم واخلى حيًا خاصًا بالمسلمين واسكنهم فيه .

لمَّا كان قد مرَّ على وجودي في دمشق ١٥ يومًا سمعت في خلالها اخبارًا عن سلوك بعض وجوهها في خلال الفتنة اعتقد ان سيادتكم تسرّون اذا ما علمتم ان جميع الرجال الصادقين مجمعون على الامتداح من قنصل انكلترة والشهادة بانه القنصل الوحيد الذي اظهر عزمًا بينا كان الجميع يرتجفون خوفًا وخاطر بحياته غير مرة مجتازًا الشوارع الذهاب إلى دار الحكومة حيث كان يحثّ المشير على التوسط حقنًا للدماء . ولئن لم ينجح في هذا السبيل فقد قدَّر الجميع نشاطه وبذل ذاته ولا شك

في انه كان واسطة انقاذ كثيرين . واغتبط بان اقول بانه متمتع بصحة تامة رغماً عمَّا تجشمه من المتاعب اخيراً .　　　(عدد ١٠٩ ص ٩٥ ـ ٩٧)

١٨٨ — برائث الى الامير عبد القادر في ٢٤ منه (١)

الى سمو الامير السيد عبد القادر

قد عهدت إليَّ حكومة جلالة ملكة بريطانيا ان اعرب لسموّكم انها تقدّر الخدم التي اديتموها للانسانية بانقاذكم حياة كثيرين من المسيحيين حق قدرها اذ لولاكم لكانوا هلكوا بيد اعدائهم الاشرار القساة القلوب في مجزرة دمشق

ان حكومة جلالتها عرفت من سلوك سموّكم الفرق الكائن بين الامير المسلم ذي العقل الراجح والجبناء المتظاهرين بالتديُّن الذين عملوا بأثارتهم التعصب على ابادة كثيرين من المسيحيين العزّل .

وافتخر باني اخترت لاكون واسطة ابلاغ سموكم عواطف امتنان حكومة جلالة الملكة كما ان في صدري أسمى عواطف الاعجاب بكم وقد شاهدتُ بعيني انتصاركم للمظلومين وانقاذكم حياتهم .　　　(ملحق عدد ١١٧ ص ١٠٠)

١٨٩ — اللورد دوفرين الى اللورد روسل • عن طرابلس في ٢٤ منه

اتشرف فانبئ سيادتكم باني قد تشرفت البارح في مقابلة جلالة السلطان فقدمني اليه سعادة السير هنري بولفر .وقد شاء جلالته ان يجاملني فتلطف بان قال لي انه سرَّ كثيراً من هذه المناسبة التي مكنته من مشاهدتي قبل سفري الى سوريَّة

---

(١) أمَّا سائر الدول فقد اهدت الى الامير المشار اليهِ اكبر وساماتها مصحوبة بكتب الثناء وقدمت لهُ جمهوريَّة الولايات المتحدة « غدّارتين » مرصعتين لعدم وجود اوسمة عندها

ثم اعرب عن شدة اشمئزازه مما جرى بعبارة شديدة اللهجة وختم كلامه مؤكداً لي تقديره عواطف الولاء التي اظهرتها نحوه حكومة جلالة الملكة في كل حين حق قدرها . (عدد ١١١ ص ٩٨)

١٩٠ — مور الى السير بولفر ، عن بيروت في ٢٩ منه

اتشرَّف فانبئكم انه لمَّا كان الجنرال بوفور دوطبول قائد البعثة الفرنسويَّة العام راغباً في مفاوضة فؤاد باشا كما هو الشائع سيذهب اليوم أو غداً إلى دمشق يصحبه حرس من الجنود التركية جعله دولته قيد خدمته .

ان الباخرة « كنيج » الحاملة ٨٠٠ جندي وضابط تمام عدد الـ ٦ الاف المعين في الاتفاقية لم تصل حتى الان فقلقت الافكار من جرَّاء تأخرها .

افادني حضرة الفيس قنصل ابيلَّا ان قد وصل صيدا اكثر من الف مسيحي من حاصبيَّا وراشيَّا وجوارهما سالمين بخفارة الجنود .

لم يتبدَّل موقف الدروز منذ كتابي السابق وقد اخبرتكم بهِ عن سفر جمهور منهم من الشوف والعرقوب إلى حوران ولا يزالون يعتدون على المسيحيين وأموالهم

اتصل بي ان زعماء الدروز يعدُّون عريضة يلتمسون بها حماية جلالة الملكة من كل جور واستبداد مستسلمين لعدالتها .

وصل بيروت منذ بضعة ايام زهاء ٢٥٠ دمشقياً من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة بعضهم مدى الحياة واخرون لبضع سنوات وقد أركبوا اليوم البارجة « شادية » التركية لنقلهم الى الاستانة وقد مرُّوا امام دار القنصلية مكتوفي اليدين تخفرهم الجنود . (عدد ١٢٠ ملحق ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٥)

١٩١ ـــ حمد الله البعيني شيخ عقل الدروز الى ملكة انكلترة في ١٧ منه

عريضة مرفوعة الى اعتاب عرش جلالة ملكة انكلترة المعظمة أيّد الله ـ تمجد اسمه ـ اركان ملكها وزاد اقتدارها وسطوتها آمين .

يعرض جميع رؤساء الطائفة الدرزيّة في جبل لبنان وعموم افرادها الى اعتاب عرش جلالتها انه منذ انعم الله على هؤلاء العبيد بظل حمايتها المملوءة رأفة وحنانًا نحو جميع خدامها من ايّة طائفة كانوا واين وجدوا امسوا مهددين بالقضاء عليهم جورًا دون شهود . فهؤلاء العبيد ينطرحون امام عرش جلالتها ملتمسين رأفتها وحمايتها والتفاتها السامي ليعاملوا بالعدالة . وهم يتجاسرون على رفع هذه العريضة الى حكومة انكلترة النزيهة الشفوقة نحو عباد الله ويتجرأون على ان يصحبوها بلائحة تتضمن سرد الحوادث التي جرت بينهم وبين الامة المارونية في جبل لبنان لكي تبلغ مسامع جلالة الملكة وتحيط علمًا بتفاصيلها فترأف بهم وتأمر ان يعاملوا وفقًا للعدالة بناءً على شهادة شهود نزيهين .ولذلك فانهم يعفرون جباههم على اعتاب عرش عظمتها ضارعين اليها ان تنصفهم وتفاوض الحكومة العثمانية وسائر الدول العظمى في امرهم اتقاء ان يُحكم عليهم بناءً على شكاوى اعدائهم الكاذبة او يعاقبوا قبل اجراء محاكمتهم وثبوت ذنبهم . ومعاذ الله ان يأتي الملوك الصادقون عملًا ظالمًا ! .

فهذا ما تجاسروا على عرضه على مواطيء اقدام جلالتها حرسها الله من كل شرّ آمين

ولمّا كان ليس من عادة الدروز مقدمي هذه العريضة ان ينقشوا اختامًا باسمهم فقد اقتصر هذا العبد الحقير على تذييلها باسمه ومهرها بخاتمه نيابة عنهم جميعًا .

(عدد ١٢٢ ملحق ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٧)

(تنبيه) ان هذه العريضة واللائحة المرفوقة بها قد اوصلها المستر موريس مدير جريدة التيمس الى اللورد روسل وزير خارجية انكلترة في ١٥ ياول سنة ١٨٦٠ . وجاء في كتابه (عدد ١٢٢ ص ١٠٦) ان مشايخ الدروز سلموها الى مراسل التيمس الخصوصي في بيروت . وان قد أُرسلت نسختان منها الى سفير جلالة الملكة في الاستانة والى امبراطور فرنسا ولكنه لا يعلم باية واسطة .

١٩٢ – رواية الدروز عن حوادث لبنان

من المشهور لدى الجميع وقد عمَّ الخبر كل الاصقاع ان الموارنة وجَّهوا مساعيهم منذ سنة ١٢٥٧ هجريَّة (١٨٤١ م .) الى طرد الدروز من جبالهم (لبنان الشرقي والغربي) وتوطيد اركان استقلالهم فيها وقد دفعهم الى ذلك اعتمادهم على كثرة عددهم وثروتهم وانقيادهم الى تحريض بعض ذوي الغايات . فبدأُوا بالعدوان في السنة المذكورة اعلاه واستأنفوا الكرَّة في سنة ١٢٦١ هـ . (١٨٤٥ م .) على أَمل ان يدركوا ضالتهم المنشودة لكن الرب خيَّب امالهم الشريرة وعاقبهم على سلوكهم حسب استحقاقهم . وظُنَّ انهم اتعظوا بهذه العبرة فلن يعودوا إلى مثل تلك الاعمال ولن تخطر على بالهم .

بيدَ انهُ لمَّا انتخب المطران بولس مسعد بطريركًا على الطائفة المذكورة جدَّد تلك الفكرة فيهم وأَسكرتهُ خمرة الآمال فأَخذ يسعى بالاتفاق مع المطران طوبيَّا وغيره من المطارنة لاعداد ما يلزم لاتمام غايتهم . ففطنوا الى ان الوسيلة الاولى المتوقف عليها نجاح مشروعهم هي توحيد الكلمة فسعوا اليها وما عتموا ان رأُوا امكان رفض بعض رؤساء شعبهم الاتحاد معهم اعتمادًا على عددهم ولاسيما ان معظم هؤلاء الزعماء أَصحاب ثروة واقتدار وفضلًا عن ذلك انهم معروفون بشفقتهم على النساء والاطفال فينفرون من ترميلهنَّ وتيتيمهم ناهيك عن حبهم لوطنهم . فأَخذ الاساقفة المذكورون

يجدّون في تقويض سيطرة أولئك الزعماء وتقليص ظلّ نفوذهم والغاء حقوقهم ليقيموا مقامهم اشخاصاً يضربون على وترهم فيكونون آلات عمياء بيدهم . يؤيد ذلك ما فعلوه ببيت الخازن وبيت حبيش وغيرهم من أصحاب الاقطاعات إذ طردوهم واغتصبوا املاكهم واستبدلوهم بطانيوس شاهين وغيره . وكان ان امتدّت هذه الروح الشريرة الى اقطاعات القاطع والمتن وغيرهما .

أمَّا الوسيلة الثانية فقوامها الحصول على ثقة طائفتهم ليستدّ بها ساعدهم. والدليل على انهم اجتهدوا لاحراز هذه الثقة وتوثيق عراها اذاعتهم في عموم سكّان القرى نشرات ممضاة منهم حثًّا لهم على العمل يداً واحدة وشدّ ازر بعضهم البعض والانقياد إلى اشارتهم . وكان ان ذاع منطوق هذه النشرات وعُثر على بعضها فوجدت محتوية على ما تقدم بيانه ونصها واحد .

الوسيلة الثالثة : التحالف مع سائر الطوائف المسيحية . وغرضهم من ذلك ليس فقط زيادة قوّتهم بل الاستئمان من معارضتها لان كثيرين من افرادها أَبوا في الفتنتين السابقتين ان يشاركوهم لتيقنهم ان الموارنة بعد بلوغهم غرضهم يقومون عليهم ويعاملونهم كالدروز الأ اذا اعتنقوا مذهبهم . والدليل على ذلك عنايتهم الشديدة بالتودد اليهم ومجاملتهم واظهار ميل غير عادي الى مسالمتهم عدا عن المناشير والرسائل التي كتبها البطريرك واساقفته الى عموم طائفتهم ليعيشوا مع سائر الطوائف المسيحية كابناء طائفة واحدة والى الخوارنة ليدخلوا كنائسهم ويحضروا حفلاتهم الدينية خلافاً للعادة . وقد شاهدنا جميع هذه الامور في غير مكان واثبتها لنا كثيرون .

الوسيلة الرابعة : تعيين معتمدين في كل اجتماع عام يعقد في أهمّ اماكن ابرشيّاتهم ليكونوا واسطة ابلاغ الجمهور اوامرهم ونصائحهم تعزيزاً لمشروعهم . يؤيد ذلك تأليف جمعيّات في بيروت وزحلة ودير القمر وكسروان وغيرها من الاماكن كما هو مشهور وأهمها جمعية بيروت .

الوسيلة الخامسة : اقامة « مشايخ شباب » يأتمرون بأمرهم ليسهل عليهم انجاز خطتهم . والبرهان على ذلك تعيين هؤلاء المشايخ كما هو مشهور في كل بلدة وقرية ومزرعة حتى في بيروت أيضاً مقرّ الحكومة .

الوسيلة السادسة : تسليح جميع رجال حزبهم لتزداد بهم قوّتهم . يثبت ذلك ان قد شوهد توزيع كمية عظيمة من الاسلحة مرسلة من بيروت الى كل قرية .وقد تمّ هذا التوزيع على يد الخوارنة خاصةً ولمّا سُئلوا عن سبب هذا التسلح وعن كيفية دفع ثمن السلاح نظراً لمحل المواسم وهم في حاجة الى القوت اجابوا انهم ابتاعوها دفاعاً عن حوزتهم وأعطوا مهلة لدفع ثمنها كما يستفاد من العهود التي كتبوها على انفسهم لكنه وضح فيما بعد ان كتابة هذه العهود ليست سوى حيلة لاخفاء الحقيقة وان جمعية بيروت وهبتهم السلاح لايقاظ الفتنة .

ثم ان المطران طوبيا قضى مدة ٦ اشهر مشتغلاً بتأليف جمعية مسيحية في انطلياس وقد عُلم ممّا ذاع من سرها ان غايته الرئيسية من تأليفها جمع الشبّان في كل مكان وتسليح من لا سلاح لديه ولمّا رأى تعذر نجاح مسعاه عمد الى خطة أخرى لادراك غايته بواسطة الخوارنة .

وفي جملة الوسائل التي تُذرع بها تمرين الشبّان على الحركات العسكريّة . يثبت ذلك ارسال مدرّبين الى اكثر القرى لتعليم اهاليها لعب السيف والترس والفروسية واطلاق البنادق .

وتوسلوا ايضاً الى غرضهم بابعاد جميع الغرباء عن طائفتهم من بلادهم على قدر الامكان اتقاء ذيوع اسرارهم واراحة لافكارهم . والدليل على ذلك انهم اكرهوا المسلمين والمتاولة القاطنين في كسروان والفتوح على ترك بلادهم او اعتناق مذهبهم لانهم قليلو العدد. وفي الحقيقة ان جمهوراً كبيراً أرغم على اعتناق المذهب الماروني والذين أبوا حلّت بهم البلايا. وقد اتصلت مساعي المطران طوبيا الى انهُ هدد قرينة

الامير سليمان المتيني وولديها المسلمين ولم ينفك عنهم حتى صاروا موارنة. وحمّس ايضاً الامير مجيد احد حفدة الامير بشير شهاب ووعده بولاية جبل لبنان اذا شاءَ ان يبدأَ بالفتنة وقصده ان يحمله على الرجوع إلى الدين المسيحي ويزيّن له الانتظام في سلك الطائفة المارونية لان الامير المشار اليه كان اعتنق الاسلام في الاستانة. وقصارى القول ان الموارنة لم يهملوا شيئاً من الوسائل التي من شأنها تحقيق غايتهم حتى اذا شئنا تعدادها كلها طال بنا الشرح الى ما لا نهاية له.

ولمَّا رأوا ان قد تمت معداتهم وكملت تجهيزاتهم على احسن منوال كما سبق لنا بسطه عمدت جمعية بيروت الى مكاتبة سائر الانحاء مستدعية اليها معتمدي كل ناحيـة. وازدادت ثقتهم بنفسهم ونزعتهم الى الحرب فاكثروا من الالحاح على اخوانهم بالانضمام اليهم ووعدوهم بارباح جزيلة وفوائد عظيمـة ووزعوا عليهم الذخائر والمؤن وكل لوازم الحرب الى ان عمدوا في مدة قصيرة الى الثورة وتظاهروا بالعدوان ونشروا راية الحرب.

فبدأوا اولاً بقطع الطرقات وسلب المسافرين واساءَة معاملتهم وبلص السكّان وقد جرى هذا بينا كان الدروز غير منتبهين الى مقاصدهم وزعماؤهم يبذلون جهودهم لحفظ حياض السلم صافية فالفتوا انظار اعيان المسيحيين المعروفين بتعقلهم الى هذه الاعمال وحثّوهم على الاخلاد الى السكينة وردع الاشقياء موضحين لهم سوء العقبى.

فكانت النتيجة ان كثرت اعتداءَاتهم وحدث في ليل الجمعـة ١٥ رمضان (٦ نيسان سنة ١٨٦٠) ان مكارياً درزياً من بعقلين التابعة اقطاعة الشوف كان نائماً في خان القصعة الكائن في جوار قرية الحدث من أَعمال قائم مقامية النصارى فهجم عليهِ فريق من موارنة القرية المذكورة واطلقوا عليه الرصاص وهو راقـد وقطعوه أَرباً بخناجرهم ونثروا اعضاءَه. فلم يحرّك الدروز ساكناً واقتصروا على رفع

شكواهم الى الحكومة . ثم انقضت مدّة على هذا الحادث وهياج القوم يزداد يوماً عن يوم وبديء بتأليف جيش من المقاتلين في كسروان وجوار بيروت وغير مكان

وكان قد حدث في ٢٣ شوّال (١٤ ايار سنة ١٨٦٠) انه بينا كان ثلاثة مكارين دروز من قرية المعاصر عائدين من مدينة صيدا ووصلوا الى قرب جسر المدينة المذكورة هجم عليهم جمهور مسلّح من موارنة قرية قيتولي التابعة جزين ومن غير اماكن واطلقوا عليهم الرصاص فقتلوا اثنين منهم وتركوا الثالث كميت . فلما اتصل هذا الخبر باقارب القتلى هاجوا كثيراً انَّما اُتخذت التحوطات في الحال فسكن فائرهم .وبعد مرور يومين بينا كان جمهور من مسيحيي ناحية جزين مارّين في اسفل قرية الكحلونية الواقعة على حدود اقطاعة الشوف التقوا صدفةً ببعض الدروز فتبادل الفريقان اطلاق الرصاص فقُتل ٣ من المسيحيين .

ولمَّا بلغ الخبر اهالي جزين قام فريق منهم واعلن الحرب على قضاء الشوف فرُفع الامر الى الحكومة فأصدرت في الحال أوامرها بايفاد ضابط و٥٠ فارساً وصحبهم مندوبون من قِبل القائم مقام ومن اعضاء المجلس وغيره وعدد كافٍ من الفرسان ليتخذوا التحوطات اللازمة بمعرفة سعيد بك جنبلاط صاحب الاقطاعة . فلما وصلت هذه القوّة الى قرية المختارة مقرّ سعيد بك المشار اليهِ استحسن ايفاد رسولين لمخاطبة اهالي الكحلونية وقيتولي حسب العادة فرضي أهالي الاولى بما اقترح عليهم أمَّا اهالي القرية الاخرى فانقادوا لرأي ابي سمرا شيخ شباب ناحيتهم فتسلحوا وطردوا الرسولين المذكورين بعد ان اشبعوهما اهانة. وكان ان بلغ الهياج أَشدّه في تلك الناحية ونُشرت رايات الحرب فنخلت لهم النصائح ليعتدلوا ويستقيموا لكنهم ازدادوا تعجرفًا ونزقًا .

ثم ان ظاهر ناصيف وكيل مسيحيي اقاليم الخروب تسلح واعلن الحرب وجمع حواليه فريقًا من مسيحيي الاقاليم المذكور في قرية البرجين حيث يقيم وفي يوم

الاثنين اول ذي القعدة (٢١ ايار سنة ١٨٦٠) التقى بسالم من قريته فهجم عليهِ وجرحه وفي ذلك اليوم هجم فريق من فرسان بلدة زحله على سهل البقاع واساءُوا معاملة الدروز الذين صادفوهم هناك وسلبوهم ماشيتهم وأَقام هذا الفريق في قرية قب الياس الكائنة في سفح الجبل. وفي اليوم ذاته تألبت الجماهير من كسروان الى نهر الكلب بقيادة طانيوس شاهين .

ويوم السبت الواقع في ٦ ذي القعدة (٢٦ ايار سنة ١٨٦٠) كان بعض دروز قرية بشامون ذاهبين لمشاهدة بعض اقاربهم المشتغلين في بساتين نهر بيروت فلما وصلوا الى جوار بستان زيتون كائن على ضفة النهر لاقاهم المسيحيون المجتمعون هناك وسألوهم تسليم سلاحهم فأَبوا لكن المسيحيين ظلوا يلحون عليهم الى ان ادخلوهم بيتًا هناك حيث احاطوا بهم وهددوهم اذا امتنعوا عن تسليم سلاحهم باضرام النار في البيت واحراقهم فيه فسلم كثيرون أَسلحتهم أَمَّا الباقون فقفزوا من النوافذ. وكان ان قدم بعض قوَّاسة القناصل فقادوهم الى المدينة وبينا هم سائرون صادفوا ايوب الطرابلسي أحد اعضاء جمعية بيروت ومدبّر هذا الكمين وكان معه جمهور مسلح فاطلق الرصاص على الدروز فقتل احدهم وجُرح آخر جراحًا خطرة توفي على أثرها .

وفي اليوم التالي كان ماروني من دير القمر مسافرًا فلما بلغ دكَّان عيناب التقى هناك ببعض اقارب القتلى فقتلوه ولمَّا اتصل الخبر باهالي دير القمر فار فائرهم وطفقوا يبحثون عن الدروز فالتقوا بدرزي من كفرفاقود فقتلوه ايضًا .

وفي يوم الاحد (٢٧ ايار) حدث هياج عظيم في اقطاعة الشحَّار من جراء هذا الحادث واجتمع الموارنة في قرية المعلقة ونشروا راية الحرب .

وفي يوم الاثنين (٢٨ أيار) اجتمع اعضاء مجلس الولاية واعيان مدينة بيروت برئاسة دولة والي الايالة واستُدعي أَيضًا المطران طوبيًا فتناقش الحاضرون في الذرائع

الواجب التوسل بها لايقاف المشاغب وتفريق شمل المسيحيين المجتمعين على حدود بيروت واجبارهم على العودة الى بيوتهم فاستقرّ الرأي على ارسال جنود سلطانية الى الحازمية فذهبت في الحال وعلى ايفاد امين من قِبل دولته ووكيل من قِبل المطران طوبيًا الى طانيوس شاهين لحضّه على الاقلاع عن عزمه وتفريق الجماهير التى التفت حوله . ومع ان المطران اعلن عدم ارتياحه الى هذا التدبير وصرَّح بعدم استطاعته اجراء شيء بهذا الصدد رأى الاجدر بهِ ارسال وكيله مع مندوب دولته فذهبا معًا الى طانيوس المذكور ولم ينتج شيء عن ذلك سوى ان جمهورًا من رجال كسروان المساحين دخلوا ليل ذلك اليوم قرية بعبدا المجاورة قرية الشويفات مقرّ القائم مقام الدرزي وهي تبعد نحو ٥ ساعات عن اقطاعة كسروان فانضمَّ اليهم جميع نصارى هذه الناحية .

فاخبر القائم مقام في الحال الحكومة والقناصل اصدقاءه . فأَمر الوالي بايفاد أَمين لانذار الزعماء المجتمعين في القرية المذكورة بان يمنعوا رجالهم من متابعة قصدهم وان يوعزوا اليهم بالتفرق فأَجابوا انهم مصممو النية على اتمام ما بدأُوا بهِ استئصالاً للدروز حتى اذا تدخلت الجنود النظامية يقاومونها . وفضلًا عن ذلك فان القائم مقام ارسل ايضًا معتمدًا الى الزعماء المذكورين يسأَلهم تبديد شمل رجالهم واعادة كل شخص الى بلدته وان يعدلوا عن هذا العمل المسبب اضطرابًا عامًّا فكان جوابهم انهم نشروا رايات الحرب ولم يبقَ من سبيل الى طيّها

وفي ذات اليوم زحف جمهور من موارنة جرد كسروان والقاطع الى المروج الكائنة في اطراف اقطاعة المتن . ومن الغد الثلثاء (٢٩ ايار) ترأَس خوري البوشريّة الواقعة في سهل بيروت عددًا غفيرًا من المسيحيين ناشرين علَم الحرب وقدم بهم لمهاجمة دروز بيت مري الكائنة في جهة المتن . ولمَّا دانوا القرية ذهب ابرهيم آغا (وهو ضابط الجنود المرابطة هناك بأَمر الحكومة لملافاة اسباب القتال بين الاهلين

واتقاء تجدد حدوث ما وقع منذ سنوات) ومعه شيوخ الدروز فيها الى الامير يوسف علي أبي اللمع صاحب الاقطاعة وسألوه ان يصدّ الخوري وعصابته استدراكاً للشرّ .

فبذل الامير جهده لتحقيق هذه الامنية ولمّا رأى عدم انقيادهم نصح الدروز باخلاء القرية فتركوا بيوتهم حالاً حباً بتجنب اسباب النزاع قاصدين القرى المأهولة بالدروز . ولمّا وصلوا الى خارج القرية شاهدوا هذه العصابة داخلة اليها وقد شرعت باضرام النار في بيوتها ثم عمد رجالها فجأة الى مطاردتهم لاهلاكهم فاضطرُّوا إذ ذاك إلى الدفاع عن حياتهم فانتشب القتال بين الفريقين ومع قلة عدد الدروز وأرجحية المسيحيين عليهم لم يطل الوقت حتى انهزم المسيحيون وتمكن الدروز من العودة الى بيوتهم .

وفي ذلك اليوم جاء جمهور الزحليين المرابطين في قرية قب الياس الى الجبل بحثاً عن علي بك العماد الذي كان يقيم في قريـة عين داره لحماية طريق دمشق الموكولة اليهِ فلما اقتربوا من القرية المذكورة وعددهم ثلاثة الاف مقاتل خرج عليهم علي بك المشار اليهِ برجالهِ وسكان القرية وكان عددهم مايتين فقط وانتشب القتال بين الفريقين في وادي الدبور المجاور القرية الآنف ذكرها وكان ان تراكض على دوي الرصاص شجعان القرى المجاورة الى نجدة اخوانهم الدروز واستمرّ الكفاح الى ان تراجع الزحليون الى خان مراد الكائن بجوار قريـة قب الياس حيث معسكرهم فلحق بهم الدروز وتجدد القتال وأحاطوا بهم وضيقوا عليهم حلقاته ولم يمضِ قليل من الزمن حتى هزموهم مجدداً فتشتتوا في انحاء زحلة . أمّا عدد الدروز في هذه المواقع فلم يتجاوز الف مقاتل وجُرح علي بك المشار اليهِ وقُتل الشيخ حمود عبدالملك مع انه جاء وحده اعزل لاستطلاع الخبر ومنع الشر وقد كان مشهوراً بحبه السلم .

وفي اليوم السابق زحفت عصابة من مسيحيي دير القمر على العرقوب الادنى وعند وصولهم الى قرية كفرنبرخ مقرّ ملحم بك العماد برز لقتالهم الشيخ المذكور وكسرهم فعادوا القهقرى

وفي اليوم التالي الاربعاء (٣٠ ايار) قصدت الجماهير المتجمعة في بعبدا الغرب الاعلى فلما اتصل الخبر بدولة والي الايالة ارسل ترجمانه اليهم مع عدّة ضبّاط لينصحوهم بالعدول عن عزمهم موضحين لهم سوء عواقب هجومهم فلم يصغوا لهُ وتابعوا طريقهم حتى دخلوا أَول اقطاعة الغرب وأَخذوا يضرمون النار في عدّة اماكن فتصدّى لهم رجال الاقطاعة المذكورة واستظهروا عليهم واضطرُّوهم الى الفرار ولم يجدُّوا في أَثرهم لان دولة الوالي المشار اليهِ اوعز اليهم بالكف عنهم

وفي ذلك اليوم انقضّ جمهور من الموارنة المجتمعين في المتن من زحلة وغير أماكن على القرى الدرزيَّة المهجورة الكائنة في جوار النواحي المسيحية واحرقوا قريتي قرنايل وكفرسلوان وغيرهما ثم انتقلوا الى القرى الدرزيَّة المأهولة فنهض اهلوها لصدّهم واشتبك القتال بينهم وما كانت برهة حتى انهزم المسيحيون شرّ هزيمة الى بلادهم

وفي اليوم ذاته نشب قتال في قرية حمَّانا وبعد حصار شديد لاذ المسيحيون بالفرار ايضاً . وفي ذلك التاريخ سُمع عند منتصف الليل دوي الرصاص في عدَّة جهات من سهل الشويفات وقد اطلقـه الرقباء المبثوثون غربي القرية استكشافاً لجمهور المسيحيين المحتشد في معلقة الدامور ولمَّا كان اطلاق الرصاص علامة متفق عليها مع الرقباء المذكورين عرف اهالي القرية ان العدو قادم لمهاجمتهم فاحتاطوا للامر واستعدُّوا للقائهِ وذهب بعضهم للاستطلاع الى جهة الرقباء فوجدوا جمهوراً مسلحاً وأَحد الرقباء قتيلًا ولمَّا اقتربوا منهم اطلقوا عليهم النـار وهجموا عليهم فاضطروا الى مقابلتهم بالمثل وبعد قتال قصير كسر المهاجمون وتراجعوا عن الطريق

المؤدية الى القرية

ومن الغد الخميس (٣١ ايار) تقـدم المسيحيون المحتشدون في بيت مري لمهاجمة الدروز في قرية العبادية وقصـد المجتمعون في صليما والعربانية وبعبدات وبكفيًّا دروز قرية رأس المتن فلما اقترب الفريقان من القريتين المراد مهاجمتهما خرج عليهما اهلوهما واستمرَّ القتال مدَّة ٨ ساعات انهزم في نهايتها المسيحيون مشتتين

وفي اليوم التالي الجمعة (اوَّل حزيران) بينا كان بعض دروز المناصف يحصدون حقلًا لهم بجوار دير القمر داهمهم فريق من مسيحيي هذه البلدة واطلقوا عليهم النار وجرَت بين الفريقين معركة

وقصد فريق آخر الاعتداء على قريتي كفرحمل وكفرقطره الدرزيتين التابعتين اقطاعة المناصف فتصدَّى لهم اهلوهما وبلغ صدى القتال الانحاء المجاورة فتراكض القوم لنجدتهم ولمَّا كثر عديدهم بدأ المسيحيون بحرق بيوت الدروز في دير القمر ثم اشتـدَّ الكفاح فدارت الدائرة على المسيحيين ولجأُوا الى بلدتهم فلحقهم الدروز ودخلوها وظلوا فيها حتى الليل فقدم اذ ذاك بعض زعمائهم ومنعوهم من متابعة القتال فعاد كل منهم الى بيتهِ .

وحدث في ذات اليوم ان فريقًا من مسيحيي جزين زحفوا على دروز نيحا فخرج عليهم اهلوها وانتصب القتال وتراكض اناس من الفريقين لنجدة اخوانهم فحمي وطيسه الى ان هُزم المسيحيون وتفرقوا في تلك النواحي

وفيهِ ايضًا قدم يوسف المبيّض معتمد مسيحيي اقليم التفاح برجاله الى قرية درب السيم لمهاجمة قاسم اليوسف المقيم على جسر نهر الاولي قرب صيدا لحراسة املاك سعيد بك جنبلاط الكائنة هناك فلما اقتربت منه هذه الجموع لاقاها وظفر بها

ونهار الاثنين ١٧ منه (٤ حزيران و١٥ ذي القعدة) هجمت جموع الزحليين المرابطة في حمى كفرسلوان على دروز فالوغا بيدَ انهُ لمَّا كان صاحب الدولة والي الايالة

قد عسكر على طريق الشام لمنع احتشاد الجماهير التي كان اتصل بهِ خبرها فقد حظر ارسال نجدة إلى الدروز وانفذ اوامر شديدة اللهجة الى زعمائهم في الجوار ليحولوا دون مد يد العون الى اخوانهم. انَّما لما كانت قرية فالوغا مجاورة قرية قرنايل قدم جمهور من هذه الاخيرة لمساعدة ابناء مذهبهم قبل وصول الاوامر المذكورة فاشتبك القتال وكُسر المسيحيون . فأرسل دولته في الحال بعض اعيان الدروز لارجاعهم واطفاء جمرة هذه الحادثة

وبعد ان وصل الدروز الى جوار زحلة قدمت قبائل حوران ووادي التيم وضواحيها إلى البقاع نهار الثلثاء ٢٤ منه (١٢ حزيران) فور بلوغهم الاخبار بان الموارنة في جبل الدروز مع اشياعهم من سائر الطوائف نزعوا الى الفتنة بقصد استئصال الطائفة الدرزيَّة من جبالها وبسط سيطرتهم عليها فألَّفوا عصابات وهاجموا بها الدروز فسرَت في عروقهم الغيرة والحماسة انتصاراً لاخوانهم وجاء جمهور كبير منهم لاستطلاع احوالهم ومعاونتهم .

وفي اليوم التالي الاربعاء (١٣ حزيران) هجم فريق من فرسان زحلة على شرذمة درزيَّة مقيمة في قب الياس الكائنة على مسافة ساعة ونصف ساعة من البلدة المذكورة واستمرَّ القتال الى ان انكسر الزحليون وتراجعوا إلى الوراء

واذذاك بُذلت المساعي مجدداً لاستدراك وقوع الشر وازالة كل اضطراب واعادة مياه الراحة الى مجاريها. ولمَّا كان وجود نجدات حوران في الاماكن المذكورة قد اثار القلق فصرف القائم مقام العناية الى ايقاف زحفها واقناعها بالعودة الى قراها فاوفد اليها الشيخ محمود العيد اكبر مشايخ الدروز سنّاً وهو معروف بحبه السلم والامان موكلًا اليه ان ينصحهم بالاقلاع عن عزمهم ويبذل جهده لادراك هذه الامنية. فذهب اليهم وبعد جدال طويل وعده مشايخهم وزعماؤهم وقوَّادهم بالاخلاد الى السكينة مدة ثلاثة ايام مراعاةً للمساعي المبذولة لعقد صلح بين الامتين. ولمَّا انقضت

هذة المهلة دون ان يتمّ الصلح جُددت الى اربعة ايام أُخرى

بيدَ انه يوم الاثنين في ٢٩ منه وهو الذي صار فيه الاتفاق على هذه المهلة بينا كان بعض فرسان الدروز يتنزهون في ارض سعدنايل الكائنة على مسافة ساعة من زحلة باغتهم فريق من فرسان هذه المدينة وانتشب بينهم القتال فأخذت جماهير الدروز تتراكض تدريجًا على دوي القتال وخرج فريق من زحلة واستعرت نيران الحرب خارج القرية السابقة الذكر ولم يطل الامر حتى تراجعت جموع زحلة الى القرية وتحصنت فيها فأحاط بها الدروز وهاجموها ودخلوها وسيوفهم مساولة فهرب المسيحيون المحصورون في القرية الى الجبل

وفي يوم الاربعا ٢٠ حزيران اول ذي الحجة ذاعت الاخبار في معظم نواحي الجبل بنشوب الحرب في دير القمر وان قد تمّ حصرها فتراكض سكّان الجوار اليها وعندما بلغتها طلائع المحتشدين أُطلق عليهم الرصاص من البيوت وتجندل عدد من الدروز واذ ذاك هجموا على المدينة واستولوا عليها فقتلوا عددًا غفيرًا من المسيحيين المقيمين فيها .

فلما اتصل الخبر بصاحب الدولة والي الايالة امتطى في الحال جواده واخذ معه فصيلة من الجنود النظامية وقصد بهم هذه البلدة مجدًّا في السير ولمّا بلغها أمر الدروز بايقاف القتال والجلاء عنها فاتصلت به إذ ذاك الانباء بحراجة الاحوال في المدينة وجوارها فعاد في الحال بعد ان اعطى الاوامر اللازمة قاصدًا معسكر الجنود النظامية .

وقد اوعز دولته أيضًا إلى قائم مقامي الجبل بالمجيء إلى بيروت مصحوبين بعدد من أَصحاب الاقطاعات واعضاء وأَعيان الاهالي للتفاوض في ما يجب اجراؤه لتسكين الهياج وتوطيد اركان الراحة

فقدم القائم مقامان وبعض المطلوبين وبعد جدال طويل بين الفريقين في

المسائل المبسوطة آنفًا أجمع رأيهما على عقد الصلح وفقًا للشروط التي كتبت بعد حرب سنة ١٢٦١ ومآلها : ان كل فريق يتناسى ما مضى ولا يقدم على احداث فتنة ويتجنب أدنى اضطراب متحاشيًا المطالبة بعوضٍ منـذ حدوث الاضطرابات وانتشاب الحرب العمومية إلى الان . وبناءً على ما ذكر كتبا بينهما صك صلح .

(عدد ١٢٢ ملحق ٢ ص ١٠٧-١١٤)

١٩٣ – الماجور فرازر الى اللورد روسل . عن دمشق في ٣٠ منه

لم يحدث ما يستحق الذكر منذ انفذت رسائلي السابقـة في ٢٣ الجاري الى سيادتكم وفي خلال هذه الفترة وزّعت الحكومة على قناصل الدول لائحة نسختها في طيهِ تشتمل على تعداد الاشخاص الذين حُكم عليهم مع بيان نوع عقابهم . وقد أُلقي القبض على بعض الجناة في الاسبوع المنقضي انّما صاحب الدولة فؤاد باشـا قضى الاربعة الايام الماضية في تجنيد شبّان دمشق في الجيش . ان مدينة دمشق لم تقم في السبع او الثمان سنوات الماضية بتقديم المطلوب منها سنويًا الى الباب العالي فاوجب عليها دولته تقديمه دفعة واحدة . وقد بلغ عدد الجنود التي جُمعت حتى اليوم الف رجل سيسافر نصفهم هذا المساء الى الاستانة . اما الاهالي فيبذلون جهدهم للتخلص من هذا التجنيد الاجباري ولا تزال الحوانيت وسائر محلّات العمل مقفلة منذ ٢٧ الجاري .

لم يُعدم احد مجددًا ولم تعلن احكام جديدة والناظر الى المحاكمات يرى انها جارية بكل بطء وفؤاد باشا يشكو صعوبة ايجاد شهود ولا ريب في ذلـك . قليلون هم المسلمون الذين سيتقدمون للشهادة عن طواعية لكن العقلاء والعارفين باحوال المدينة يرون انه يتعذر التغلب على هذه المصاعب نظرًا لكثرة الجنايات .

ان دولته تقبل زيارة كثيرين من زعماء العرب في حوران في الاسبوع المنقضي

وقد سعى الى حمل بعض القبائل على التوطن فيها بقصد استخدامها فيما بعد ضد الدروز اذا اقتضى الامر مع انه من الافضل على كل حال ان تظهر الحكومة بمظهر القادر على اخضاع رعاياها العاصين بقوّتها فقط .

ان دولته اعدَّ بيوتًا جديدة لاسكان المسيحيين اللاجئين الى القلعة لكنهم مترددون في الاستفادة من ذلك خوفًا من المسلمين الذين لا يزالون يشتمون كل مسيحي يصادفونه منفردًا دون حرس او محامٍ .وارجح انه سينقضي زمن طويل قبل ان يتمكن المسيحيون من الحصول على الراحة في دمشق

أُطلق اليوم مدفع من القلعة ايذانًا بوصول الحجاج من مكة انما لا يعلم اذا كان يسمح لهم بدخول المدينة في هذه الظروف. (عدد ١٢٦ ص ١١٥-١١٦)

١٩٤- القنصل برانت الى السر بولفر في ٣٠ منه [اقتطاف]

اعتقد انه لم يكن ثمه شيء يقوى على ايلاء المشير رباطة جأش . فلو ابدى اقلّ حزم لاتقى الكارثة لكنه لمّا سمح لاصحاب الفتن ان يدسّوا دسائسهم دون معارضة وتخلى عن واجبات وظيفته مظهرًا الضعف والجبن فلم يبقَ رجاء في صغار مأموريه .

لمّا قلت لاحمد باشا انه كان عليه ان يتخذ تحوطات لخنق كل فتنة في مهدها حين ارساله احداث المسلمين مكبلين بالحديد لتكنيس شوارع المسيحيين أجاب انهُ لو فعل لما اجدى هذا التدبير نفعًا لان المؤامرة كانت مدبَّرة من قبل فلو عُدم مدبروها هذه الحجة لاوجدوا سواها . فسألته حينئذٍ عمَّا فعل بمراقبيه السرّيين وقد كان سبق لهُ ان امتدح من نشاطهم وفطنتهم فكيف لم يخبروه بسر المؤامرة فلم ينبس ببنت شفة . وقد كان يزعم تارةً وجودها وطورًا ينكرها . أمَّا انا فلم اعثر على شهادة صريحة تثبتها لكنه لا ريب في ان المسلمين كانوا ميالين كثيرًا إلى نهب

المسيحيين وقتلهم . ومن المجمع عليه انهُ لو قامت الحكومة بواجبها لتمكنت من قمع الفتنة .

أمَّا الجنود المستنفرة في سوريّة فلم يكن يعتمد عليها كما اتضح من سلوكها في حاصبيا وراشيا وهي التي عُهد اليها بحماية حي المسيحيين في عيد الاضحى واطفاء جمرة القلاقل . أجل ان ذلك يدعو الى الريبة انَّما اعتقد ان السبب الحقيقي هو ان المشير كان خائفاً منهم فرغب في ابعادهم عن دار الحكومة وفي ابقاء الامناء منهم لحمايته لانه لم يكن يفكر الاَّ بوقاية شخصه .

ان المشير هو الان امام القضاء وعليهِ ان يبرر سلوكه ويبسط اسبابه على قدر استطاعته . ان محاكمته جارية سرًّا ولا يعرف أحد خفاياها سوى اعضاء المحكمة أمَّا الرأي العام فيحكم فيها عند نهايتها وهي جلية اذا روعيت فيها العدالة دون محاباة

اذا كان الشعب مصيباً في ظنونهِ ستطمس الحقيقة انَّما لا اريد ان اقدّر ان لهذه الظنون اساساً ولا ان اتوقع اقدام دولة فؤاد باشا على عمل معيب كهذا لاعتقادي ان سلوكه خلا حتى الان من الريبة

وعندي ان أحمد باشا مخطيء في ضعفهِ مع مجلسه وعدم اتخاذه التحوطات التي أُشير عليهِ بها غير مرَّة واصراره على ابقاء رئيس « تفنكجيته » في مركزه مع اشتهاره بعدم الكفاية رغماً عن تحذير عدَّة أشخاص من جميع الطبقات منه قبل ايقاظ الفتنة بعدَّة اسابيع واهماله انقاذ مسيحيي حاصبيا وراشيا نكثاً بوعوده لما أُخبر بالخطر المحيق بهم وتقاعده عن استدراك مهاجمة زحله وقلة اكتراثه بذبح الدروز المسيحيين ان لم نقل بتواطئه . وهو القائل على ما روي انهُ يوجد في سوريّة آفتان كبيرتان هما المسيحيون والدروز فكلما ذبح أَحدهم الآخر استفادت الحكومة التركية . وتغافلهِ وعدم تدبره عواقب الحوادث الجارية وعناده في عدم اتيان حركة عندما ساءَت الامور وتحرجت الى ان ظهر في آخر الامر ان الخوف قعد بهِ لانهُ لم يُشاهد خارج دار

الحكومة على قيادة جنوده ولم يخنق الفتنة في مهدها ولم يوقف المذابح ولم يستدرك اشتعال جمرتها . فقد استحق ان يُعاقب بأَشنع ميتة لاهماله القيام بواجباته وعدم كفايته لمنصبه العالي وجبنه في القيادة وقد سبب قتل عشرة الاف مسيحي تقريباً خلا الشقاء العظيم الذي حلّ بالجرحى والمنكوبين وفقدان الاقارب والانسباء والاموال والحاقه الضرر بسلطانه وتخريبه بلاده ووسمه مذهبه بميسم العار . وقصارى القول لثبوت عدم تدبره شيئاً وقصوره كوالٍ وجبنه كقائد . فلو انقلب هذا النزاع إلى خلاف مذهبي لنجم عنه نتائج سيئة وليس ذلك ببعيد اذا لم يُكره مسيحيو لبنان على الاعتدال فان سلوكهم في السنوات المنقضية طُبع بطابع الاضطهاد والتحرّش وقد عادت اليهم اليوم جرأتهم في بيروت على أثر قدوم الجنود الفرنسويّة وأَخذوا يتطاولون على المسلمين فاذا لم ينههم روُساء مذهبهم عن هذا التصرف فانه يأتي بعواقب وخيمة .

ان كوائن الحرب التي نشبت بين الدروز والموارنة يجب فصلها عن مذابح حاصبيا وراشيا ودير القمر التي اقترفت عن عمد بعد ان سلّم المسيحيون أسلحتهم لقاء تعهد مأموري الحكومة التركية وضبّاط الجنود بوقاية حياتهم . ومن الممكن ان تكون الحكومة عجزت عن منع نشوب الحرب او ايقاف تيّارها انّما كان بوسعها اتقاء المذابح وعليهِ جاز اتهامها بانها اذنت فيها وهذا ممّا يولي هذه المذابح صفة فظيعة بعكس الحرب . وليس لمذبحة دمشق علاقة بالحرب سوى انها اوجدت سبيلاً لانفجار بركان الاحقاد على المسيحيين فلما أُثيرت اهواء الرعاع وجدت ارضاً صالحة واناساً مستعدين للاشتراك في القتل والنهب فعصفت .

ان البحث في الاسباب التي ولّدت التعصب في الدمشقيين يستغرق وقتاً طويلاً وما هو الاّ جرح مندمل قديماً ففتح مجدداً . ان التعصب كان سائداً في دمشق قبل ان فتح المصريون البلاد ولمّا أُلحقت هذه الايالة بمصر كُسرت شوكة تعصبهم

وأَصابتهم ضربة رزحوا تحتها لكنه لمّا أُعيدت سورية الى حكم السلطان أخذ ارباب الحكومة المحلية يتراخون سنة فسنة فاستيقظ التعصب تدريجًا وبعد انتهاء حرب الروسية تفاقم كثيرًا فاستخدم الباب العالي هـذه الروح لتقليص النفوذ الاوربي . وهذا العمل كان جاريًا تحت طي الخفاء انّما كان واضحًا لاعين اسدج الناظرين لان الستر كان شفَّافًا الى حد يرى الغرض المقصود من خلاله .

وفي السنتين الماضيتين كثرت الاعتداءات على المسيحيين وتوجيه الاهانات اليهم وصبّ اللعنات على مذهبهم وشوهد احداث المسلمين يرمون المسيحيين والاوربيين بالحجـارة في الشوارع فيمرّ كبار المسلمين ولا يعنفون الاولاد ولا يردعونهم . ولمّا اشتعلت نيران الحرب بين الدروز والمسيحيين تعاظمت غطرسة المسلمين فاكثروا من التعدي والحكومة غافلة فازداد الاشرار جرأة . أمّا كبار القوم فلم يشجعوا على هذه الاعمال على ما اعلم لكني لم اسمع انهم نهوا عنها بل خيل انهم لا يحفلون بها . وكان المسلمون قد نظروا بعين الامتعاض إلى جرس كبير عُلّق حديثًا في كنيسة الموارنة والى دير الآباء اللعازريين الفخيم البناء والى دور المسيحيين أصحاب الثراء المفروشة بأحسن الرياش وأثمنه كما ان نجاح الامة المسيحية أثار حسدهم وحرَّك فيهم عوامل الطمع . فان الاشخاص الذين كانوا يديرون شؤون الايالة كانوا مسيحيين وبيدهم حساباتها أثروا من وظائفهم وكان التجار المسيحيون اكثر نجاحًا من المسلمين وقصارى القول ان ذكاء الاولين ونشاطهم جـاءا بأثمارهما الطبيعية لكنهما زادا امتعاض الآخرين ونكأا قرحة كلومهم الدامية .

فجميع هذه المسائل اوغرت صدر المسلمين وشعروا بانحطاطهم عن المسيحيين منزلةً وثراءً فتحككت الحزازات في صدورهم ولذلك لا ريب في ان هذا الشعب كان يتوق الى اذلال المسيحيين . ولربّما تحكم دولتكم ان الظروف السابقة مع عجز الحكومة المحلية عن قمع اعتداءات المسلمين على المسيحيين كافية لبيـان اسباب

استيقاظ الفتنة دون تقدير وجود مكيدة مدبّرة عندما انفجر بركانها من جرّاء اعمال القسوة التي أتاها « التفنكجي باشي » في غير اوانها . وفضلًا عن ذلك فان ابناء العرب في الجندية هيجهم الشوق إلى سبي نساء المسيحيين والطمع في الاسلاب . وقد سبق لهم ان ذاقوا حلاوة كليهما في حاصبيًا وراشيًا ولذلك كانوا أشدّ ميلًا الى تأجيج نيران الفتنة اشباعًا لشهواتهم واطماعهم في الاسلاب .

قد سبق لي القول ان رصفائي لم يتعرّضوا لجريان هذه الامور وعليهِ لا حاجة للعود الى هذا الموضوع ولا إلى القطع فيما اذا كان ما حدث نتيجة عارض او مكيدة مدبّرة وقد افضتُ بهذا الشأن . أمّا بخصوص فؤاد باشا فيتعذر الحكم في سلوكهِ الآن على انه تصرّف بحزم وان كان يعتقد البعض بان كان عليهِ ان لا يتمسك كثيرًا بتوفر الشهادات في هذه الظروف الخارقة العادة لمعاقبة الجناة بل يكتفي بأقلّ دليل لصعوبة الحصول على كل الشروط المفروضة في الدعاوى العاديّة . وربما قادته الخطة التي نهجها الى اكتشاف كل شيء في آخر الامر كما لو كان جرى بها على طريقة أسدّ من هذه . فيجب الحكم على دولته متى انتهى تحقيقه وظهرت النتيجة . لا يمكن أحد ان يتصوّر مقدار صعوبة الحصول على أدلّة ما حدث ومعرفة عدد كبار القوم المشتركين في الفتنة الذين يعرقلون مساعيه فقد انكشف هذا الامر لعينيه تدريجًا فتحذر وصارت خطته أقل حزمًا ممّا لو اختلفت الظروف. ولي الامل بان دولته يستطيع وصف العلاج الناجع في تسوية هذه المسائل بشدة اذ يجب عليهِ ان يكبح جماح الشعب وتعصبه وقد اججته هذه الفتنة واغلت مراجله .

ان وقت المصالحة لم يحن ومن سوء السياسة بل من الخطر السعي اليها قبل ان تتوطد اركان الحكومة في البلاد . يتعذر معرفة ميعاد استداد ساعد الحكومة متى كان المأمورون المراد استخدامهم عديمي الكفاية. اين الباشاوات ذوو الحزم والدربة؟ اجهر باني لم اجد بعد طول اختباري سوى واحد يجمع في شخصهِ النشاط والالمعية

وهو فؤاد باشا . ان لصفتي؟ باشا شهرة كبيرة بين الدمشقيين فاذا كان متصفاً بهذه الصفات ويمكن اقناعه بقبول منصب الولاية و يُسمح لهُ بالبقاء في وظيفته من ٥ إلى ١٠ سنوات فحسناً تفعل الحكومة . ان الفريق غالب باشا ثاني القواد هنا كان اولاً ضابطاً في جيش ابرهيم باشا وقد سمعت من كثيرين انهُ رجل نزيه رصين حزوم يجدر ان يكون والياً حسن الادارة .

قد بقي عليَّ ان اجيب على النشرات المنفذة مع الرسالة التي اجبت عليها الآن انما بعض محتوياتها تتطلب انعام نظر ووقتاً لشرح ما ترغب دولتكم في الوقوف عليه وسأفعل باقرب آن واثقاً بان دولتكم تعذرونني على هذا التأجيل القصير .

(عدد ١٣٨ ملحق ١ص ١٣١ـ ١٣٤)

١٩٥ ــ اللورد كولي الى اللورد روسل . عن باريس في اول ايلول سنة ١٨٦٠

سألت اليوم الموسيو توفنيل عمّا اذا كان لديه اخبار جديدة من سوريا فأجابني دولته ان الافادات التي وصلته ليست مرضية ولئن كانت المذابح العامة قد وقف تيّارها فحوادث القتل الافراديّة مستمرّة والبلاد في فوضى . فلو لم تُرسل الجنود الفرنسويّة لعجز فؤاد باشا عن اتيان شيء فانهُ لم يجسر على تنفيذ الاحكام التي قضي بها الأ عند وصولها . وقد اظهر المسيو توفنيل عدم ارتياحه إلى مثل هذه الاجراءات المطابقة لما جرى في جدّه فان قتل كثيرين دفعة واحدة بهذه الصورة يبدو بمظهر انتقام اكثر من عقاب. وبينا فؤاد باشا يكتفي باعدام الذين كانوا آلات بيد المحرضين فقد هرب هؤلاء. وهو يخشى ألاَّ يكون في نية دولته ان يفعل ما يكون فيه عبرة للجميع كاعدام واحد او اثنين من كبار الضبَّاط المذنبين .

(عدد ١٠٠ ص ٨٢ ـ ٨٣)

١٩٦ — الماجور فرازر الى اللورد روسل . عن دمشق في ٣ منه

اتشرف فارسل لكم في طيهِ رواية حديث جرى لي أمس مع صاحب الدولة فؤاد باشا وهو يوضح على ما اعتقد حالة الشؤون الحاضرة .

يظهر ان دولته يرغب كثيراً في ان لا تأتي الجنود الفرنسوية بحركة الان . لم يُعدم احد مجدداً وينتظر اليوم صدور الحكم على ٥ ضبَّاط غمسوا ايديهم في مذابح حاصبيا وراشيا ودمشق .

قد جُند بعض المطلوبين للخدمة العسكرية انَّما لم يُجمع العدد المعين وقدره الفا جندي .

لقد قلق المسيحيون من عزم فؤاد باشا على مغادرة دمشق بيدَ اني أرى ان لا موجب لهذه المخاوف لان غياب دولته لا يطول والجنود كافية لحمايتهم . لم يحدث ما يستحق الذكر منذ كتابي الماضي المؤرخ في ٣٠ المنقضي .

(عدد ١٢٧ ص ١١٦ ـ ١١٧)

١٩٧ — رواية الحديث في ٣ منه

لمَّا كان صاحب الدولة فؤاد باشا قد رغب إليَّ في مشاهدتي والقنصل برانت وكان حضرته معتلّ المزاج ذهبت وحدي لزيارة دولته . فقال لي انه اراد ان يبلغني عزمه على مغادرة دمشق برهة لزيارة بيروت بناءً على طلب الجنرال دي بوفور قائد البعثة العسكريَّة الفرنسويَّة وقد ارسل اليه الكولونل شانزي فاخبره بان الجنود الفرنسويَّة أصبحت مستعدَّة للقيام بالواجب الذي يُعهد بهِ اليها وان القائد المشار اليه يتوق كثيراً إلى ترك بيروت حيث ثبت لهُ ان هواها غير موافق صحة الجنود ولاسيما انها تائقة جدًّا الى العمل وقد هيجتها روايات المسيحيين

اللاجئين الى بيروت فيخشى من حدوث مشاجرة بين جنوده وبعض المسلمين وعليهِ فانهُ يعتقد امكان اصابة غرضين اذا أُجيز للجنود الفرنسوية دخول لبنان ومعها اللاجئون المسيحيون لاعادتهم الى قراهم وعلى كل حال فان القائد المشار اليه يكون شاكرًا لدولته اذا انتقى لهُ مكانًا ملائمًا لاقامة الجنود فيه يضمن وقاية صحتهم.

فاجاب دولته انه لا يعارض مساعي الجنرال دي بوفور بحثًا عن معسكر اكثر ملائمةً لكنه اقترح عليه ان يختاره في كسروان الاقطاعة المارونية بيدَ انهُ يمانع على كل حال في ان يجعل هذا المعسكر في بلاد الدروز لانه راغب في تجنب كل قتال الى ان يستقرّ الرأي على خطة العمل ويتم وضعها. وزاد دولته بانه يرى ان من الافضل ألاَّ يعود المسيحيون الى قراهم قبل معرفة ما اذا كان يجب اجراء حركات عسكرية ضد الدروز او لا حتى اذا كان الاول فجميع القوة الفرنسويّة لا تكون كافية لحماية المسيحيين المنتشرين في قرى عديدة من اعتداءات الدروز. وبناءً على هذه المطالب اقر دولته على الذهاب بذاتهِ الى بيروت في ٦ الجاري للنظر في هذه الشؤون

ثم الفت انظاري الى ان الفرنسويين يلحّون في العمل لكنه يرى موانع تحول دون السماح لهم بالاستقلال في العمل دون مشاركة الجنود العثمانية لانهُ اذا حدث اصطدام بين الفرنسويين والدروز لا يعلم الى اين يقود لان دروز حوران سينضمون إلى اخوانهم على ما يرجح كما ان عواطف الولاء والصداقة ستدفع عرب البادية إلى عضد الدروز.

ثم أَشار دولته الى محاكمة الجناة فقال ان قد انتهت محاكمة أحمد الوالي السابق وعدَّة ضبَّاط متهمين بالاشتراك في مذابح حاصبيًا وراشيًا ودمشق وان صغار الضبَّاط سيعدمون عاجلًا انَّما يؤجل اعدام أَحمد باشا الى ان تتم محاكمة خورشيد باشا في بيروت واعضاء المجلس الكبير في دمشق الذين قُبض عليهم على أَمل ان يهتدى

إلى العلائق التي كانت بينهم .

ولمّا كان قد رُفع الى دولته بيان يوضح ان افراد الجنود في حاصبيا وغيرها من الاماكن اساءوا معاملة ارامل المسيحيين المذبوحين وبناتهم وسبوا بعضهنَّ اجاب انهُ لم يسمع قبل الان بهذه الشكوى وان الجنود تفرَّق شملها وتوزعت على فيالق أخرى ومع ذلك سيحقق فيها وفي سلوك كل الضباط الذين كانوا حاضرين في الاماكن التي حدثت فيها المذابح على اختلاف منزلتهم

ثم قال دولته ان صعوبات جمة حالت دون رغبته في معاقبة الاعيان فقد تلقى تحارير من كل احياء المدينة الخ كاتبوها بها عليهِ ان يشدد في قصاص زعماء الفتنة. لكنه مع كل رغبته لم يتوفق الى تحقيق هذه الامنية اذ اخفقت مساعيه حتى الان في الحصول على شهادات كافية لاثبات جناياتهم وان كانت شهادات السماع والاشاعات العامة كثيرة . فوقع في حيرة شديدة لان اوربا لا تصدق انهُ يصعب وجود شهود في هذه البلاد على كبار القوم . وقد ودَّ تأليف محكمة من القضاة المحلفين (جوري) لو تسنى لهُ ايجاد خمسة اشخاص جديرين بان يعهد اليهم بمثل هذه المهمة لكنه يعتقد انه لو اهتدى اليهم لبرَّأوا كل مسلم يمثل امامهم . ولذلك عدل عن هذه الفكرة واضطر حتى الان ان يتولى بذاته التحقيقات الاولية بمعاونة رجال بطانته للقطع في امر الذين يجب اتهامهم وتحويل اوراقهم الى المحكمة الخارقة العادة المؤلفة لهذه الغاية .

فسألني دولته عن رأيي في هذا الصدد فاجبته انهُ اذا شاء ان يوفر وقته الثمين ويلقي عن عاتقه المسئولية يقتضي عليه ان يستقدم مأمورين من الاستانة معتادين على جمع الادلة وتهيئتها فيخصصون وقتهم للقيام بهذا الواجب . واني قد سمعت ايضًا من فم الوطنيين انهُ ولئن كان مختارو الاحياء لا يريدون تقديم قوائم باسماء مجرمي حيهم فلا يرفضون ان يبوحوا باسماء الذين يقيمون في الاحياء المجاورة فتتوفر

لديه عدّة افادات . فقال دولتـه انهُ سيدقق النظر في هذا الاقتراح لكنه يخشى ألأ يكون صالحاً لارضاء اوربا ولذلك يرتأي مواصـلة تحقيقاته الحالية ومحاكمة المذنبين الذين يعثر عليهم موجلًا الحكم عليهم فيرفع اذ ذاك بياناً بما جرى ويعلق رأيه على كل حادثة فاذا حاز قبولاً يقضي عليهم اذ ذاك وينفذ الحكم والاّ تستانف التحقيقات . بيد انه يرى ان مصلحة الحكومة التركية توجب نفي اعيان دمشق الذين اشتركوا في فتنتها نفياً مؤبداً حتى لو لم يُهتدَ الى ادلة قاطعة تثبت عليهم اعمالهم جهاراً . اما في ما يختص بحجز اموال الذين أعدموا بمن فيهم الذين اشتركوا في النهب فقد رفع الامر الى الاستانة وحبس اموالهم موقتاً لان القانون العثماني يحظر حجزها ونزع ملكيتها دون حكم .

فاغتنمت الفرصة واخبرته بقرب قدوم مندوبي الدول المحالفة تركيًا الى سوريًا واذ ذاك يتسنى لدولته ان يطلعهم على موقفه ويعتمد على نصائحهم الصائبة ومساعدتهم. فاستوضحني دولته عن غرض اللجنة فأجبتهُ باني اجهله انّما استفدت من اقوال صحف الاخبار ان المهمة الموكولة اليها هي التحقيق في اسباب الفواجع السابقة وماهيتها ودائرة اتساعها والبحث بالاشتراك مع دولته في الوسائل الواجب اتخاذها لملافاة تجدد مثل هذه الكوارث . فقال دولته انه لم يقطع بانتهاج خطة معينة بحق الدروز الى ان يقف على مطالب الدول الاوربية بهذا الصدد وانهُ بعد انعام النظر في هذه المسألة تراءى لهُ انهُ لا يوجد سوى طريقتين لحلّها احداهما ان يطلب الى الدروز بعد التروّي القيام ببعض أمور كتسليم بعض زعمائهم واشخاص آخرين لاجراء محاكمتهم ودفع غرامة مالية إلى المسيحيين وتعمير القرى التي دُمرت الى غير ذلـك مع ترك الحرّية لهم باجراء ما تقدم أو عدمه. والاخرى مهاجمتهم في الحال دون سؤالهم شيئاً. ولمّا كان لم يوافق على صك الصلح الذي أُبرم بين بعض الدروز والموارنة ولم يرفضه فلا يزال حرًّا في الاعتراف بهِ أو انكاره . فاستشارني دولته في افضليـة الخطتين

فاجبت اني اوثر الاولى على شرط ان تكون المطالب المفروضة على الدروز كافية لان ذلك اكثر فائدة للحكومة العثمانية ولجميع من يهمهم الامر ولاسيما انهُ يتعذر معرفة مصير الخطة الثانية بل يجب ابقاء بابها مفتوحاً فيما لو رفض الدروز اجابة المطالب الموجهة اليهم . فاستصوب دولته هذا الرأي لكنه لا يريد ان يفعل شيئاً الأ بعد مفاوضة مندوبي الدول . (عدد ١٢٧ ص ١١٧ ـ ١١٩)

١٩٨ — مور الى السر بولفر في ٣ منه

اتشرّف فاخبركم بان قد وصلتني رسائل المستر لوملي منبئةً بان سعادتكم تلقيتم رسائل برقية من اللورد روسل يجيز لي بها ان اقبض من مصرف هيفود وكينار مبلغ خمسة الاف ليرة لمساعدة السوريين المنكوبين فانبئكم بان قد سبق لي ان اعلمتكم بوصول تفويضكم اليّ استلام مبلغ ٢٧٠٠ ليرة خلا الـ٥٠٠٠ المذكورة آنفاً .

وقد سلّمت لجنة الاحسان في بيروت تحويلين بقيمة الف ليرة وحوّلت ايضاً على اللورد روسل بالمايتي ليرة انكليزيّة التي جادت بها الحكومة (١) .

(عدد ١٢٨ ملحق ١ ص ١١٩)

١٩٩ — ومنه اليه بالتاريخ ذاته

وصل اللورد دوفرين أمس الى بيروت على السفينة العثمانية « كيرو » فصحبت سيادته هذا الصباح في زيارتهِ أحمد باشا والي الايالة وقد كان ارسل لاستقباله على الشاطيء فصيلة من الجند وبعض الفرسان لمواكبته حتى دار الحكومة .

وصل إلى هنا ٥٠٠ شاب من دمشق مصفدين وقد جندهم فؤاد باشا لانهُ قد مضى ٨ سنوات على اهالي هذه المدينة دون ان يؤدّوا الخدمة العسكريّة وأركبوا

(١) أمّا فرنسا فقد تبرّعت بمليوني فرنك خلا نفقات بعثتها العسكريّة

أمس البارجة التركية فاقلتهم الى الاستانة .

وقد قدمت أيضاً أمس السفينتان « كنج وايندوس » الفرنسويتان فنزل صباح اليوم الى البرّ تابور من الالاي الخامس . أمّا السفينة « ايندوس » فحاملة مونة الجيش وذخائره . (عدد ١٢٨ ملحق ٢ ص ١١٩-١٢٠)

٢٠٠ – *اللورد دوفرين الى السير بولفر . عن بيروت في ٣ منه*

اتشرّف فاخبركم بوصولي بعد ظهر أمس الى هنا على السفينة الخاصة التي اعدّها لي سموّ ألهامي باشا صهر السلطان وصديقي الخاص . حتى الان لم يصل أحد من رصفائي الاوربيين ولمّا غادرت الاستانة لم تكن الحكومة النمسويّة عينت مندوبها.أمّا مندوبا الروسية وبروسيا فلا يبرحان الاستانة قبل يوم الاربعاء ٥ الجاري كما ان الباخرة التي ستقلّ الينا الموسيو بيكلار من الاسكندريّة لا تزال راسية هناكَ وعليهِ لا يُظن ان اللجنة تستطيع الاجتماع قبل ٨ أو ١٠ ايام . ولذلك فقد عزمتُ على ان اقصد صاحب الدولة فؤاد باشا المندوب العثماني واصرف الوقت الذي ينقضي قبل وصول سائر رصفائي بمفاوضتهِ والاشراف بذاتي على حالة البلاد وشؤونها الحاضرة . ولهذا الغرض عزمتُ على الذهاب هذه الليلة الى دمشق وسأمكث فيها ٣ أو ٤ ايام على ما أُرجّح ثم اعود الى بيروت لملاقاة رصفائي عند وصولهم . (عدد ١٣٠ ملحق ١ ص ١٢١)

٢٠١ – *مور الى السير بولفر في ٥ منه*

اتشرف فاخبركم بوصول رسالتكم المؤرخة في ٢٦ المنقضي وبها تعلموني بوصول اللورد دوفرين الى الاستانة وتوقفوني على غاية مهمته في سوريّة فارجوكم ان تثقوا باني سأجري بموجبها .

قد سبق لي ان انبأتكم في ٣ الجاري بوصول اللورد دوفرين الى بيروت في ٢ منه فاتفقت مع الحكومة المحلية لاحسان استقباله فاوفد أحمد باشا بناءً على طلبي مأمورًا كبيرًا إلى ظهر السفينة لتهنئة سيادته بقدومه .

فشاءَ اللورد دوفرين ان يستفيد من الفترة التي تنقضي قبل وصول سائر رصفائه فذهب في الليلة الماضية إلى دمشق يصحبه المستر سيريل كراهام وحرس تركي استحصلته له من احمد باشا وغاية سيادته ان يفتقد هذه المدينة ويشاهد فؤَاد باشا . أمَّا غيابه فلا يتجاوز الاسبوع على ما قال .

أخبرني الكونت دي بنتيفوليو أمس ان حكومة النمسا عينت الموسيو دي وكبكر قنصلها العام في بيروت مندوبًا في اللجنة .

علمت من أخبار دمشق الحديثة بانهُ لم يُعدم احد فيها مجددًا انما فؤَاد باشا قبض على اعضاء المجلس الكبير ولا يزال تجنيد مسامي دمشق متواصلًا . كان ينتظر ان يغادر فؤَاد باشا دمشق بعد يومين او ثلاثة ايام قدومًا الى هنا بناءً على المطالب التي وجهها اليهِ الجنرال دي بوفور بواسطة رسل خاصين وتكون زيارته قصيرة المدة . أمَّا الحكم الذي قضي به على والي دمشق السابق ومشير فيلقها لا يزال في طي الكتمان وقد لهجت الالسن كثيرًا باسباب هذا التكتم .

اهدى جلالة السلطان الى الامير عبد القادر الوسام المجيدي طبقتـه الاولى اشعارًا باستحسانه سلوكه اثناء مذبحة دمشق . وقد قدم بيروت أيضًا المسيو شيفر حاملًا وسام جوقة الشرف طبقته الاولى هدية من امبراطور فرنسـا الى الامير المشار اليهِ .

لم يحدث تبدل في موقف الدروز . وفي خلال هذه المدة لم يجسر أَحد من المسيحيين اللاجئين على العودة الى بيوتهم وهم باقون على ما كانوا عليه ومن جرَّاء ذلك لا يزال هؤُلاءِ المنكودو الحظ يأتون الوفًا الى المدن الواقعة على سيف البحر

متحملين مشقّات الطريق والعوز وهم الآن سبب العلة المتفشية في بيروت وضحاياها وقد فتكت خاصةً بمئات من اطفالهم من جرّاء عدم وجود ما يسدُّون بهِ رمقهم .

(عدد ١٢٨ ملحق ٣ ص ١٢٠)

٢٠٢ — اللورد دوفرين الى السير بولفر . عن دمشق في ٨ منه [اقتطاف]

اتشرف فاخبركم بوصولي الى هذه المدينة. على اني وان لم اكن اتوقع محذورًا من زيارتي دمشق رأَيت من حسن الفطنة ان اوقف دولة فؤاد باشا على عزمي موضحًا له اني آتٍ بصفة غير رسمية حتى اذا رأَى دولته ان لا وجوب لقدومي اعدل عنه واني منتظر في الطريق ارادته . فدعاني دولته اليه فدخلت المدينة بعد ظهر نهار الخميس المنقضي. وكنت علمت ان دولته على اهبة السفر الى بيروت فذهبت لزيارته في الحال حتى لا أُوخره عن السفر فعلمت بارتياح ان أَسباب أُخرى حملته على تأجيل سفره حينًا

ثم اخذ دولته يقص عليَّ الطريقة التي نهجها في معاملة الاشخاص المتهمين بمذابح دمشق الاخيرة وقد سبق للمستر برانت ان اخبر سعادتكم بالعقوبات التي حُكم عليهم بها فـ ٥٦ شُنقوا بتهمة القتل و ١١١ جندي غير نظامي قُتلوا رميًا بالرصاص بتهمة الاشتراك في الفتنة و ١٣٩ حُكم عليهم بالاشغال الشاقة مدى الحياة و ١٤٥ نُفوا لثبوت جرم النهب عليهم و ١٨٩ بالاشغال الشاقة لمدة بضع سنوات وحُكم غيابًا بالاعدام على ٨٣ فارٍّ ويوجد عدد غفير في السجن ينتظر محاكمته .

وقد اتخذ وسائل أُخرى قاسية وسلمني بيانًا بما اتاه منذ وصوله وفي طيه نسخة منه . انمّا لم يُعدم أحد منذ ٣ اسابيع .

ولمّا استوضحته بعض الشؤون بشرني بان قد حُكم بالاعدام على عثمان بك

قائد الجنود في حاصبيا ومحمد علي بكباشي الجند في راشيا وعلي بك الذي كان على قيادة الجنود في حي المسيحيين في دمشق وانهُ سينفذ فيهم الحكم في القريب العاجل على الارجح .

أمَّا بخصوص مصير أحمد باشا فقد ظهر لي ان دولته لا يزال قيد التردد ولمَّا ذكر اسمه اجتهد باطرائه على بعض التحوطات التي اتخذها قبل الفتنة .

ولمَّا تعرَّفت الى دولته صرَّحت لهُ باني لا استطيع ان ابلغه شيئاً بصفة رسمية لان التعاليم التي زُوّدتها تقضي عليَّ بان أعمل بالاتفاق مع رصفائي واني اذا كنت اقدمت على زيارته فينبغي ان يعتبرها كمجاملة من رصيف الى رصيف . وقد تلطف أمس بان ردَّ لي زيارتي في دار المستر برانت الذي سرَّ من نزولي بضيافته

أرى من المبتسر المخاطرة بابداء رأيي في سياسة فؤاد باشا لانه لم ينفسح لي الوقت لجمع الادلَّة الكافية . انَّما هناك أمر واقع اجرأ على الفات نظركم اليه وهو انهُ لم يُعدم من اهالي دمشق بتهمة القتل سوى ٥٦ شخصاً مع ان عدد المسيحيين الذين ذُبحوا في دمشق قد بلغ ٥ الاف على أقلّ تقدير فمن المحال ان يكون الذين أُعدموا هم وحدهم قتلة هذا الجمهور الغفير . اذ لا يبعد ان ٣ مسلمين على الاقلّ تعاونوا على قتل مسيحي لانهُ لم يتولَّ المجزرة عصابات انتقلت تدريجًا من شارع الى آخر بل تمت في وقت واحد في كل انحاء الحي المسيحي . فينتج ممَّا تقدم ان عدد الذين غمسوا ايديهم في دم المسيحيين يناهز ١٥ الفًا.

على ان الجنايات لم تقتصر على القتل بل اضيف اليه النهب والسلب والتدمير حتى اخر بيت من بيوت المسيحيين وانتهاك عرض كثيرات من نسائهم بطريقة فظيعة تقشعرّ لها الابدان . وعليهِ يظهر جليًّا ان لا مناسبة بين اعدام ٥٦ شخصاً وعدد المذنبين والفظائع التي اقترفت .

ملحق : علمت الان ان قد قُتل رميًا بالرصاص أحمد باشا واميرا الالاي علي

بك وعثمان بك والبكباشي محمد علي آغا غير ان اعدامهم جرى سرًّا .

(عدد ١٣١ ملحق ١ ص ١٢٢ - ١٢٣)

٢٠٣ - بيانه اعمال فؤاد باشا فى ٨ منه

ان صاحب الدولة فؤاد باشا أمر الجنود في غد يوم وصوله باحتلال جميع احياء المدينة وألّف لجان عسكرية في كل منها لالقاء القبض على الثوّار والقتلة والنهابين وغيرهم . فتمكنت هذه اللجان من ايقاف ٨٠٠ شخص تقريبًا بعد مرور ٤ أو ٥ أيام فأُحيلت اوراقهم إلى المحكمة الخارقة العادة المؤلفة من مأمورين جيءَ بهم من الاستانة واستمرَّ القاء القبض متواصلًا منذ ذلك اليوم . وحوّل المدرسة العسكريّة إلى مستشفى لنساء المسيحيين وخصص المستشفى العسكري بالمسيحيين المرضى والجرحى وانشأ لجنة لتوزيع المأكولات والمال والالبسة على المنكوبين والقى القبض على اربعة اشخاص ذبحوا والد فتاة واشقاءها جاءَ بها الجناة الى دمشق وقرّرت ان احدهم افتضها ثم تناوب عليها الباقون فشُنقوا .

وبناءً على قضاء المحكمة الخارقة العادة أُعدم ١١١ مسلمًا رميًا بالرصاص وشُنق ٥٦ ونفي ١٤٥ وحُكم بالاشغال الشاقة على ١٨٦ استُخدموا في انشاء الطرقات وقضي غيابًا بالاعدام على ١٨٣ . وفي عداد الذين أُعدموا ١٨ شخصًا من كبار اسرات البلاد واناس ذوي وجاهة . وفي ١٥ آب اذاع في سكّان المدينة وجوارها نشرة ينذرهم بها بوجوب اعادة الرجال والنساء والاولاد الباقين عندهم إلى الحكومة المحلية حتى ولو كانوا اعتنقوا الاسلام وكل من خالف عُدَّ مجرمًا بالاخفاء ومستحقًا الاعدام واذن لجميع المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام طوعًا او كرهًا وعددهم ٥٠٠ بالرجوع الى دين ابائهم . واخلى ثلاثة احياء خاصة المسلمين

وأعدّها لسكنى المسيحيين ولا يزالون ينتقلون اليها وهيّأ بيتًا ليكون معبدًا لجميع الطوائف المسيحية . وأمر بتجنيد الفي رجل من دمشق في الجيش السلطاني واوجب على كبار الدمشقيين خلا الالفين الذين اصابتهم القرعة العسكرية دفع بدل قدره عشرون الف قرش وقد تجاوز عدد الذين ارسلهم الى بيروت لنقلهم الى الاستانة الف رجل . وفي كل يوم يلقى القبض على عدّة اشخاص للتجنيد ويسجن الذين يتهمهم المسيحيون .

ويوم الجمعة في ٧ ايلول اجتمع المجلس العسكري برئاسة فؤاد باشا وحكم بالاعدام على الاشخاص الآتية اسماؤهم بعد تجريدهم من رتبهم :

١ أحمد آغا المشير السابق
٢ القائم مقام علي بك قائد الجنود في الحي المسيحي في دمشق حين المذبحة
٣ القائم مقام عثمان بك قائد حامية حاصبيًا
٤ البكباشي محمد علي آغا قائد حامية راشيًا

وعدا ما تقدم فقد قضي بتجريد قائد حامية حاصبيًا محمد علي آغا من رتبته وبسجنه مؤبدًا .

أمّا الضبّاط الذين حُكم عليهم بالاعدام وتجريدهم من رتبهم وأُجّل تنفيذ الحكم فيهم إلى ما بعد الجمع بينهم وبين المتهمين الموجودين في بيروت فهم :

عبد السلام بك قائد حامية دير القمر
القائم مقام قائد الجنود في بيت الدين
حافظ آغا القائد الثاني في دير القمر

(عدد ١٣١ ملحق ٢ ص ١٢٣ ـ ١٢٤)

٢٠٤ – اللورد دوفرين الى السر بولفر . عن دمشق في ٨ منه [افتطاف]

أصبح من اللازم ان يبرح فؤَاد باشا دمشق الى بيروت ولربّما طالت غيبته فيحسن بهِ ان يوطد دعائم الطمأنينة في المدينة مدة غيابه باظهار الشدّة بحيث تتجدد الرهبة التي اوقعها حزمه في القلوب عند اوَّل قدومه وأَخذ الوقت يمحوها من ذاكرة الاهالي . ومن المرغوب ان يتخذ على عاتقهِ قبل وصول اللجنة الدولية تبعة تنفيذ احكام تضاهي اعدامه المشير السابق فيكون هذا العمل العادل احسن ختام للفصل الاول من المأساة الهائلة التي مُثلت في هذه البلاد . وانا موقن ان فؤاد باشا قد خدم حكومته باعدامه أحمد باشا . فمن الان وصاعداً كل شدة سترى اللجنة لزوماً الى الالحاح عليه بابرازها ستظهر للعيان انها لم ترغمه عليها بل هي نتيجة الخطة التي نهجها دولته مختاراً . (عدد ١٣١ ملحق ٣ ص ١٢٥)

٢٠٥ – ومنه اليه بالتاريخ ذاته [افتطاف]

اتشرف فاخبر سعادتكم اني ائتماراً بالتعاليم المشتملة عليها رسالة اللورد روسل المؤَرخة في ١٤ المنقضي فاوضت فور وصولي الى دمشق فؤاد باشا في حالة النساء والبنات المنكودات الحظ اللواتي سباهنَّ المسلمون اثناء الفتنة. فأَكَّد لي دولته ثقته بان جميع التعسات المار ذكرهنَّ أُعدنَ إلى اقاربهنَّ وذويهنَّ على أثر اذاعته في السكَّان وقد توعد فيها بعقاب الموت كل مسلم يبقي عنده امرأة مسيحية . لكني اخشى ان يكون واهماً كما انهُ يتعذر معرفة عدد المفقودات تماماً . فان الاسر والعيال المسيحية تشتت شملها بحيث لا يوجد والدة يمكنها ان تؤكد اذا كان ولدها قُتل او سبي . واذا ما رجح هذا الافتراض الاخير يصعب الاهتداء الى المحل الذي وُضعَ فيهِ لان كثيرات منهنَّ نقلهنَّ الاكراد وغيرهم الى مسافات بعيدة وباعوهنَّ على

الارجح . وقد اخذت أنقب في بيروت ودمشق لاقف على اسماء البنات والصبيان المفقودين وأحصي عددهم . (عدد ١٣١ ملحق ٤ ص ١٢٥ ـ ١٢٦)

٢٠٦ اللورد دوفرين الى فؤاد باشا . عن دمشق في ٨ منه

اتشرف بان ارفع لدولتكم نطاقة موجزة بخصوص مقتل المستر كراهام أحد مرسلينا ولا يخفاكم انهُ يوجد بعض الريبة في هوية القاتل ولا غرابة في الامر اذا ما فكرنا في الظروف التي اقترفت بها هذه الجناية فلربما لا يريد أحد من الذين شهدوها ان يرشد الى القاتل ويسلمه ليد العدالة . بيدَ انهُ لا ريب بان في وسع كثيرين ان يوقفوا دولتكم على جلية الحادثة ممَّا يبعث على الامـل بان دولتكم تتوصل الى معرفة اسماء الجناة بفضل نشاط رجـال الشرطة فتلقي القبض عليهم . وأرجو ان تغض الطرف اذا الححت بوجوب معاقبة قتلة هذا المرسل باشد قصاص لان ذلك يهمني جدًّا وفوق كل أمر .

ولا يغبى عن دولتكم انهُ من اللازم اللازب ان يتيقن سكَّان دمشق ان الباب العالي موطد العزيمة على اظلال جميع الاوربيين المقيمين في المدينة بحماية تقيهم من كل اعتداء . ان مسيحيي هذه الايالة يمكنهم ان يعتمدوا على معرفتهم لغة البلاد وعوائدها لتأمين نفوسهم انَّما ليس لاوربي ضمانة على حياته سوى محافظة الحكومة العثمانية على الحرمة الممنوحة لهُ . واجرأُ على ان اعرض لدولتكم انكم اذا توفقتم الى الاهتداء الى قتلة المستر كراهام ينبغي ان يكون اعدامهم علنًا ارهابًا لاهالي دمشق وعبرة دائمة لهم ونذيرًا بسوء مصيرهم اذا تجرأُوا على مس اوربي .

أمَّا الان وقد وضعت بين يدي دولتكم حلَّ هذه المسأَلة المكدرة فانصرف الى القيام بواجب يلذ لقلبي كثيرًا الاَّ وهو ابـداء الشكر لدولتكم على ما لقيته عندكم من الاستقبال الودي والحفاوة فلساني يعجز عن ايضاح مقـدار امتناني ممَّا

٤٣

أبديتموه من المجاملة نحوي وتقديري الطريقة اللطيفة التي شئتم ان تبينوا لي بها رغبتكم في جعل علائقي مع دولتكم مبنية على اس ّ ولاء شديد وصداقة متينة حق قدرها . وفي وسعي ان أؤكد لدولتكم اني لا اهمل شيئاً يؤهلني لاكتساب ثقتكم . فان حكومتي أوصتني حين مبارحتي انكلترة انها راغبة في ان تكون جميع مساعيّ منصرفة الى تأييد دولتكم في اتمام واجبكم المؤلم . ولا حاجة الى ان احقق لكم اني ابادر الى اتمام هذه المهمة من صميم فؤادي . لكني آسف على ان يكون العضد الذي تردّ حكومتي بذله لدولتكم أقلّ نفعاً ممّا لو كانت انتقت شخصاً اكثر خبرة مني .

قد تنازلتم دولتكم وقلتم لي انكم تجيزون لي ان اخابركم ليس فقط بصفتي مندوب جلالة الملكة بل كصديق خاص لكم . فكلما توجب عليّ ان اوقفكم على اراء حكومتي لا انسى أبداً الاحترام الواجب لشخصكم السامي ومنزلتكم العالية وصفاتكم الممتازة . واذا ما تجرأت يوماً على الاستفادة من اذنكم لي بان اعرض لنيرتكم الوقّادة ارائي الخاصة في بعض الشؤون ارجوكم ان تتذكروا باني فعلت بناءً على اذنكم وتشجيعكم لي مقدّراً هذه المنحة وهذا الامتياز حق قدرهما .

(عدد ١٣١ ملحق ٦ ص ١٢٦-١٢٧)

٢٠٧ — السر بولفر الى عالي باشا . عن طرابلس في ١١ منه

لا شكّ في ان فخامتكم تعلم ان حكومة جلالة الملكة ترى ان حالة نساء المسيحيين المنكودات الحظ اللواتي سباهنّ الدروز وغيرهم من الاشقياء هي في مقدمة المسائل الخطيرة التي تستدعي اهتمام مندوبي الدول المرسلين الى سوريّا وقد اوعزتْ الى اللورد دوفرين ان يلحّ على فؤاد باشا وعلى اعضاء اللجنة الدولية بوجوب المبادرة الى التذرع بالوسائل اللازمة لانقاذ النسوة التعيسات من حالتهنّ المحزنة

فان آلامهنّ قد حرّكت عواطف شفقة جميع الامم المسيحية .

وقد وكلتْ إليّ حكومتي ان الحّ على الباب العالي بهذا الصدد وابلغه انها لا تقبل بتأجيل حل هذه القضية وان اسأله في الوقت ذاته ان يرسل الاوامر المشددة إلى فؤاد باشا ليعجل باتخاذ التدابير الناجعة لبلوغ هذا الغرض بالاتفاق مع رصفائه الاوربيين وان يتذرع بالوسائل الكافلة اعالة النساء المشار اليهنّ الى ان يجدنَ بيوتًا لايوائهنّ وكفاف عيشهنّ . (عدد ١٣٢ ملحق ١ ص ١٢٨ـ ١٢٩)

٢٠٨ ـ *اللورد دوفرين الى السر بولفر ، عن بيروت في ١٣ منه*

اتشرّف فاخبركم بان الموسيو بيكلار مندوب فرنسا والموسيو نوفيكوف مندوب الروسية وصلا الى إلى بيروت الاوّل أمس والآخر هذا الصباح . ولمّا كان الموسيو ويكبكر قنصل النمسا العام ومندوبها هو هنا فلم يؤخر انتداء اللجنة سوى غياب المسيو دي رهفوس ممثل بروسيا وقد بلغني انه يصل بعد اسبوع .

على ان صاحب الدولة فؤاد باشا يتوق كثيرًا الى ان ترسل الحكومة التركية بعض اشخاص من الاستانة يمثلونها في اللجنة لاعتقاده ان وظيفة الولاية والقيادة العامة تحول دون حضوره اجتماعاتنا . اجهل ماذا يكون رأي رصفائي في تبديل خطته لكنني قد كنت شاعرًا بانهُ يتعذر على دولته حضور كل اجتماعات اللجنة .

ولمّا حدثني دولته عن عزمه اقتصرت على القول اني أرى ان من أهمّ الامور ان يمثل تركيًا رجل كفوء يستطيع المدافعة عن مصلحتها بنجاح اذ من اللازم ان يُفصل كل خلاف في الاراء في جلسات اللجنة ذاتها استدراكًا لظهور عدم اتفاقه مع ممثلي الدول .

بدأتْ أمس محاكمة خورشيد باشا وسيحاكم طاهر باشا في القريب العاجل .

خاطبت فؤاد باشا أمس في التحقيقات الجارية فأعرب لي بلهجة صادقة عن

عزمه على القيام بواجبه مهما كان صعبا .

أمَّا خطة فؤاد باشا بخصوص اضطرابات لبنان فهي الآتية . فانهُ قد انفذ نشرة يستدعي بها اليه جميع زعماء الدروز في مدى خمسة ايام معلنًا انهُ يضمن سلامة الذين يستطيعون تبرئة ذواتهم من الاشتراك في الفظائع التي اقترفت وانهُ يحكم غيابًا على الذين يتخلفون عن الحضور .

من المرجح ان الزعماء الثابتة عليهم التهمة لا يَمْثلون بين يديه فاذ ذاك يعلن حبس اموالهم وحجز املاكهم ويبيح هدر دمهم . فهذا التدبير لا يخلو من الحكمة اذ يمهد للابرار ان يفترقوا عن اخوانهم الجناة قبل ان تعصف ريح العاصفة على لبنان فيتأيد رأي القائلين بان من الظلم عدّ الطائفة الدرزيّة مذنبة بأجمعها في كوائن لبنان الاخيرة . (عدد ١٤١ ملحق ١ ص ١٣٥-١٣٦)

٢٠٩ – ومنه اليه في ١٤ منه [افنطاف]

اتفق فؤاد باشا مع الجنرال دي بوفور على حركات الجنود الفرنسويّة . فبعد يوم أَو يومين يذهب قسم من الجنود التركية الى مكان قريب في الداخلية بامرة القائد كميتي لاحتلال دير القمر وغير مواقع في انحاء لبنان المختلطة السكان واستقرَّ الرأي على ان فصائل الجنود الفرنسويّة تذهب في أثرها فتجوب الجبل لمعاونتها

يتعذر عليَّ ان ابدي رأيًا في ما يترتب على هذه الحركات العسكريّة من النتائج فقد بلغني اليوم ان كثيرين من زعماء الدروز تأهبوا للرحيل الى حوران وربَّما انقاد بعضهم الى انذار الحكومة فيحضرون لاجراء محاكمتهم .

ولا اظن ان احدًا منهم يحاول مقاومة الجنود التركية والفرنسويّة . وقد أعرب لي فؤاد باشا عن أَملهِ بان الحملة ستكون « نزهة عسكريّة » . ويرتاب كثيرًا فيما اذا كان نطاق القبائل العربية التي جُمعت شرقي جبل حرمون لمنع زعماء الدروز من

الفرار الى حوران تقوم بالمهمة الموكولة اليها . وعلى كلٍ يصعب توقع ما ينجم من الحوادث عن محاولة الجنود الفرنسوية مطاردة الدروز حتى في اماكنهم الحصينة الكائنة في الجبل الشرقي اذا ما صمم الموسيو دي بوفور على الزحف عليهم .

(عدد ١٤١ ملحق ٢ ص ١٣٦)

٢١٠ – مور الى اللورد روسل في ١٤ منه [اقتطاف]

ان فؤاد باشا انفذ اليوم اوامر الى ٣٧ زعيماً درزياً و٣٥ مسيحياً بوجوب الحضور الى بيروت في مدى خمسة ايام حتى اذا تخلفوا حوكموا غياباً مع ان كثيرين من زعماء الدروز وفي عدادهم بشير بك أبي نكد وخطار بك العماد لجأوا الى حوران مع اهالي بعقلين إحدى كبار قرى الدروز وسكان الناحية المجاورة الذين غمسوا ايديهم في المذابح مع زعمائهم الحماديين. لمَّا كان سعيد بك جنبلاط قد أرسل يسألني ان احصل لهُ على تأمين صريح فيما لو جاءَ بيروت حتى اذا لم انجح يستعد للهرب فاطلعت اللورد دوفرين على كتابه استطلاعاً لرأيه وسأوقفكم عليه في ملحق .

ان مندوب الباب العالي قد ألف مجلساً خارق العادة لمحاكمة المتهمين كما فعل في دمشق . ان كثيرين من مسلمي بيروت الذين اشتركوا في فتنة ٢٣ حزيران الماضي فرّوا خوفاً من استدعائهم للمثول امام هذا المجلس لاستجوابهم عن سلوكهم وقد ثبت انهم انضموا الى الجنود الغير النظامية في نهب القرى الكائنة في سهل بيروت واضرام النار فيها .

ان الجنود الفرنسوية لم تبرح مكانها ولم يتم الاتفاق النهائي بين مندوب الباب العالي وقائد هذه الجنود العام

يؤخذ من لوائح لجنة الاسعاف المحلية ان عدد المنكوبين اللاجئين الى هنا يبلغ ١٢٨٣٣ تُوزع عليهم يومياً الاعانات و يوجد ثلاثة الاف في صيدا يعتني احد

اعضاء لجنتنا باعالتهم .

يموت كثيرون في بيروت من اللاجئين التعساء وقد توفي أمس عشرون ممن كانوا عرضةً لحرّ النهار و برد الليل .　　　　(عدد ١٤٠ ص ١٣٤ـ١٣٥)

٢١١ – اللورد روسل الى اللورد كولي في ١٥ منه

ارسل لكم في طيه خلاصة رسائل المستر مور والمستر برانت والمستر سيريل كراهام فاطلعوا عليها المسيو توفنيل وترون منها ان ليس احد منهم يثق بالتدابير التي اُتخذت ويخشون ان يعود الظلم الى ما كان عليه سابقاً عندما يسكن الرأي العام الاوربي .فيتسنى للحكومة الفرنسوية ان تقابل بين اخبارها واخبارنا ولها ان تحكم اذا كان في وسع الجنود الفرنسوية ان تعود بعد شهرين او اذا كانت اقامتها هناك تستغرق الستة اشهر المعينة في الاتفاقية .

فاذا كان الثاني فيحسن ارسال القسم الثاني من الستة الاف جندي المذكور في الاتفاقية الى سورية . فيمكنك ان تبلّغ الحكومة الفرنسوية ان كلًّا من بريطانيا العظمى و بروسيا مستعدتان لارسال ثلاثة الاف جندي انما يجب القطع بهذا الامر حالاً نظراً لاضطراب الحالة في شواطيء سورية .

ملحق :　عليك ان تخاطب الموسيو توفنيل بهذا الشأن في الحال .

(عدد ١٢٣ ص ١١٤)

٢١٢ – نشرة فؤاد باشا الى المشايخ المسيحيين في ٢٨ صفر سنة ٧٧ [١٤ ايلول]

من لدن ديوان نظارة الامور الخارجية والمأمورية المخصوصة فوق العادات لاصلاح احوال سورية الى افتخار المشايخ الخازنيين .

ان الكيفية المؤلمة التي توقعت في جبل لبنان لمعلومة لدى الجميع فنفوس

عديدة من تبعة الدولة العلية قد تلفت وكثير منهم قد انتهبت بيوتهم واحترقت وهم الآن مهجورون من مأواهم يتعيشون في هذا الطرف باعانة الدولة العليـة فبمقتضى العدالة السنية يلزم البحث عن مبدإ هكذا واقعة ومنشأها ثم النظر في توطين هؤلاء الاهالي المساكين وتأمينهم واصلاح احوالهم وهذا يحصل في محاكمة يتضح بها مبدأ الوقايع ومنشأ احوالها المخصوصة بها وهذه الصورة هي مشتهى كل قبيلة في جبل لبنان وكل شخص يرغب تبرئة ذمته ولذلك أُعطي القرار على جلب مشايخ المسيحيين والدروز ورؤسائهم كافة لطرفنا للوقوف على افادات كل فريق منهما واجراء الحقانية غب المحاكمة ولذلك قد دعونا الينا كلًّا من مشايخ الطرفين ورؤسائهما فمن لا يجيب دعوتنا فيكون قد اعلن معترفًا بكونه متهمًا ويحكم عليه في غيابه بالجزاء الذي يعينه القانون فينبغي ان يكون جميعكم بعد خمسة ايام من تاريخ تحريراتنا حاضرين في بيروت وبناءً عليه تحررت هذه الشقة وأُرسل بها اليكم .

(عن الصورة الاصلية المحفوظة عند معرّبي هذا الكتاب)

٢١٣ – اللورد روسل الى السر بولفر في ١٥ منه

في طيه صورة لائحة انفذها إليَّ المسيو موزوروس تتضمن خلاصة رسائل فؤاد باشا حتى ٢٣ المنقضي وقد ارسلها اليه صفوت افندي (ناظر الخارجية)

ولمَّا كنت غائبًا عن لندره اوفدت المستر هموند الى المسيو موزوروس ليقول لهُ اني ولئن كنت قد سررت كثيرًا بما أتاه فؤاد باشا حتى ٢٣ آب فقد أسفت على انه لم يفعل المقتضي . فحتى الان لم يعاقب خورشيد باشا مشير صيدا وأحمد باشا مشير دمشق والضبَّاط الاتراك الذين اشتركوا في مذبحة دير القمر . فلو كان ألَّف مجلسًا عسكريًا لتمكن من استثبات التهم الموجهة الى المذكورين . وانه قد بلغنا

ان محاكمة أحمد باشا قد انتهت انما لم يُحكم عليهِ .

وعهدت ايضاً الى المستر هموند ان يصرح للسفير العثماني انه اذا كان هؤلاء الاشخاص لا يُعاقبون بشدة فالرأي العام في اوربا مع تبرئته عالي باشا الصدر الاعظم ورشدي باشا وفؤاد باشا لا بدَّ لهُ من الاعتقاد بان بعض كبار الموظفين في الاستانة حرَّضوا على هذه المذابح وهم الان يحمون مقترفيها .

فماذا تكون حالة دمشق اذ ذاك ؟ ان مراجل الانتقام تظل تغلي في صدور اقارب الذين أُعدموا ويزدادون حنقاً على المسيحيين ويتصورون انه اذا ثأروا لنفوسهم يجدون دون ريب حماة لهم في بلاط السلطان وان عوقب بعضهم بحيث تسوء حالة مسيحيي سوريَّة عن ذي قبل .

فوعد الموسيو موزورس بابلاغ حكومته ما قاله المستر هموند بالحرف الواحد . (عدد ١٢٤ ص ١١٥)

٢١٤ — اللورد دوفرين الى ابرو افندي . عن بيروت في ١٦ منه

يتشرَّف اللورد دوفرين بانباء ابرو افندي انه قد تلقى الان كتاباً من الماجور فرازر في دمشق مآله انه منذ سفر صاحب الدولة فؤاد باشا أمسى المسيحيون عرضةً لوعيد المسلمين فقلق بالهم .

وفي وسع ابرو افندي ان يثق بصحة هذا الخبر لان الماجور فرازر غير ميَّال الى المبالغة ويحذر كثيراً من ارسال انباء مشكوك بها .

ومن نكد الطالع لا يستبعد اغتنام المسلمين الفرصة للانتقام من المسيحيين متى وثقوا انهم لا يُعاقبون . ولربَّما تعذر على رجال الشرطة مهما كان نشاطهم وسهرهم مراقبة كل عداء ووعيد انما في الوقت ذاته لمَّا كان من مصلحة الحكومة اعادة الثقة الى الاهلين واقناع الدمشقيين الفارّين بالعودة الى المدينة فمن اللازم اللازب

اتخاذ تحوطات غير عادية اتقاء حدوث ادنى اعتداء على المسيحيين لان أقل اهانة ينتج عنها لا شك الف تأويل فتثير المخاوف .

وعليه ينبغي ألاَّ يدخر شيء في سبيل استدراك تجدد حوادث كالتي اشار اليها الماجور فرازر ومعاقبة المتجاسرين عليها عاجلًا بمنتهى الشدة .

هذا وقد شجع اللورد دوفرين اهالي دمشق اللاجئين الى بيروت على العودة الى بيوتهم حبًّا بمساعدة الحكومة التي سألته ان يحرضهم على الانقياد لدعوتها . وبناءً عليه يرجو ألاَّ يستغرب ابرو افندي شدة قلقه على مصير هؤلاء المسيحيين وتجاسره على الالحاح عليه بالفات نظر دولته الى هذه المسألة .

(عدد ١٤٢ ملحق ٦ ص ١٣٩)

٢١٥ — برانت الى اللورد روسل . عن دمشق في ٢٠ منه

عليَّ ان اعتذر لسيادتكم من انقطاعي عن مواصلة انبائكم بما حدث . فلقد اشتدَّت عليَّ العلة عدة ايام حتى منعتني عن الكتابة .

في يوم السبت ٨ الجاري قبل سفر فؤاد باشا الى بيروت أُعدم سرًّا في ساحة الثكنة الداخلية احمد آغا المشير السابق وعلي بك قائد الجنود في حي المسيحيين في دمشق حين حدوث المجزرة وعثمان بك اميرالاي الجنود في حاصبيًا ومحمد علي بك بكباشي راشيًا

لولا وصول اللورد دوفرين الى هنا لأجل فؤاد باشا اعدام احمد اغا الى مدة أُخرى لانه لم يكن راغبًا باعدام هذا الرجل عاجلًا في حين انه لو قام بواجبه لاستطاع ملافاة مذبحة دمشق بكل سهولة .

لم يحدث ما يستحق الذكر منذ سفر فؤاد باشا سوى انهُ فُتشت عدة بيوت فعثر فيها على امتعة منهوبة والقي القبض على بعضهم

ان جميع المسيحيين انتقلوا الان من القلعة الى البيوت المعدّة لهم في احياء المسلمين .

أُلقي القبض فجر أمس على تسعة من الجناة عثر عليهم الاهالي مختبئين في انحاء المدينة وفي جملتهم قاتل المستر وليم كراهام .

ليس من سبيل الى تطمين بال المسيحيين واعتقد انهم راغبون جميعاً في مهاجرة المدينة فكثيراً ما تُرجم ابواب بيوتهم بالحجارة ليلاً ومع ان الحرّاس يقبضون على المعتدين متى كانوا متيقظين فالمسيحيون قلقون لانهم تحققوا ان هذه الاعتداءات تقع على البيوت التي يقيم فيها رجل واحد بين كثيرات من النساء .

أمّا الجنود فلم يظهر منها ميل الى حماية المسيحيين وكلما شاهد هؤلاء مسلماً يرتجفون رعباً . وقد علمت ان بعض المسلمين يطمنون خواطر جيرانهم المسيحيين ويمدّون لهم يد المساعدة ويعيرونهم أواني الطبخ وما شاكل ذلك . انّما أرى ان الخوف والاشمئزاز مستولين على المسيحيين كما ان ملاك عواطف المسلمين السخط من ضرر وهمي . وينبغي لاعادة حسن العلائق بين الطائفتين انقضاء مدة سكون طويلة . وفي الحقيقة لا يرجى عودة مياه الوئام الى مجاريها في عدّة اماكن ولاسيما حيث قُتل كثير من الرجال ورُمّلت النساء ويُتم الاولاد واقترفت الفظائع .

لا تزال الحكومة المحلية توزع قليلاً من المال والطعام على المنكوبين لكن هذه الاعانة لا تكفي متى جاء الشتاء وقرس البرد فيقتضي اذ ذاك ان يعطوا حطباً للوقود وثياباً صالحة للدفء وفرشاً واغطية .

لقد تفشت العلل ولمّا كان لا يوجد اطباء للاعتناء بالمرضى وادوية فيتوقع موت كثيرين . وقصارى القول ان قرب فصل الشتاء يقبض القلوب وينذر بالويل واخشى ان يزيد غلاء المأكولات والحبوب في شقاء المنكوبين .

(عدد ١٤٤ ص ١٤٠)

٢١٦ — ومنه اليه بالتاريخ ذاته

يستفاد من الاخبار الواردة من بيروت انـه يتوقع هجوم الدروز ولذلك استعدت الجنود لمغادرة دمشق ويقال ان تابورين ومدفعين من حاصبيا حيث توجه اسمعيل باشا (الجنرال كميتي) وتابوراً آخر لحقوا بمصطفى باشا في حوران. وهذا جل ما اتصل بي الان . أمَّا الدروز فهم في رعب شديد لخوفهم من الهجوم عليهم وقد ارسلوا مسيحيين من حوران لاستطلاع نيَّات الحكومة التركية .

ان هياج المسلمين في عكا واللاذقية المنذر بايقاظ الفتنة فيهما يدلّ على ان روح التعصب لم يزل على ما كان عليه وعندي ان لا شيء يقوى على اخمـاد هذه الروح سوى احتلال الجنود الاوربية سوريَّة مدّة.ويخشى اذا حدث اضطراب في مكان ما وكانت الحكومة المحلية عاجزة عن قمعه من ان يتطاير منه شرر فتنة جديدة الى كل سورية فيلفح شواظها فتعمها بل تتجاوزها ولذلك فلا اعتقد ان لدى الباب العالي قوّات كافية وضبَّاطاً ذوي حزم وعزم لاطفاء جمرة فتنـة عامة يظهر ان المسلمين مستعدون لها في كل مكان . (عدد ١٤٥ ص ١٤١)

٢١٧ — اللورد كولي الى اللورد روسل • عن باريس في ٢١ منه

حادثت الموسيو توفنيل بما اوعزتم بهِ إليَّ برسالتكم المؤَرخـة في ١٥ الجاري بخصوص قوّات فرنسا في سوريَّا توصلًا الى معرفة مدة اقامتها هناك وما اذا كان من لزوم لتعزيزها .فقال دولته ان ليس لديه انباء تمكنه من الجواب على سوأالي . وكان قد اتفق لي ان التقيت بالماريشال رندون وزير الحربيـة واستطلعت رأيه بهذا الشأن فكان جوابه كجواب المسيو توفنيل واردف ان الجنرال دي بوفور ذهب الى دمشق لمفاوضة فوأاد باشا ولا بدَّ من ان تأتي رسائله مسهبة بهذا الشأن

فيستدل منها على الآتي وانه لا يتوقع لزوم تعزيز هذه القوّات إلاَّ اذا اضطرت الجنود الاوربية الى القيام بحركات عسكرية . وان قد قيل ان لدى فؤاد باشا ١٥ الف مقاتل وهي قوّة كافية لتوطيد اركان الراحة في سوريّة .

أمَّا المسيو توفنيل فيعتقد ان في وسع اللجنة دون غيرها القطع في تعيين ميعاد رجوع الجنود الفرنسويّة وانهُ يتعذر ذلك في الوقت الحاضر لانه يخشى ان يعقب جلاءها استيقاظ الفتنة .

فألفتُ نظر الموسيو توفنيل الى قرب دخول فصل الشتاء فتمسي شواطئ سوريَّة خطرة على بوارج الاساطيل ويتعذر انزال الجنود الى البر . وقلت انهُ اذا ظهر وجوب لارسال نجدات جديدة فحكومة جلالة الملكة مستعدة لتقديمها . فاعرب لي دولته عن مزيد ارتياحه الى هذا الامر . (عدد ١٣٤ ص ١٢٩ ـ ١٣٠)

٢١٨ – اللورد روسل الى اللورد كولي في ٢٢ منه

تلقيت رسالتكم المؤَرخة في ٢١ الجاري المحتوية على وصف حديثكم مع المسيو توفنيل بخصوص مدة اقامة الجنود الفرنسويّة في سورياً ووجوب تعزيزها بارسال عدد الجنود المعين في الاتفاقية حتى اذا روئي لزوم لها فحكومة جلالة الملكة مستعدة لتقديم قسم منها . فاجيبكم انه لمَّا كان فصل الشتاء على الابواب وشواطئ سوريّة غير أَمينة لانزال الجنود فتأمل حكومة جلالتها في انها لا تحتاج الى ارسالها . (عدد ١٣٥ ص ١٣٠)

٢١٩ – اللورد دوفرين الى السر بولفر في ٢١ منه [اقتطاف]

اتشرَّف فارسل لكم في طيه صورة اللائحة المتضمنة اسماء اعضاء المجلس المعين لمحاكمة خورشيد باشا وقد شُرع بها . (عدد ١٤٢ ملحق ١ ص ١٣٧)

٢٢٠ - اعضاء المحكمة

الرئيس : صاحب الدولة أحمد باشا والي الايالة ووالي ازمير سابقًا

الاعضاء : ١ً : أمير البحر مصطفى باشا وهو يتكلم الانكليزية وتلقى علومه في مدرسة شيرنس وخدم في البحرية الانكليزية

٢ً : مفتي بيروت

٣ً : ابرو افندي احد مستخدمي فؤاد باشا وهو ارمني

٤ً : محاربجي حميد بك محاسب الولاية وهو مسلم

٥ً : امير الالاي حسني بك (الكولونيل اوريلي) وهو ايرلندي خدم في جيش ملك سردينيا السابق وفي الجيش المجاري .

وهذه المحكمة تفضل كثيرًا المؤلفة في دمشق ومع انها ليست جديرة بثقة عظيمة فيتعذر وجود احسن منها بين رعايا الباب العالي .

(عدد ١٤٢ ملحق ٢ ص ١٣٧)

٢٢١- ومنه اليه . عن بيروت في ٢١ منه

اتشرّف بان ارسل لدولتكم صورة النشرة التي اذاعتها الحكومة في مسيحيي دمشق اللاجئين الى بيروت طلبًا للنجاة وعددهم ٨ الاف نسمة تدعوهم بها الى الرجوع الى مدينتهم

وقد اخذ نفر منهم أمس بالاستفادة من التسهيلات التي بُذلت لهم في هذا السبيل وربّما اقتدى بهم آخرون بيدَ اني تحققت ان معظمهم لا يبرحون ملجأهم قبل ان يلحّ عليهم مندوبو الدول الخمس .

لم اتمكن من الوقوف علي رأي رصفائي في هذا الصدد واعترف اني ميَّال الى

تحريض هؤلاء المنكودي الحظ على الرجوع الى دمشق لان وجودهم في بيروت محفوف بالاخطار وينجم عنه اضرار كثيرة اذ يستولي اليأس على النساء والبنات والخمول على الرجال فيعتادون على الكسل والاستعطاء وفضلاً عن ذلك يخشى من تفشي الامراض والحميات والاوبئة بين هذا الجمهور الذي لا مأوى لهُ متى جاء الشتاء .

قبل براحي دمشق استطلعت ذوي الاراء السديدة فيما اذا كان يخشى حدوث فتنة جديدة فأكد لي المستر برانت قنصلنا والموسيو اوتره قنصل فرنسا وسمو الامير عبد القادر والمستر روبصن المرسل البروتستاني والموسيو مشاقه والموسيو فريج من اعيان المسيحيين الوطنيين والقائد كميتي وغيرهم ان لاسبيل الى القلق ما دام فؤاد باشا في سوريّة . وفي الحقيقة يخيل لي انهُ يستطيع على الاقل ان يوطد دعائم الراحة في دمشق اذا تعذر عليه اجراء كل ما يقتضي .

لو لم يكن ذلك حقيقة راهنة لوجب علينا ليس فقط منع كل فرد من الرجوع الى المدينة المذكورة بل حمل كل مسيحي باقٍ فيها على الالتجاء الى المدن الواقعة على سيف البحر .

ومتى سُئلت رأيي الخاص في هذه المسألة لا احجم عن ابدائه بالصورة المتقدمة

ان الموسيو بيكلار مريض وقد علمت ان رأيه مطابق لرأيي .

في طيهِ صورة الكتاب وملحقه اللذين انفذتهما الى الماجور فرازر في دمشق ولهما علاقة بهذا الشأن . (عدد ١٤٢ ملحق ٣ ص ١٣٧ ـ ١٣٨)

٢٢٢ـ نشرة فؤاد باشا فى اللاجئين فى ١ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ [١٧ ايلول]

لقد أُعدَّت بيوت في بعض احياء دمشق لاسكان المسيحيين فيها على أثر قمع الفتنة فيها بسطوة جلالة السلطان الاعظم وقد نقلوا الى هذه البيوت فلم يبقَ احد

في القلعة السلطانية وهيأ ٨٠ إلى ٩٠ بيتاً لاقامة المهاجرين الذين يودّون الرجوع الى مسقط رأسهم فقد ساد النظام والراحة في المدينة وأصبحت تحت الظل السلطاني الظليل فعليكم ان تعودوا اليها فتجدون فيها كل ما تحتاجون اليهِ من المسكن والمأكل

وقد رأينا مناسباً ان نقدم ٢٠٠ حيوان لكل قافلة تقصد دمشق رغبة في تسهيل عودتكم اليها وضمان راحتكم في الطريق فعلى الذين يودّون الرجوع اليها ان يأتوا الى مركز لجنة الاعانات لتسجيل اسمائهم لتقدم لهم الحكومة عدد البغال اللازمة على نفقتها وتصحبهم بحرس كافٍ .

وسنكتب الى صاحب الدولة والي دمشق ليسلّم العائدين مفاتيح البيوت المعدّة لنزولهم فور وصولهم ويبذل لهم كل المساعدات اللازمة ويوزع عليهم الارزاق. وقد اقررنا على قطع الاعانات عنكم في بيروت بعد مرور ١٥ يوماً أنما تُعطونها في دمشق . وعليهِ صدر هذا التنبيه من ديوان نظارة الامور الخارجية والمأمورية الخاصة الخارقة العادة في سوريّة .　　　　(عدد ١٤٢ ملحق ٤ ص ١٣٨)

٢٢٣ – *الماجور فرازر الى اللورد روسل . عن دمشق في ٢١ منه*

لمَّا كان اللورد دوفرين مندوب جلالة الملكة موجوداً في دمشق حين اعدام أحمد باشا والضبَّاط الثلاثة من اركان الحرب الذين اشتركوا في مذابح حاصبياً وراشياً ودمشق، لم اكتب اليكم مراعاةً لخاطر اللورد المشار اليه وقد حدَّثني بعزمه على ايقافكم على ما جرى . بيدَ ان اعدام المذكورين لم يؤثر في العامة وأسف على القول انهُ كان قليلاً جدًّا وانسب هذه النتيجة الى انه تمَّ خفية في مكان مقفول بعيد عن اعين الاهالي المراد ارهابهم .

وفي ٢١ آب أي في غد اليوم الذي نفذت فيه الاحكام الاولى اوضحت لصاحب الدولة فؤاد باشا وجوب جعل تنفيذها علناً في الآتي لتكون عبرة للاهالي وارهاباً

لهم. وقد سبق لي ان اخبرت سيادتكم بما تقدم في ٢٣ المنقضي. فلم يعوّل على هذا الرأي مع ان الظروف الخارقة العادة توجب الاعتماد عليه. وقد ظهرت سوء نتائج اعدام الجناة سرًّا من الاشاعات المتفشية على ألسنة المسلمين ومآلها ان احمد باشا لم يُعدم بل مُثات ألعوبة خُدع بها الحاضرون وقد اصطحبه فؤاد باشا الى بيروت ليلًا. أجل ان مثل هذه الاشاعات لا تُصدَّق لكنها تدل على الريب الباقي في العقول من جراء اعدام هؤلاء الجناة سرًّا وزوال العبرة المرجوَّة.

ان الحكومة المحلية تراخت منذ سفر فؤاد باشا إلى بيروت في ٨ الجاري لكن عاد اليها نشاطها في الخمسة ايام الماضية فقبضت على ٥٠٠ شخص وارسلتهم الى الاستانة لاداء الخدمة العسكريّة ومعهم بعض المذنبين. وفي اليومين السابقين جُند ٢٠٠ من الذين أَصابتهم القرعة العسكرية بحيث صار مجموعهم حتى الان زهاء ٢٠٠٠ وقد أُعفي من هذه الخدمة كل من يدفع بدلاً قدره عشرون الف قرش (١٨٠ ليرة انكليزية) ويقال ان اربعين شخصاً استفادوا من ذلك وقام مقامهم اناس من حيهم. ويخشى ان تؤدي هذه الطريقة الى تلاعب الموظفين العديمي النزاهة والى ارتشائهم

وفي ١٨ الجاري شُنق ٩ اشخاص حُكم عليهم منذ مدة طويلة بتهمة القتل وأُجل تنفيذ الحكم حتى ذلك التاريخ لاسباب غامضة. وجميعهم من رعاع القوم وهم ثلاثة دروز وكرديّان وقوّاصا قنصلية بروسيا ورجل من حماه وحلّاق من دمشق اعترف انه قاتل المستر وليم كراهام المرسل البروتستاني. انّما ذلك يحتاج الى الاثبات لانهُ حُكم عليهِ باقترافه جرائم أُخرى ممَّا يدعو الى الظن بان المقصود اخفاء القاتل الحقيقي الجاري البحث عنه.

ان خمسة فقط من هؤلاء التسعة المشنوقين هم من دمشق ومثلهم الاربعين من الستة والخمسين الذين شُنقوا في ٢٠ آب والخمسين من الذين أُعدموا بتهمة القتل. أمَّا باقي المحكوم عليهم فهم من رجال الشرطة أو جنود غير نظامية وقد أُعدموا بتهمة

النهب فقط إلاّ القليل منهم . ولم يُعدم سوى عشرة من ٥٠٠ شخص اتهموا بكونهم اشتركوا في المذابح في احد احياء المدينة . ان المسيحيين يصرّحون بانهُ لا يصعب العثور على الجناة اذا أُجبر مختارو الاحياء على القيام بواجبهم .

لم يُحكم حتى الآن على الاعيان المسجونين منذ شهر وقد ذكرتهم في رسالتي المؤرخة في ٢٣ آب بحجة عدم وجود ادلة كافية . وفي الحقيقة ان معظم الجناة ان من اعيان القوم وان من رعاعه افلتوا حتى الآن من العقاب ولا استطيع ان اعلم ما اذا كانت الحكومة سعت الى اكتشافهم او الى اخفائهم . ان محاكمة الجناة التي كانت جارية ببطء اثناء وجود فؤاد باشا هنا اوشكت ان تقف تماماً . فمازال الرعب في قلوب السكّان لا يزال لازماً من جراء طريقة التباطوء التي انتهجت في البحث عن الجناة واعدامهم واراني مضطرًّا الى التصريح باني لا اؤمل اتخاذ وسائل ناجعة في اجراء العدالة عاجلًا واعادة الثقة والامان اذا لم يضغط بعض الاوربيين ذوي النفوذ توًّا او بالواسطة على اللجنة العثمانية الموكول اليها اتمام هذا الواجب . ان المسيحيين الباقين في قيد الحياة وعددهم خمسة الاف قد اخلوا القلعة وتفرقوا في البيوت التي افرغتها الحكومة لهذا الغرض . وقد زرت في الثلاثة الايام الماضية جمهوراً منهم واقول بأسف ان حالتهم ليست على ما يرام وقد تفشت بينهم الامراض ولاسيما الحميات والاوبئة . وقد خُصصت الاموال التي أَرسلتها لجنة الاحسان السوريّة الى المستر برانت لسدّ حاجتهم القصوى لكنهم لا يزالون في رعب شديد بين مخالب اليأس ويقولون انهم امتحنوا كره المسلمين الشديد لهم وخداعهم ويخشون تجدد الفظائع السابقة او اضطرابات مماثلة لها . وهم الآن قلقون من حركات الجنود في المدينة مع ان حاميتها زهاء خمسة الاف مقاتل ويرغبون في الجلاء عنها الى اي مكان كان ويعربون عن رغبتهم بكلام سادج انما مؤثر وهو : « ان قلوبنا احترقت وقد أَمسينا غرباء عن وطننا فلماذا نبقى فيه ؟ فاتركونا

نرحل عنه. » فزرتهم وشجعتهم وطمنت خواطرهم لكنني لم انجح. فالوقت والتحوطات التي تتخذها الحكومة لحمايتهم تتكفل باعادة الطمأنينة اليهم.

شرع الان بالحركات العسكرية التمهيدية لتأديب الدروز اذا اقتضى الامر فأنفذ ٢٠٠٠ مقاتل وفيهم جنود غير نظامية الى حوران وسافر اليوم ٣٠٠٠ جندي نظامي مع ٣٠٠ فارس كردي مصحوبين بمدفعين الى حاصبيا بقيادة السر عسكر حليم باشا. وقد كنت عزمت على مرافقة هذه القوة ولاسيما لو صحبها صاحب الدولة فؤاد باشا بيدَ انهُ لمَّا كان المستر برانت سيتغيب عن دمشق فقد عوَّلت على استشارة اللورد دوفرين قبل براحي هذه المدينة. (عدد ١٤٨ ص ١٥٢ـ ١٥٤)

٢٢٤ — *اللورد دوفرين الى السر بولفر. عن بيروت في ٢١ منه*

اتشرف فانبئكم انه منذ اذاع صاحب الدولة فؤاد باشا انذاره في زعماء الدروز استدعاءً لهم للمثول امامه في مدى بضعة ايام للجواب عن اعمالهم وقد اشرت اليه في رسالتي المؤرخة في ١٣ الجاري عمد سعيد بك جنبلاط اكبر اصحاب الاقطاعات الدرزية واقدرهم الى استعمال الوسائط لدى المستر مور ولديَّ ملحًا بان نكفل له وقايته من كل ضرر فيما لو مثل امام المحكمة. فاتفقنا على رد طلبه ورأينا ان الضمانة الوحيدة التي يمكننا اعطاءه اياها هي انه سيحاكم بعدالة وان سلامتهِ متوقفة على برائته. اذ من المرجح انه اذا ارسلنا اليه مثل هذا الجواب يؤوّله كتعهد من قبل انكلترة باستعمال نفوذها لتبرئته.

وكان المستر مور قبل سقوط زحلة قد سأَل سعيد بك باسم الحكومة الانكليزية ان يوقف سفك دم المسيحيين. ولاشك في انهُ لو شاءَ ذلك لامكنه استدراك الكارثة فتصامَّ عن الاصغاء لكل النصائح المبذولة لهُ فسقطت المدينة بايدي الدروز. وعليه عزمت والمستر مور على رفض مفاوضته وقطع كل علاقة بهِ

وتركه وشأنه شاء الحضور أو آثر الفرار. (عدد ١٤٧ ملحق ١ ص ١٤٨)

٢٢٥– ومنه اليه في ٢٣ منه

اتشرَّف فانبئكم بان قد قدم المدينة من الجبل ١٢ زعيمًا درزيًّا وهاك اسماؤهم:
الامير محمد رسلان قائم مقام الدروز. الامير ملحم رسلان. سليم بك جنبلاط. الشيخ اسعد عماد. قاسم بك أبي نكد. الشيخ حسين تلحوق. يوسف عبد الملك. فاعور عبد الملك. قاسم حسن الدين. عثمان بك أبي علوان. الشيخ جمال الدين حمدان.

زرت فؤاد باشا هذا الصباح في مضربهِ فدخل عليه رجل وهمس بعض كلمات في اذنه فالتفت دولته إليَّ واخبرني بان سعيد بك جنبلاط على الباب ينتظر اوامره. أمَّا سائر زعماء الدروز فقد جُعلوا قيد المراقبة منذ وصولهم. وقد اخبرني دولته انه نوى الان ان يحيل دعاويهم على المجلس فيرأسه بنفسه وربَّما اقرَّ على توقيفهم
وقد اتصل بي انه فعل كما قال واوقف جميع المذكورين آنفًا في دار الحكومة.
لم اتمكن من معرفة المحكمة التي يمثلون امامها وما اذا كان يؤذن للمندوبين الاوربيين ان يحققوا في التهم الموجهة الى الزعماء المذكورين بكل نزاهة.
ان النظر في طريقة محاكمة هؤلاء المتهمين بالاشتراك في الاضطرابات الاخيرة ان في دمشق وان في لبنان يثير افكارًا مزعجة تقلق البال. ويظهر انهُ يتعذر تأليف محكمة من رعايا الباب العالي جديرة بثقة الشاكين والمشكو منهم.
حتى اذا قضي بالجناية على هؤلاء الذين يتهمهم الرأي العام يسود الاعتقاد بانه وان كان الحكم عادلاً فعلاقته بالجناية عرضية. وان الحكومة التركية رغبةً في ارضاء اوربا عاقبت بعضهم بغية غسل العار عن شهرتها في دم الجناة. وعلى هذا فالمحكمة تعمل تحت الضغط والمدَّعى عليهِ يعتبر ذاته ضحية مقتضيات السياسة والشاكون

يعتقدون انها سياسة استعطاف لم تراعَ فيها أصول العدالة

ان عواطف الانفة الموجودة في كل انسان تنفر من مثل هذه المحاكمة الملتوية

من اللازم اللازب ان يكون الذين سيعهد اليهم بمحاكمة زعماء الدروز اناساً يريدون القضاء بنزاهة بل متصفين بالذكاء والفطنة للتمييز بين الجناة وغيرهم

ان مقدار الاكاذيب التي ستعزز بالقسم الغليظ ستكون كثيرة على ما أرجح والشهادات المتناقضة وافرة والتمييز بينها صعب جداً . وعندي انه يتعذر انشاء محكمة وطنية يزدان اعضاؤها بالصبر وسلامة الضمير واستقلال الرأي وهي خلال لازمة للقضاء بنزاهة في الدعاوى الموكول اليهم النظر فيها

اجهل اذا كانت اللجنة الدولية تعتبر ان لهـا السلطة على التدخل في هذه الدعاوى انّما سيكون من حسن حظها اذا توفقت بحكمتها الى ايجاد علاج لهذا الداء الشديد . (عدد ١٤٧ ملحق ٢ ص ١٤٨ ـ ١٤٩)

٢٢٦- ومنه اليه بالتاريخ ذاته [اقتطاف]

اتشرف فانبئكم باني حادثت فؤاد باشا غـير مرة في الاسبوع المنقضي وقد تلطف دولته وجاد عليَّ ببعض تفاصيل الخطة التي عزم على انتهاجها في محاكمة دروز جبل لبنان .

وقد سبق لي ان انبأت سعادتكم في رسالتي المؤرخة في ١٣ الجاري بان فؤاد باشا قد شرع بتنفيذها باذاعته نشرة في زعماء الدروز يستدعيهم بها للمثول امامـه منذراً اياهم بالحكم عليهم غياباً اذا أبوا تلبية دعوته . وفور انقضاء المهلة المعطاة لهم كتب دولته امراً صورته في طيه عاب بهِ على جميع الزعمـاء الذين أَبوا الحضور سلوكهم معلناً تجريدهم من وظائفهم ورتبهم والقابهم وحجزه اموالهم لان تخلفهم كان بمثابة اعتراف باقترافهم الجناية .

ثم يأمر دولته باحتلال لبنان بخمسة الاف جندي بامرة اسمعيل باشا (القائد كميتي) وقد جعل صيدا مركزاً لهذه الحركات العسكرية. وسيقوم قسم من جيش دمشق بحركات مثلها فيعسكر في جوار حاصبيا وراشيا غربي سفح جبل حرمون في حين ان قبائل العرب التي سبق لي الاشارة اليها في رسالتي المذكورة آنفاً سترابط على حدود حوران لمنع الفارين من الالتجاء الى جبل اللجاه.

(عدد ١٤٧ ملحق ٣ ص ١٤٩-١٥٠)

٢٢٧- انذار فؤاد باشا مشايخ الدروز في ٤ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ [٢٠ ايلول]

لمّا كان جلالة السلطان الاعظم قد امر باجراء محاكمة جميع الذين سببوا كوائن لبنان المحزنة بكمال العدالة وجهنا انذاراً عاماً الى جميع امراء الدروز والمسيحيين ومشايخهم دعوناهم به الى المثول امام لجنة التحقيق الموكول اليها البحث في منشأ الحرب الاهلية والاسباب التي جرّت اليها واعلنّا جميع الذين لا يحضرون في الوقت المعين انهم يُعدون كجناة لانهم بتمنعهم عن الحضور يثبتون صحة الشكاوى الموجهة اليهم فيحكم عليهم ويُعاقبون وفقاً للقانون.

ان كثيرين من زعماء الدروز لم يلبوا نداءنا بعضهم لاتهامهم بانهم من الذين غمسوا ايديهم في الفتنة أو حرّضوا عليها وآخرون لاقترافهم جنايات وجرائم ومعظمهم لانهم خفروا ذمة كل الواجبات المفروضة عليهم بصفتهم من أصحاب الاقطاعات الموكول اليهم حفظ الراحة فيها العامة فخالفوا الاوامر السلطانية والحق العام. فجميع الذين يحدثون قلاقل ويثيرون الاهالي ويحرضونهم على الثورة والذبح والنهب ويقترفون الجنايات والجرائم يجب قصاصهم وفقاً لموجبات القانون. ولمّا كان الزعماء المذكورون بتخلفهم عن الحضور قد اعترفوا ضمناً بذنبهم فالمندوب السلطاني الخارق العادة في سوريّة المفوضة اليه السلطة المطلقة قد اتخذ بحقهم الاحكام الآتية :

١ً : أُلغيت رتب والقاب الزعماء المذكورين

٢ً : فصلوا من وظيفة اصحاب الاقطاع وسائر الوظائف التي كانوا يشغلونها.

٣ً : حُجزت جميع اموالهم الثابتة والمنقولة وتبقى محبوسة الى حين صدور الامر السلطاني بشأنها .

٤ً : ان المجلس الخارق العادة المقيم في بيروت سيحكم في درجة ذنب كل من المتهمين ويقضي غيابًا عليهم بالعقاب الذي استحقوه حتى اذا وقع احد منهم بيد الحكومة ينفذ بحقه الحكم . بيدَ انها تترك لهؤلاء المحكوم عليهم الحق بان يأتوا مختارين لتبرئة ذواتهم امام المجلس

٥ً : أمّا الذين لم يتهموا بشيء فلهم ان ينصرفوا الى اشغالهم فتوقى حياتهم وتُكفل اموالهم ويكافأ الذين حموا المسيحيين في خلال كوائن الجبل وانقذوهم

٦ً : قُسمت قائم مقامية الدروز إلى اربع دوائر وسيقيم في كل منها عدد كافٍ من الجنود السلطانية لاعادة المسيحيين الى بيوتهم وادارة شؤون هذه القائم مقامية . وستسهر هذه الجنود على حفظ السكينة والراحة ليتمتع بفوائدها جميع رعايا الذات الشاهانية دون تمييز . (عدد ١٤٧ ملحق ٤ ص ١٥٠ ودي تستا عدد ٥٧ ص ١٠٤-١٠٥)

٢٢٨- اللورد دوفرين الى السر بولفر في ٢٤ منه [اقتطاف]

ان صاحب الدولة فؤاد باشا والجنرال كميتي ذهبا ليلًا الى صيدا حيث حُشد قسم من الجنود التركية وفقًا للخطة التي اشرت اليها في رسالتي المؤرخة في ١٤ الجاري . وستزحف الحملة بمزيد السرعة على الداخلية . وبعد بضعة ايام سيقصد ٣٠٠٠ جندي فرنسوي دير القمر لعضد حركاتها وسيدعى المسيحيون الفارّون الى العودة الى بيوتهم ويشرع بتوطيد اركان الامان في لبنان .

اتشرف بان ارسل لسعادتكم نسخة النشرة التي اذاعها فؤاد باشا حثّاً للدروز الابرياء على الرجوع الى قراهم . وقد اتصل بي ان الرعب مستولٍ على هذه الطائفة باسرها. واظن ان اعدام احمد باشا والضبّاط اركان حربه كان له وقع في الجبل أشدّ منه في دمشق حيث ينظر المسلمون الى مصيبة رؤسائهم الاتراك بقلة الاكتراث

ورد هذا المساء خبر بان ٢٠٠ درزي قُتلوا بينا هم يحاولون خرق نطاق صفوف الجيوش التركية الموكول اليها منع التجائهم الى حوران .

(عدد ١٤٧ ملحق ٥ ص ١٥١ ـ ١٥٢)

٢٢٩ — نشرة فؤاد باشا الى الدروز في ٣ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ [١٩ ايلول]

لقد اتصل بنا ان قسماً من الدروز القاطنين في القرى ارتاعوا من ان يُعاقبوا دون تمييز ولا فرق فاستعدوا للجلاء والتشتت في انحاء البلاد . اجل سينزل القصاص في الذين سببوا القلاقل في جبل لبنان واتهموا باجتراح الجنايات بعد اجراء محاكمتهم ويكون عقابهم مناسباً لجرمهم على ان ذلك يجب ألاّ يحمل الاهلين على الفرار لانهُ لا يُظلم أحد بل يكافئ جميع الذين احسنوا السلوك في اثناء الاضطرابات وحموا جيرانهم المسيحيين وخدموا الحكومة والانسانية . وبناءً عليهِ ينبغي ان ينصرفوا الى اشغالهم واثقين بعدالة الحكومة العثمانية .

(عدد ١٤٧ ملحق ٦ ص ١٤٢ . ودي تستا عدد ٥٨ ص ١٠٥)

٢٣٠ — برانت الى السر بولفر . عن دمشق في ٢٥ منه [اقتطاف]

ان حالة سوريّة لمختلفة عن سائر انحاء تركيا فان الحرب التي نشبت بين الطائفتين المارونية والدرزيّة المتعاديتين وانفجار بركان التعصب لم يسبق لهما مثيل في العصور القريبة .

ان الباب العالي ارسل أدهى رجاله لاصلاح الشؤون مفوضاً اليه سلطة مطلقة ومعه قوّة كافية فاستعمل صاحب الدولة فؤاد باشا هذه السلطة وتوفق الى اعادة بعض الثقة الى البلاد . بيدَ انهُ قد ضلّ كل من افترض ان الترضية التي ستبذل مع ما هي عليه من النقص تقوى على شفاء الغلة ومحو ذكرى الفظائع الهائلة والفواحش المنقطعة النظير والمنكرات التي اُقترفت ولم يفقه مقدار الشرور التي نتجت عن فوران التعصب الاسلامي الذي استحلّ المحرمات واستباح الموبقات .

ان تعويض الخسائر المادية لسهل انّما ليس في طاقة انسان ان يعوض خسارة الرجال والنساء والأطفال الذين ذُبحوا بعد ان أُذيقوا أمرّ العذاب .

بقي علينا ان ننظر في التعويض الذي تؤديه الحكومة عن الخسارة التي شملت الامة المسيحية . ان الاسلاب التي استعيدت جارٍ توزيعها على المسيحيين تعويضاً عمّا فقدوه لكنها تُسعَّر غالية وليس هناك ما يرشد الى كيفية تدوين الحساب . فأصحاب النفوذ يحصلون على احسن الامتعة بأثمانها العادلة في حين ان الفقراء التعساء يضطرّون مع شدّة عوزهم الى رفض قبول الامتعة الخالية من كل قيمة لانها تثمن فاحشة جدّاً .

ان التباس سلوك الموكول اليهم الاشراف على توزيع اعانات الحكومة ولوازم المعيشة والثياب والفرش يؤلم بل هؤلاء المنكودي الحظ فيرون انهم مظلومون ويقنطون من انصافهم .

انا على يقين من ان محافي جلالة السلطان يودّون عضد حكومته غير ان كيفية هذه المساعدة غير جلية . ولست اشكّ في رغبة فؤاد باشا في توطيد اركان سلطة الباب العالي انّما لا يرجى صلاح اذا استمرّت ادارة زمام الشؤون في يد موظفين من طينة الولاة السابقين وأُبقيت طريقة الحكم على حالها

ان الاحوال قد تغيرت كثيراً منذ اشتعال نار الفتنة بحيث امسى الاقتصار على

ادخال بعض اصلاحات غير كافٍ لاقرار الحكومة على دعائم متينة بل يقتضي ابدال طريقة الحكم تمامًا وهذا يستدعي انعام نظر مندوبي الدول وتنقيبهم الدقيق

أمَّا بخصوص الطريقة المالية فلم اجد لها اثرًا سوى ان المأمورين يبقون في جيوبهم معظم ما يستوفونه من الشعب وما يستنزفونه منه بحيث لا يصل الى خزينة الدولة الا القليل فمثل هذه الطريقة - اذا كان يجوز ان تدعى بهذا الاسم - غير قابلة الاصلاح بل ينبغي ابدالها تمامًا .

ان كثيرين يرون ان فؤاد باشا تباطأ في اعدام الجناة فاضعف التأثير الذي كان يرجى من سرعة تنفيذ الاحكام اذ ان العقاب العاجل يلقي الرعب في قلوب الشعب ويكون لهُ عبرة زاجرة في الآتي . أمَّا اعدام الجناة تدريجًا فقد ولَّد حنقًا شديدًا على المسيحيين وايقظ الحزازات الكامنة في الصدور والرغبة في الثأر فامسى المسلمون والمسيحيون أشد عداوة لبعضهم من ذي قبل .

وعدا ما تقدم فقد عمَّ الاعتقاد بان العلماء عوملوا بلطف وقد اعتذر فؤاد باشا عن انه لم يجد شهادة صريحة على المسجونين منهم لكن معظم الشعب يرى ان الادلَّة كافية لشنقهم . وقد أتهم الشيخ عبدالله الحلبي والمفتي وغزي افندي بانهم حرَّضوا المسلمين على اجتراح الفظائع فالاول معروف بانه كان زعيم المحرِّضين على قتل المسيحيين وعلمتُ من مصادر مختلفة بان قد ثبتت الجناية عليه فداره مملوءة بالمسلوبات لكنها لم تُفتش وهجمت النساء المسلمات عليه مولولات على ازواجهنَّ الذين أُعدموا ومتهماته بانه كان سبب اعدامهم بتحريضاته . ويعتقد الجميع ان في الوسع الحصول على أدلَّة كافية اذا احتيج اليها وان ترك هؤلاء المتهمين يفلتون من عقاب الموت ينتج عنه ضرر عظيم فيمحو حسن تأثير اعدام الجناة قبلًا . ولا ريب في ان التعصب الاسلامي ولَّد جميع القلاقل وان في خضد شوكته اقوى ضمانة على اقرار الامن في المستقبل .

وبعد ان يتوفق فؤاد باشا الى توطيد اركان سلطة السلطان ينبغي ان تقوم ادارة نشيطة نزيهة طاهرة الذيل على دعائم هذه السلطة مقام التي جابت خراب هذه البلاد وكانت خاتمتها المذابح . (عدد ١٥٦ ملحق ١ ص ١٦٠ـ ١٦١)

٢٣١ — لطافة مندوبي الدول الى فؤاد باشا . عن بيروت في ٢٦ منه

نحن الموقعون اسماءنا أدناه مندوبو النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسية لمّا كان قد تمّ اجتماعنا في بيروت نتشرّف بانباء دولتكم لتتلطفوا وتستعدوا لمفاوضتنا بأقرب آن .

وقد علمنا من الرسائل التي انفذتها الينا سفاراتنا في الاستانة ان دولتكم تشتركون في ابحاثنا وتترأسون جلساتنا . فنحن مستعدون لتلبية دعوتكم لنا بهذه الصفة ونهنيء نفوسنا بهذه الفرصة التي يظهر لنا انها افضل ضمانة لنجاح المهمة الموكولة الينا جميعاً

واذا تعذر على دولتكم الحضور الى بيروت الان فلكم اذا رأيتم مناسباً اخبارنا بذلك واستنابة وكيل عنكم توكلون اليه مجالستنا وفقاً للشروط المتفق عليها في الاستانة بين الباب العالي وممثلي الدول ذوات المصلحة .

التواقيع : وكبكر . بيكلار . دوفرين . رهفوس . نوفيكوف

(عدد ١٥١ ملحق ٢ ص ١٥٦ـ ١٥٧)

٢٣٢ — اللورد دوفرين الى القنصل برانت في ٢٧ منه

انبئكم ان المندوبين الاوربيين عقدوا اجتماعا اول من أمس فاقترحت عليهم ان يطلب كل منهم الى قنصل حكومته في دمشق ارسال بيان يتضمن وصف حالة هذه المدينة الصحية وشؤون المسيحيين العامة .

ولما كان رصفائي قد استصوبوا رأيي هذا فاسألك ان تتلطف بايقافي على الاخبار المتعلقة بالامرين المار ذكرهما مما ترتئي انهُ خليق بان يعرض علي ابحاث المندوبين مع ما يخطر لك من الاراء فيما يجب على الحكومة فعله لايقاف تيار القلق واعادة الطمأنينة الى المسيحيين اكتسابًا لثقتهم . ويجدر بك قبل ان تكتب شيئًا بهذا الصدد ان تفاوض رصفائك ليأتي بيانك مطابقًا لبيانهم . وربما كان من الافضل الاتفاق على ارسال بيان اجماعي .

كتب لي الماجور فرازر ان روائح كريهة تنبعث عن الجثث الباقية تحت انقاض حيّ المسيحيين . ويخشى من ازدياد خطر تفشي الوباء لو عمد الى اخراجها لدفنها . فالاجدر هدم الجدران التي لا تزال قائمة وردم الفسحة بتمامها وتمهيدها ليصير سطحها متساويًا وتكون طبقتها سميكة .

ولا شك في ان المسيحيين يعترضون على هذا العمل بحجة انه يحول دون اكتشاف الاموال التي دفنوها في الخبايا على ان هذا الاعتراض يجب ان يضمحل امام الضرورة القصوى القاضية باتخاذ تحوطات اتقاء انتشار الوباء .

(عدد ١٥١ ملحق ٣ عدد ١٥٧ ـ ٨)

٢٣٣ – اللورد دوفرين الى السر بولفر ٢٨ منه

اتشرّف فانبئكم بان اللجنة الدولية عقدت اجتماعها الاول الساعة الثانية بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٦ الجاري في دار الموسيو نوفيكوف مندوب الروسية

وقد كتبت نطاقة فوقّعها المندوبون وأرسلت الى صاحب الدولة فؤاد باشا انباءً لهُ بوصولهم واستئذانًا بالشروع باعمالهم تحت رئاسته . وفي طيهِ نسخة منها .

ولم يُبتّ في هذا الاجتماع امر آخر ذو بال سوى الاتفاق على الاهتمام عاجلًا بحالة مسيحيي دمشق . واتشرف بان ارفع اليكم صورة الكتاب الذي انفذته الى

المستر برانت بهذا الشأن .　　　　　(عدد ١٥١ ملحق ١ ص ١٥٦)

٢٣٤ — اللورد دوفرين الى السر بولفر . عن بيروت في ٢٩ منه

اتشرَّف فانبي٫ سعادتكم ان قد جاءني مساء الاثنين ٢٥ الجاري حضرة الفاضل الدكتور طومسون أهمّ اعضاء لجنة الاحسان الانكليزيّة الاميركية فأَوضح لي بأَجلى بيان ما يهدد اللاجئين المسيحيين من كثرة الوفيَّات اذا لم تبذل المساعي لاستعادة الفرش وسائر الامتعة التي نهبها الدروز . ويظهر ان كمية وافية من الفرش والاغطية هي من اعظم ضروريَّات حياة اللبنانيين نظرًا لحالة البلاد الجويّة المعرضة للتغيرات الفجائية في فصلي الخريف والشتاء . فانهُ مهما كانت عائلة لبنانية في حاجة الى سائر اسباب العيش فهذه الامتعة متوفرة لديها حتى اذا حُرمتها تعذرت عليها الحياة .

ولنكد الطالع لا تستطيع لجنة الاحسان المشار اليها ان تقدم هذه الفرش ففي طاقتها ان توزع طعامًا وثيابًا ودراهم أمَّا الفرش فليس لديها اللوازم التي تصنع منها ولا تجد من يصنعها . انَّما اذا لم تُعطَ هذه الفرش والاغطية للمنكوبين في القريب العاجل يموتون لا محالة فتمد قرس البرد في الليل وأخذت النساء والاولاد يطلبون اغطية

وعليهِ سألني الدكتور طومسون عمَّا اذا كنت استطيع حمل فوءاد باشا على اكراه الدروز على اعادة كل الاغطية والفرش التي نهبوها وهي تبلغ على الاقل ٤٠ الف فراش وغطاء

وفي صباح اليوم الذي حدثني بهِ الدكتور طومسون بهذا الامر الخطير اخبرني ابرو افندي الذي انابه فوءَاد باشا عنه مدة غيابه عن بيروت بان قد فرغت يداه من المال وانه سعى الى عقد قرض على غير طائل وانه اذا لم يُمدَّ بالمال بمدى ٤٨ ساعة يضطر الى ايقاف الاعانات اليومية التي اجرتها الحكومة على اللاجئين . وسأَلني عمَّا اذا كنت استطيع بما لي من النفوذ ان اقنع التجار الانكليز باقراضه المال اللازم ؟

فأجبت باختصار ان القرض لا علاقة له بالنفوذ بل هو مسألة ثقة وان توسطي لا يجدي نفعاً .

وفي الوقت ذاته اتوقع اسوأ النتائج اذا اضطرّت الحكومة الى ايقاف الارزاق المخصصة يومياً للمنكوبين فتضطر لجنة الاحسان ليس فقط الى اعالة عدة الاف من المساكين فوق الذين تحسن اليهم بل ان هذا العمل الخالي من الانسانية والمضاد الدين وان اقترف على غير عمد سيزيل الثقة الضعيفة في نيّات الحكومة وقد كان سلوك فؤاد باشا اعاد بعضها ويتأخر انتظام شؤون البلاد الموقت وتعود الحالة الى ما كانت عليه منذ شهرين .

ولسوء الحظ ان الضمانات الوحيدة الصالحة لكفالة القرض هي عوائد الجمارك انما لا يُعلم اذا كانت مرصدة سرًّا لاحدى القروض في الاستانة.ان المصرف العثماني والتجار الانكليز هنا لا يتساهلون. بيدَ انهُ اذا لم يُفعل شيء في الحال يتعذر ملافاة الكارثة . ولهذه الاسباب خاطرت بأمر اعتقد انكم لا تلومونني عليه فقد عرضت ان امدّ فؤاد باشا بمالي الخاص فاقرضه في الحال خمسة الاف ليرة على شرط انهُ خلا التأمينات المشكوك فيها التي قدمها يقسم لي بشرفه انهُ يفيني مالي في أجل معيّن. وقد اضفت على ما تقدم شرطاً واحداً وهو ان يتعهد لي فؤاد باشا بشرفه ايضاً بانه يقدم باقرب آن ٤٠ الف فرشة وغطاء فيسلمها الى خمسة اشخاص منهم ٣ مسيحيون وطنيون واوربيان انتخبهم أنا فيذهبون الى دوائر لبنان الخمس باسم لجنة الاحسان ويوزعون هذه الامتعة على اصحابها

ومن ثم اني بمساعدتي فؤاد باشا والاستفادة في الوقت ذاته من ضيق ذات يده قد ضمنت توزيع الارزاق يومياً على اللاجئين واستدركت افتضاح عجز الحكومة ونتائجه السيئة وانقذت حياة مئات من النساء والاطفال الذين كانوا ماتوا من حاجتهم الى الغطاء في هذه الليالي الباردة . امّا الضرر الوحيد الذي يخشى ان ينشأ عن هذا

القرض فهو اشتهار كون لي بهِ يد وقد احتطت لابقاء هذا السر مكتوماً فلا يذكر اسمي بالمعاملات ويقوم المصرف العثماني بدفع المال ومديره هو صديقي الخاص . أما توزيع الفرش والاغطية على اصحابها فيتم تحت مراقبة لجنة الاحسان الانكليزية الاميركية .

وفي الختام الفت انظاركم الى اني لو انتظرت استطلاع رأي اللجنة الدولية في هذا الشأن لخسرت وقتاً ثميناً لانها لم تنتدِ رسمياً حتى الان . من المرجح ان الدروز الذين فرّوا يعمدون الى حرق هذه الفرش أَو تخبئتها لو لم يزدد فؤاد باشا نشاطاً عن قبل ويعجل باستعادتها منذ اقسم بشرفه .

واجرأُ أيضاً على القول اني اتوق كثيراً الى ان تتأكد سعادتكم وحكومة جلالة الملكة باني اتخذت على عاتقي تسليف هذا المال مدفوعاً بعامل الشفقة . لا انتظر ولا اريد ان أُنقذ من الاخطار التي تنتج عمّا اخشى ان يُعدّ بحقٍ مخاطرة تجاريّة . واذا كنت عرضت هذا الامر على سعادتكم فلأني اعتقد ان من واجباتي ايقافكم على دقائق كل مسألة وان تافهة من شأنها ان تساعدكم على الاحاطة بادوار المسألة السوريّة المتتابعة وجلّ ما ارجوان تجودوا عليَّ بتأكيد مضمونه اني لم افعل ما يستوجب لومكم .   (عدد ١٥٠ ملحق ١ ص ١٥٤ ـ ١٥٦)

٢٣٥ـ ومنه الى السر بولور في ٢٩ منه

اتشرف فانبئكم ان فرقتين من الجنود الفرنسويّة قوام كل منهما الفا مقاتل بامرة القائد دي بوفور غادرتا بيروت صباح الثلثاء في ٢٥ الجاري وقد بلغني ان احداهما وصلت الى دير القمر في ٢٨ منه . لكن يسوؤني ان اقول ان بعض المسيحيين المرافقين الجنود اجترحوا جنايات فظيعة اثناء مسيرها . فذبحوا رجلاً درزياً اعمى عمره ثمانون سنة في عين عنوب وهي تبعد اربع ساعات عن بيروت ثم قتلوا شاباً

درزياً عمره ٢٥ سنة في قرية بشتفين الكائنة على مسافة قريبة من القرية الاولى .

أمَّا افظع جناياتهم فهي قتلهم امرأة درزيَّة منكودة الطالع قرب معسكر الجنود الفرنسويَّة فان بعض الاولاد لحقوا بها صارخين بالجنود: «هاك امرأة درزيَّة! امرأة درزيَّة !» وطفقوا يرمونها بالحجارة حتى سقطت الى الارض دون حراك .

وكان ان انضمت اليهم امرأة مارونية طالبة الانتقام من الدروز فقطعت رأسها

وربَّما اعتذر عن هذه الاعمال الشائنة بان الدروز اطلقوا الرصاص على الجنود. . انَّما انا موقن بانه لم يحدث شيء من ذلك .

ولمَّا حدَّثت المسيو بيكلار عن هذه الكوائن المكدرة تميز من الغضب ووعد بان يكتب الى القائد دي بوفور ليعاقب مقترفي مثل هذه الجرائم .

(عدد ١٥٢ ملحق ١ ص ١٥٨)

٢٣٦- ومنه الى فؤاد باشا في ٢٩ منه

علمت بمزيد الاستغراب والامتعاض ان الموارنة قتلوا كثيرين من الدروز العزّل وفي جملتهم امرأة ورجل مسن اعمى في جوار دير القمر وغير اماكن .

يسوءني ان يفتتح عهد اعادة الراحة الى لبنان ونصب ميزان العدل فيه تحت هذه الطلائع المشؤمة وأبى ان تنتهز فرصة تدخل الباب العالي والنفوذ الاوربي فيتخذان سبيلاً الى تجديد الفظائع التي صبغت بالدم ارض هذه البلاد. ان مقترفي هذه الجنايات بدلاً من افادة اخوانهم في المذهب يبلبلون اصول العدالة ويضرون بمن كان الحق بجانبه ويخسرونهم الانعطاف والميل اللذين استحقوهما بمصائبهم. فاستحلف دولتكم باسم الدين والانسانية ان تضعوا حدًّا لمثل هذه الشرور. ان حراجة الحالة تعذرني اذا ما الححت في الفات نظر دولتكم الى هذه المسألة المكدرة.

(ملحق عدد ١٥٥ ص ١٥٩ ـ ١٦٠)

٢٣٧– اعيان الاسرائيليين في دمشق الى السير مونتيفيوري
في ٧ تسري سنة ٥٦٢١ [٢٣ ايلول سنة ١٨٦٠]

إلى السير موسى مونتيفوري المحسن الينا ومنقذنا اطال الله شريف بقائه

نضرع أوّلاً الى الله عزّ وجلّ ان يطيل حياتكم بالرغد والسعادة وان تكونوا متمتعين بحظوة تامة لدى عظماء الملوك والحكّام والامراء وينقذ الامة الاسرائيلية في ايامكم ويظلل يهوذا بالامان .

وبعدُ فقد سبق لنا الشرف ان رفعنا اليكم كتاباً في الشهر المنقضي اشرنا فيه الى ازدياد حنق مسيحيي دمشق على اليهود وقد غلت الآن في صدورهم مراجل الحسد والسخط بحجة انهم قُتلوا ونُهبوا وأُسيئت معاملتهم في حين لم يمس ابناء اسرائيل بضرر .

ان قلوبنا واجفة من ان يدفعهم هذا البغض والحسد الى اتهامنا زوراً بما لم نجترحه . وعليه نلتمس ان تمدّوا لنا يد العون فتحصلون لنا على اوامر من الحكومة الانكليزية لقناصلها وقوّادها البرّيين والبحريين في سوريا ليساعدونا ومن الحكومة التركية الى صاحب الدولة فؤاد باشا ليحمينا وألاّ يسمع على اليهود شكاوى كاذبة ودولته رجل عادل نزيه

والان نخبركم ان المسيحيين تآمروا علينا منذ بدء شهر ايلول ووجّهوا الينا التهم الزوريّة فسُجن كثيرون من ابناء امتنا بتهمة اشتراكهم في المذابح . ان الحكومة تصدق المسيحيين كلما اتهموا احداً فتقبض عليه وتحيله الى المحاكمة ولا تقبل شهادة كرام المسلمين بان المتهمين كانوا في بيوتهم اثناء الاضطرابات ولا تصدق المسيحيين اذا صرّحوا بان اليهود كانوا مختبئين معهم ولم يفارقوهم طول مدة القلاقل واعظم من ذلك لا يُحفل بشهادة الشاكين ذاتهم اذا كانت موافقة لمصلحة اليهود. وحدث

ان امرأة اتهمت يهودياً بقتل زوجها فطلب اليها ان تعزز تهمتها بالايمان فأبت وطلبت الى اليهودي ان يقسم بشريعة موسى انهُ لم يكن الجاني فيطلق سبيله فرفضت المحكمة القبول بحلفه وقد أبت ايضاً قبول شهادة رئيس الحاخامين واليهود باقون في الحبس وقد مات احدهم خوفاً .

فاليك نلجأ ياحضرة السير . فانظر الى اليهود الابرياء الاتقياء الطاهري الذيل يلقون في السجن مع القتلة وكيف تُرد كل الشهادات والادلة التي تبرئهم ولا نعلم ما سيحلّ بشعب اسرائيل متى رأى المسيحيون ان المحكمة تبني احكامها على شكاويهم الكاذبة وان صوت اسرائيل لا يُصغى اليه بل يقال له : لا شفقة على اليهود ولا رحمة .

ان الذين قاموا على المسيحيين وقتلوهم لم يُحاكموا وفقاً لقوانين البلاد العادية بناءً على الشهادات المنصوص عليها بل أُلّفت محكمة غير عادية وُكل اليها القضاء في هذه الدعاوى ويظهر الآن ان في النية محاكمة اليهود ايضاً امام هذه المحكمة والقضاء عليهم بالموت بناءً على شهادة المسيحيين فقط . وهذا يحزننا جدًّا فكيف يمكن المقابلة بين اليهود وبين الذين ايقظوا الفتنة على المسيحيين ؟ أَلم يكن اليهود ذاتهم قيد الرعب ومعرضين للاخطار اثناء الاضطرابات ؟ وفي الحقيقة كنّا على قاب قوسين من الموت او أدنى . فان كثيرين من اليهود اختبأُوا مع المسيحيين في بيوت كرام المسلمين وفي الاخبية والاسراب . هل يُعقل ان رجلًا ترتعد فرائصه خوفاً على حياته يعمد إلى قتل غيره فالعقل والفطنة يأبيان التسليم بذلك . فمعاذ الله ان يخالج هذا الاعتقاد فكر جلالة ملكة انكلترة المعظمة وحكومتها ونحن لم ننفك منذ عشرين سنة عن الضراعة للعلي المتعال بان ينعم عليها بالسعادة والشرف والمجد .

وفي هذه الازمة نطرح توسلاتنا على اقدامها ملتمسين ان تشمل شعب اسرائيل المضطهد في دمشق بعين شفقتها ورأفتها وهو يرغب اليها ان تمد لهُ يد المساعدة

وتظلله بظل نفوذها العظيم ليحاكم سجني اليهود امام المحاكم العادية وفقًا للعوائد المرعية في البلاد لان شعب اسرائيل شبانًا وشيوخًا بريء من هذه الجنايات ولم يغمس يده في دم المسيحيين .

ولا مراء ان هذا وقت اضطراب وخوف عظيم لان الرعب مستولٍ على كل اسرائيلي قاطن في دمشق ويرتعد فرقًا من ان يتهم زورًا ولا يوجد بين المسيحيين من يردع اخوانه عن ذلك . بل قد جهر بعضهم انهم لا يأذنون لاسرائيلي ان يعيش بسلام وطمأنينة . وقد بدأوا بالتآمر على افضل رجال طائفتنا وأعظمهم شأنًا كيعقوب ابولفيا وسليمان فارحي بن اسحق حاييم فارحي (وقد نزلتم حضرتكم بضيافته لمّا جئتم دمشق) وهو شاب عمره ١٤ سنة وحيد لابويه فادعى مسيحي ان اباه قُتل بين داري المشار اليهما .

اذا لم يكن الرب عوننا فماذا يكون مصيرنا ؟ ان المتهم هو تحت حماية فرنسا فقنصلا فرنسا واليونان قد منعا سماع هذه الدعوى في المحكمة ونظرا فيها فأظهر الله براءته .

فما هي الادلة التي تبنى عليها هذه الشكاوى ؟ اذا وجد رجل مذبوحًا في الشوارع الكبيرة حين هيجان الرعاع في حين كانت جميع شوارع المسيحيين واليهود والمسلمين المجاورة بعضها غاصة بجثث القتلى فهل في طاقة رجل ان يمنع اقتراف جناية امام داره ؟

اتصغى له الغوغاء ؟ من يجسر على ان يقول لهم : لا تقتلوا جميع الذين تصادفونهم في الطريق . هل كان اليهود آمنين على حياتهم ؟

وعليهِ نسألكم ان ترأفوا بنا وتصغوا الى رجائنا فتبذلون جهدكم حصولاً على شفاعة حكومات انكلترة وفرنسا وتركيا لدى فؤاد باشا وهو قاضٍ عادل وان تُرسل الاوامر الى قنصل انكلترة في دمشق ليمنع معاملة اليهود كالذين ايقظوا الفتنة

ومحا كمتهم في ذات المحكمة

انت والدنا فهلمَّ لمساعدتنا ! وبما انك انقذتنا سابقًا فخلّصنا الآن وكن واسطة لانهاء محننا .وقد وقّع هذه العريضة الحاخامون والشيوخ واعيان الطائفة في دمشق وهم ينتظرون الجواب بفارغ الصبر .

التواقيع : حاييم رومانو. داود حربي . مناحيم فارحي . يعقوب حايقي . يعقوب برتس . روفائيل حليقي . اسحق ميمون . هارون يعقوب

(ملحق عدد ١٥٧ ص ١٦٢ـ١٦٣)

تنبيـه ان السير مونتيفيوري المشار اليه ارسل هذه العريضة الى اللورد روسل وشفعها بكتاب منه بتاريخ ١٦ تشرين الاول يسأله بها اجابة طلبهم (عدد ١٥٧ ص ١٦١)

٢٣٨- اللورد دوفرين الى السير بولوَر في ١ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ [انقطاف]

يسرّني ان ابشركم بان هناك اسبابًا تدعوني الى الاعتقاد بان قـد أُعيدت النساء والبنات اللواتي سباهنَّ مسلمو دمشق اثناء الاضطرابات الى ذويهم سوى واحدة.وقد تحققت بعد كثرة التفتيش في الطوائف المسيحية المتعددة في تلك المدينة ان ابنة صغيرة لم تزل مفقودة واسمها وردة ابنة المدعو حنا الشوس وهو ماروني من دير القمر ذُبح اثناء المجزرة . وكانت هذه الابنة خادمـة في بيت مخايل السمَّال المسيحي . ولمَّا بدأَت المذبحة لجأَت الى بيت مسلم يدعى أحمد آغا فاعترف انه ودَّ انقاذها فقادها الى باب القلعة وتركها هناك ثم قطعت اخبارها عنه .

ان رئيس كهنة الروم الكاثوليك وبعض اشخاص من هذه الطائفة يرجحون ان بعض نسائهم باقيات في القرى قرب دمشق محجور عليهنَّ انما لمَّا كانوا لا يستطيعون بيان اسم كل شخص مفقود يُظن ان تخمينهم خالٍ من كل اساس

ولا يستبعد ان تكون عائلة بأسرها أُبيدت عن آخرها بحيث لم يبقَ احد من

اعضائها المسنين ليستدعي ارجاع انسبائه الذين عفى عنهم السفاحون نظرًا لصغر سنهم او لجمال صورتهم لكن قليلة هي الاسر التي استئصلت شأفتها على قدر ما استطعت التأكيد.

كان قد عُمل باقتراحي وسئل كل رب عائلة في دمشق عن الاعضاء الذين لم يُقتلوا في المذبحة بل فُقدوا وكانت هذه الطريقة تؤدي إلى معرفة اسم كل شخص فاعتقد اني اصبت بتأكيدي لسعادتكم انه لم يبقَ احد من المسيحيين في يد المسلمين اذا كان باقيًا في قيد الحياة. ولمّا كانت مساعي انسباء المفقودين والقناصل لم تأتِ بفائدة اخشى تعذر الاهتداء الى مخبإ المنكودات الحظ المشار اليهنّ.

بيدَ ان هناك امرًا اخر من شأنه ان يكدر صفو السرور الذي شملني عندما اخبرت سعادتكم بما تقدم اذ من الممكن ان تكون بعض الامهات شئنَ كتم فقدان ابنة لاعتقادهنّ انه يتعذر استرجاعها بدون كشف العار الذي التحق بها.

ولمّا كانت قد عمت طريقة التفتيش هذه الدمشقيين الموجودين الان في بيروت فلي الامل بانها تأتي بذات النتائج. (عدد ١٦٠ ملحق ١ ص ١٦٥-١٦٦)

٢٣٩ – القنصل برانت الى اللورد روسل. عن دمشق في ٥ منه

يسوءني ألاّ استطيع تبشيركم بتحسين الشؤون هنا. فانها ساءت تدريجًا بعد سفر فؤاد باشا وينظر اليها بعين الحذر من جرّاء عدم كفاية الوالي وهي تظهر بجلاء يومًا عن يوم. وقد اتصل بي ان دولته قلق جدًا على اثر شيوع الخبر بان الدروز جمعوا في حوران ما يستطيعون من رجالهم ومن الاكراد ومن الدمشقيين الذين فرّوا من العقاب وجميع العرب والشرّد الذين ودّوا الانضمام اليهم لمهاجمة المدينة. ويقال انهُ يمكنهم ان يستنفروا ٧ إلى ٨ الاف مقاتل. واجهل نصيب هذه الاخبار من الصحة لا شك في انه مبالغ فيها انّما اثارت قلقًا في البلاد وزاده سلوك الوالي اشتدادًا.

ان واليًا بهذه الصفة لمصيبة في غير هذه الاوقات فكيف بهِ بهذه الظروف فانه حاجز قائم في سبيل كل امل بالاصلاح ونذير بالشر. ان شعب دمشق بدَّل سلوكه منذ غادر المدينة فؤاد باشا فهو يرفض ان يطيع الوالي ظنًّا منه بان عليه طاعة زعمائه فقط ويؤكد الجميع انه لا يستطيع انسان الوصول الى حقه دون مال

فقد جرى تلاعب كبير في مسألة المطلوبين للجندية فأُخذت الاموال من اشخاص لم تصبهم القرعة. أمَّا الاشخاص الغير الصالحين للخدمة العسكرية لعيوب في اجسامهم فيزعجون في كل آن باستدعائهم كثيرًا إلى دار الحكومة حيث يماطلونهم إلى ان يفتدوا ذواتهم ببعض المال للحصول على شهادة كما انه يعفى الاشخاص الصالحون للخدمة بمثل هذه الوسائل.

وقصارى القول ان بعض العوائد السيئة أُحييت بعد ان كانت اضمحلت حين كان فؤاد باشا هنا فقد أُتُّجر بتوزيع الامتعة المنهوبة على المسيحيين فبعض الموكول اليهم هذا الامر يميزون اناسًا على آخرين فيأذنون لبعضهم ان ينتقوا ما يشاؤون وان لم تكن هذه الامتعة خاصتهم ولا اعلم بأي سعرٍ يحسبونها عليهم لكني تأكدت ان الفقراء يُعطون امتعة وآنية دون التي فقدوها قيمةً ويحسبونها عليهم بأثمان باهظة حتى اذا تذمروا من هذه المعاملة يجيبونهم انهم ادعوا فقدان اكثر ممَّا خسروه حقيقةً

ان مثل هذه المعاملة لاشبه كثيرًا بالسياسة القديمة فلا ترضي الشعب ولا تؤمله بتحسن الادارة بل تحمله على ان ينظر الى المستقبل بعين الخوف وتحول دون رجوع ثقته بالحكومة.

تفشت امراض كثيرة بين الجنود لعدم تعودهم على هواء البلاد وافراطهم في اكل الاثمار فيوجد منهم الف في المستشفى. لقد جند زهاء ٢٢٠٠ رجل ولا يزال بحاجة الى ٢٠٠ لاكمال العدد الذي تطلبه الحكومة

ومن المقول ان ٥٠٠ سيتطوعون بحيث يصبح عدد الذين جندوا ٣٥٠٠ . أُخبرت بان ٨٠ إلى ٩٠ شخصاً دفع كل منهم ٢٠ الف قرش إلى الخزينة بدل اعفائهِ من الخدمة العسكريَّة مع ان الموظفين وزعوا ٣٠٠ شهادة اعفاء والباقون أُعفوا لقاء الهدايا التي قدموها وقد دخلت جيوب اعضاء لجنة التجنيد .

تأخر دفع الاعانات المالية إلى المسيحيين فقد مرَّ عشرون يوماً على كثيرين دون ان يقبضوا بارة الفرد وهذا التأخير يزيد في شقائهم وقد اعتذرت الحكومة بان خزينتها فارغة وربَّما كان ذلك صحيحاً .

ان وجود فؤَاد باشا هنا ضروري اكثر من بيروت ودولته متجول الآن بين دروز لبنان ولم استطع ان احصل على اقل خبر يتعلق بحركاته او اعماله ولم اسمع بحدوث قتال بين الدروز والجنود التركية .

ان فرقة من الجنود الفرنسويَّة بامرة الجنرال دي بوفور هي الآن في جوار زحلة لكن حركاتها وموقفها غير معروفين تماماً. أجل ان الاشاعات مطرتنا من كل جهة لكن لم نحصل على افادة يوثق بها ومثلنا الحكومة حتى ولو كانت عارفة تتجاهل .

أمس رُسمت صلبان على بيوت المسلمين المأهولة بالمسيحيين فساد القلق بينهم واستعد كثيرون من أعيانهم للسفر في الحال أمَّا خالد باشا فقد طاف اكثر ساعات الليل في المدينة . لقد جُمع شيوخ الاحياء وأُمروا بكشف الستار عن راسمي هذه الصلبان الضامرين الشر للمسيحيين انَّما لا اعلم اذا كان قبض على أَحد منهم .

أَرى الآن ان الحالة أَشبه بالتي كانت عليه قبل انفجار بركان الفتنة فالوالي خالٍ من كل صفات العزم والحزم وقد استولت على مخيلتهِ المخاوف الهيولية وليس فيهِ الكفاية والدراية لاتخاذ تحوطات لاتقاء الكوارث . وقد شاهدت جنداً لا يفكر بالقيام بواجبهِ واهلين متعصبين قيد الجزع يحرقون الارم على المسيحيين وهم ظمأى إلى الانتقام منهم ورأيت زعيم المحرضين على المذابح مسجوناً غير محكوم

عليه ولا بدّ من ان يكون ازداد حنقًا على « الكفّار » لما حلّ بهِ بسببهم . فاذا ما استدعي فؤاد باشا من سوريّة في هذه الاونة يجب ان نتوقع فواجع أشد هولاً من التي مرّت بنا . (عدد ١٥٩ ص ١٦٤ ـ ١٦٥)

٢٤٠ - اللورد دوفرين الى السير بولفر في ٥ منه

اتشرف فاخبركم بان أبرو افندي زارني هذا الصباح بغية ان يطلعني على رسالة وردت عليه من فؤاد باشا فيستفاد منها ان دولته بعد تركه صيدا زحف على حدود لبنان وسهل البقاع دون ان يلقى مقاومة لان معظم الطائفة الدرزيّة أقرّت على انتظار أوامر الحكومة في قراها . وعند وصول دولته إلى حاصبيًا حاول على غير جدوى الاحاطة بجمهور كبير من مشايخ الدروز واتباعهم الذين امتنعوا في معاقل جبل الشيخ ووهاده . لكنه لمّا تأكد انهم لم يقعوا في الفخ المنصوب لهم وانهم توغلوا في شرقي الجبل اكتفى بان عهد إلى سرعسكر دمشق وضبّاط الجنود في سعسع بطاردتهم وقفل عائدًا إلى لبنان .

لا ريب ان جميع الدروز الفارّين سيتوفقون الى الالتجاء الى حوران من جرّاء نقص تحوطات الجنود التركية . وفي الحقيقة ان المساعي التي صُرفت لقطع السبيل عليهم قاصرة جدًّا بحيث لا يستبعد ان يكون ارباب السلطة التركية رغبوا في تسهيل سبل فرارهم بدلاً من تضييقها .

وقد التقى فؤاد باشا اثناء عودته بالجنرال دي بوفور في جب جنين من أعمال البقاع حيث عسكرت الجنود الفرنسويّة وقد زحفت من بيروت في جهة موازية لزحف الجنود التركية من صيدا .

فشرح للقائد الفرنسوي الوسائل التي تذرع بها لتشتيت شمل العصاة الممتنعين في شرقي جبل الشيخ او القبض عليهم ودعاه الى الرجوع معه الى لبنان.وقد علمت ان

القائد المشار اليه قبل هذه الدعوة على كره منه لانه الان في جوار زحلة وفؤاد باشا قد جعل معسكره في المختاره .

ويسرّني ان اخبركم بان الجنود الفرنسويّة تساعد بكل غيرة ونشاط مسيحي زحلة وديرالقمر على اعادة بناء بيوتهم المدمرة. (عدد ١٦٠ ملحق٢ ص ١٦٦ـ١٦٧)

٢٤١ – صك (بروتوكول) الجلسة الاولى التي عقدتها لجنة سورية الدولية في بيروت بتاريخ ٥ تشرين الاول سنة ١٨٦٠

ان الموسيو دي وكبكر مندوب النمسا والموسيو بيكلار مندوب فرنسا واللورد دوفرين مندوب بريطانيا العظمى والموسيو دي رهفوس مندوب بروسيا والموسيو نوفيكوف مندوب الروسية وابرو افندي نائب صاحب الدولة فؤاد باشا مندوب الباب العالي الخارق العادة قد انتدوا اليوم في ٥ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ الساعة الثانيـة بعد الظهر في دار المندوب الفرنسوي لتأليف لجنتهم وفقًا للتعاليم التي زُوِّدوها بغية :

١ً : البحث في منشإ كوائن سوريّة واسبابها وبيان درجة مسؤولية زعماء الفتنة وارباب الادارة المحلية والسهر على معاقبة الجناة .

٢ً : تقدير الخسائر التي أَلمَّت بالمسيحيين والاتفاق على الوسائل الكافلة تخفيف شقاء المنكوبين والتعويض عليهم .

٣ً : استدراك تجدد مثل هذه الكوارث وتوطيد اركان الراحة والطمأنينة في سوريّة بايضاح التعديلات التي يناسب ادخالها على نظام الجبل الحالي .

ولمّا كان يحق لفؤاد باشا ان يترأس هذه اللجنة عملًا بالاتفاقية المبرمة بين سفراء الدول الخمس في الاستانة اجمع الرأي على ان يتناوب وكالة الرئاسة بغياب المندوب العثماني كل من المندوبين حسب تفاوت عمرهم وذلك على مدى

شهر وعليهِ جلس على كرسي الرئاسة الموسيو دي وكبكر مندوب النمسا واعلن افتتاح الجلسة . فتلا نص التعاليم المزوّد بها فوجدت مطابقة لتعاليم رصفائه . ثم سأل اللجنة ان تنظر بداءة ذي بدء في المادة الاولى من التعاليم المذكورة آنفًا اي في البحث عن منشإ الحوادث واسبابها . ولمّا كانت العرائض والرسائل التي رفعت إلى كل من المندوبين لا تختلف عن بعضها كثيرًا اقترح ضمها إلى بعضها تحاشيًا عن ضياع الوقت الذي تستغرقه ترجمة كل منها بمفردها .

فارتأى مندوب بروسيا متابعة الخطة التي نهجها حتى الان فوأد باشا وطلب ابراز البيانات التي حررتها اللجان المحلية .

فقال مندوب فرنسا جوابًا على اقتراح الرئيس انه لمّا كانت عدة معاهد دينية خاصة الاباء اليسوعيين واللعازريين والارض المقدسة (فرنسيسكان) قد دُمرت وقُتل بعض رهبانها اثناء الاضطرابات فعرائض الشكوى التي رفعها اليه اصحاب المعاهد المذكورة هي من صلاحيته دون غيره ولا يمكن ضمها إلى مجموعة عرائض اللجنة . وعقبه مندوب الروسية وصرّح انه سيحتفظ ايضًا بالعرائض التي سترفع اليه بخصوص تدمير دار وكالة قنصلية دولته في دمشق وقتل ترجمانها وما يتعلق بهذه الحوادث .

وذكر مندوب بروسيا ان قد تم الاتفاق في الجلسة التمهيدية على الفات نظر المندوب العثماني الى بعض مسائل معينة .

وقرأ مندوب فرنسا نطاقة كتبها بهذا الشأن فأُلحقت صورتها بهذا الصك وسلّم أبرو افندي صورة عنها. فصرّح هذا الاخير انهُ لم يتلقَ حتى الان الاوامر من فوأد باشا لكنه تعهد بابلاغ هذه النطاقة إلى المندوب العثماني المشار اليهِ . واردف انه لا يستطيع ان يعد هذا الاجتماع سوى جلسة تمهيدية وعليه يقبل بلاغات حضرات المندوبين بصفة غير رسمية .

فسأل المسيو بيكلار عمّا اذا كان امير الالاي حسني بك احد اعضاء المحكمة الموكول اليها محاكمة خورشيد باشا هو ذات الضابط الذي كان على قيادة حامية بعلبك . فحقق ابرو افندي لهُ ذلك لكنه اكد انهُ يجهل سوابق حسني بك . فاستغرب المندوب الفرنسوي وجود هذا الضابط في عداد اعضاء محكمة بيروت الخارقة العادة في حين ان الدلائل على سوء سلوكهِ في بعلبك كثيرة .

ثم استوضح المسيو بيكلار ابرو افندي سبب عدم القاء القبض على اميرالالاي نوري بك مع ان اشتراكه في كارثة زحلة يوجب معاملته بهذه الشدة

فأَجاب ابرو افندي انه سيبحث في سلوك حسني بك . اما نوري بك فموجود في بيروت ويتعذر عليه مغادرة المدينة بحيث لا حاجة الى سجنه احتياطيًا وانهُ سيُستجوب ويُعاقب اذا اقتضى الامر . وزاد انه يقبل بالشكر كل ما يرى حضرة المندوبين وجوبًا لاخباره بهِ ايقافًا لهُ على ما ينسب الى المظنون فيهم .

فأعرب المسيو بيكلار عن اندهاشه من تمييز نوري بك لتيقنه ان تبعة الحوادث ملقاة على عاتق ارباب الحكومة بالسواء وهو يرتاب في سلوكهم جميعًا .

وطلب المندوب الروسي ايضاحات عن الاذن لشاكر باشا بالذهاب الى الاستانة في حين كان يجب ابقاءه في دمشق ليجيب عن سلوكه . فاحتجَّ ابرو افندي انهُ لم يكن لهُ علم بالشكاوى الموجهة الى شاكر باشا . فسأله الموسيو نوفيكوف عن محاكمة خورشيد باشا التي اوشكت ان تنتهي في حين ان المحكمة الموكول اليها التحقيق لم تستنطق احدًا من الشهود الذين يستطيعون كشف اسرار هذه الدعوى

فأَجاب ابرو افندي ان قد انتهى استجواب خورشيد باشا فقط اما الشهادات فيصعب قبولها على والي الولاية

فأرتأى مندوب بروسيا وجوب استجواب الدروز عمّا يعرفونهُ من الاعمال المنسوبة الى خورشيد باشا . فأعتذر ابرو افندي عن الجواب مستترًا وراء عدم وجود

اوامر معه بهذا الشأن . فأشار المندوب الفرنسوي الى اعتقاد الجمهور بان المحكمة اقتصرت على استجواب خورشيد باشا دون استدعاء شاهد . فاذا كان الامر كذلك فالتحقيق ناقص . فانه ولئن كان خورشيد باشا قد تولّى ادارة شؤون الولاية فيجب ألاَّ تحول الوظيفة التي شغلها دون السعي الى أخذ الشهادات اللازمة على اعماله وجمع الادلّة والبيانات .

فقال الرئيس ان كل دعوى جنائية تقسم الى قسمين مختلفين احدهما التحقيق والآخر دفاع المتهم . وهو يرى انهُ لا يحق للجنــة ان تتدخل في القسم الاول من الدعوى وهو من خصائص الحكومة العثمانية دون غيرها

فدار الجدال على هذا الامر فوضع اللورد دوفرين حدًّا لهُ بتذكيره رصفاءه ان حكومة الاستانة اعترفت لهم بهذا الحق

ثم ان المندوب الفرنسوي نقد الطريقة التي نهجها فؤاد باشا في تقدير خسائر اهالي القرى المسيحية وتعيين التعويضات وعقبه كثيرون من اعضاء اللجنة فأيّدوا قوله .

وقد اتضح من جواب ابرو افندي انقد أُلّفت ست لجان من اصحاب الخبرة أُضيف اليهم بعض اللبنانيين ووكل الى كل منها ان تذهب الى ناحية من نواحي الجبل المتضررة وتقدّر النفقات اللازمة للاصلاحات المستعجلة . وقد جعلت هذه اللجان قيد مراقبة جمعية الاحسان المركزية التي يرأسها أبرو افندي وعند اطلاعها على تخمين اللجان يصير توزيع المبالغ اللازمة على المنكوبين ليتمكنوا من اصلاح بيوتهم وجعلها صالحة للسكن وهو ساهر على استعمال هذه الاموال للغرض المخصصة لهُ .

ولا يهتم الان بترميم دور الامراء لانها تكلف كثيرًا بل أعدّت بيوت لسكناهم في بيروت موقتًا وتوزع عليهم الاموال الكافية سدّ حاجاتهم . وجلّ المقصود ضمانة كفاف عيش المنكوبين موقتًا بتوزيع الاموال التي جاد بها جلالة

السلطان أمَّا التعويضات فينظر فيها فيما بعد .

ثم اقرَّت اللجنة بناءً على اقتراح اللورد دوفرين بعد تعديله على تعيين نوَّاب يمثلونها في اللجان الست السابق الايماء اليها . أمَّا صفة هذه النيابة فقد شُرحت في فقرة اضيفت على المادة الثالثة من النطاقة الملحقة بهذا الصك .

وبعد ذلك انتقد مندوب فرنسا تأليف محكمة ثانويّة قد غمضت عليه معرفة خصائصها وهي تعمل تحت مراقبة المحكمة الخارقة العادة في بيروت . فاوضح ابرو افندي المهمة الموكولة الى هذه المحكمة وقوامها فحص الجنايات والجرائم التي اقترفها صعاليك القوم في خلال الكوائن الاخيرة مع احتفاظ المحكمة الغير العاديّة باجراء التحقيق.أجل ليس في جملة اعضاء هذه المحكمة سوى مسيحي واحد لكنه الوحيد الذي وجدت الحكومة فيه الكفاية حتى الآن .

فنقض مندوب بروسيا هذا الزعم وبيَّن ان اختيار هذا العضو المسيحي الوحيد لم يكن مبنياً على نزاهته واستقلال ضميره . ثم تباحث اعضاء اللجنة الدولية فيما اذا كان يجدر تعيين رواتب لوكلائهم في اللجان الست المار ذكرها وفي المورد الذي يؤخذ منه . فارتأى اللورد دوفرين استنداء اكفّ الدول فرُدَّ اقتراحه

ثم ان مندوب فرنسا اشار الى انه يمكن الاتفاق مع لجنة الاعانات الاوربية المقيمة في بيروت على افضل وجوه انفاق الاموال الموجودة لديها.وقرأ عريضة رفعتها اليه عائلة بدران ثابت من ديرالقمر وفيها تشكو من ان محكمة بيروت اوجبت عليها تعيين وصي شرعي على الايتام القصر حسب منطوق الشريعة الاسلامية بحيث يُحرم القصر المذكورون من حق المطالبة بدم والديهم حتى يبلغوا سن الرشد . فجهر ابرو افندي بان هذه القاعدة لا تُنفذ في بيروت لانهُ لم يعمل بها في دمشق .

وقد خُتمت الجلسة عند الساعة الخامسة واستقرَّ الرأي على عقد الجلسة الثانية يوم الاثنين في ٨ تشرين الاول في منزل المندوب الانكليزي الذي عرض اعداد

غرفة خاصة لانتداء اللجنة .

نطافه ملحقه

١ً : دمشق — ان اللجنة تطلب الاطلاع على ملف اوراق الدعاوى المقامة على الجناة والمتهمين بقصد تنوير افكارها والحكم في ما اذا كان من وجوب لمقاضاة غيرهم . وترى ان من اللازم اللازب على الحكومة ان تسرع بنزع السلاح من ايدي سكان دمشق .

٢ً : بيروت — ان اللجنة تطلب ايضاحات عن ماهية التحقيق في الدعوى المقامة على خورشيد باشا وسائر المأمورين . فحقها في التدخل بهذا التحقيق هو جلي وهي مستعدة ان تتمتع بهِ منذ الان ان شخصياً وان بواسطة نوّابها . وتطلب ذات الطلب بخصوص التحقيق في الاعمال المنسوبة للدروز المراد اجراؤه او الذي بدئ بهِ

٣ً : المسيحيون — ينبغي ارجاعهم إلى بيوتهم في القريب العاجل ولذلك يقتضي قبل كل شيء الاهتمام بدفن جثث القتلى واعادة بناء البيوت وتدارك سد حاجيات المعوزين وضمان راحة الجميع وامانهم .

لمّا كانت الحكومة المحلية قد عهدت إلى ست لجان بالذهاب إلى نواحي مختلفة لتقدير الخسائر فترتئي اللجنة ان تنتقي ستة اشخاص وتضمهم إلى اللجان الست المار ذكرها او تؤلف منهم لجنة خاصة وهؤلاء النواب الستة يقومون بمراقبة اعمال اللجان التي ينضمون اليها .

٤ً : الغاء القائممقامية الدرزيّة موقتاً — ان اللجنة تحتاج الى بعض الايضاحات عن هذا التدبير حتى لو ثبتت ضرورته لانه لا يجوز ادخال أدنى تغيير وان موقتاً على نظام لبنان الاداري دون مشاركة الدول العظمى ورضائهن .

(عدد ١٦٣ ص ١٦٩-١٧٢ . ودي تستا عدد ٥٩ ص ١٠٥ - ١١٠)

٢٤٢ – محضر الجلسة الثانية في ٩ منه

يوم ٩ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ اجتمع في بيروت مندوبو الدول العظمى الخمس وابرو افندي نائب صاحب الدولة فؤاد باشا مندوب الباب العالي الخارق العادة في منزل مندوب جلالة ملكة بريطانيا ففتحت الجلسة الساعة الثانية بعد الظهر برئاسة المسيو دي وكبكر وتلي محضر الجلسة السابقة وجرت الموافقة عليه بعد تعديله قليلًا . فأبى ابرو افندي توقيعه بحجة انهُ لم يتلقَّ التعاليم التي سيرسلها اليه فؤاد باشا فدار الجدال في هذا الصدد

وقام مندوب الروسية وتلا نص التعاليم التي ابلغتها الحكومة العثمانية ممثلي الدول ذوات المصلحة في الاستانة ولا بدَّ ان تكون وصلت إلى فؤاد باشا وأوضح لابرو افندي ان المراد من توقيعه اثبات حضوره الجلسة وصحة منطوق محضرها . فقبل بتوقيعه مع سائر المندوبين لكنه كرر ما سبق لهُ الاحتفاظ بهِ مصرحًا ان ما فاه بهِ ليس لهُ صفة رسمية ما دامت تعاليم فؤاد باشا لم ترد عليه .

فسأل اللورد دوفرين ابرو افندي عن تهمة خطيرة موجهة الى حسن افندي متسلم حاصبيًّا والى مصطفى باشا قائد الجنود في قرية ميمس . فالاول أمر باطلاق سبيل سجنى الدروز والاخر اطلق سراحهم بعد ان استلمهم .

فقال ابرو افندي ان ليس لديه علم بهذا الحادث ووعد بالبحث عنه ثم تعاقب المندوبون فتكلموا في حق تدخل اللجنة بالدعاوى مع انه لم يتسنَّ لها العمل بهِ في قضية خورشيد باشا وسائر الاشخاص المحالة دعاويهم على محكمة بيروت الخارقة العادة .

فارتأى الموسيو دي وكبكر ان ليس في وسع اللجنة استدعاء الشهود أمامها بغياب فؤاد باشا لاستجوابهم لان ذلك يتجاوز صلاحيتها . فناقضه مندوبا بروسيا

وفرنسا . أمّا أبرو افندي فأيّد رأي المندوب النمسوي وقال ان على اللجنة ان تتحاشى كل ما من شأنه ان يمس سلطة السلطان المطلقة ويضعف نفوذه . فالحكومة باذلة قصارى جهدها وقد استعملت الشدة في دمشق وفؤاد باشا يسعى الان في لبنان الى قصاص الجناة واسعاف المسيحيين .

فوليه مندوب بروسيا واستأنف الكلام في محاكمة خورشيد باشا وكتم ماجرياتها عن اللجنة .

وعقبه الموسيو نوفيكوف واعرب عن اسفه على ان اللجنة لم تتلقَ ايضاحًا من الحكومة في حين انها فاتحتها برغبتها في التمتع بالحق المفوض اليها بحثًا في كل الكوائن التي حدثت في الاشهر الماضية . وبيَّن ان الباب العالي اعترف بهِ بقبوله قاعدة التحقيق الاجماعي وجهر بهِ في الاوامر التي انفذها الى مندوبه الخارق العادة . وان اللجنة تعتبر ان تمتعها بهذا الحق بدأَ منذ عالنته فؤاد باشا في نطاقتها الثانية بواسطة أَبرو افندي .

فأَجاب أَبرو افندي انه ينبغي التفسيح لفؤاد باشا في الوقت للجواب على النطاقة التي عالنوه بها نياتهم .

فنهض مندوب فرنسا وأيد مطالب كل من الموسيو دي رهفوس والموسيو نوفيكوف وزاد انهُ ينتظر بفارغ الصبر الوقت الذي تستطيع به اللجنة الاشتراك في التحقيق .

فابدى المندوب العثماني تعجبه من محاولة تقييد حريّة فؤاد باشا وعرقلة اشغاله

فقال الموسيو دي رهفوس ان التعاليم التي زُودها المندوبون لا تقضي عليهم بتأجيل اشغالهم لبعد انتهاء فؤاد باشا من مهمته .

وقال مندوب فرنسا انهُ يرى ان فؤاد باشا لا يتوق كسائر اعضاء اللجنة الى الاشتراك بالعمل في حين انهم مستعدون للاتفاق معه .

فلم يشاطره أبرو افندي هذا الرأي .

وكان ان اقترح الرئيس على اعضاء اللجنة الذهاب إلى المختارة للاجتماع بفؤاد باشا .

فخالفه الموسيو بيكلار وقال انه يسر لو كان فؤاد باشا حاضرًا في بيروت للاشتراك في ابحاث اللجنة الدولية انّما يرى ان ليس عليها ان تلحق بهِ الى المختارة بل الاجدر بمندوبي الدول ان يقصدوا دمشق لان الانباء الواردة حديثًا من هذه المدينة تقلق البال فوجودهم هناك يساعد ليس فقط على تطمين المسيحيين بارهاب مثيري القلاقل بل يحمل الحكومة على معاقبة الجناة الحقيقيين الذين لم يُمسّوا حتى الان . اذ من الضروري ان تستأنف العدالة مجراها بعد ان توقفت عن سيرها منذ مغادرة فؤاد باشا تلك المدينة . بيدَ انهُ يجب ألاَّ تبرح اللجنة بيروت قبل ان تتخذ الوسائل المؤاتية لضمان سير محاكمة خورشيد باشا وشركائه في الجناية على سنن قويمة .

فوافقه الموسيو دي وكبكر على فائدة سفر اللجنة الى دمشق انّما ارتأى ان تذهب اولاً الى المختاره لمفاوضة فؤاد باشا والاتفاق معه

وقال مندوب بروسيا ان اللجنة لا تستطيع الاهتمام في الدعوى المقامة على خورشيد باشا الاَّ بعد ان يصلها جواب المندوب العثماني وانه لا يفقه الاخطار التي تهدد مسيحيي دمشق .

أمَّا المسيو نوفيكوف فاستصوب رأي المسيو بيكلار في ملائمة سفر اللجنة الى دمشق مع انحيازه الى مذهب المسيو دي رهفوس المؤذن بتأجيل سفر اللجنة إلى دمشق الى ما بعد اشتراكها في التحقيق القضائي الجاري في بيروت

فاعرب مندوب بروسيا عن اعتقاده بان خوف مسلمي دمشق من احتلال الجنود الفرنسويّة مدينتهم يجب ان يكون باعثًا على اطمئنان المسيحيين

وقال مندوب فرنسا انه عارف بان مسلمي دمشق يعدُّون احتلال الجنود الفرنسويَّة مدينتهم تدنيساً لها لكنه حسب حساباً للاحقاد الدينية المتأججة في الصدور اكثر من ذي قبل . وانه غير خافٍ عن احد ان المفتنين يراسلون دروز حوران . فاذا ما سُحق رأس حية المؤامرة في حجرها تقطعت اوصالها وتسنى ملافاة الشر . وايَّد كلامه بتلاوة فقر من كتابين احدهما رسمي والآخر خاص انفذهما اليه قنصل فرنسا في دمشق وصف فيهما تحرج الاحوال فيها .

ثم قرأ بعض عبارات من رسالة الجنرال دي بوفور تثبت عدم حصول فائدة من وجود فؤَاد باشا والجنود العثمانيــة في جنوبي النواحي المختلطة السكَّان لان الدروز تمكنوا من الالتجاء الى حوران باجتيازهم المضايق الموكولة المحافظة عليها الى الجيش العثماني وتجمهروا دون ان تمنعهم هذه الجنود

أمَّا المسيحيون فشقاؤهم عظيم فهم في عوز كلي ومعرضون للموت جوعاً فلهذا يقترح المبادرة الى مساعدتهم ان بتوزيع الاموال الموجودة في يد لجان بيروت وان بعقد قرض. وختم كلامه مبشراً بقرب عودة الجنرال دي بوفور الذي سيسرّ بمفاوضة المندوبين مدة اقامته في بيروت .

فأشار الموسيو دي وكبكر بتأليف لجنة اعانة مركزية لمساعدة المسيحيين . فأيَّد الجميع هذا الاقتراح حتى اللورد دوفرين ذاته لكنه نبه الافكار الى ان اللجنة الانكليزية الاميركية ليس لها الحرّية بالانضمام الى سائر اللجان . ثم استأنف المسيو بيكلار الكلام في محتويات رسالة الجنرال دي بوفور فألفت الانظار الى منع اصدار الحبوب من بعلبك وشموله المسيحيين والدروز

فذكر المسيو دي رهفوس تأييداً لاقوال الجنرال دي بوفور في الدروز خبراً اتصل بهِ وهو انهم اخذوا يعودون إلى لبنان من كل الانحاء وان الجنود التركية تحميهم حيث تلتقي بهم .

فأوضح المندوب الفرنسوي ان المذابح لم تجرِ الاَّ في الاماكن التي كان فيها حاميات تركية واستشهد بالمسيو دي وكبكر فأيَّد صحة كلامه

فأكد ابرو افندي ان الدروز الذين عادوا الى لبنان هم الذين اطمأنت افكارهم من اذاعة فؤاد باشا وكلما وجدوا مسيحياً مقيماً في بيوتهم طردوه . فسأله اللورد دوفرين بيان الوسائل التي عوَّل عليها فؤاد باشا في المختاره للقبض على الدروز الجناة . فأجاب ابرو افندي ان قد بديء بتنفيذها وان ليس في طاقة فؤاد باشا ان يفعل كل شيء في آن واحد فعلى اللجنة ان تنتظر اطلاعها على نتيجة اعماله قبل ابداء رأيها فيها .

فطلب الرئيس الى اللجنة ان تحكم في اقتراحه واقتراح المندوب الفرنسوي .

فألحَّ الموسيو بيكلار بوجوب نقل مركز اللجنة الى دمشق .

فقال مندوب بروسيا ان في الوسع اعادة الثقة الى مسيحيي دمشق بذرائع أخرى لان من الضروري المبادرة الى التدخل في الدعاوى الجاري سماعها في بيروت.

فصرَّح أبرو افندي انهُ لا يستطيع ايقاف اللجنة على ماجريات هذه الدعاوى قبل ان يصله التفويض .

وذهب الرئيس الى ان اللجنة لا يمكنها ان تستقل عن فؤاد باشا .

فسأل أبرو افندي عمَّا اذ كان تنقيب اللجنة يجري في خلال المحاكمة او بعدها.

فأجيب انه لا يبقى فائدة من تأجيل التنقيب إلى ما بعد المحاكمة.فألحَّ الرئيس بوجوب ذهاب اللجنة إلى المختاره لمفاوضة فؤاد باشا . فردَّ عليه مندوب بروسيا ان ذهابهم يحط من قدرهم بعد ان جرى ما جرى فشايعه مندوب فرنسا أمَّا أبرو افندي فخالفه وقال ان مصلحة الانسانية يجب ان تقدم على غيرها .

وعقبه مندوب الروسية فتكلم في ضرورة شروع اللجنة في العمل وأشار بوجوب التدخل في التحقيق الجاري في بيروت عاجلًا .

ثم اجمع المندوبون على الاعتراف بضرورة ذهابهم إلى دمشق باقرب آن لكنهم لم يحددوا ميعاده .

ثم قدّم مندوب فرنسا عريضة رفعها مسيحيو حوران يشكون بها سوء حالتهم فاستقرّ الرأي بناءً على اقتراح الرئيس على البحث في هذه المسألة في الجلسة القادمة وعلى ان الموسيو دي وكبكر يفاوض روساء لجان الاعانات في بيروت ويدعوهم إلى حضور الجلسة المقبلة . وختمت الجلسة الساعة الخامسة ونصف ساعة .

(عدد ١٦٣ ملحق ٢ ص ١٧٢ـ١٧٥ . ودي تستا عدد ٦٠ ص ١١٠ ـ١١٤)

٢٤٣ ــ صك الجلسة الثالثة في ١١ منه

اليوم الخميس في ١١ ت ١ سنة ١٨٦٠ الساعة الثانية بعد الظهر انتدت اللجنة الدولية في بيروت ومعها ابرو افندي برئاسة المسيو دي وكبكر فادخل عليها حضرات مور قنصل انكلترة العام وكناريس قنصل اليونان والكونت دي برتوي وهم روساء لجان الاسعاف المنشئة في بيروت . فوجّه مندوب النمسا اليهم الكلام ودعاهم الى مفاوضة اللجنة فقبلوا واستقرّ الرأي على ان يوألف هوءلاء الروءساء الثلاثة جمعية رئيسية ينضمّ اليها فيما بعد المسيو دي وكبكر بصفة رئيس لجنة تسوية يتمّ انشاوءها قريباً وتجعل تحت سيطرة اللجنة الدولية فتوعز اليها بكيفية توزيع الاحسانات التي جاد بها المحسنون . ثم قبلت طلب الموسيو نوفيكوف حفظ وظيفة عضو في الجمعية الرئيسية المشار اليها لرئيس اللجنة الروسيــة المراد انشاوءها فور وصول الاموال المجموعة في الروسية .

وبعد ذهاب حضرات مور وكناريس ودي برتوي اعلن الرئيس افتتاح الجلسة فتلي محضر الجلسة السابقة فوقعه المندوبون الاوربيون والنائب العثماني بعد تعديله قليلاً ثم قرأ مندوب فرنسا عريضة رفعها مسيحيو حوران الى اللجنة الدولية وكان

أُجّل النظر فيها الى هذه الجلسة .

فسألَ اللورد دوفرين أَبرو افندي عمّاً اذا كان شُرع بمحاكمة سعيد بك جنبلاط .

(أبرو افندي) ـ نعم . (اللورد دوفرين) ـ منذ اي تاريخ . (أَبرو افندي) ـ منذ تألفت المحكمة الغير العادية . (اللورد دوف) ـ لا ارغب في معرفة تاريخ توقيفه بل اليوم الذي مثل بهِ أول مرة امام القضاة . (أَبرو افندي) ـ ان محاكمته بدأت منذ سجنه .

فألفت الرئيس انظار اللجنة الى انه ينبغي بداءَة بدء تحديد دائرة اختصاصها وحقها في الاشتراك بالمحاكمات الجارية وقد سبق لهُ الايضاح انها تقسم الى قسمين احدهما التحقيق ولا دخل لها بهِ والآخر الدفاع ولها ان تحضره . انَّما يجب القطع في اي وقت ينتهي التحقيق ويبدأ الدفاع . امَّا الدعوى المقامة على سعيد بك جنبلاط فالظاهر ان قد انتهى تحقيقها لانه مثل امام قضاته . وكان ان جهر ابرو افندي بان قضية سعيد بك أُحيلت الى المحكمة . فقال الرئيس انهُ اصبح من حق اللجنة التدخل في الدعوى .

واستوضح المسيو دي رهفوس ما اذا كان النائب العثماني تلقى تعاليم فؤاد باشا . فأَجاب ابرو افندي بالايجاب وقرأ محررًا كتبه فؤاد باشا جوابًا على النطاقة الملحقة بصك الجلسة الاولى . فاجمع المندوبون على ضم الجواب المذكور إلى الصك الحالي .

ثم اطلعهم ابرو افندي على أهمّ مواد نظام وقتي وضعه فؤاد باشا لادارة القائم مقامية الدرزيّة وقد قسمت موقتًا الى اربع دوائر .

فاتفقوا على تأجيل نقد هذا النظام الى ما بعد ترجمته وقام جدال في الرأي الذي بسطه فؤاد باشا جوابًا على المادة الثانية من النطاقة أي في احتجاجه على تدخل اللجنة عاجلًا ومباشرة في سير محاكمة خورشيد باشا وسائر المتهمين امام المحكمة الغير

العادية في بيروت . فتناوب المندوبون الكلام في هذا الموضوع وأعربوا جميعهم عن اعتقادهم بان طلبهم حضور جلسات المحكمة الغير العادية بالذات او بالواسطة لحق ثابت لا يُمارى فيه واحتجوا بلهجة شديدة على تمييز فؤاد باشا بين التحقيق العام والتحقيق القضائي واعترافه لهم بصلاحيتهم في الاول وانكاره عليهم حق الاشتراك في الآخر واثبتوا حقهم متمسكين بهِ وحثوا أَبرو افندي على اقناع فؤاد باشا ببتّ هذا الخلاف على وجه مطابق للتعاليم المتماثلة التي زُوّدوها جميعاً .

فاستغرقت هذه المناقشة معظم مدّة الجلسة وتخللها فترات قصيرة المدة . وفي خلال احداها تلا ابرو افندي على اسماع اللجنة كتاباً من فؤاد باشا يتعلق بقتال نشب بين فريق من الدروز والجنود التي بأمرة مصطفى باشا في مجدل شمس فدارت الدائرة بهِ على الدروز انمَّا لم تُعرف تفاصيله وبه يخبره ايضاً بسفره الى دمشق . ثم اجتهد بتأييد رأي فؤَاد باشا في دائرة اختصاص المندوبين فرُدّت حججه فوعد برفع الامر الى رئيسه .

وصرّح جميع أَعضاء اللجنة مجدداً بانهم مصممو النية على التمتع بالحق المخول لهم فيحضرون كل تحقيق قضائي أَيان جرى لانهم يعدّونه ركناً من أركان التحقيق العام المفوض اليهم اجراؤه . ولشدة ما الحّوا تعهد لهم أَبرو افندي بابلاغ فؤَاد باشا متمنياتهم واطلاعهم على جوابهِ في الجلسة المقبلة .

ثم بسط مندوب الروسية الانباء التي وردت عليه بجراجة حالة المسيحيين في حوران وأَوضح ان مشايخ الدروز نهجوا في خلال المذابح طريقة قوامها قتل المسيحيين الساكنين في النواحي المجاورة ونهبهم محاشين على قدر الامكان المسيحيين القاطنين معهم للتذرّع بذلك الى نوال العفو . وقد سلك هذا المسلك الشقي الكبير اسماعيل الاطرش زعيم مشايخ الدروز في حوران وهو الذي تولّى ادارة مذابح راشيا . فانهُ لمّا كان قد أَدّى بعض الخدَم لمسيحيي القرى المجاورة مقرّه في نوره فهو

اليوم يلجئهم إلى الاستشفاع به لدى الحكومة مهدداً أياهم بالانتقام اذا ما أبوا . وقد التفّ الآن حواليه عدد عظيم من دروز لبنان الذين لجأوا إلى حوران ولمّا كان مشهوراً بالهمجية والقساوة فيخشى كثيراً من ان يحقق وعيده . فأقرّت اللجنة على ايقاف فؤاد باشا على ما تقدم . وختمت الجلسة الساعة الخامسة و ٤٥ دقيقة .

ملحق ١ — جواب فؤاد باشا على نظافة اللجنة الدولية

١ً : دمشق — سيبادر الى اجابة طلب اللجنة الاطلاع على ملفّ اوراق الدعاوى المقامة على الجناة والمتهمين لتقف على سير المحاكمات وسيأمر فؤاد باشا المحكمة الغير العادية والمجلس الحربي اللذين أ ألفهما بان يريا اللجنة جرائد ضبط الدعاوى

أمّا فيما يتعلق برأيها في نزع السلاح من أيدي سكّان دمشق فقد كانت الحكومة أقرّت عليهِ لتوطيد السكينة في المدينة لكنها اضطرت الى تأجيلهِ لطروق مشاغل اكثر خطارة ويصرّح فؤاد باشا بانه متى سنحت له الفرصة بالعودة إلى دمشق واتخاذ التحوطات يعمد إلى نزع السلاح .

٢ً : بيروت — يترتب على المحكمة الغير العادية التي أ ألفها فؤاد باشا في بيروت ان تطلع اللجنة على جرائد التحقيق في الدعاوى المقامة على خورشيد باشا وسائر الموظفين . ولا ينكر حق اللجنة في الاشتراك بالتحقيق بيدَ ان تعاليم الباب العالي الموضوعة بالاتفاق مع ممثلي الدول بالاستانة تجعل فرقاً بين التحقيق العام والدعاوى التي تقام بعده على المتهمين من رعايا الحضرة السلطانية . فتدخل اللجنة مباشرة او بالواسطة في التحقيق واشتراكها في اعمال المحكمة الموكول اليها محاكمة المتهمين ومعاقبة الجناة مخالف لمنطوق هذه التعاليم . فينبغي رعاية الفرق الكائن بين التحقيق العام وسير محاكمة الذين سيتهمون افرادياً على أثر هذا التحقيق .

فيرى فؤاد باشا ان على اللجنة ان تهتم أولاً باجراء تحقيق عام في كوائن لبنان

الاخيرة وجمع الانباء الدالة على صفة الحرب الاهلية التي نشبت بين المسيحيين والدروز ويكون ذلك بمثابة قضاء بين الطائفتين تتضح منه أَسباب الحوادث ودرجة مسوئلية الدروز وأَرباب السلطة الذين أَخلوا بواجبهم . وهذا التحيقق العام يمهد السبيل للجنة ان ترشد الحكومة إلى الاشخاص الذين لم يقبض عليهم حتى الآن . ثم على المحكمة الغير العادية المؤلفة في بيروت ان تري اللجنة ملف أوراق جميع الدعاوى اثباتًا لقيامها بالمهمة الموكولة اليها. ويتخذ ايضًا هذا التحقيق أَساسًا لفرض التعويضات ببيانه صفة القتال الذي وقع بين شعبي الجبل . وعلى أَرباب السلطة المحلية والمحكمة الغير العادية ان يبلغوا اللجنة كل ما تطلبه من الايضاحات ويطلعوها على كل المحررات بواسطة النائب العثماني كما انه على اللجنـة ان تبدي رأيها للمحكمة في الدعاوى الجارية امامها بواسطة النائب الموما اليه . فاذا قبلت اللجنة بهذه الطريقة فعلى النائب العثماني ان يعجل بتنفيذها .

٣ً : المسيحيون — ان الحكومة مواصلة اهتمامها بأعادة المسيحيين الى بيوتهم وقد دفنت جميع الجثث بما فيها قتلى دير القمر وعنت بترميم البيوت المحترقة . وبديء بتوزيع الاعانات على اهالي القرى المجاورة بيروت. واوفد فؤاد باشا مأمورًا خاصًا الى البقاع ليسهر على اعادة بناء بيوت القرى الكائنة في منحدرات الجبل الشرقية والسهل واذن بقطع الاخشاب اللازمة من املاك المسلمين والدروز في اقليم جزّين وسائر النواحي الموجودة فيها غابات . ولمَّا كان ليس في دير القمر احراج وانّما تجلب خشبها من بيروت فقد أُرصد اسعاف مالي يعطى لسكّانها من اصل التعويضات المخصصة لترميم البيوت .

ان الحبوب خاصة زعماء الدروز في البقاع والجبل وقد حُجزت ستعدّ لاعالة المسيحيين الذين يعودون الى قراهم وقد ارسلت كميَّات منها الى دير القمر وزحلة على مرّتين .

ان فؤاد باشا يعني الآن باسترجاع الامتعة التي نهبها الدروز ولاسيا الفرش والاغطية وهي من ضروريّات معيشة المسيحيين . فاللجان تجوب القرى فتجمع منها ما تستطيعه لكنه قليل .

ان الرعب اعاد السكون الى الجبل بيدَ ان الامان لا يستتب تمامًا الاَّ بعد مرور برهة من الزمن . وقد اتخذت التحوطات لحماية المسيحيين الذين يعودون الى بيوتهم ومنع الاقتتالات الافراديَّة التي يخشى وقوعها بين الطائفتين الواقفتين الان ازاء بعضهما احداهما موقف الشاكية والاخرى موقف المتهمة .

ان المهمة الوحيدة الموكولة الى اللجان التي الفتها الادارة المحلية هي تقدير النفقات اللازمة لاعادة بناء البيوت المدمرة فيبنى عليه تعيين الاموال الواجب اداؤها للمسيحيين لهذا الغرض . امَّا تقدير الخسائر فمسئلة أُخرى ينبغي وضع اساس لها وسيتخذ التحقيق العام قاعدة لتخمينها كما سبق القول . ومتى تمَّ وضعه فاللجنة الدولية ترشد الحكومة الى احسن طريقة لتقدير الخسائر . وافضلها في عرف فؤاد باشا ان تعين الحكومة لجانًا مؤلفة من مخمنين ينتقيهم مجلس الولاية ويضم اليهم وكيلين عن كل ناحية حلّت بها الخسائر .

وتنشيء ايضًا لجنة تحكيمية ينتخب اعضاؤها على مثال السابق الايماء اليها ويكون مقرّها في بيروت ووظيفتها القطع في الاعتراضات على تقدير لجان التخمين . أمَّا الخسائر التي اصابت الاجانب فتؤَلف لتقديرها لجان خاصة يكون لقناصلهم وكلاء فيها .

٤ً : الغاء القائم مقامية الدرزيَّة موقتًا — ان توقيف قائم مقام الدروز وبعض ذوي الاقطاع وفرار الباقين الذين أُسقطوا من مناصبهم وحقوقهم عملًا بالاوامر التي اذاعها فؤاد باشا حرمت جبل الدروز من ادارة منظمة فوضع موقتًا تحت الحكم العسكري الى ان يتم سن نظام لبنان الجديد بالاتفاق مع الدول العظمى . وقد

اضطرّ الى ترتيب ادارة موقتة لمنع الفوضى وايجاد سلطة قادرة على ضمان السكينة والسهر على سد حاجات المسيحيين الذين يعودون الى بيوتهم . ولمّا كان يتعذر الآن انتقاء قائم مقام من بين الدروز وذوي اقطاع وتعيينهم عليهم فقد قسم فؤاد باشا هذه القائم مقامية الى أربع دوائر وانشأ ادارة في كل منها وعين مديراً لها وقد كان اوشك ان يعرض هذه الترتيبات الوقتية على أعضاء اللجنة الدولية فارسل اليوم إلى نائبه نسخة منها لابلاغهم اياها . وهو مهتم الآن بانتقاء المديرين ومتى انتهى من ذلك يبادر إلى تنفيذ هذا النظام .

ملحق ٢ — نظام موقت للقائم مقامية الدرزية

نظام خاص موقت وضعه المندوب العثماني الخارق العادة الموفد لتنظيم شؤون سورية لتنفيذه في القائم مقامية الدرزيّة في الاحوال الحاضرة ضمانة لصالح السلطنة ورعاياها الى ان يتم وضع الترتيبات العامة بعد تمحيصها والتنقيب في جميع وجوهها بغية تمتيع جميع رعايا الباب العالي القاطنين في جبل الدروز بفوائد استتباب الامان تحت ظل عدالة الحضرة الشاهانية .

المادة الاولى : ان القائم مقامية الدرزية وقد ضمت اليها دير القمر فقط قسمت الى اربع دوائر

(اوّلها) قوامه جبل الريحان واقليما جزّين والتفاح وقاعدتها جزين

(ثانيتها) الشوف الحيثي والشوف السويجاني واقليم الخروب وقاعدتها المختاره .

(ثالثتها) العرقوب والجرد والمناصف . قاعدتها دير القمر .

(رابعتها) الشحّار والغربان الاعلى والادنى . قاعدتها عبيه

فكل دائرة من هذه الدوائر تشتمل على الاقطاعات المدوّنة اسماؤها وعدد

قراها في السجل المكتوب على زمن شكيب افندي .

المادّة الثانية : تعين الحكومة مديرًا لكل دائرة .

المادة الثالثة : يُعين لدى كل مدير خمسة معاونين يتألف منهم مجلس الدائرة برئاسة المدير .

المادة الرابعة : تحتوي هذه القائم مقامية على سكّان من اربعة مذاهب مختلفة وهم مسلمون ومسيحيون ومتاولة ودروز . واذا وجد في احدى الدوائر المار ذكرها سكان من الطوائف الاربع المشار اليها وكان عدد احداها يفوق الاخرى فينتقى عضوان من الطائفة الاكثر عددًا والثلاثة من الباقيات . واذا لم يكن فيها سوى ثلاث طوائف فينتقى ثلاثة من الطائفة الاكثر عددًا وواحد من كل من الطائفتين الباقيتين وان لم يكن فيها سوى طائفتين فالاكثر عددًا تنتقي ثلاثة والاخرى اثنين . واذا لم يكن فيها سوى طائفة واحدة كان المعاونون الخمسة منها

المادة الخامسة : يتم انتخاب معاوني كل طائفة بواسطة مشايخ طائفتهم اي ان مشايخ صلح كل طائفة يعقدون مجلسًا وينتخبون المعاونين الموكول اليهم تمثيل طائفتهم ولا فرق بين ان يكون هؤلاء المعاونين من قاعدة الدائرة او من سكّان القرى .وينبغي ان يكون المراد انتخابهم نزهاء جديرين بكل ثقة ويشترط خاصة ألاّ يكونوا اشتركوا بوجه ما ان بكوائن الجبل الاخيرة وان بغيرها .

المادة السادسة : على مجلس كل دائرة ان يهتم بمصالح بلاده وفُوض اليه القطع في الدعاوى كمجلس قضاء .

المادة السابعة : يكون لكل قرية من قرى الدائرة حسب أهمية طوائفها شيخ لكل طائفة ومعه مختاران ولهم ان ينظروا معًا في مصالح طائفتهم وتسوية الخلافات التي تقع بين ابناء مذهبهم .

واذا حدثت مسألة تتعلق بالمصلحة العامة في القرى المختلطة الطوائف

فلمشايخ ومختاري تلك القرية ان يجتمعوا لفصل الخلاف بوجه حبي .

يشترط انتقاء جميع مشايخ الطوائف والمختارين من بين الذين لم يغمسوا ايديهم في اضطرابات لبنان الاخيرة ولا في غيرها . وعلى المدير ان يسلّم كلًّا منهم تذكرة بمأموريّته .

المادة الثامنة : خلا الجنود السلطانية الواجب اقامتها في اماكن الجبل المناسبة لحفظ الامن العام فيه سيستخدم في كل دائرة عند الاقتضاء جنود غير نظامية تجعل قيد ادارة المديرين ويؤخذ نصف هذه الجنود على الاقل من سكّان الدائرة. وعلى كل طائفة ان تقدم عددًا منها بنسبة أهمية عدد نفوسها .

(عدد ١٦٨ ص ١٧٧ ـ ١٨٤ ودي تستا عدد ٦١ ص ١١٤ ـ ١٢٣)

٢٤٤ — برانت الى اللورد روسل في ٨ منه [اقتطاف]

اتشرف فانبيء سيادتكم بان الاحوال لم تتحسن منذ رسالتي المؤرخة في ٥ الجاري بل ان الذعر المستولي على المسيحيين اشتد عن ذي قبل وقد رغب بعض اعيانهم في هجر المدينة فلم تأذن لهم الحكومة فبرحوها خفيةً في ٦ الجاري .

ان خالد باشا القائد العسكري طاف بشوارع المدينة في الليالي السابقة وقد أمر بتعليق مصابيح امام البيوت على مسافات متقاربة واوعز ايضًا باصلاح الابواب الفاصلة الاحياء عن بعضها وبقفل ابواب المدينة وحراستها . فنصف الجنود ترقد في الليل والقسم الآخر يجوب المدينة من غروب الشمس حتى شروقها وأُعطي الحرّاس قذائف بنادق وأُمروا باطلاقها على الرعاع المتجمهرين عند ظهور اقلّ امارة على الفتنة . وقد أُعدت ايضًا مدفعية للعمل والكولونيل جسلر (وهو بروسيوي مدرّب في المدفعية خدمة الجيش التركي) يعترف بانه لا يوجد ضابط ضاهى خالد باشا في اجراء واجباته.

حدث في الليلة المنقضية ان رُسمت مجدداً صلبان على بيوت مأهولة بالمسيحيين ومع التحوطات المار بيانها ارتعدت فرائصهم فرقاً إلى درجة دفعت بعضهم الى المجيء الى دار القنصلية هذا الصباح يرجونني ان اسأل الحكومة ان تقدم لهم بغالاً لهجر المدينة مصرحين ان مخاوفهم عظيمة بحيث يمكنهم القول انهم يموتون كل يوم رعباً لانهم لا يستطيعون النوم او أخذ قسط من الراحة لجزعهم من حدوث مذبحة جديدة .

فبذلت جهدي لتشجيعهم فاخفقت. وقد قالوا ان في طاقة الرجال والنساء المشي امّا الاطفال فلا يستطيعونه وطلبوا مراكيب لهم فقط . ثم جهروا بانهم اذا لم يحصلوا على مطاليبهم فالرجال تذهب تاركة النساء والاطفال والعجز والمرضى . ان الشعب الذي يعمد الى مثل ذلك في مثل هذه الظروف الحرجة هو غير جدير بالاهتمام بهِ كثيراً . واعتقد انه لا يوجد خطر عاجل .

اتصل بي انه أُذن للشيخ عبدالله الحلبي بقبول من شاء من الزائرين في غرفة سجنه و بناء عليه يمكنه ان يدبر دسائسه كما لو كان مطلق الحرّية وعندي ان اعدامه ضربة لازب لاطمئنان الافكار .

ان سلوك ابرهيم بك كرامه ـ وهو موظف مسيحي تركه فؤاد باشا هنا للسهر على مصالح المسيحيين ويدعي انهُ ممثل دولته ـ لمشين جداً فيقتضي ابعاده حالاً . فلا يريد ان يراقب الوالي اعماله وأَخذ على عهدته اطلاق سبيل السجنى ومن المشهور انه يرتشي ويقبل كثيراً من الاموال والهدايا ولا ينصف أحداً دون رشوة فقد اعطى ٣٠٠ شهادة بالاعفاء من الخدمة العسكريّة لقاء عشرين الف قرش عن كل شخص (اي زهاء ١٦٥ ليرة انكليزية) في حين ان ٨٠ إلى ٩٠ شخصاً فقط دفعوا هذا المبلغ لخزينة الحكومة أمّا الباقون من حاملي هذه الاوراق فقد اكتفوا بدفع مبالغ طفيفة ويُظن انها دخلت جيب ابرهيم بك .

انحاخامي اليهود سألوني ان اساعد بعض ابناء طائفتهم المظنون فيهم المسجونين منذ شهرين وقد توفي احدهم وطلبوا ان يعجل بمحاكمتهم وقد قال رئيس الحاخامين لابرهيم بك كرامه انه يشهد بان لم يكن احد من السجني في بيته حين انفجار بركان الفتنة فأجاب : « ان شهادتكم لا قيمة لها لانه سيقضى على جميعهم بالاعدام » .

(عدد ١٦٩ ص ١٨٤)

٢٤٥ – ومنه الى السر بولفر في ١١ منه [اقتطاف]

اني عطفاً على رسالتي المؤرخة في ٨ الجاري وقد انفذت صورة عنها في اليوم ذاته الى اللورد جون روسل اتشرف فانبيء سعادتكم بان قد أُطلقت المدافع أمس الساعة التاسعة صباحاً ايذاناً بوصول فؤاد باشا ودولته قادم تواً من المختاره فكان وصوله على غير انتظار . فكتبت اليه في الحال اهنئه واعرب لهُ عن سروري بوصوله في وقت مناسب وسألته ان يعين لي موعداً لمقابلتي فضرب لي ميعاداً الساعة الرابعة بعد الظهر فحدثته في كل المسائل المدونة في رسالتي السابقة وهاك اجوبة دولته عليها :

قد سلّم بوجود الذعر لكنه لا يرى لهُ موجباً ويظن انهُ نتيجة دسائس غير انه لا يستغرب استمرار مخاوف الشعب بعد ما حلّ به من الفواجع ولا يستطيع لومه. ويرى ان بعض المسيحيين رسموا الصلبان بقصد منع رجوع اللاجئين الموجودين في بيروت إلى دمشق بتحريك عوامل الخوف هنا . ولا يعتقد ان مسلمي دمشق يفكرون بايقاظ فتنة جديدة اوانهم اذا كانوا جرأوا على اضمار الشر فيرجح ان المؤامرة قديمة العهد .

وعنده ان خالد باشا علّق على هذا الامر أهمية اكثر ممّا يستحق ومع ذلك لا يلومه لان غلطه ـ اذا كان هناك غلط ـ نتج عن مبالغة في التحذر وان كان يعتقد ان هذا التحذر قد زاد القلق

فقلت انهُ لا يسعني الاَّ استصواب سلوك خالد باشا اذ ان المسؤولية كانت ملقاة على عاتقه وحده لان الوالي عديم الكفاءة .

ثم وصل المسيو اوتره فأعاد عليه فؤَاد باشا ما قاله لي فكشفنا لهُ كلانا الستار عن اعمال ابرهيم بك كرامه فقال الباشا انهُ سبق لهُ ان اقرَّ على عزلهِ عندما اتصل بهِ سوء سلوكه وانه سيحقق في اعماله .

(وقد نُبئت اليوم بان قد أُوقف ابرهيم بك المذكور) .

والفتنا انظاره ايضًا الى حالة اليهود المسجونين فاجاب دولته ان قد حُكم على اثنين وسيطلق سبيل الباقين . فنبهه قنصل فرنسا الى ان الشهادات لم تسمع كما يقتضي وانهُ اقتُصر على شهادة المسيحيين ورفض غيرهم وان الحاخامين يطلبون ان تقبل الشهادات الموافقة اليهود . فقال دولته انه ظلَّ اثناء ٢٤ يومًا متجولاً في لبنان للقبض على زعماء الدروز لكن كثيرين منهم امتنعوا في معاقل حصينة بين الصخور غير انهم سيُكرهون على الخروج منها عندما يقرس برد الشتاء وتكثر الامطار فيرجو اذ ذاك ان يقعوا جميعًا في قبضة يده .

فسأَلت دولته ان يهتم بدفع متأَخرات الاعانات التي عينتها الحكومة للمسيحيين فأَجاب انه سيسعى الى تحقيق هذه الامنية .

ويسرّني ان أَقول بان حضور دولته أَزال مخاوف المسيحيين تمامًا .

(ملحق عدد ١٧٠ ص ١٨٥)

٢٤٦ – صك الجلسة الرابعة في ١٥ منه

اليوم الاثنين في ١٥ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ انتدت اللجنة الدولية بحضور أَبرو افندي النائب العثماني في بيروت برئاسة الموسيو دي وكبكر مندوب النمسا . فافتتحت الجلسة الساعة الثانية الاَّ ربع وقريء محضر الجلسة السابقة وووفق عليه .

ودوّن في الفقرة المتعلقة بتأليف جمعية رئيسية موكول اليها السيطرة على سائر لجان الاسعاف بان قد تمّ انشاء لجنة روسية وان الحكومة الفرنسوية عهدت الى الكونت بنتيفوليو برئاسة لجنة الاسعاف الفرنسوية .

فذكر الموسيو دي رهفوس ان اللجنة جزمت بضم نواب عنها الى لجان التخمين التي ارسلتها الحكومة الى نواحي الجبل .

فأجاب ابرو افندي ان هذه اللجان أُلّفت ليس لتسوية مسألة التعويض بل للسعي في تمهيد السبيل للمسيحيين للعودة الى بيوتهم باقرب آن . وعليه لا يمكن قبول نواب اللجنة في عدد اعضاء اللجان المذكورة الأ بصفة غير رسمية فتختارهم اللجنة وتعينهم الحكومة .

فرغب اليه اللورد دوفرين ان يوقفه على عدد الذين أُسعفوا حتى الان وعدد البيوت التي رممت والقرى التي اعيد بناؤها . فوعد ابرو افندي ببسط ايضاحات شافية في الجلسة القادمة .

فسأله الموسيو نوفيكوف عمّا اذا كان تذرع بالوسائل لاسكان مسيحي لبنان الشرقي (انتيلبنان) واعرب عن ارتيابه في امكان اعادتهم الى بيوتهم في مدى هذه السنة نظرًا لقرب فصل الشتاء وعدم وجود أمان في البلاد .

فقال ابرو افندي ان الحكومة ستهتم بذلك وان المسيحيين المذكورين هم الان في بيروت وصيدا وصور . واكد جوابًا على استيضاحات وجّهها اليه المسيو دي رهفوس واللورد دوفرين ان الحكومة لم تنقطع عن توزيع الاعانات على سكّان راشيًا وحاصبيًا ودير القمر ودمشق ويبلغ مجموعها في الشهر ٥٠٠ الى ٦٠٠ الف قرش خلا سائر النفقات .

فطلب اللورد دوفرين ان تطلع الحكومة والجمعية الرئيسية المنشأة حديثًا اللجنة الدولية عند افتتاح كل جلسة على الاعانات التي وُزّعت وعن الوسائل التي

تذرع بها لاعادة المسيحيين الى قراهم .

فألفت المسيو دي رهفوس مجدداً انظار رصفائه الى لجان التخمين وارتأى ان يخول نوّاب اللجنة فيها الدفاع عن المطالب التي تُرفع اليهم

فأجاب ابرو افندي انهم يتمتعون بالحقوق الممنوحة لسائر اعضاء اللجان . ثم اسهب في بيان المهمة الموكولة الى اللجان المذكورة واوضح انها مؤلفة من خبراء ليس لهم النظر في تسوية مسألة التعويضات وانه اذا شاءت اللجنة الدولية ان تختار ستة اشخاص فيبادر الى تعيينهم . فاستقرّ الرأي على اختيارهم في الجلسة المقبلة

واستوضح المسيو نوفيكوف ما اذا كانت الحكومة اتخذت التحوطات لضمان جناء موسم الزيتون في جوار حاصبيا نظراً لدنو ميعاده .

فقال ابرو افندي انه يظن ان الحكومة احتاطت لهذا الامر

ثم قدم لمكتب اللجنة (١) صورة كتاب انفذه اليه فؤاد باشا من دمشق (٢) صورة تتضمن نص الكلام الذي فاه به في الجلسة الثالثة عند اعلانه سفر فؤاد باشا . وبناءً على طلبه ضُمّ هذان المحرران إلى محضر الجلسة الحالية .

وبعد ذلك اعلن ابرو افندي استعداده للجواب على الاستيضاحات التي وُجهت اليه في الجلسات السابقة.

فقال بخصوص شاكر باشا ـ وقد كان الموسيو نوفيكوف ابدى أسفه على الاذن لهُ بالذهاب إلى الاستانة ـ انه علم من الافادات الرسمية التي وردت عليه ان المجلس الحربي في دمشق الذي حكم باعدام أحمد آغا المشير السابق قد برّأ هذا القائد وستقف اللجنة على تفاصيل تبرئته عند اطلاعها على ملف اوراق الدعوى .

أمّا فيما يتعلق بطلب مندوب فرنسا إلى الحكومة ان تعامل نوري بك بقسوة فيكرر ما سبق له قوله ان المحكمة الغير العادية استقدمته الى بيروت ولمّا لم تقتنع باجوبته أمرت بتوقيفه .

أمّا حسني بك فلم يسبق اقامة شكوى عليه ولمّا كان قد تصرف بنزاهة واستقامة في محاكمة الضبّاط في دمشق جعل عضواً في محكمة بيروت الغير العادية. وسأل الموسيو بيكلار ان يبين الشكاوى الموجهة الى هذا الضابط حتى اذا كانت صحيحة تنظر المحكمة حالاً فيها.

وتكلم في اقوال الموسيو بيكلار المشيرة بوجوب القبض على الجناة الحقيقيين في دمشق والاهتمام في استئناف العدالة مجراها فصرّح ان في وسعه التأكيد ان المحكمة الغير العادية في دمشق لم تبطأ في اعمالها بل تواصلها دون انقطاع وتلاحق الاشخاص الذين يشكوهم اليها المسيحيون او يظهر جرمهم من اقرار سائر المتهمين. وقد اعدمت كثيرين اثناء غياب فؤاد باشا. وقبضت على الاشخاص الذين اشار اليهم المسيو بيكلار أي اعضاء المجلس ومعظم اعيان البلاد وبديء بمحاكمتهم وحتى الآن لم يتسنّ وجود أدنى دليل على ما نُسب اليهم رغماً عن التنقيب الشديد. فاذا لم تتوفر الادلّة الكافية لاعدامهم فينفون مؤبداً من دمشق.

وعدا ما تقدم فقد فُوض اليهِ ان ينبيء اللجنة بان فؤاد باشا مع الاحتفاظ برأي حكومته لا يمانع في حضور اعضاء اللجنة او نوّابهم جلسات المحكمة الغير العادية في بيروت ويؤذن ايضاً لاعيان الاجانب ان يحضروا هـذه الجلسات ليتحققوا والمندوبون حسن انتظام سير المحاكمة ونزاهة المحكمة

فقبلت اللجنة بحلّ الاشكال على هذه الصورة مع الاحتفاظ بالقاعدة التي وضعتها. واتفق على انه يحق للمندوبين او نوّابهم ان يحضروا جلسات المحكمة منذ الغد واذا شاءوا نقد سير المحاكمة فلهم ان يبسطوه في جلسات اللجنة ان لمندوب الباب العالي الخارق العادة وان لنائبه.

وقال مندوب فرنسا انه تلقى جواباً من المسيو اوتري قنصل دولته في دمشق على الاستيضاحات التي طلبها منه بعد الاتفاق عليها مع رصفائه وتلا فقراً منه وصف فيها

حراجة حالة المسيحيين وكشف مساوىء ابرهيم كرامه وامتدح من نشاط خالد باشا قائد الموقع العسكري ونقد كيفية تنفيذ طريقة اعفاء المطلوبين إلى الخدمة العسكريّة لقاء بدَل قدره عشرون الف قرش .

فأَجاب ابرو افندي ان قد قُبض على ابرهيم بك كرامه بناءً على أَمر فؤَاد باشا

واخبر ايضاً اللجنة بقرب قدوم المندوب العثماني الى بيروت حيث يتشرف بترأس احدى الجلسات المقبلة وبانهُ يستفاد من الانباء الاحدث عهداً ان حالة دمشق مرضية على قدر الامكان وقد اتخذت جميع التحوطات لتطمين بال المسيحيين وتأديب الدروز .

فسأله الموسيو نوفيكوف عن تنفيذ مشروع نزع السلاح . فردَّ أَبرو افندي ان فؤَاد باشا مصمم النية على تنفيذه .

فاستوضحه الموسيو بيكلار عن محاكمة خورشيد باشا ووصفي افندي وأَحمد افندي ففاه ببعض تصريحات .

وقد ختمت الجلسة الساعة الثالثة وربع الساعة .

ملحق ١

كان من الواجب اضافة الفقرة التالية الى صك الجلسة الثالثة :

« لمَّا علم فؤَاد باشا باستيلاء الذعر على مسيحيي دمشق اقرَّ على السفر الى هذه المدينة واظن ان قد بلغها الان . ولئن كان أَرباب الحكومة في دمشق العسكريون والملكيون قد ضمنوا له حفظ الراحة وبنوا تأكيداتهم على القوَّة العسكريَّة الكافية المرابطة في المدينة وعلى وجود حليم باشا على مسافة أَربع ساعات من دمشق فقد ودَّ ان يذهب بذاته الى المدينة المذكورة بغية تطمين الافكار فاندهش من اضطرابها . وشاء ايضاً ان يشرف على مطاردة الدروز الجناة الممتنعين

في حوران .

ملحق ٢ — فؤاد باشا الى ابرو افندي . عن دمشق في ١٠ منه

عزيزي أبرو: ـ غادرت المختارة أمس صباحًا كما حدثتكم بكتابي السابق وبعد ٢٤ ساعة بلغت دمشق فوجدتها قيد السكينة كما برحتها. ان الاشاعات التي أذيعت عن هياج سكانها هي نتيجة دسائس وقد اقرّ كثيرون من المسيحيين الذين استجوبتهم ان بعض أبناء مذهبهم هم الذين رسموا الصلبان على بيوت المسيحيين لرغبتهم في السفر الى بيروت او ابقاء اقاربهم وأصدقائهم فيها وهم يدبرون المكايد لايقاع الرعب في قلوب اخوانهم حملًا لهم على المهاجرة .

فتلطف بايقاف حضرات المندوبين وكل من يحيط بكم على هذه الانباء وأضف اليها اني سررت كثيرًا بالسكينة السائدة في المدينة بحيث حكمت بان التحوطات العسكريّة الشديدة التي عُول عليها لم يكن لها لزوم .

(عدد ١٧٥ ملحق ١٢ ص ١٧٦ـ١٧٩ . ودي تستا عدد ٥٢ ص ١٢٣ـ١٢٦)

٢٤٧ — الماجور فرازر الى اللورد روسل . عن دمشق في ٢٠ منه [اقتطاف]

ساءني كثيرًا اضطراري الى قطع مراسلاتي عن سيادتكم لابتلاءي بمرض شديد ألزمني الفراش مدة شهر من جرّاء فساد هواء دمشق في هذا الفصل وعدم وجود طبيب للعناية بي ويسرّني ان ابشركم باني قد نقهت الان وان كنت لم ازل ضعيف القوى .

ان المستر برانت قنصل دولتنا هنا غادر دمشق منذ اربعة ايام للاجتماع باللورد دوفرين في بيروت وقد علمت انه اوقف سيادتكم على كل ما جرى حديثًا فلم يبقَ لي ان ازيد سوى القليل . ان فؤاد باشا لم يزل في المدينة وقد ازال وجوده

ذعر المسيحيين ومع تحسن حالتهم كثيرًا لم ينقطعوا عن الجلاء يوميًا الى بيروت بعد بيعهم فرشهم وآنية الطبخ وكل ما يملكونه ليستأجروا بثمنها مراكيب لسفرهم. والظاهر ان بعضهم لم يستطيعوا الافلات من مخالب الذعر الشديد الذي استولى عليهم اثناء المذابح ولم يقوَ التطمين والضمانات والتنشيط على اعادة روعهم اليهم وآخرون قد حثّهم وكيل قنصلية اليونان هنا على المهاجرة في حين ان غيرهم صرّحوا ان سبب قلقهم ناتج عن اطلاق فؤاد باشا سبيل كثيرين من السجنى مع انهم كانوا متهمين باقتراف الجنايات. وقد اوضح دولته انه وان كان هؤلاء الاشخاص سُجنوا بهذه التهمة فان متهميهم لم يأتوا بدليل على ما نسبوه اليهم ولم يحضروا فلم يستطع ابقاءهم في السجن. وقد اورد المسيحيون شاهدًا آخر على صوابية خوفهم وهو تواطوء الحكومة والدروز الظاهر للعيان وتصميم فؤاد باشا على عدم معاقبة الدروز الجناة وعليه يشعرون ان لا امان لهم في عهد حكومة تخفي الذين عذبوهم وارتكبوا الفظائع واذاقوهم الاهوال ولا يزالون يخشون شرهم في الآتي.

ان القوّة العسكرية التي أُرسلت حديثًا الى شرقي لبنان (انتيلبنان) بين حاصبيًا وراشيًا لقطع المواصلات بين لبنان وحوران منعًا للدروز من الالتجاء الى هذا الجبل الاخير قد عادت دون ان تأسر درزيًا واحدًا على ما سمعت. وقد عسكرت هذه الجنود الان في القرى المجاورة دمشق وقدم المدينة قائدها حليم باشا.

وفي خلال هذا ينتقل الدروز بحرّية من حوران الى لبنان فقد عاد ٣٠٠ فارس بأمرة ملحم العماد الى اماكنهم منذ بضعة ايام في حين شوهد منذ يومين الف درزي مشاة قاصدين لبنان.

اتصل بي اليوم ان قد أُرسل هذا الصباح الى بيروت عشرة من الاعيان مخفورين وفي عدادهم بعض اعضاء المجلس الكبير حين انفجار الفتنة فارسلت استوضح فؤاد باشا الخبر فورد عليَّ منه هذه الساعة الجواب المرسل في طيهِ.

فاقتصر الان على تعليق رأيي على فقرة من هذا التحرير - وسأعود الى البحث فيهِ فيما بعد - وهو ان الاوربيين والمسيحيين يعدون الشيخ عبدالله الحلبي رئيس مضللي الشعب ومحرضيه على مذابح دمشق وانه يستحق عقاب الاعدام ومثله المفتي .

(عدد ١٧٣ ص ١٨٦ - ١٨٧)

٢٤٨ - فوأد باشا الى الماجور فرازر . عن دمشق في ٢٠ منه

ان الاشخاص الذين أُرسلوا هذا الصباح الى بيروت هم من كبار المدينة وكان بعضهم اعضاء في مجلس الولاية . وقد قُبض عليهم منذ شهر بتهمة انهم حرَّضوا المسلمين اثناء الاضطرابات الماضية وقادوهم فاستمرَّ التحقيق في الدعوى المقامة عليهم مدة طويلة وسعت المحكمة الغير العادية الى ايجاد دلائل تثبت عليهم الجناية المنسوبة اليهم للحكم عليهم بأَقصى درجات العقوبة التي ينصّ عليها القانون وتوصلًا لكشف ما اذا كانت الفواجع الماضية نتيجة دسيسة مدبّرة من قبل . ومع انه لم يظهر أَدنى دليل حتى الآن على ما نُسب اليهم فقد قضيت على بعضهم بحبس القلعة المؤبد وعلى غيرهم بالموقت وعلى آخرين بالنفي لمدة معلومة . وعدا ما تقدم فقد أَلقيت القبض حديثًا على بعض الاعيان وحكمت عليهم لانهم لم يقوموا بواجبهم كوطنيين ولم يستخدموا نفوذهم في الشعب لايقاف الثورة عن المسيحيين .

وقد ارسلتهم الى بيروت ومن هناك يُنقل المحكوم عليهم بحبس القلعة الى جزيرة قبرس ليكونوا على مقربة مني فيتسنى لي استدعاءهم والقضاء عليهم بعقاب أَشد اذا ثبت فيما بعد ان لهم يدًا في الاضطرابات . وفي طيهِ بيان باسماء هؤلاء الاشخاص ونوع قصاصهم ومدته .   (عدد ١٧٣ ملحق ١ ص ١٨٧ - ١٨٨)

٢٤٩ – بيانه الاسماء

الشيخ عبدالله الحلبي حُكم عليهِ بالسجن المؤبد في قلعة ونفيت عائلته واقاربه من المدينة .

نصوح باشا زاده عبدالله بك وحسيبي زاده أحمد افندي وعظمة زاده محمد بك حكم عليهم بالسجن مدة ١٥ سنة .

المفتي طاهر افندي (مفتي الاحناف) وغزّي زاده عمر افندي (مفتي الشافعية) حكم عليهما بسجن ١٠ سنوات في قلعة .

وعظم زاده عبدالله بك وابنه علي بك وأحمد افندي عجلاني (نقيب الاشراف) وفروق زاده عبدالهادي افندي حكم عليهم بالنفي ثلاث سنوات .

وقد حجزت الحكومة املاك المحكوم عليهم الى ان ترد الاوامر السلطانية.

(عدد ١٧٣ ملحق ٢ ص ١٨٨)

٢٥٠ – صك الجلسة الخامسة في ٢٣ منه

اليوم الثلثاء في ٢٣ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ الساعة الثانية بعد الظهر اجتمع في بيروت أعضاء اللجنة الدولية ومعهم أَبرو افندي النائب العثماني برئاسة الموسيو دي و كبكر مندوب النمسا . فقرئ محضر الجلسة السابقة ووُفق عليه .

فسأل مندوب بروسيا ابرو افندي عن سبب اجبار بعض اهالي القرى على تسليم لجان التخمين كتابة تؤذن بوصول كل ما يحق لهم عند توزيعها بعض المال عليهم

فأجاب ابرو افندي ان هذه المبالغ ليست سوى اعانات حتى انها لا تعد دفعة من اصل التعويضات امَّا الكتابات الاقراريَّة بوصول هذه المبالغ فليست بمثابة ابراء ذمة بل تشعر بقبض الاعانات المذكورة فقط .

فقام الجدال في هذا الصدد واشترك بهِ جميع أعضاء اللجنـة . فقال اللورد دوفرين ان كل الشكوك تضمحل اذا ما ضم نواب اللجنة الدولية الى أعضاء لجنة التخمين وفقًا لما استقرّ عليهِ الرأي سابقًا . وتساءَل الاعضاء عمن يدفع رواتب هؤلاء النواب أو على الاقل نفقات سفرهم وطعامهم . فصرّح أبرو افندي ان الحكومة تدفع لهم ذات الراتب المرصد لرصفائهم . فلم تقبل اللجنة بهذا التعهد .

فأَردف أبرو افندي ان عدد اللجان الآن ثمان فقوام واحدة منها خمسة اعضاء وكل من الباقيات أربعة فيكون مجموعهم ٣٣ عضوًا وفي كل لجنة مسلم ومسيحي ونجَّار وبنَّاء لبناني . وبعد مغادرتها بيروت اخذت هذه اللجان تجوب قرى الناحية الموكول اليها أمرها وستفرغ من اشغالها بعد عشرين يومًا .

فقال الموسيو دي وكبكر انه لمَّا كانت الاموال الموزعة الان هي على سبيل الاسعاف فعلى اللجنة الدولية ألاَّ ترسل نوابًا عنها الأحين يُبدأ بتخمين الخسائر نهائيًّا .

أمَّا الموسيو دي رهفوس فأيد ما قاله بخصوص الكتابة الاقرارية التي أُخذت من المنكوبين وان هؤلاء يوقعونها جاهلين ما يخبأُه لهم المستقبل وكي لا يُحرموا قبض تعويض وان طفيفًا في الحال .

فسأله أبرو افندي عن اسماء الذين وقعوا مثل هذه الكتابات الاقرارية . فأبى المندوب البروسيوي البوح بها حاليًّا .

ثم أَجلت اللجنة القطع بمسألة تعيين نوّابها في اللجان المذكورة الى ما بعد زيادة البحث .

وتلا ابرو افندي كتابًا ورد عليه من فؤَاد باشا جوابًا على مزاعم اشتملت عليها رسالة قنصل فرنسا في دمشق وكان المسيو بيكلار قد اطلع اللجنة الدولية على بعض فقرها وطلب ضم هذا الكتاب الى محضر الجلسة .

فردَّ عليهِ المندوب الفرنسوي انهُ لا يمانع في الحاقه بصك الجلسة لكنه انكر

على فؤاد باشا صحة اعتراضه على اقوال المسيو اوتري واعرب عن تيقنه بان القنصل المشار اليه استقى اخباره من ينابيعها الصافية ومن موارد موثوق بها لا يمكن نفيها .

فألفت الموسيو دي رهفوس انظار اللجنة الى ان الاشخاص المحكوم عليهم في دمشق كعبدالله الحلبي ورفقائه وصلوا الى بيروت بموكب حافل ومعهم حاشية كبيرة محاطين بانواع الرفاه والاكرام خلافاً للطريقة المتبعة عادةً في نقل المجرمين .

فأجاب ابرو افندي ان الاشخاص المذكورين أُبعدوا عن دمشق لاسكان قلق المسيحيين في حين لم تثبت عليهم الجريمة المنسوبة اليهم بدليل قاطع وجلّ ما أُخذوا بهِ انهم لم يعملوا على منع الاضطرابات في دمشق

فأَبدى كل من الموسيو نوفيكوف والموسيو دي رهفوس اندهاشهما من الحكم بالسجن المؤَبد أو الموقت على اشخاص ابرياء مراعاة لمقتضيات السياسة .

وقال الموسيو دي ويكبكر ان للجنة ان تشكو خاصةً من عدم ايقافها على الاحكام الحديثة وارتأَى ابقاء المحكوم عليهم في بيروت الى ان تطلع اللجنــة على ملفَّات أَوراق الدعاوى المقامة عليهم .

واعلن الموسيو بيكلار انه عزم على تنبيه افكار المندوب العثماني الخارق العادة لدى عودته الى بيروت الى وجوب مقاضاة مقترفي المذابح في صيدا . فحتى الان لم يلقَ القبض عليهم . فاوضح أَبرو افندي انه تعذر على فؤَاد باشا معاقبة هؤلاء الجناة نظرًا لقصر مدة اقامته في صيدا لكنه واثق بان القصاص يعمّ كل الجناة ان في صيدا وان في سائر الاماكن

واعترض مندوب بروسيا مجددًا على جواب فؤَاد باشا على نطاقة اللجنة الدولية في ما يتعلق بحق اشتراكها في التحقيق لانه لا يسع اللجنة القبول بتمييزه بين التحقيق العام والتحقيق القضائي الأَ على شرط تأييد حقها في البحث في درجة مسؤولية زعماء الفتنة ومأموري الحكومة وفقاً للتعليمات المتماثلة التي زُوّدها جميع المندوبين .

ومن الجلي انها لا تستطيع التمتع بهذا الحق دون التدخل في سير المحاكمات .

فصرّح ابرو افندي ان ملفَّات اوراق الدعاوى ستعرض على اللجنة وبعد تمحيصها يمكنها ابداء رأيها فيها

فانكر مندوب الروسية على الحكومة حق اصدار حكم وتنفيذه دون ان يكون سبق للجنة الاطلاع على جرائد ضبط الدعوى

فاحتفظ ابرو افندي برأي فؤاد باشا المنتظر وصوله في ذلك اليوم الى بيروت في هذا الشأن وجهر انهُ متى تمَّ التحقيق في كل الدعاوى تبرم المحكمة احكامها دفعة واحدة لكنه أبى التسليم بان للمندوبين حق اقامة ذواتهم مقام القضاة

واحتجَّ المسيو دي رهفوس على كل الاحكام التي تُبرم او تنفذ قبل اطلاع اللجنة على ملفّ اوراق الدعاوى وطلب تدوين احتجاجه في محضر الجلسة تنصلاً من التبعة الملقاة على عاتقه .

فذكر المسيو دي وكبكر ان اقواله السابقة تؤيد احتجاج الموسيو دي رهفوس فقد صرَّح دائماً ان التحقيق الابتدائي من حق المحاكم أمَّا للجنة ان تحضر جلسات المحكمة عندما يمثل امامها المتهم فتتدخل في سير الدعوى فهذا هو الحد الذي يقف عنده حق اللجنة في التدخل على ما يرى

فطال الجدال في هذا الصدد بين المندوبين ـ وهم يريدون ان يكون تدخلهم فعلياً ـ من جهة وبين النائب العثماني ـ الذي ذهب الى ان هذا التدخل يفقد القضاة استقلالهم ـ من جهة أُخرى

ثم انتقد الاعضاء طريقة استجواب المتهمين وتقييد حريّة الدفاع . فردَّ ابرو افندي على هذه الانتقادات واعلن انه لا يمكن اجبار محكمة تركية على السير على الطرائق المرعية في اوربا

فوافق اعضاء اللجنة على احتجاج الموسيو دي رهفوس . لكن المسيو بيكلار

اشترط الأَّ يكون هذا الاحتجاج باعثًا على تراخي المحكمة فتتخذه حجة لتخفيف العقوبات التي ستقضي بها على المجرمين . فشايعه مندوب بروسيا على طلبه

وقال الرئيس انه يمكنه الافصاح عن رأي اللجنة بالعبارة الآتية :

« تدّعي اللجنة حق التدخل اجماعياً في التحقيقات الرامية إلى البحث في اسباب الكوائن الحديثة ومنشأها بيانًا لدرجة مسؤولية زعماء الفتنة ومأموري الحكومة »

فألحّ مندوب فرنسا بوجوب التشديد في القصاص وابرام احكام تكون عبرة للقوم وتجنب التلهي في دقائق سير المحاكمة .

وختمت الجلسة الساعة الرابعة وربع الساعة .

ملحق — كتاب فؤاد باشا الى ابرو افندي . عن دمشق في ١٣ منه

لمّا كنت قد قرأت في أحد كتبكم المتضمنة بيان ما جرى في جلسات اللجنة ان الموسيو بيكلار مندوب جلالة امبراطور الفرنسويين تلا رسالة انفذها الموسيو اوتري قنصل فرنسا في دمشق الى صاحب الدولة الموسيو توفنيل تتضمن وصف حالة هذه المدينة رأيت ان استوضح الموسيو اوتري عن بعض انباء بمكان من الاهمية اشتملت عليها رسالته . فبادر الى اصلاح ما نبهته اليه نقلاً عمّا لخصتموه لي من اقواله .

١ً : أشار في وصفه احوال المدينة اجمالاً الى المخاوف التي استولت حديثًا على سكّانها انّما لم يكن في نيتهِ ان يقول ان المدينة في خطر وعلى قاب قوسين أو أدنى من حدوث مذابح جديدة .

٢ً : ان قوله ان أعيان دمشق المسجونين لهم علائق بالمدينة لم يقصد بهِ انهم يراسلون عصابات الدروز المسلحة بغية استقدامها الى دمشق لذبح المسيحيين .

٣ً : أراد باشارته الى عمل كرامه افندي تقبيح سلوك هذا المأمور المجحف

بالمحكمة الغير العادية لكنه لم يشأ اتهام هذه المحكمة بالارتشاء .

ولمَّا كان قوله الاول مبنياً على تقدير عام فاقتصر على الافصاح عن رأيي الخاص وعمَّا شاهدته هنا فور وصولي . فقد كان أُشيع خبر تألُّب جماهير الدروز للزحف على دمشق . فهذه الاشاعة ورسم الصلبان على أبواب بعض البيوت المأهولة بالمسيحيين قد اقلقا بالهم . لكنَّ أعيانهم لم يكتموني ظنونهم في بعض ابناء مذهبهم بانهم مسببو هذا الجزع . وكان ان رأت السلطة العسكريَّة ذاتها بين امرين احدهما عدم الاكتراث بهذا الذعر والتحوط لهُ تجنباً لذيوع الخبر واثباته فتتهم بالاهمال وعدم التدبر والاخر ان تريد سهراً ونشاطاً لازالة هذا الذعر فيتخذ اهتمامها حجة على اعترافها بصحة وجود الخطر الموهوم . فآثرت انتهاج الخطة الاخيرة فأُطرئت عليها انَّما استُشهد بها على صوابية قلق المسيحيين. أجل لا يمكن انكار وجود المخاوف لكن لم يكن ثمه خطر يهدد المدينة. ان المسلمين هم قيد الرعب وفي وسعي ان أقول دون مراعاتهم انهم شعروا اليوم بوخز ضميرهم .

أمَّا القضية الثانية فليس لي ان ازيد على ايضاحات المسيو اوتري سوى كلمة واحدة . وهي اني عهدت بحراسة المسجونين المذكورين إلى ذات السلطة العسكرية التي اعجب بنشاطها . وقد استقصيت الاخبار فتحققت انه لم يكن لهؤلاء السجنى ـ وهم الان قيد أَشدّ المراقبة ـ اتصال بالمدينة او بخارجها الأَ نادراً من جرَّاء تغاضي بعض الجنود الموكول اليها حراستهم .

أمَّا بخصوص المسألة الثالثة فان سلوك كرامه افندي اوشك ان يلحق عاراً بالمحكمة الغير العادية وبمن ادعى انه يمثله وانتم تعرفون كرامه وهو ابن بطرس كرامه كاتب سرّ الامير بشير فقد كان موظفاً في قلم الترجمة وقبل حدوث مذابح سوريا أُذن لهُ بالذهاب الى صيدا مسقط رأسه لقضاء مدة فيها . وعند وصولي الى بيروت عينته في جملة كتبة اسراري بصفة ترجمان اللغة العربية .

وفي دمشق احصيته في عداد اللجنة الموكول اليها توزيع الاعانات على المسيحيين انما عندما رأيت ان سلوكه اساءهم استبدلته بفرنقو افندي . فبقي في دمشق بناء على طلبه بحجة اعتلال صحته فادعى امام أرباب الحكومة المحلية والقناصل انه نائبي ولما انبأني أرباب الشأن بسوء سلوكه وقد وجدته فوق ما كنت اعتقد امرته بالرجوع إلى بيروت وعدت الى دمشق قبل ان يبرحها .

فالقيت عليه القبض في الحال بتهمة الارتشاء ووجدت عنده المال والهدايا التي قبلها . ولمّا كان يتظاهر امام الجمهور بانه اعظم شأناً من رئيس المحكمة الخارقة العادة كاد هذا السلوك يزنّ اعمال المحكمة بالعار في حين ان جميع اعضائها معروفون بنزاهتهم واستقامتهم . وقد اسهبت في هذه المسألة لازالة ما علق من الشكوك بالافكار بحق رجال وضعت فيهم ثقتي . ولهذا سررت كثيراً باكتشاف هذه الفضيحة التي مهدت لي السبيل لابين ان العدالة الموكول إليّ اجراؤها لا تراعي احداً حتى رجال حاشيتي .

يتعذر عليّ تأمين اسمعيل الاطرش لانهُ اتى اعمالاً فظيعة في كوائن حاصبيا وراشيا . وقد اضطررت الى ان اتذرع بوسيلة أُخرى لضمان سلامة المسيحيين فيما لو هاجمت قواتنا زعماء الدروز في حوران وقد انضم اليهم الآن اخوانهم في لبنان . ان اسرة عامر وقد امتدح لي منها المسيحيون يمكنها ان تخدمنا في هذا الشأن فعولت على استخدامها لتكون ملجأ لمسيحيي حوران وهم كثيرون على ما اتصل بي .

سافر اليوم حليم باشا قاصداً سعسع لتنظيم القوّات المعدة لمطاردة الدروز وقد تمكنتُ من حشد زهاء ٣ الاف فارس غير نظامي . وسيعود هذا القائد يوم الخميس فاتركه هنا واذهب مساء الى بيروت فابلغها نهار الجمعة أو السبت .

(عدد ١٨٢ ملحق ٥ ص ٢٠٤-٢٠٨ . ودي تستا عدد ٥٣ ص ١٢٧-١٣٠)

٢٥١ – اللورد روسل الى القنصل برانت فى ٢٥ منه

تلقيت من السير موسى مونتيفيوري الكتاب والعريضة المرسلة صورتها لكم في طيه ويتضح منها ان مسيحيي دمشق يسعون الى تهييج الافكار على اليهود بتهمة انهم اشتركوا مع المسلمين في الفظائع الاخيرة .

لم أرَ في مراسلات موظفي جلالة الملكة في سوريّة ما يثبت هذه التهمة . والعريضة التي رفعها الينا السير موسى مونتيفيوري هي النبأ الوحيد الذي اتصل بنا بهذا الشأن . ولا حاجة بي الى القول انه وان كان يتعذر التصديق ان للتهم الموجهة إلى اليهود اساساً فاقدام المسيحيين عليها يقلل من الثقة بهم وقد كان عليهم الاتعاظ بما قاسوه من الاهوال فيحجمون عن ان يلحقوا باناس ابرياء مثلهم مصائب ونكبات كالتي حلّت بدمشق .

فاوعز اليكم ان توجهوا عنايتكم إلى هذه المسألة وتبذلوا جهدكم لوقاية يهود دمشق كي لا يذهبوا ضحية افتراء ذميم . وعليكم ان تصرّحوا لوالي دمشق ان قد عُهد لسفير جلالة الملكة في الاستانة بان يلفت انظار الباب العالي إلى التهم الموجهة إلى اليهود ويطلب وقايتهم من كل ضرر وتنبهوا الوالي المشار اليه الى انهُ سينقب بسلوكه في هذا الصدد بمزيد التدقيق وان حكومة جلالة الملكة تستعمل كل ما لها من النفوذ لدى الباب العالي ليعامل بشدّة إرباب السلطة التركية الذين يوقعون باليهود ظلماً كما لو كانوا ظلموا المسيحيين .   (عدد ١٦٤ ص ١٧٥ ـ ١٧٦)

تنبيه :   وقد ارسل اللورد روسل الى السير بولفر سفير دولته في الاستانة كتاباً بهذا الشأن لاستصدار الاوامر لوقاية اليهود وانصافهم من التهم الباطلة والى المستر مور للسعي مع اللورد دوفرين لدى فؤاد باشا إلى تحقيق امنية اليهود .

(عدد ١٦٥ و١٦٦ ص ١٧٦ـ١٧٧)

٢٥٢ – اللورد دوفرين الى السر بولفر في ٢٦ منه [اقتطاف]

اتشرّف فانبيء سعادتكم انه عندما علم المندوبون ان الباب العالي خوّلهم حق حضور جلسات المحكمة الغير العادية المؤلفة في بيروت طلبوا في الحال الى ابرو افندي نائب فؤاد باشا وأحد اعضاء المحكمة ان يأمر بحضورهم الجلسات أو نوابهم

فأبى أبرو افندي اجابة طلبهم إلى ما بعد عرض المسئلة على فؤاد باشا الوجود في دمشق . وفي جلسة اللجنة التالية اخبرنا بان دولة المندوب العثماني يعتبر ان حقنا في الاشتراك مقصور على ما دعاه «التحقيق العام» ولا يشمل التحقيق القضائي . فاحتج جميع المندوبين بشدة على هذا التأويل وقلت لابرو افندي اني لمّا كان قد فُوض إليَّ حضور سير المحاكمات أرى انه يفرض عليَّ ان احضر بنفسي الى أبواب المحكمة حتى اذا مُنعت من الدخول تقع المسؤولية على أرباب السلطة التركية . وقد حملني على هذا الانذار ما اتصل بي من ان المحكمة جرت في محاكمة سعيد بك جنبلاط وسائر السجنى على طريقة مشينة . ثم انتهزت الفرصة للالحاح على أبرو افندي مبينًا لهُ عدم فائدة انكار فؤاد باشا حقًّا سبق للباب العالي ان اعترف لنا بهِ ورجوته ان يعرض لدولته في الحال ما جرأت على بسطه بهذا الصدد .

ويسرّني ان ابشر سعادتكم ان احتجاج اللجنة لم يذهب سدى فقد حمل الينا البريد الاخير الوارد من دمشق خبر قبول فؤاد باشا بحضور المندوبين أو نوابهم جلسات المحكمة . وعليه فقد عهدت الى المستر نويل مور بان ينوب عني بحضور المحاكمات وزوّدته التعاليم وفي طيه صورة عنها .

بيدَ انه اذا ما أُريد جعل تدخلنا في هذه المحاكمات فعليًّا وذا فائدة فمن اللازم اللازب ان يخول نوابنا حق الزام المحكمة بتوجيه السؤالات التي يرون من المناسب طرحها على السجنى او الشهود . ولمّا كان اعضاء المحكمة يودّون نقض كل شهادة

تحطّ من هيبة الحكومة التركية ويأبون ان يستفيد السجنى من اثباتهم انهم عملوا باغراء مأموريها فمقتضيات العدالة توجب ان تتخذ مثل هذه التحوطات لاظهار الحقيقة. (عدد ١٧٥ ملحق ١ ص ١٨٩ ـ ١٩٠)

٢٥٣ – اللورد دوفرين الى القنصل مور في ١٥ منه

لمَّا كان صاحب الدولة فؤاد باشا قد خوّل اعضاء لجنة سوريًا الدولية استنابة وكلاء عنهم للسهر على سير المحاكمات الجارية امام المحكمة الخارقة العادة في بيروت اعهد اليك بان تنوب عني في حضور جلساتها . فعليك ان تبادر الى حضور اول جلسة تعقد وتداوم حضور كل الجلسات حتى ختام المحاكمة . وينبغي ان تدوّن بمزيد التدقيق واستقلال الضمير كل ما يجري وتتلطف بابلاغي اياه في ختام كل جلسة . واذا رأيت شذوذًا أو تشيعًا من قبل المحكمة سواء كان موافقًا للمتهمين أو معاكسًا لهم فاضف ذلك إلى ذيل رسالتك اليومية في هذا الشأن.فاذا كان هذا الاعوجاج قابلًا التقويم في الحال فسلّم رئيس المحكمة بلاغًا خاصًا تلفت انظاره اليه انّما عليك في اجراء هذه الوظيفة ان تكون ساهرًا على عدم تجاوز حدود اللياقة . ولك ان تطلب صورًا عن كل المحررات التي يرفعها الى المحكمة السجناء او الشهود وتتذرع بجميع الوسائل التي تمليها عليك فطنتك ليأتي البيان المعهود اليك كتابته عن سير المحاكمات وافيًا دقيقًا.وفي الختام ارجوك ان تذكر بان الغرض من حضورك ورصفائك جلسات المحكمة تأمين اوربا ان التحقيق القضائي الموكول الى المحكمة القيام بهِ جارٍ بصورة مطابقة لسنن العدالة والنزاهة. وعليك ان تنقب بمزيد التدقيق في كل اعمال المحكمة وتراقب مجرى التحقيقات بكل انتباه ويقظة وتوقفني على كل الامَارات والدلائل التي يلوح لك انها تساعد على كشف الغطاء عن أسباب الاضطرابات الاخيرة اذا أُنعم النظر فيها . (عدد ١٧٥ ملحق ٢ ص ١٩٠)

٢٥٤ — اللورد دوفرين الى السر بولفر في ٢٦ منه [اقتطاف]

اتشرّف بان ارسل لسعادتكم نسخة بيان تلقيته من المستر نويل مور يتعلق بشذوذ المحكمة الغير العادية عن الاصول في محاكمة سعيد بك جنبلاط المتهم بالخيانة الكبرى .

وفي الوقت ذاته ارفع اليكم صورة النطاقة التي انفذتها إلى صاحب الدولة فؤاد باشا في شكوى المستر مور .

واعتقد ان سعادتكم تحكمون اني لم اعمل سوى ما تقتضيه العدالة باحتجاجي الشديد على دولته. ويستفاد من بيان المستر مور وقد اثبتته شهادة الكولونيل برنابه وفي طيهِ نسخة منها ان أعضاء المحكمة مصممون على التعجل باعدام السجين مذنباً كان أو بريئاً . وهذا التعجل الذميم يمكن نسبته إلى سببين .

أولهما ان سعيد بك جنبلاط ذو ثروة واملاك واسعة فالاستيلاء عليها يزيد اموال الخزينة العسكريّة . والآخر انه اذا روعيت الاصول القانونية في محاكمته يتمكن على الارجح من كشف الستار عن خفايا تشين سياسة تركيا وتثبت تواطوء أرباب الحكومة على تدبير الفتنة .

ولئن كان من المؤكد ان سعيد بك لم يشترك في المذابح لا يسعني الاعتقاد انه بريء من كل ما حدث لانه لو اراد لامكنه ان لم يكن استدراك الفظائع التي اقترفت فعلى الاقلّ تخفيف وطأتها فالاختبار الماضي يثبت ان الدروز لم يفعلوا شيئاً الا بايعاز زعمائهم . ومن المعروف ان سعيد بك كان اكبر هؤلاء الزعماء ثروة واعظمهم نفوذاً . وقد أبرز كتاب أرسله اليه اسمعيل الاطرش الذي قاد الحوارنة الى حاصبيا والبقاع ينبئه بوصوله ويسأله ان يمده بتعاليمه ومن الثابت ان سعيد بك ضيّفه عدة أيام في قصره في المختارة عند رجوعه بعد ذبح المسيحيين ويداه

مصبوغتان بدمهم .

وعدا ما تقدم فقد قيل لي انه لو تُركت لسعيد بك الحرّية لاستطاع ان يثبت كونه ساعد كثيرين من المسيحيين وحماهم وانه ونَّب على مسمع من الناس اتباعه على ما اجترحوه . لا أُماري انهُ كان من السهل استجوابه في هذين الامرين لو لم يكن احدهما تظاهراً كاذباً والاخر احتياطاً سياسياً . ومهما يكُ من الامر فيجب ان يحاكم بنزاهة ويأتي الحكم مطابقاً للبينات والشهادات المثبتة عليه جريمته .

سترون سعادتكم من مراجعة رسالتي المؤرخة في ٢٣ المنقضي ان ما طلبته اليوم من الضمانات على التزام القضاة سنن العدالة والنزاهة في محاكمة سعيد بك قد سبق لي الاشارة بتعميمه الى سائر المتهمين المسجونين . وفي ذلك التاريخ كان قد ظهر جلياً ان الاتراك مستعدّون لاعدام من تسألهم اوربّا اعدامه فاذا كان أعضاء المحكمة رأوا وجوباً لانالة خورشيد باشا وهو تركي من طائفتهم وموظف في الحكومة مثل هذه الضمانات فبالاحرى يجب ان يراعوا الاصول في محاكمة سعيد بك واتباعه وهم غرباء عن مذهبهم وجنسيتهم .

ويسرّني ان اخبركم باني تلقيت بلاغاً شفاهياً من فؤاد باشا مآله انه سيؤَجل في الحال جلسات المحكمة ويوقف سعيد بك يومياً على جريدة ضبط الدعوى ويخوّله الحرّية بان يبين ما يجد فيها من النواقص وان يدوّن خطاً كل ما يشكوه من طريقة محاكمته كما انه سيعنى في المستقبل بان يُضمن سماع دفاعه وبينات شهوده بكل نزاهة .

أمّا مسألة حسني بك الجالس مع قضاة المحكمة في حين كان من الواجب ان يكون في الكورك لما كانت اللجنة قد تفاوضت فيها رأيت من حسن الفطنة تأخير البحث فيها الى اجتماع اللجنة الآتي وقد تأجل الى يومين بناءً على طلب فؤاد باشا .

(عدد ١٧٥ ملحق ٣ ص ١٩٠ـ١٩١)

٢٥٥ — نوبل مور الى اللورد دوفرين في ٢٣ منه

أرى انه يُفرض عليّ انباء سيادتكم بان محاكمة سعيد بك جنبلاط امام المحكمة الغير العادية ليست بجارية بروح النزاهة فان فقراً من الشهادات الموافقة المتهم لم تُكتب في جريدة الضبط كما أهمل تدوين كثير مما قاله دفاعاً عن ذاته ولا يترك لهُ الوقت الكافي لتفنيد اقوال الشهود بل يُنتهر كلما جهر بشيء من شأنه ان يعيب سلوك المأمورين العثمانيين

وعليهِ لم استغرب قيام سعيد بك اليوم في وسط الجلسة شاكياً بأعلى صوته طريقة المحاكمة معلناً عزمه على عدم الجواب على اسئلة المحكمة والمثول امامها من الآن وصاعداً بحيث يمكنها ان تفعل كل ما يروق لها وتحكم بما تشاء

وبينا كان سعيد بك يتكلم أخبر اعضاء المحكمة بوصول صاحب الدولة فؤاد باشا فاوقفوا الجلسة حالاً . (عدد ١٧٥ ملحق ٤ ص ١٩٢)

٢٥٦ — القائم مقام برنابه الى اللورد دوفرين . عن بيروت في ٢٣ منه [اقتطاف]

١ً : اذا لم يؤدِ شاهد شهادته أو جوابه بصورة موافقة لِما تريد الحكومة اثباته على السجين

٢ً : اذا كانت الشهادة تشير الى اشتراك مأموري الباب العالي في المذابح الاخيرة .

٣ً : اذا كانت عبارة الشهادة على السجين أو الجواب على السؤال لا تثبت عليهِ الجرم . فالمحكمة تعمد لبلوغ أربها إلى الحيل الاتية :

(ا) انها تظل تخاطب الشاهد الى ان يفقه نوع الشهادة التي ترغب اليه في تأديتها . ومن جرّاء هـذا الالحاح بدل بعض الشهود شهادتهم فجاءت عكس ما

قالوه أوّلاً

(ب) اذا حدث انشاهداً ثبت على اقراره الاول فكاتب الضبط يتذرع باحدى الوسائل الثلاث الآتية :

(ت) يهمل تدوين السؤال والجواب

(ث) أو يقتصر على تدوين قسم منهما

(ج) أو انهُ يبلبل تنسيقهما بحيث يتغير معناهما .

٤ً : اذا ظهر دليل من شأنه تبرير السجين يضرب الكاتب عن تدوينه في جريدة الضبط .

٥ً : يدخل أحياناً جملة شهود على المحكمة ويؤخذ استجوابهم في وقت واحد

٦ً : ان كل الشهادات الموافقة السجين لم تُقبل

٧ً : يُخرج السجين من المحكمة حين استجواب الشهود ولئن كانت تُسلم اليهِ جريدة الاستنطاق عند عودته الى المحكمة ليقرأها فان الطريقة السابقة في أخذ هذه الشهادات تحول دون الفائدة التي ربما كانت نتجت عن تفنيد السجين اقوال الشهود وجهاً لوجه

٨ً : ليس للسجين وكيل في المجلس حين المحاكمة للسهر على مصالحه حين يكون خارج المحكمة .

٩ً : ان تحامل المحكمة على السجين ظاهر لكل ذي عينين ولاسيما ان أحد أعضائها هو أميرالالاي حسني بك قائد الجنود العثمانية سابقاً في بعلبك .

(عدد ١٧٥ ملحق ٥ ص ١٩٢)

٢٥٧ – اللورد دوفرين الى فؤاد باشا في ٢٥ منه

اتشرّف بان ارسل الى دولتكم في طيه صورة الكتاب الذي انفذه إليّ المستر

نويل مور نائب قنصل جلالة ملكة بريطانيا ونائبي في المحكمة التي الفتموها دولتكم في بيروت وقد اوضح لي بهِ ان المحكمة المشار اليها لم تراعِ الاصول في محاكمتها سعيد بك جنبلاط فاسأَل دولتكم بالحاح ان تنعموا النظر في اقواله .

إذا استمرَّت المحاكمة جارية على النسق الذي وصفه المستر مور فمهما يكُن حكم المحكمة يعدّ باطلًا اذ تفسده طريقة من مثل هذه مخالفة لما يوجبه الانصاف وعدم التشيع .

ومن الفضول ان اقول اني ببسطي هذه الانتقادات لست مدفوعًا بالرغبة في انقاذ سعيد بك جنبلاط . فاذا ثبت عليه انه اجترح الجرائم المنسوبة اليه اكون آخر من يلحّ على دولتكم لتعاملوه برفق لا يستحقه . لكني اجرأُ على الفات نظركم الى انه بقدر ما تكون الجنايات فظيعة وعقابها شديداً فعلى المحكمة ان تزداد تدقيقًا ونزاهة في اجراء التحقيقات . ومما يضاعف قوَّة هذا الرأي مئة ضعف ان السجين لا يؤذن له بالدفاع عن ذاتهِ . واذا جاز لي ان اقترح شيئًا بهذا الشأن فاميل الى القول بان العدالة توجب ان يؤذن للمتهم بانتقاء وكيل او محامٍ للدفاع عنه . حتى انه يؤذن بذلك للمتهمين الذين يُحاكمون أمام المجالس العسكريّة . ومن المشهور ان طرائق المحاكمة أمام هذه المجالس تختلف عن طرائق المحاكم العادية بل هي اشد وطأةً من كل القوانين الاوربية .

ومع تيقني ان دولتكم تحكمون مثلي ان لا لزوم لتأييد رواية المستر مور الواضحة فقد رأيت انهُ يحسن بي ان ارسل اليكم في طيه رواية أُخرى كتبها القائم مقام العسكري برنابه وهي تثبت كل ما ذكره المستر مور .

(عدد ١٧٥ ملحق ٦ ص ١٩٣)

٢٥٨ – اللورد دوفرين الى السر بولفر في ٢٦ منه [اقتطاف]

اتشرف بان ارسل اليكم في طيهِ صورة التعاليم التي زودتها القائم مقام برنابه والمستر جول فريت بخصوص واجباتهما كعضوين في اللجنتين المختلطتين اللتين عينهما فؤاد باشا للاشراف على اعادة بناء القرى المحترقة في لبنان ·

وبيانًا لما تقدم اخبركم بان فؤاد باشا فور وصوله الى لبنان قسم النواحي المدمرة الى ثمانية اقسام وعين في كل منها لجنة وطنية عهد اليها ان تدفع لكل صاحب بيت المبلغ الذي يقدر انه لازم لترميمه ·

ولمَّا كان قد ورد على المندوبين الاوربيين شكاوى عديدة من تواني أعضاء اللجان المذكورة في القيام بمهمتهم وتشيعهم ومحاباتهم وعدم انصافهم اقترحت على رصفائي ان ينتقوا وكيلًا عنهم في كل من اللجان المذكورة ويوافق فؤاد باشا على تعيينه

فقبل الجميع بهذا الاقتراح انَّما يؤلمني ان اقول انه لم يعمل بالنشاط المرغوب فيه فقد حالت مصاعب جمة دون وجود اشخاص فيهم الكفاية للنيابة عن المندوبين كما تباينت الاراء في حراجة الحالة وضرورة التعجل ·

فكانت النتيجة ان التحوطات التي اُتخذت حتى الان لاستدراك حاجات الشتاء واتقاء اهواله غير وافية ·فقد قرس البرد كثيرًا في الجبل مدة الليل وانتشرت الحمِّيَات بين النساء والاطفال وهم يشكون عدم وجود اغطية وثياب ومأوى لهم فيضطرُّون الى اتخاذ الارض فراشًا والسماء غطاء · فالامراض متفشية في كل مكان وتنذر الاربعة أشهر الآتية بالويل

ولهذا عزمت على ان اسأل حضرة الفاضلين المشار اليهما ان يبدئا في الحال بمراقبة اعمال الترميم في الناحيتين اللتين عينهما لهما فؤاد باشا فأجابا طلبي بطيبة خاطر ولي عظيم الامل بانهما يتمكنان بمساعيهما وفطنتهما من استدراك اضرار تأخير الترميم حتى

اليوم على الاقل في بقعة من البلاد .

وفي الوقت ذاته لا اتردد في الحكم بان الازمة المقبلة توازي بخطورتها ان لم تضارع مدتها تلك التي أصابت ايرلنده في شتاء سنة ١٨٤٦-١٨٤٧

لقد بلغ عدد المنكوبين الذين توزع عليهم لجنة الاسعاف الانكليزيّة الاميركية الاعانات في الاسابيع الثلاثة الماضية ١٩ الف الى ٢٥ الف نسمة فالقرى مهجورة غير صالحة للسكنى ولم يُستعد لزرع الاراضي .

وقد وصفت اهوال ما يهيئه المستقبل لهؤلاء المنكوبين بعبارة مؤثرة ولهجة شديدة في نطاقة انفذتها الى فؤاد باشا . وفي الحقيقة ان دولته لا يستطيع شيئاً اذ ليس لديه مال ولا مأمورون يعتمد عليهم ولا ان يدفع ثمن حطب الوقود ولا اجرة حرث الارض ولا يمكنه ان يجد رجلاً يؤمنه على توزيع فلس

وبناءً عليهِ لا اعلم ماذا يفعل . فلو كان في الطاقة عقد قرض تضمنه انكلترة وفرنسا وارصاده لسد حاجات مسيحيي سوريّة المستعجلة تحت مراقبة لجنة اوربية يتسنى التغلب على الازمة . انّما هو اقتراح خارج عن صلاحيتي ولذلك اقتصر على الفات نظر سعادتكم الى هذه الحالة . (عدد ١٧٥ ملحق ٨ ص ١٩٤)

٢٥٩ — ومنه اليه في ٢٦ منه [افتطاف]

غادر دمشق منذ ٤ الجاري اكثر من ١٢٠٠ نسمة رغماً عمّا نُخـل لهم من النصائح للبقاء فيها . وفي كل يوم يصل الى بيروت قوافل جديدة من اللاجئين . وقد اخبرني المستر برانت انهُ في صباح اليوم الذي برح بهِ المدينة أنبيء بان اشخاصاً معوزين دفعوا اجرة بغال اكثر منه ليعجلوا في الجلاء دون تأخير .

وممّا يجدر بالذكر ان الرغبة في هجر دمشق مستمرة رغماً عن عودة فؤاد باشا اليها فجأة والقائه القبض على ٢٣٠ شخصاً في عدادهم عبدالله الحلبي وهو أعظم

المسلمين نفوذًا وغيره من الاعيان واصحاب الثراء .

ومن المقول انهُ اذا بدأت الحكومة بدفع تعويضات كافية يعود الاطمئنان الى الافكار . بيدَ انهُ يتعذر استعمال هذا العلاج لان فؤاد باشا صفر اليدين ومهما كانت الاموال التي يستطيع الحصول عليها فلا تكفي لترميم بيوت القرى اللبنانية .

وانا موقن ان في وسع اهالي دمشق ان يثقوا بان سلامتهم أصبحت مضمونة في الوقت الحاضر ولا اعتقد بوجود خطر باستيقاظ فتنة ثانية ما دام فؤاد باشا وجنوده في هذه البلاد

ولربما كانت عداوة المسلمين للمسيحيين أشدّ من ذي قبل . انما لمّا كان سكان سوريا معروفين بخمولهم الصبياني فلا يتوقّع امكان تجدد الفظائع الماضية بحضرة « اب المشنقة » كما لُقب صاحب الدولة فؤاد باشا

فاذا كنّا بالحقيقة مجاهدين في سبيل الحياة يجب ان نعتدّ بالسنن التي يجري عليها عادةً الجنس البشري بيدَ ان غباوة أرباب السلطة الاتراك وتهوّر الشرقيين هما عاملان يبلبلان كل تقدير بحيث يتعذر التكهن بثقة عن المستقبل متى اجتمعا .

بيدَ انهُ خلافًا لكل صواب ورشد لا نتمالك من النظر الى الشتاء المقبل الاّ بعين القلق ولاسيما متى سقط الثلج وقطع مواصلات دمشق بمدن الشاطئ . ولا اتردد اذا اقتضى الامر في الذهاب الى المدينة المذكورة والبقاء فيها مدة انقطاع مواصلاتها وانا واثق في الوقت ذاته بان فؤاد باشا يعمد إلى مساعدتها متى فُتحت الطرقات وسمع بانه لم يحدث شيء في هذه الفترة. (عدد ١٧٥ ملحق ١٠ ص ١٩٥)

﴿ انتهى الجزء الثاني ويليه الثالث ﴾

فهرس

صفحة	عدد	
		وقوف حركة التجارة – اقبال المواسم
٣	٦	— ٨ نيسان – برانت قنصل انكلترة في دمشق الى بولفر – بقاء الامير سلمان الحرفوش في السجن – عرض اطلاق سراحه واعادته الى وظيفته في بعلبك لقاء ٥ الى ٦ الاف كيس – عدم موافقة ذلك وخطر استئنافه اثارة الفتن اذا خرج من السجن .
٤	٧	— ٢٢ منه – سكين قنصل انكلترة في حلب الى بولفر – جزع اهالي حلب من تعليق اعلانات على ابواب الجوامع في ليل ٢٤ منه تحريضاً للمسلمين على ذبح المسيحيين – تحوطات الحكومة – استياء الشعب من الوالي ورغبته في استبداله بعمر باشا قائد الموقع العسكري
٥	٨	— ١ ايار – ومنه اليه – دخول المسلمين في انطاكية كنائس المسيحيين وهزؤهم بحفلاتهم الدينية – صبر الطوائف المسيحية على هذه الاهانات – اهتمام الوالي بها – كره المسلمين لليهود الذين هدموا قسماً من الجامع وللقناصل – القاء القبض على عدّة اشخاص متهمين بالصاق النشرات الثوريّة
٥	٩	— ٩ منه – مور قنصل انكلترة العام في بيروت الى بولفر – عريضة المشايخ الخازنيين المطرودين من كسروان إلى القناصل التماساً للشفاعة بهم لدى خورشيد باشا ليمنع الأهالي الثائرين عن اغتصاب محاصيل املاكهم – مراوغة خورشيد باشا
٦	١٠	— ٧ منه – حبيب مشاقه ترجمان قنصلية انكلترة الى المستر مور – اعتذار خورشيد باشا عن عدم استطاعته قمع فتنة اهالي كسروان لاباء مشير فيلق دمشق ارسال قوّة عسكريّة واستدعاء كل الجنود الى

صفحة عدد

الاستانة – عزمه على الاستقالة اذا لم ترسل اليه الحكومة القوة الكافية – رغبته الى المستر مور ابلاغ سفير دولته ما تقدم

٧ ١١ – ١٨ منه – مور الى بولفر = اضطراب حبل الامن في القضاء الدرزي – قتل الدروز ٤ مسيحيين فيهم كاهن ماروني اثناء سفرهم من دير القمر الى جزّين – الخوف من انتقام المسيحيين – استعداد الدروز للقتال – قول المطران طوبيا لوفد من دير القمر انه يتولى قيادة المسيحيين اذا هوجموا – بقاء الامير بشير أحمد في بيروت مع وجود قلاقل في قائم مقاميته – السعي الى منع نشوب الحرب الاهلية – ارسال خورشيد باشا ٤٠٠ جندي الى دير القمر لتعزيز حاميتها

٨ ١٢ – ٢٣ منه – ومنه اليه = ايفاد خورشيد باشا وصفي افندي كاخيته لابلاغه شكره على سعيه الى تسكين الهياج في لبنان – نسبته الاضطرابات الى دسائس لجنة مسيحية في بيروت والى بعض حمايا الدول الاجنبية – نسبته عريضة المسيحيين تشكياً من الحكومة التركية الى المطران طوبيا اسقف بيروت الماروني – اهتمام الباشا بان يجمع بين زعماء المسيحيين والدروز .

٩ ١٣ – ٢٠ ايار – عريضة مسيحيي الانحاء المختلطة الطوائف الى خورشيد باشا = شكوى من اعتداءات اصحاب الاقطاعات الدرزيّة عليهم وقتلهم بعض اخوانهم – اجتماع الدروز في المختاره لمنع المسيحيين من الذهاب الى بيروت للتشكي – اعتداء الدروز على مسيحيي العرقوب وغربي البقاع . ليأذهم بمدينة زحله – ازدياد جرأة زعماء الدروز من عدم معاقبة الحكومة لهم ولاسيما الشيخ يوسف عبدالملك – ابتزازهم الاموال وحبسهم الاموال الاميرية التي استوفوها – تصميم المسيحيين على التحوط للدفاع عن حياتهم والتخلص من حكم الدروز ذوي الاقطاع .

١٠ ١٤ – ٢٠ منه – عريضة التجّار الاوربيين الى القناصل – طلب وساطتهم لدى الحكومة العثمانية لتعيد الامن الى لبنان وقايةً للمصالح الاوربية المتضررة .

صفحة عدد

المطران طوبيا من موارنة لبنان باستعدادهم لارسال نجدة . انفاذ لجنة بيروت رسلًا الى جبة بشرّاي وجبيل والبترون والى يوسف كرم وطانيوس شاهين ليتهيأُوا للاجتماع في المتن . زيارة اسعد جاويش المطران طوبيا . تهديد المطران اهالي دير القمر . ارساله بشاره فرعون الى طانيوس شاهين والشنتيري الى المتن والقاطع . زعماء الحركة خليل نقّاش ونعوم قيقانو واسعد ثابت . اطلاع كاتب التحرير واسعد جاويش مطارنة الروم الكاثوليك وقنصل انكلترة على المؤامرة . نهي مطارنة الروم الكاثوليك ابناء مذهبهم في زحله عن الاشتراك مع الموارنة . ذهابهما الى الشويفات واخبارهما قائم مقام الدروز . غاية الموارنة تولية الامير مجيد شهاب أميرًا على لبنان . رفض الروم والروم الكاثوليك في بيروت مجاراتهم

٢٢ ٢٦ . . . صفرونيوس اسقف صور وصيدا الى اهالي حاصبيا : انباءُ لهم باتفاق مسيحيي لبنان على ان يكونوا يدًا واحدة ضد الطائفة الدرزيّة . تحريضهم على التسلح وفقًا لامر البطريرك والشروع بالمدافعة بقيادة الامراء الشهابيين .

٢٣ ٢٧ — ٢ حزيران : مور الى السير بولفر : حدوث قتال بين الدروز والمسيحيين في جوار صيدا . تضييق الحصار على دير القمر . ارسال كمية من المؤنة اليها . بقاء قائد البارجة فيريفلي في بيروت لمراقبة الشواطيء . ارسال سفينة نمسوية الى مصب نهر الدامور لنقل المسيحيين . تواصل القتال في لبنان . عزم خورشيد باشا على نقل معسكره من الحازمية الى مكان أعلى

٢٤ ٢٩ — اول حزيران : يعقوب ابيلاً نائب قنصل انكلترة في صيدا الى المستر مور : نهب قاسم يوسف حماده ورجاله دير المخلص وسلبهم ماشية عين الداب ورميه ميه وعريه ومجدليون . مطاردة يوسف المبيض لهم . تراجعه الى صيدا مدحورًا . منع الجنود رجاله من الدخول . جرح جنديين . هياج المسلمين

٢٥ ٣٠ — ٣ منه : مور فيس قنصل انكلترة في بيروت الى السير بولفر : هجوم الدروز في اول الجاري على دير القمر وحرقهم ضواحيها . عرض اهاليها الاستسلام على شرط

صفحة عدد

وقاية حياتهم. رفض الدروز. تغاضي قائد الحامية ومتسلم المدينة. عدم ارسال المؤنة المعدة لدير القمر. حراجة احوال صيدا. ذهاب الضابط مانسل قائد البارجة فيريفلي اليها

٢٦ ٣١ — ٣ منه: مور قنصل انكلترة العام الى السير بولفر: حديث القناصل مع خورشيد باشا. اخباره اياهم بهجوم الدروز على دير القمر وبارساله مهرداره لايقاف القتال. اعتذار طاهر باشا قائد الجنود عن الذهاب الى دير القمر. اقتراح المستر مور ان يذهب اليها بذاته بما له من نفوذ الكلمة في زعماء الدروز. عدم استحسان رصفائه هذا الرأي. اختلاء الوالي والقائد. مجاهرة طاهر باشا باستعداده للسفر حالاً الى دير القمر. اشارة خورشيد باشا بابعاد اعضاء لجنة بيروت. موافقة القناصل. اعتذار دولته عن الذهاب الى دير القمر بحجة اضطراره الى منع يوسف بك كرم من مهاجمة الدروز. أمر بطريرك الموارنة بقفل الكنائس وحضه المسيحيين على نجدة اخوانهم

٢٨ ٣٢ — ٦ منه: ومنه اليه. استسلام دير القمر: نهبها وحرق بيوتها. استعداد اهاليها لهجرها. التزام الحامية حد الحيادة. تجمع المسيحيين في كسروان لصد هجمات الدروز. وصول يوسف بك برجاله الى جونيه ومفاوضته البطريرك. ذهاب الشيخ خليل حبيش برجاله الى زحله. تحريض البطريرك المسيحيين على مقاتلة الدروز وتعيين رواتب للمقاتلين. محاولة الدروز مهاجمة زحلة. توسط القناصل. وعود خورشيد باشا الفارغة صداً لهجوم الدروز

٢٩ ٣٣ = ٣ منه: المستر فورد والمستر ادي المرسلان الاميركيان في صيدا إلى قنصلية اميركا في بيروت: فرار ٣٠٠ نسمة من جزين للالتجاء إلى صيدا. نزع سلاحهم واشتراك المسلمين مع الدروز في قتلهم جميعاً. اغتصاب النساء. زحف الدروز على المسيحيين اللاجئين حوالى قرية العمارية محاولتهم الهرب لجهة صور. صد المتاولة لهم. قدوم الدروز إلى المدينة وشراؤهم الذخائر. رفض البكباشي الاذن للاثنين

صفحة عدد

الباب العالي· اعتزامه على ارسال بارجة وجنود ومعتمد وقائد الى ذلك الصوب. نبأ المستر مور باقتتال الجنود التركية والمسيحيين اللاجئين الى صيدا

٣٥ ٤٠ — ٩ منه : مور الى بولفر: خروج مسلمي بيروت الى ضواحيها ليلًا على أثر ورود الخبر باندحار المسيحيين في المتن. جزع مسيحيي بيروت. شكواهم الى الحكومة والقناصل. وعد الكاخية بجمع رؤساء المسلمين والمسيحيين وحضهم على منع هذه المظاهرات· حسن معاملة مسلمي بيروت للمسيحيين اللاجئين. هجوم الدروز على حاصبيًا وراشيًا ونهب هاتين المدينتين وحرقهما وقتل سكّانهما· تشيع الجنود التركية للدروز. مدافعة الامير سعدالدين الشهابي وصدّ الدروز عن حاصبيًا· هجومهم على قرية رشميًا. زيارة مطران جزّين الماروني للمستر مور. وصفه البلايا والفواجع التي حلت باقليم جزين· استنهاض همة سعيد بك جنبلاط لانقاذهم· ذهاب البارجة فيريفلي ثانية الى صيدا وصور وعودها منهما باخبار الطمأنينة. تحريض الحكومة على انقاذ ٦٠٠ الى ٧٠٠ لاجيء مختبئين في جوار صيدا

٣٨ ٤١ — ١١ منه : ومنه اليه :عرائض مطارنة زحلة واهاليها الى القناصل العامين وخورشيد باشا لانقاذ مدينتهم. اجتماع القناصل. رد اقتراح قنصل فرنسا انفاذ كتاب اجماعي الى خورشيد باشا القاء لتبعة انقاذ زحلة عليه. اتفاقهم على الاقتصار على ابلاغه العرائض المذكورة

٣٨ ٤٢ — ١٠ منه: بطريرك الموارنة واساقفته الى خورشيد باشا: حثهم المسيحيين على الانقياد لنصائح دولته وقناصل الدول· اخلاد ابناء مذهبهم الى السكينة. استمرار الدروز على الاعتداء· مفاجأتهم مسيحيي اقليم جزين وديرالقمر والشوف وغربي البقاع والعرقوب والمناصف والشحّار والجرد والغرب وسهل بيروت والمتن واقترافهم الفظائع وحرقهم الاملاك والكنائس والاديار. الالتماس من دوله الاهتمام بحقن الدماء

٤٠ ٤٣ — ٩ منه : اساقفة زحلة الى القناصل العامين : التماس توسطهم لانقاذ زحلة·

صفحة عدد

نايفة · اخلاف احمد باشا مشير دمشق وعده بانقاذ اهالي حاصبيًا وراشيا وتعزيز حامية بعلبك · نهب الامراء الحرافشة لهذه المدينة الاخيرة · اتهام المشير بالرغبة في ابادة المسيحيين وتدمير المدينة · ارسال القناصل كتاباً اجماعيًا اليه ليجمع مجلس الايالة · استصواب اعيان المسلمين هذا الرأي

٤٧ ٥٠ — ٢ حزيران : رسائل يعقوب ابيلاً قنصل صيدا الى مور : التجاء ٢٠٠ مسيحي الى بيته حريق معمل الحرير خاصته

— ٣ منه : صد الحكومة أبي سمرا غانم عن دخول المدينة بـ ٥٠٠ شخص . مطاردة قاسم يوسف حماده المسيحيين في ضواحي المدينة وقتلهم . التصميم على ابادة كل المسيحيين الجبليين . تواطوء مأموري الحكومة التركية وضباطها مع الدروز . سفر قنصل الروسية . طلب العضد

— ٥ منه : وصول قائد البارجة فيريفلي . استكتابه قاسم يوسف تعهدًا بحماية المسيحيين . قتل مسلمي صيدا ٣٠٠ نسمة . كتابا سعيد بك جنبلاط اليه . منع الحكومة اللاجئين من دخول صيدا

— ٦ منه : اتفاق قاسم يوسف ومسلمي صيدا على ابادة المسيحيين : تحريض المفتي والقاضي والمدير والاعيان المسلمين على الخروج وقتل المسيحيين · اشتراك الجنود بالقتل · حريق دير الخاص وكنيسته · تأمين الدروز المسيحيين اللاجئين الى جباع وغدرهم بهم · هياج مسلمي صيدا · ذعر المسيحيين

— ٧ منه : استمرار الدروز على ارتكاب الجنايات في جوار المدينة . الاعتداء على المسيحيين الذين قصدوا بلاد المتاولة واضطرارهم الى الاختباء في الغابات . عوز اللائذين بصيدا . طلبه من الحكومة قوة عسكرية لانقاذ المختبئين في الكهوف . عدم اجابة سوءله

— ٨ منه : الامر الى جميع الطوائف بالتزام جانب السكينة ومعاودة الاشغال

— ٩ منه : تشيع الحكومة . الحنث بوعودها . اباؤها الافراج عن اللبنانيين

صفحة عدد

المحبوسين بدعاوٍ كاذبة

— ٩ منه : عريضة الكاهن حنا عازر الجزيني استمرار الدروز على ارتكاب الجنايات والسرقات . الاذن لهم بحمل السلاح . تحظيره على المسيحيين . مواصلة اعتداء الدروز على المسيحيين . ايفاد سعيد بك حسين بركات و٥ من انسبائه لحماية دير المخلص . نهب موجوداته الثمينة . انقاذ الراهب اسطفان وشقيقه سليم افندي و٥٩ مسيحياً!

— ١٠ منه : قتل المسيحيين في المجدل والسامرية . دفع قرية مغدوشة الى عائلة شمس ٧ الاف قرش فديةً عنها

— ١١ منه : جبن الجنود المرسلة لانقاذ اهالي المجدل . احتراق قرية عريه . حرق غابات جباع . استبدال مدير صيدا بغيره . تعصب المدير الجديد . استياء المجلس والمفتي منه لضبطه السلاح المرسل الى الدروز . اعتداء الشيعيين على اللاجئين اليهم

— ١٢ منه : جنايات دروز غريفه والشوف . مقتل الياس سويدي من عريه . اجتياح المقدم محمد الشيعي اقليم جزين . حريق قريتي سربا وجرجوع . رافع عبد الصمد ونهبه الماشية . امتداح اهالي جزين من سلوك حسين بك

— ١٣ منه : كتاب اهالي دير القمر الى ابراهيم مشاقه . عريضة اهالي جزين المختبئين في غابات جباع . وصول رجل من حاصبيا ووصفه نكبتها

٥٦ ٥١ — ١٥ حزيران : جون هرفه قائد اليخت كايمور الى القنصل فين : رسو سفينته في صور تخاوف المستر عطاالله قنصل انكلترة فيها من هجوم الدروز عليها وسؤاله البقاء فيها . رفضه ثم رضاه بعد ورود تحرير على مطران الروم من احد زعماء الشيعيين انباءً له بهجوم الدروز ليلاً . ادناء سفينته من الشاطي . تصريحه للقنصل انه يكتفي بالتهويل وانه لا يقاتل الدروز لانهم اكرموا ضيافته وهم اصدقاء حكومته . اشارته بنقل النساء والاطفال الى السفن الراسية حواليه متكفلاً

صفحة عدد

عزمه على عقد صلح بن المسيحيين والدروز على شرط تناسي الماضي . عـدم استصواب القناصل هذا الرأي . اصراره عليه

٦٧ ٦٠ ـ ٢٠ منه : (القناصل العامون الى خورشيد باشا) . معالنته اتفاق دولهم على وجوب وضع حد للاقتتالات الحاحهم عليه باتخاذ الوسائل لتحقيق هذه الامنية

٦٨ ٦١ ـ ٢١ منه : (مور الى السير بولفر) . سقوط زحلة . اشتراك الجنود مع الدروز في مهاجمة المسيحيين . فقدان الثقة في الحكومة التركية . عزم مسيحيي بيروت على مغادرتها . شقاء المنكوبين

٦٩ ٦٢ ـ ٢٣ منه : (ومنه اليه) . ذبح الدروز سكّان دير القمر . عفوهم عن النساء والاطفال . التجاء هؤلاء الى الدامور ونقلهم الى بيروت . اشتراك جنود الحامية مع الدروز بذبح المسيحيين بعد أخذ أسلحتهم . الذعر في صور وصيدا . القلق في دمشق . مقتل مسلم في بيروت . وصول بارجة عثمانية تقل ٢٠٠٠ جندي . انتداء القناصل . القاء القبض على قاتل المسلم والحكم عليه بالاعدام

٧١ ٦٣ ـ ١٦ منه : (عريضة الفارّين من مسيحيي حاصبيا الى قنصل روسيا) تفصيل مقتل اخوانهم وحريق بلدتهم . اشتراك الجنود وقائدها عثمان بك بهذه المجزرة بعد نزع السلاح من ايدي المسيحيين . حرق قرية الكفير وقتل اهليها التجاء النساء والاطفال الى دار السيدة نايفه . التماس مساعدة الناجين

٧٣ ٦٤ ـ ... (شهادة شاكر وفتح الله جهامي الحلبيين وكيلي المستر برد المرسل الاميركي في دير القمر) . دخول الدروز دير القمر . جمعهم السلاح من ايدي المسيحيين بمساعدة الجنود التركية . اشتراك الجنود مع الدروز بالنهب والقتل . لياذ المسيحيين بدار الحكومة . المجزرة تفاصيل هولها . اشتراك الجنود بها . ذهاب الدروز الى ثكنة بتدين وقتلهم اللائذين بها . اضرام النار في بيوت البلدة . وصول خورشيد باشا الى دير القمر . اذاعته نشرة بايقاف النار والذبح عدم مبالاة الدروز بها . مواصلتهم القتل والسلب والحرق

صفحة عدد

مكاريين من ديرالقمر بجوار كفرقوق شكوى اقاربهما . قبض الامير علي شهاب على اثنين من الجناة . هياج الدروز . اطلاق سراح السجينين . هجوم دروز راشيًا على دير القمر وحرقهم بيوتها . قتلهم المسيحيين في قرى حوش وبيت لهيا وكفرمشقي . اهتمام اسرة عريان الدرزية بالتوفيق بين المسيحيين والدروز . تعهد الآخرين بالمسالمة . نكثهم عهدهم . هجومهم على راشيًا . التجاء المسيحيين الى دار الحكومة . قدوم اسمعيل الاطرش وسائر زعماء دروز حوران . تواطؤهم مع اميرالاي الجند . حريق عيحه . دخول الدروز دار الحكومة . قتلهم المسيحيين ونهب بيوتهم وحرقها

٩٥ ٧٣ ــ ٥ منه : (شهادة السيد حمود دريان قواص قنصلية بروسيا في بيروت) . ايفاده الى دير القمر لخفارة خليل الباشا . الحاح القائم مقام عليه في الشويفات بعدم المرور في دير القمر . وصوله الى المختارة . مقتل مسيحيين امام دار سعيد بك . الجنود التركية في المختارة . ذهابه الى دير القمر . خرابها . جثث القتلى في الثكنة العسكرية . التها الدروز بنهب ما بقي فيها . افتدائه ابنة خليل جاويش . مشاهدته جثث القتلى في سراي بتدين

٩٧ ٧٤ ــ اول حزيران : (المطران طوبيا عون الى القناصل العامين) ايعازه الى المسيحيين بالاخلاد الى السكينة . انقيادهم لنصائحه . استئناف الدروز الاعتداء على المسيحيين . تغاضي المشير عن ردعهم . سواغية تأهب المسيحيين للدفاع عن انفسهم

٩٨ ٧٥ ــ ٣٠ منه : (الكونت دي بنتيفوليو قنصل فرنسا في بيروت الى سفير دولته في الاستانة) . شكوى اهالي كسروان من اصحاب الاقطاع . طمع الاكليروس باحراز السيادة . قيام الامراء اللمعيين على نسيبهم الامير بشير احمد . ثورة اهالي كسروان على مشايخهم الخازنيين . رغبة الحكومة في اضعاف كل فريق بواسطة الاخر . انتشار الفوضى في لبنان .

٩٩ ٧٦ ــ ٣٠ منه : (مور الى السير بولفر) بيان عدد القرى المسيحية المحروقة والقتلى

صفحة عدد

والمنكوبين . خسائر الدروز

١٠٠ ٧٧ ـ ٣ تموز : (مقتطفات من بيان المستر كراهام عن مهمته الى زعماء الدروز). مروره بدير القمر . خرابها . تراكم الجثث في طرقاتها . بلوغه المختاره . أباء سعيد بك دعوة زعماء الدروز الاجتماع في المختارة . معالنته استياء انكلترة من اعمال الدروز . محاولة سعيد بك ايهامه ان لا سلطة له على الدروز . حيله . تظاهر احد اتباعه بعدم طاعته . اعتذار زعماء الدروز عن موافاته الى المختاره . رفض سعيد بك وبشير بك ان يجيبا على كتاب القناصل . اعوجاج سلوكهما . ذهابه الى خطار بك العماد ويوسف عبدالملك وحسين تلحوق . تبرؤهم من التدخل في الحرب ودعواهم عدم السلطة على الدروز . عودته الى بيروت . اثباته خبر فظائع دير القمر . الحاحه على سعيد بك بدفن جثث القتلى . حسن سلوك السيدة نايفه . غدر اميرالاي حامية دير القمر . حشره المسيحيين في السراي . نزع سلاحهم . اشتراك جنوده مع الدروز بذبحهم . احترام الدروز النساء

١٠٥ ٨٧ ـ ٣ تموز : جواب زعماء الدروز الى القناصل العامين : ادعاؤهم ان الميسيحيين هم البادئون بالشر نسبة حدوث هذه القلاقل الى لجنة بيروت والرئيس الروحي فيها . تبرير نفوسهم مما عُزي اليهم . تظاهرهم بالمسالمة ورغبتهم في عقد صلح نهائية ترضي الفريقين

١٠٧ ٧٩ ـ ٥ منه : (بنتر قائد البارجة اكسموث الى الفيس اميرال مارتين) وقوف الاعمال ودولاب التجارة في المدن الواقعة على سيف البحر . وصف الفظائع التي حلت براشيا من ذبح ونهب وحرق . القلق في دمشق وحلب وحمص . اعتقاد المستر كراهام وجميع الاوربيين ان الحكومة التركية هي التي دبرت مذابح هذه البلاد . حدوث منازعات في حلب بين المسلمين والمسيحيين . ايداع اعيان النصارى السجن . ازدياد تعصب المسلمين في دمشق . تحظير الحكومة على المسيحيين حمل السلاح . اذنها به للمسلمين والدروز . قتل فرسان الحكومة ٣ مسيحيين على مقربة من

صفحة عدد

صفحة عدد

عدم دفن جثث القتلى . رياء خورشيد باشا . تظاهره بالاسف . هياج المسلمين في صيدا . تحريض المفتي لهم . وصول بوارج انكليزية وفرنساوية اليها . تدبير مكيدة لاهلاك النصارى . مهاجرة النصارى الى القطر المصري . ايفاد القناصل الراوي بمهمته الى زعماء الدروز . انقيادهم لاغراض الباشا . موآمرة على ذبح النصارى في كسروان . عقد الصلح بين الفريقين . اجحافها بحق النصارى . ٧٥ الف منكوب . منع الحكومة المهاجرة ٤ الاف قتيل في لبنان . جزع النصارى في بيروت من قدوم بوارج وجنود تركية . فتنة دمشق . احتراق قنصلية روسيا وحي النصارى . شهامة الامير وعبدالقادر نشاط قنصل انكلترة . خيانة احمد باشا مشير دمشق

١٦٥ ١٠١ — ٦ تموز : (تعليمات الموسيو توفنيل وزير خارجية فرنسا الى سفراء دولته) بيان حق الدول في التدخل في شؤون لبنان لايقاف اضطراباته ـ اعتراف الباب العالي بهذا الحق ـ وجوب تأليف لجنة دولية لاجراء تحقيق في اسباب الاقتتالات وبيان درجة مسؤولية زعماء الفتنة ومأموري الحكومة وتعيين تعويضات وتعديل نظام لبنان ـ اهتمام فرنسا منذ القديم بشؤون لبنان بمعرفة الدولة العثمانية ـ نزاهة قصد فرنسا ـ دعوة الدول الى مشاركتها في اعادة الامن

١٦٧ ١٠٢ — ٦ منه : (رسالة الموسيو توفنيل الى المركيز دي لافاليت سفير فرنسا في الاستانة . استياء الحكومة والرأي العام في فرنسا من كوائن لبنان . حق فرنسا في حماية النصارى . استنهاض الحكومة العثمانية للتعجل بحقن الدماء . خيانة مأموريها وجوب ارسال قوة منعاً لامتداد الشر والاقتصاص من المجرمين لئلاً تحكم اوربا بعجزها . وجوب اعادة النظر في نظام لبنان

١٦٨ ١٠٣ — ١٦ منه : (رسالة السلطان عبدالمجيد الى الامبراطور نابوليون الثالث) أسفه على كوائن سوريا . عزمه على اعادة الامن ومعاقبة الجناة وايفاده فؤاد باشا ناظر خارجيته بهذه المهمة

صفحة عدد

صفحة	عدد	
١٨٧	١١٥	ــ التاريخ ذاته : (ومنهُ اليهِ) . ورود رسالة من سفير فرنسا في الاستانة على الموسيو توفنيل يفيده بها عن تأجيل عالي باشا اعطاء الجواب الى ما بعد مفاوضة رصفائه واستئذان السلطان . مخاوفه من حدوث فتنة اذا نزلت جنود اوربية في سوريَة . اصرار الموسيو توفنيل على عدم تأجيل ارسال البعثة العسكرية
١٨٨	١١٦	ــ ٢٣ منه : (اللورد روسل الى الارل كولي) . قبول انكلترة بارسال جنود اوربية الى سورية عندما وردت عليها رسائل قناصلها مثبتة فواجع سوريَّة ولبنان وسوء سلوك مأموري الاتراك . اشتراطها عقد اتفاقية بهذا الشأن بين البـاب العالي والدول ووجوب جعل مدة الاحتلال ستة اشهر . ضرورة اعفاء تركيًا من نفقات البعثة . ارسال انكلترة اسطولها الى ثغور سوريا . وجوب العدول عن ارسال الجنود الاجنبية اذا ثبت خبر وقوف رحى الاضطرابات
١٩٠	١١٧	ــ التاريخ ذاته . (الارل كولي الى اللورد روسل) . اعتزام الموسيو توفنيل على الايعاز لسفيره في لندره ان يحتج على عدول حكومة انكلترة عن قبولها ارسال بعثة عسكرية فرنسوية الى سورية . حـق فرنسا في الانفراد بحماية رعاياها والمسيحيين . ميلها الى مشاركة الدول
١٩١	١١٨	ــ التاريخ ذاته : (ومنهُ اليهِ) بيع الاسلحة من الدروز والموارنة . ايجاب الموسيو توفنيل انزال العقاب في مسببي الفواجع لانهُ كان يُقصد بها ابادة جميع المسيحيين . رسالة قنصل فرنسا في بيروت المثبتة دسيسة احمد باشا والي دمشق
١٩٢	١١٩	ــ ٢٣ منه : (الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني) استغرابه عدول انكلترة عن قبولها ارسال الجنود الفرنسوية . ارتيابه بعقد الصلح بين الموارنة والدروز . عدم قيمة هذا الصلح الاكراهي . الخوف من امتداد فتنة دمشق الى سائر الولايات المجاورة . بيان المفاوضات التي جرت . موافقة انكلترة على مسودّة الاتفاقية ثم عدولها . حق فرنسا بالانفراد بالتدخل ورغبتها عنه . سؤاله انكلترة العودة الى قولها السابق

صفحة عدد

٢٣٣ ١٣٦ ــ ١٩ تموز : (ملاتيوس مطران الروم الكاثوليك في بعلبك الى القنصل مور) . وصفه البلايا التي نزلت به وبابناء رعيته في بعلبك . هجوم المتاولة والمسلمين عليهم وقتلم ونهب اموالهم وحرق بيوتهم . عدم اهتمام عامل بعلبك للامر مع وجود قوة كافية لديه . هجوم عصابات اللصوص برئاسة الامراء الحرافشة على فارس آغا قادر عامل بعلبك وقتل بعض اتباعه . فرار سيادته مع بعض ابناء رعيته . هجوم حسن آغا يازجي برجاله على المسيحيين الباقين . اسرافهم بالقتل والنهب وهتك العرض . هجوم المسلمين والمتاولة على القرى المجاورة بعلبك ونهبها وحرقها وقتل مسيحييها . تقديره خسائر ابناء طائفته وسائر المسيحيين . استغاثته بحكومة انكلترة

٢٣٦ ١٣٧ ــ ٣٠ منه : (اللورد روسل الى اللورد دوفرين) . تعيين اللورد دوفرين ممثلاً لانكلترة في اللجنة . ايقافه على غرض اللجنة

٢٣٦ ١٣٨ ــ اول اب : (الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني) . ارتيــاب انكلترة بامكان تنفيذ الوسائل التي تقرر اتخاذها في سورية . سعي فرنسا الى ازالة هذه الريبة . قبول انكلترة ان تضيف الروسية اقتراحها الى الاتفاقية . سعي فرنسا في التوفيق وحقن الدماء

٢٣٨ ١٣٧ ــ اول اب : (اللورد روسل الى السيربولفر) . قبول انكلترة بمقترحات فرنسا بناء على ما رأته من سوء سلوك المأمورين الاتراك والجنود

٢٣٨ ١٣٨ ــ ٣ اب : (صك « بروتوكول » جلسة المؤتمر المعقــود في باريس) . اجتماع ممثلي الدول وتوقيعهم اتفاقية قوامها ٧ مواد : ١ً ارسال بعثة عسكرية اوربية الى سورية : ٢ً رضا فرنسا بارسال هذا الجيش : ٣ً مخابرة القائد العام مندوب الباب العالي والاتفاق معه : ٤ً وعد الدول بارسال قوة بحرية : ٥ً جعل مدة الاحتلال ٦ اشهر : ٦ً تعهد الباب العالي بتسهيل تموين هذه البعثة : ٧ً توقيع هذه الاتفاقية بمدى خمسة اسابيع

صفحة	عدد
٢٦٨	١٦٣ — ٨ منه : (السير بولفر الى القنصل برانت) الثناء عليه . تقبيحه سلوك أحمد باشا وتقدير اسبابه . تمييزه بين حرب لبنان الاهلية وفتنة دمشق . سؤاله رأيه في الاسباب الاخيرة . ضرورة تأجيل فؤاد اصلاح الفريقين الى ما بعد اركاز السلطة . سعي اوربا في ازالة ضعف الحكومة العثمانية
٢٧٠	١٦٤ — ١٣ منه : (القنصل برانت الى اللورد روسل) . ارساله له رواية المستر سيريل كراهام عن مذابح حاصبياً وراشياً
٢٧٠	١٦٥ — التاريخ ذاته : (وصف حالة مسيحيي حاصبياً وراشيا للمستر كراهام) . ايفاد فؤاد باشا اياه لاستطلاع حالتهم وتوزيع عشرين الف غرش عليهم شقاء المنكوبين وعددهم . توزيعه الحسنات عليهم . حنق الدروز عليه واعتقادهم بارتياح انكلترة الى اعمالهم . نفيه هذه الاوهام . تهديد محمد النصار زعيم المحرضين اياه بالقتل في دار خزاعي اغا العريان . عتو الدروز . تراكم الجثث في دار الحكومة وعدم فسادها . زيارته حاصبياً . اعانته منكوبيها . مشاهدته جثث القتلى في دار الحكومة . تآمر الدروز على قتله . حراجة موقف النصارى . عودته الى دمشق . استصواب فؤاد باشا رأيه بارسال قوة الى ذلك الصوب والعهد الى خزاعي آغا العريان بحماية المسيحيين
٢٧٥	١٦٦ — ١٠ منه : (مور الى اللورد روسل) . عودة احمد باشا لمحاكمته في دمشق . مواصلة الدروز اعتداءاتهم . عريضة الناجين من مجزرة حاصبياً . ايقاف فؤاد باشا على حالتهم . قلق الدروز من قدوم الجنود الفرنسوية . عقدهم الاجتماعات وعزمهم على الاعتصام بحوران . ارسال فؤاد باشا الجنود الى حاصبياً وراشياً لحماية مسيحييها
٢٧٦	١٦٧ — ١٥ منه : (مور الى اللورد روسل) عريضة مسيحيي البقاع . بيان اعتداء الدروز عليهم . غض الحكومة الطرف عن مقترفي الجنايات وتشجيعها اياهم على التمادي في الاعتداء . فصل حاكم صيدا عن مأموريته . ارسال جنود

صفحة عدد

هذه المدينة الى حاصبيا وراشيا

٢٧٧ ١٦٨ — ١٤ منه: (مسيحيو ٨ قرى في البقاع الى القنصل مور) عدم التفات عاشور افندي قائم مقام البقاع الى شكواهم . اجتماع القائم مقام المذكور بحسني بك اميرالاي الفرسان والشيخ كنج العماد . قتل الشيخ كنج المذكور بعض مسيحيي كفرحونه وسلبه دوابهم واموالهم . حريق القرى المذكورة ونهبها وقتل من فيها . هربهم واختباؤهم في الجبال . عدم اكتراث المشير بشكواهم . حرق الشيخ كنج امرأتين حيتين . فاقتهم استغاثتهم بانكلترة

٢٧٩ ١٦٩ — ١٣منه: (الفيس قنصل ابيلاً الى مور) وصول نساء عازور الى صيدا . اساءة الدروز معاملتهنَّ . مواصلتهم الاعتداء في جوار المدينة . قطعهم اشجار المسيحيين في اقليم جزين والخروب وحاصبيا وراشيا . نهبهم ماشية مسيحيي جباع ومحاصيل ارضهم . عدم التفات مأموري الحكومة لشكوى المسيحيين

٢٨٠ ١٧٠ — ١٤ منه : (ومنه ايضاً) . اعتداء درزي على امرأة مسيحية من قرية المحتقره . نقل مسلمي اقليم الخروب الاسلاب الى بلاد المتاولة . اهمال مأموري الحكومة اعادتها الى اصحابها

٢٨١ ١٧١ — ١٦ منه : (القنصل مور الى اللورد روسل) . اعلامه بوصول الجنرال دي بوفور مع قسم من الجنود . ارسال احمد باشا مع بعض الضباط الى دمشق لمحاكمتهم

٢٨١ ١٧٢ — ١٦ منه : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) وصوله الى دمشق . مشهد اسواقها . مقابلة فؤاد باشا . حديثه معه . بذله الجهد لحمل دولته على انتهاج طريقة المحاكم العسكرية وانزال العقاب في جميع الجناة . تشوق دولته الى معرفة عدد الذين تطلب اوربا اعدامهم . اعترافه بصعوبة مهمته . خوفه من حدوث اضطراب ينشأ عن وصول الجنود الفرنسوية . وعده باتمام المهمة الموكولة اليهِ . وجوب تشجيع دولته . الاشارة عليهِ بارسال جنود الى حاصبيا وراشيا لانقاذ النصارى الباقين فيها . عمل دولته بهذه الاشارة

صفحة عدد

المعلقة ونشرهم راية الحرب عقد خورشيد باشا مجلس الولاية في بيروت . ارسال دولته والمطران طوبيا مندوبين الى طانيوس شاهين ليفرق رجاله . هجوم اهالي كسروان على قرية بعبدا . رفضهم امتثال اوامر الوالي . زحف موارنة كسروان والقاطع على المروج . هجوم مسيحيي سهل بيروت بقيادة خوري البوشرية على بيت مري . انتصار الدروز عليهم . هجوم الزحليين على قرية عين داره لمقاتلة علي بك العماد . انكسارهم . تراجعهم الى خان مراد . هجوم المسيحيين وانكسارهم في كفرنبرخ والغرب الاعلى وحمّانا والشويفات والعبادية وراس المتن وكفرحمل وكفرقطره ونيحا فوز قاسم يوسف على يوسف البيض في درب السيم . استظهار دروز قرنايل وفالوغا على مهاجميهم الزحليين . قدوم دروز حوران الى زحلة لنصرة اخوانهم اللبنانيين . تحرش فرسان زحله بهم . ايفاد القائم مقام الشيخ محمود العيد الى دروز حوران لاقناعهم بالعودة الى بلادهم . قبولهم عقد هدنة . هجوم فرسان زحله على الدروز في سعدنايل . انتصار الدروز . نشوب الحرب في دير القمر . فوز الدروز . عقد الصلح بين الفريقين على اساس تناسي ما مضى

٣٠٨   ١٩٣   ٣٠ منه : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) . توزيع فؤاد باشا بيانات بعدد المحكوم عليهم . تجنيده شبّان دمشق . بطء المحاكمات . قدوم بعض زعماء العرب في حوران على دولته . الحاحه عليهم بالتوطن فيها . خوف المسيحيين من الاقامة في بيوت المسلمين . وصول الحجاج

٣١٩   ١٩٤   ٣٠ منه : (برانت الى السير بولفر) . تهاون احمد باشا في استدراك الفتنة . اعترافه بوجود مؤآمرة ثم انكارها . ثبوت اعتزام المسلمين على قتل النصارى . جريان محاكمة المشير سرًّا . الادلة والامارات عليه . كذبه . قصوره كوالٍ وجبنه كقائد . وجوب التمييز بين الحرب الاهلية بين الدروز والموارنة ومذابح حاصبيًا وراشيًا ودير القمر . ثبوت تواطوء الحكومة على ايقاظ الفتنة . استيقاظ

صفحة عدد

تعصب مسلمي دمشق بعد عودة سورية الى الحكومة العثمانية . استخدام تركيا هذه الروح لتقليص النفوذ الاوربي . تعاظم غطرسة المسلمين بعد انتصار الدروز على المسيحيين في لبنان . حسدهم المسيحيين على ثروتهم . طمعهم فيها . حزم فؤاد باشا وترويه . كفايته لادارة شؤون سورية . جدارة سنطي باشا وغالب باشا لمنصب الولاية

٣٢٤ ١٩٥ ـ اول ايلول : (اللورد كولي الى اللورد روسل) اعتقاد الموسيو توفنيل ان فؤاد باشا لم يجسر على تنفيذ حكم الاعدام في الجناة الا بعد ارسال الجنود الفرنسوية . عدم ارتياحه الى اكتفاء دولته باعدام صغار القوم وتركه كبار المحرضين . وجوب اعدام اثنين من كبار الموظفين المذنبين

٣٢٥ ١٩٦ ـ ٣ منه : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) حديثه مع فؤاد باشا . قلق المسيحيين من مغادرة دولته دمشق

٣٢٥ ١٩٧ ـ التاريخ ذاته : (حديث فؤاد باشا والماجور فرازر) عزم دولته على الذهاب الى بيروت لمفاوضة الجنرال دي بوفور . ايفاد هذا الاخير الكولونيل شنزي اليه طالباً اجازته للجنود الفرنسوية مرافقة اللاجئين الى قراهم في لبنان . طلب دولته تأجيل ذلك الى ما بعد الاتفاق على خطة العمل . حذره من الحاح الفرنسويين بالاستقلال بالعمل عن الجنود العثمانية . خوفه من حدوث قتال بين الجنود الفرنسوية والدروز . صدور الحكم على أحمد باشا وضباط حاميات حاصبيا وراشيا ودمشق بالاعدام . تأجيل اعدام الاخير الى ما بعد محاكمة خورشيد باشا في بيروت . رغبة دولته في معاقبة اعيان دمشق المتهمين وتعذر وجود شهادات عليهم . اعتزامه على نفيهم مراعاة لمصلحة تركيا . سؤاله الماجور عن غرض اللجنة الدولية . بسطه طريقتين في معاملة الدروز احداهما تخييرهم بتسليم زعمائهم المذنبين ودفع غرامة الى المسيحيين وتعمير القرى والاخرى مهاجمتهم . ايثار الماجور الطريقة الاولى

صفحة عدد

صفحة عدد

الباب العالي بكليهما . نقد مندوب فرنسا كيفية تأليف فؤاد باشا ست لجان لتقدير اكلاف ترميم البيوت المدمرة . اقرار اللجنة على تعيين نوّاب عنها فيها . طعن مندوب الروسية بالعضو المسيحي في محكمة التحقيق . وجوب اتفاق اللجنة الدولية مع لجان الاحسان الاوربية . عريضة عائلة بدران والوصاية على القاصرين

(نطاقة ملحقة) : طلب اللجنة الاطلاع على ملفّ اوراق الدعاوى في دمشق والتعجل بنزع السلاح . عزمها على ارسال نوّاب لحضور استجواب خورشيد باشا والدروز المتهمين . وجوب التعجل بدفن جثث القتلى وترميم البيوت لاسكان المنكوبين فيها . انتقاء ٦ نوّاب عن اللجنة في اللجان الموكول اليها تقدير الخسائر . الاحتجاج على الغاء القائم مقامية الدرزيّة دون اشارة الدول

٣٨٢ ٢٤٢ ـ ٩ منه : (صك الجلسة الثانية) اصرار المندوبين على طلب التمتع بحقهم بحضور التحقيق . استغرابهم تخلف فؤاد باشا عن حضور جلساتهم . اقتراح الرئيس ذهابهم الى المختاره للاجتماع بدولته . رفضهم وايثارهم السفر الى دمشق لحراجة حالتها . تباين الاراء . رسالة دي بوفور في تقاعد الجنود التركية وفرار الدروز الى حوران اجماع اللجنة على انشاء جمعية احسان رئيسية . حماية الجنود التركية الدروز . اقرار اللجنة على السفر الى دمشق . عريضة مسيحيي حوران

٣٨٧ ٢٤٣ ـ ١١ منه : (صك الجلسة الثالثة) . الاتفاق على انشاء جمعية رئيسية للاحسان مؤلفة من روساء جميع لجان الاحسان الاوربية . الشروع بمحاكمة سعيد بك . ورود التفويض الى أبرو افندي . تأجيل نقد نظام القائم مقامية الدرزية الى ما بعد ترجمته . احتجاج المندوبين على انكار فؤاد باشا حقهم بحضور التحقيق القضائي . الفات فؤاد باشا الى تهديد اسمعيل الاطرش مسيحيي حوران اذا لم يشفعوا به لدى الحكومة

ملحق ١ : (جواب فؤاد باشا على نطاقة اللجنة الدولية) . اعترافه بحق اللجنة الدولية في

صفحة عدد

الاطلاع على جرائد ضبط الدعاوى في دمشق وبيروت وانكاره عليها حق حضور التحقيق القضائي تصميمه على نزع السلاح من ايدي الدمشقيين لدى الفرصة وجوب جريان المفاوضات بين اللجنة والمحكمة بواسطة أبرو افندي . اهتمام الحكومة بدفن جثث القتلى وترميم البيوت واعداد الارزاق واسترجاع الامتعة المنهوبة . مهمة اللجان الست الموكول اليها تقدير نفقات ترميم البيوت . عزمه على انشاء لجنة تحكيمية ولجان مختلطة لتقدير خسائر الاجانب . بيانه سبب الغائه القائم مقامية الدرزيّة الى ان يتم وضع نظام لبنان الجديد

ملحق ٢ : (نظام موقت القائم مقامية الدرزية) قسمتها الى ٤ دوائر وتعيين مدير ومجلس لكل منها . كيفية انتخاب هذه المجالس ومشايخ القرى وبيان دائرة اختصاصهم . اقامة جنود سلطانية في هذه الدوائر وتجنيدهم وطنيين لدى الاقتضاء

٣٩٥ ٢٤٤ ـ ٨ منه : (برانت الى اللورد روسل) ذعر المسيحيين من رسم صلبان على ابواب بيوتهم ورغبتهم في المهاجرة . سهر خالد باشا . الاذن للشيخ عبدالله الحلبي بقبول زيارة من شاء . سوء سلوك ابرهيم بك كرامه . طلب اليهود المساعدة .

٣٩٧ ٢٤٥ ـ ١١ منه : (ومنه الى السير بولفر) . عودة فؤاد باشا من المختارة . ظن دولته بان الذين رسموا الصلبان على بيوت المسيحيين هم اخوانهم . لوم خالد باشا والامتداح منه . عزل ابرهيم بك كرامه الفات نظر دولته الى حالة سجني اليهود . محاولة القبض على زعماء الدروز . سؤاله دفع متأخرت الاعانات

٣٩٨ ٢٤٦ ـ ١٥ منه : (صك الجلسة الرابعة) . اختيار ٦ نواب عن اللجنة الدولية في لجان تخمين نفقات ترميم البيوت . جواب أبرو افندي على الاستيضاحات عن شاكر باشا ونوري بك وحسني بك . دفاعه عن محكمة دمشق وعزمها على نفي الاعيان المتهمين لعدم وجود شهود عليهم . قبول فؤاد باشا بحضور اعضاء اللجنة او نوابهم جلسات المحكمة الغير العادية . تلاوة كتاب الموسيو اوتري قنصل فرنسا في دمشق عن حالة المدينة . اعلان ابرو افندي القبض على ابرهيم بك كرامه

ملحق

تنبيـه : لمّا كنّا قد ذكرنا في الجزء الاول من المحررات ص ١٣٢ و١٤٦ و ٣٩٨ و ٣٩٩ صكوكًا تتعلق بمسألة اعفاء اهالي كسروان من المال الاميري مدّة ثلاث سنوات تعويضًا عمّا خسروه في سنة ١٨٤٠ رأينا ان نلحق المحرر الآتي بهذا الجزء لاسباب اهمها انه يثبت ما جاء في بيان المطران نقولا مراد الى اللورد ابردين (ص ١٣٢ ج ١) وينقض مزاعم المستر اليسون أحد مأموري سفارة انكلترة في الاستانة الذي انكر على المطران المشار اليه صحة اقواله (ص ١٤٦) ثم لانهُ يبرّئ اسرتنا الخازنية ممّا اتهمها به المفسدون زورًا واتخذوه ذريعة لاثارة أهالي كسروان عليهم سنة ١٨٥٨ .فقد اتضح بجلاء ان الاموال الاميرية التي جمعها المشايخ اوانئذٍ دفعت في حينها للامير حيدر أبي اللمع ثم اضافوا اليها مبلغًا آخر استدانوه ودفعوه لباشا بيروت لقاء تسليمهم فرمان الاعفاء .

الخوري ارسانيوس الفاخوري والخوري عبدالله اصاف
الى الشيخين كنعان وكسروان الخازن في ١٠ ايلول سنة ١٨٤٣

نعرض لجنابكم سرًّا

غب اهدا ما وجب ولاق بوفور الاحتشام والاحترام انهُ تقدم لجنابكم التخبير عن حضور الفرمان لسعادة المشير المعظم في ترك ميري كسروان عن سنة ٣ وعن اننا طلبنا من سعادة افندينا الامير حيدر الافخم ترجيع الدراهم التي قبضها من أصل مطاليب كسروان مع غزير ايضًا وان سعادته عمال يدبر لنا ذلك وان ترسلوا لنا الوصولات التي بيدكم من سعادته بما قبضه منكم وان ترسلوا لنا غلاقة المبلغ وهو

ستين الف قرش الذي بدنا نوزّع منه اللازم توزيعه كما بعلمكم . والان نخبركم ان سعادة الامجد محمد باشا اخرج لنا الامر من سعادة المشير الموما اليه لسعادة الامير المرقوم مضمونه ترك الميري المذكورة عن سنة ٣ وانه لا يطلب من كسروان ذلك الخ . ونحن وقفنا على الامر المذكور وهو منظوم جدًّا بحسب المرغوب والمادة انتهت من كل الاوجه وانّما هذا الامر باقي مع سعادة الامجد المذكور لا يسامنا اياه حتى نسلمه المبلغ الذي صار عليه الوعد ولحد الآن ما حضر لنا الجواب منكم ولا غلاقة المبلغ حتى ندفع المتوجب والمبلغ الذي من سعادة الامير الذي استرجعناه منه لا يكفي للمبلغ الذي صار عليه الوعد حتى ندفعه لسعادة محمد المرقوم ونأخذ الامر منه فلذلك بادرنا بترقيمه مع ناقله مخصوص نرجو ارسال غلاقة الستين الف حالاً مع حضرة ولدنا الشيخ بيوس الحاج أو غيره يكون أمينًا وان كان للان ما تدبرت معكم الغلاقة من الاهالي فيقتضي ان تستقرضوا هذه الغلاقة وتتناولوها مناولة من كم واحد وترسلوها حالاً حالاً من كل بد حتى ندفع المبلغ لسعادة محمد المذكور حالاً بالتمام لانه لا يصح ان ندفعه له دفعة بعد دفعة بل يجب دفعه له دفعة واحدة نحرّج عليكم بذلك حتى ندفعه له تمامًا لكي لا يغتاظ ولا يزعل لانهُ نافع النصارى جدًّا لاسيما جنابكم وأهالي كسروان وان اغتاظ فيصير بعده لكم وللاهالي ضرر لان من المعلوم ان بعد لكم مصالح كثيرة يلزم مساعدته بها فلذلك لا نقدر ان نغيظه وهو الان محرّج علينا جدًّا بالمطلوب وبهذا القدر كفاية ويلزم ان تسرعوا بأرسال الغلاقة كون احدنا الخوري عبدالله صار مراده يطلع لكسروان وما بقى يمكنه العاقة في بيروت ولا يقدر يطلع قبل ان يصرف سعادة المذكور ومن جهة توزيعه وكيفيته فعند رجوع المذكور وطلوعه لعندكم تفهمون منه الكفاية والتوزيع للمبلغ المذكور هو باطلاع سيادة المطران طوبيا الكلي الاحترام واطلاع جناب الشيخ بشاره الخازن واطلاعنا اثنينا فلذلك كونوا براحة بال من هذا

القبيل ونكرر اهدا ما وجب تكرارًا . في ١٠ ايلول سنة ١٨٤٣

الداعين لجنابكم　　اخوكم　　(مكان الختم)

الخوري ارسانيوس الفاخوري　　بشاره

والخوري عبدالله اصاف　　(مكان الختمين)

صح : محرر هذه الحاشية يهدي حضرتكم البركة الالهية مع ما وجب ولاق

والمحرر هو بعلمه　　(مكان الختم)　　طوبيا عون

مطران عكا

(نُقل بالحرف عن الاصل الموجود عند الشيخ حرب نادر الخازن)

تنبيه

لقد استعملنا كثيرًا في هذا الكتاب كلمة استدعى بمعنى استقدم . وقطن المدينة بدلاً من قطن فيها . ومسّ مكان اذى . وارسل لهُ عوضاً عن ارسل اليه . فاقتضى التنويه

ثم اننا لقينا صعوبة في نقل اسماء العلم الواردة في الكتابين الانكليزي والفرنسوي مغلوطة فتحرّينا تصحيحها الَّا انَّا بقي بعض اسماء لم نقطع بصحتها ولا بدَّ لنا من الاشارة إلى اثنين منها هنا

فقد ورد في رواية ميخائيل غبريل عن مذبحة راشيًّا ص ٩٣ ان دروز راشيًّا ذهبوا الى دير القمر وحرقوها وعادوا في اليوم ذاته الى قرية بيت لهيا . فنرجح انه يجب ابدال لفظة دير القمر بضهر الاحمر المجاورة القرية المذكورة

وجاء في رواية الموسيو يعقوب ابيلاً ص ٨٠ اسم القس حنا عازر وصوابه الخوري حنا عازر وهو الذي سبق ذكره في المجلد الاول انه سافر الى اوربا بعد نكبة سنة ١٨٤٥

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٢	عشين	عشرين
٤	٢	اربعةوعشرين	اربع وعشرين
٦	٧	عن مكنون	مكنون
٦	١٠	شرزمة	شرذمة
٩	٣	٢ ايار	٢٠ ايار
١٥	١	كلما	كل ما
١٦	١٤	اوّل	اوّلا
١٩	١٠	كلما	كل ما
٢٥	٢	نفاذ	نفاد
٣٧	١٧	نفذ	نفد
٤٢	١٠	كانت	كانت عليه
٤٨	٧	الموتي	الموتى
٥٣	١٨	الاسلام	المسلمون
٥٦	٢	فأخدوا	فأخذوا
٦١	٨	يعاملون	يعاملان
٦٢	١٤	تجبوني	تجيبوني
٦٤	١٦	من حالة	على حالة
٦٧	١٧	سبب	ريب
٩٦	٥	على زعمآء	في زعماء
٧٤	٢	حبيب ديان	حبيب باحوط
٨٣	٢٢	نفاذ	نفاد
٨٤	١١	من رجل	رجل
١١٦	١٩	انه	بانه
١١٧	١٦	وقّعت عليه	وقّعتهُ
١١٨	٢١	انه	بانه
١٢٤	٥	الجبال	في الجبال
١٣٠	١٣	اسواق	في اسواق
١٣١	٤	المدينة	في المدينة
١٣١	٩	المدينة	في المدينة
١٤٤	١٦	فاشكركم	فاشكر لكم
١٤٦	٨	لاكتب له	لاكتب اليه
١٤٩	١١	سوء تصرف	تصرف
١٧٤	٢٠	استقليت	استقللت
١٧٨	٢	اهديكم	اهدي اليكم
١٨٤	١٥	تفويض	التفويض الى
١٨٨	١٢	اصحابها	اصحابه
١٩١	١٧	ابتداء	الابتداء في
١٩٤	٤	اللورد	الى اللورد
١٩٦	٨	بحضرة	بحضره
١٩٧	٢-٣	الى الى	الى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٩٨	٣	مفوضاً بتوزيع	مفوضاً اليه توزيع
٢٠٠	١٤	متحاشين	متحاشون
٢٠٢	١٢	بيد	يد
٢٠٤	٣	عوائدهم	عاداتهم
٢١٤	١	المبحث	للبحث
٢١٨	٢٢	دخلها	دخلها
٢١٩	١٠	ويأخذوهنّ	ويأخذونهنّ
٢٢	١٦	أَخذ	أُخذ
٢٢٣	١٢	بقيوا	بقوا
٢٤٧	٣	يبرهن عن	يبرهن على
٢٥٦	٩	مندوت	مندوب
٢٧٠	١٢	اتخد	اتخذ
٢٩٥	٨	عشرة	عشر
٣١٩	١٦	لتكتيس	لتكنيس
٣٢٤	١٩	الضباط	المتوظفين
٣٣٢	١٧	فارٍ	فارّا
٣٣٩	٩	الى الى	الى
٣٤٤	٥	المذابع	المذابح
٣٤٦	١٢	مستولين	مستوليان
٣٥١	١	هُيأ	هُيئ
٣٦٣	٢	علي	على
٣٦٦	١٩	بعص	بعض
٣٧٧	٦	عن ضياع	من ضياع
٣٨٠	٣	فقذ	فقد
٣٨٣	٩	حدثث	حدثت
٣٩٠	١١	خطارة	خطورة
٣٩٤	١٤	المعاونين	المعاونون
٤٠٠	٢٠	فيما	في ما
٤٠٥	١٥	عن المسيحيين	على المسيحيين
٤٠٦	٨	فروق	قاروفي
«	١٦	النفود	النفوذ
٤١٩	٧	تبرير	تبرئة





